أحمد عبد الباقي

عاصمة الدولة العربية في عهد العباسيين

سامرا



الجزء الأول

الدار العربية للموسوعات

بسم الله الرحمن الرحیم

عاصمه الدوله العربيه فی عهد العباسيين سامرا

كاتب:

احمد عبد الباقی

نشرت فی الطباعهٔ:

الدار العربيه للموسوعات

رقمی الناشر:

مركز القائميهٔ باصفهان للتحريات الكمبيوتريهٔ

الفهرس

عاصمه الدوله العربیه فی عهد العباسیین سامرا المجلد ۱

اشاره

سرشناسه : عبدالباقی، احمد، ۱۹۱۷- م.

عنوان و نام پدیدآور : عاصمه الدوله العربیه فی عهد العباسیین سامرا/ احمد عبد الباقی.

مشخصات نشر : بیروت: دارالعربیه للموسوعات، ۱۳ -

مشخصات ظاهری : ج.

وضعیت فهرست نویسی : برون سپاری.

یادداشت : فهرستنویسی بر اساس جلد دوم.

یادداشت : عربی.

یادداشت : کتابنامه

موضوع : عباسیان -- عراق -- تاریخ

موضوع : سامرا (عراق) -- تاریخ

رده بندی کنگره : DS۷۹/۹ /س۲ع۲ ۱۳۰۰ی

رده بندی دیویی : ۹۵۶/۷۵

شماره کتابشناسی ملی : ۱۱۴۴۸۵۹

ص: ۱

اشاره

فهرست کتاب سامرا عاصمه الدوله العربیه فی عهد العباسیین

بسم اللّه الرحمن الرحيم

مقدمه:

هناك قسم من تاريخ الدوله العربيه فى عهد العباسيين يؤلف وحده تاريخيه كامله، امتدت من سنه ۲۲۱ ه حتى سنه ۲۷۹ ه، كانت فيه مدينه سامرا حاضره الخلافه الاسلاميه. و هذه المدينه التى انشئت لتكون عاصمه الخلافه فى ايام المعتصم باللّه ثامن الخلفاء من بنى العباس، شاء لها القدر ان تكون عاصمه لامبراطوريه من اعظم الامبراطوريات التى ظهرت على مسرح التاريخ. فقد امتدت الامبراطوريه العربيه من سواحل المحيط الأطلسى غربا حتى تخوم الصين شرقا و رغم اختلاف اجناس رعاياها و اختلاف السنتهم، و قيام بعض الامارات شبه المستقله على اطرافها المتباعده، فقد كانت ولاياتها جميعا مرتبطه برباط الدين الاسلامى و الحضاره العربيه و تخضع كلها لخليفه سامرا. و كما يقول المستشرق الهولندى كرامرز «انها كانت تؤلف كتله دينيه واحده فضلا عن وحده سياسيه متينه العرى متراصه البنيان، جمعت بينها قوه السلاح، و جعلت سكانها يقفون فى العالم كأعظم قوه مركزيه عرفها البشر». (تراث الاسلام/ ۱۲۵)

و نستطيع ان نعتبر تأسيس مدينه سامرا اهم اعمال المعتصم باللّه و ابقاها اثرا. و تقوم هذه الأهميه على ما تطلبه تأسيسها من

تصـميم مسـبق، و جهـد كبير متواصـل، و مال و فير، و ما لعبته العاصـمه الجديـده من دور مهم فى مسـيره الحضاره العربيه خلال الشـطر الاكبر من القرن الثالث. و قد تيسر للمعتصم باللّه ان ينهض بذلك العمل العظيم بما و هب من حب للعمران، و للجنديه و الحيـاه العسـكريه، و مـا توفر له من المـال. و قـد اختـار المكان المناسب للمـدينه من حيث حسن الجو و المناخ، و توفر المياه، و حصانه الموقع.

و خططها بما يسـد احتياجات عسـكره من الأتراك، و متطلبات الحياه المدنيه. و وزع الاعمال الانشائيه المطلوبه لتأسـيس المدينه على قواده و كبار رجاله بما كفل سـرعه انجازها. و لم يبخل ببـذل ما احتاجه لذلك من الاموال. فاسـتطاع ان يقيم مدينه واسـعه كامله المرافق فى خلال مده و جيزه تعتبر قياسـيه- اذ ابتدأ ببنائها فى سنه (۲۲۱ ه) و تم انجازها فى اواخر السـنه التاليه-. و مع ان الصـفه العسـكريه غلبت على مؤسـساتها و مرافقها عنـد تأسيسـها، اذ كان معظم سـكانها فى اول أمرها من الجنـد الأتراك الذين كـانوا اهم أسـباب تأسيسـها، بحيث أطلق عليهـا اسم «العسـكر». الا انها ما لبثت ان قصـدها اصـناف الناس و اسـتوطنوها باعتبارها حاضـره الخلافه. و لم تمض مده يسيره على تأسيسها حتى غدت من أمهات مدن الدنيا آنذاک. و قد أقدم اليها الخليفه نفسه من كل بلـد من يعمل عملا من الاعمال، او يعالج مهنه من مهن الزرع و الغرس، و حمل من سائر البلدان من اهل كل مهنه و صـناعه فـانزلهم فى المـدينه و أقطعهم فيهـا لبناء منازل لهم. فاتسـعت عماره المـدينه و اتصـلت بيوتها و قصورها و اسواقها، و انتقل اليها عدد كبير من وجوه الناس و اهل النباهه من سائر المدن و الأمصار لطيب جوها و حسن موقعها و عمارتها.

الا ان المـدينه لم تلبث ان امتـد اليها الخراب عنـد ما النقل الخليفه المعتضد باللّه عائدا الى بغداد فى سـنه (۲۷۹ ه) بحيث لم يبق منها بعد سنين قلائل سوى اطلالها. غير ان هذه الاطلال حفظت لنا

طيله عـده قرون اسـس الابنيه الفخمه التى كانت فوقها مما ساعـد، الآثاريين على اسـتكشاف كثير من معالمها و تحديـد الشوارع الرئيسه و كثير من القصور و دور السكن و ثكنات الجيش، التى كانت فيها.

و التعرف على الأسـس الفنيه و المعماريه التى قام عليها تخطيط المـدينه و عمرانها. اذ كشـفت الحفريات و التنقيبات الحديثه من المعلومات عن البناء و الزخرفه ما يعطى فكره جليّه عن جمال الحضاره العربيه الاسـلاميه التى أفاءت على العالم آنـذاك، و التى تمثلت فى تلك المدينه الخالده.

و مع أهميه سامرا عاصـمه الـدوله العربيه فى ازهى عصورها و دورها الكبير فى بناء الحضاره العربيه، فانها لم تنل ما تسـتحقه من عنايه المؤرخين و اهتمامهم. فقد أقام بها عدد من الخلفاء كان لهم اثر مهم فى تاريخها، و وقعت فى ايامها احداث جسام تركت آثارها العميقه على مسـيره الـدوله العربيه. و كان عهـدها عهد القمم من اعلام الرجال ممن تفخر بهم فى مختلف ميادين العلم و الأدب.

فقـد عاصـرها الامام أحمـد بن حنبل الشـيبانى، و اماما الحـديث محمـد ابن اسـماعيل البخارى و مسـلم بن الحجاج القشـيرى، و المؤرخ الفقيه العالم محمد بن جرير الطبرى، و المؤرخ البلدانى أحمد بن أسحاق اليعقوبى. و اماما اللغه و النحو المبرد محمد بن يزيـد و ثعلبه احمـد ابن يحيى الشـيبانى، و عميد ادباء عصـره عمرو بن بحر الجاحظ، و الشاعران العبقريان ابو تمام و البحترى، و فيلسوف العرب يعقوب بن اسـحاق الكندى، و ابرز اطباء عصرهم يوحنا بن ماسويه و يختيشوع بن جبرائيل و حنين بن اسحاق، و آخرون كثيرون. كما تميز عهـد سامرا باحـداث خطيره، منها ان الدوله العربيه بلغت اوج قوتها حينما هدد المعتصم باللّه فى سـنه (٢٢٣ ه) مـدينه القسـطنطينيه عاصـمه الـدوله البيزنطيه بعـد ان اجتاح قواعـد الروم و حصونهم و افتتـح عموريه أهم مـدنهم. كما قضت الدوله العربيه فى هذا العهد على خطرين تعرضت لهما هما حركه بابك الخرمى و فتنه الزنج.

و فی هذا العهد ایضا ظهرت نتائج تتریک الجیش العربی، اذ طغی القواد الأتراک و تسلطوا علی شؤون الدوله و بخاصه منذ ایام المتوکل علی اللّه حتی ایام المعتمد علی اللّه حینما استطاع اخوه الموفق المهیمن علی شؤون الخلافه ان یکبح جماحهم الی حین. و کان ابرز مظاهر تسلط الاتراک استبدادهم بالخلفاء و قد قتلوا اربعه منهم و خلعوا ثلاثه من الخلافه.

و یظهر ان ما أصاب سامرا من اهمال کان سببه الرئیس سرعه خرابها بعد عوده عاصمه الدوله الی مدینه السلام التی استعادت مکانتها فی التاریخ العربی الاسلامی. و عسی ان نوفق فی تلافی بعض هذا الاهمال بما سنعرضه فی الصفحات التالیه من تاریخ الدوله العربیه فی عهد سامراء فی مختلف جوانبه. و نرجو ان تکون المواضیع التی تناولنا بحثها و عرضها بشی ء من التفصیل کافیه لأن تعطی صوره واضحه عن التاریخ المذکور بما یتفق و المرکز الذی شغلته مدینه سامرا ما یزید علی نصف قرن کانت فیه حاضره الخلافه الاسلامیه و عاصمه الدوله العربیه.

و قد جاء هذا البحث فی عشره أبواب، یضم کل منها عددا من الفصول یتناسب و طبیعه المواضیع التی یتضمنها الباب وسعتها.

فکان الباب الأول خاصا بتأسیس سامرا و عمرانها، و قد اشتمل علی منشأت المعتصم بالله فیها، و سامرا فی عهد المتوکل علی الله، و تأسیسه المدینه المتوکلیه «الجعفریه»، و سامرا بعده، و العوده الی بغداد و هجر سامرا، ثم دور السکن فی المدینه، و الزخارف التی اشتهرت بها. و اشتمل الباب الثانی علی دراسه خلفاء سامرا من حیث المبایعه و ولایه العهد مع نبذه مختصره عن سیره کل منهم لا سیما ما یتعلق منها بالدوله و المجتمع. و خصص الباب الثالث الدراسه مؤسسات الدوله العربیه فی عهد سامرا فضم دراسه عن الوزاره و الکتابه و القضاء. اما الباب الرابع فقد تناول علاقه

خلفاء سامرا بالاتراک و ما قام بين الطرفين من صراع و مظاهر ذلک الصراع و ما انتهی اليه. و خصص الباب الخامس لموقف العلويين من خلفاء سامرا. و اشتمل الباب السادس علی دراسه الفتن و الاضطرابات التی و اجهت خلفاء سامرا، الکبری منها کحرکه الخرميه و فتنه الزنج، و المؤامرات التی استهدفت الخلافه، و الاضطرابات الاخری التی کانت أقل خطرا رغم تعددها. و ضم الباب السابع موضوع المحنه التی آثارها المعتزله و موقف خلفاء سامرا منها. و اختص الباب الثامن بدراسه علاقات الدوله العربيه بمملکه الروم فشمل الحروب و المفادات و العلاقات التجاريه و الثقافيه بين الطرفين فی خلال عهد سامرا. و اشتمل الباب التاسع علی الامارات شبه المستقله فی عهد سامرا من حيث اداره شؤونها و علاقاتها بالخلافه. و خصص الباب العاشر لمجالس خلفاء سامرا العلميه و الادبيه منها و مجالس الأنس و السمر.

و قد انتهجنا فی دراستنا هذه اسلوبا يختلف عن الطريقه التی الفناها فی کتابه التاريخ العربی. و هو اسلوب لا يهتم بالاشخاص قدر اهتمامه بالاحداث التاريخيه من حيث اسبابها و نتائجها و مسرح حدوثها. ای ان الاحداث هی محور الدراسه و البحث و ليس الاشخاص. و حاولنا جهد استطاعتنا ان نلم بتفاصيلها و مکوناتها لنضع امام القاری ء صوره جليه لذلک العهد متمثله بمجريات الاحداث التی وقعت خلاله، و ما أحاط بها من الظروف المختلفه التی أدت بها الی ان تسير فی الاتجاه الذی صارت اليه، مع دراسه آثارها علی المجتمع آنذاک. فعرضنا ذلک بشکل وحدات «ابواب» تتناول مواضيع تکوّن بمجموعها تاريخه.

و من الواضح ان دراسه الوقائع التاريخيه بشکل وحدات تساعد

على فهمها بمختلف جوانبها، رغم امتداد زمنها، و ما نشأ عنها من نتائج، مما يجعلها متكامله واضحه. و نحسب ان هذا الاسلوب سيعطى من الصور عددا اكثر و من الشمول و الوضوح مجالا ـ اوسع، مما توفره الطريقه التقليديه فى عرض الماده التاريخيه، لا سيما ان هذا الاسلوب يتيح مجالا رحبا للتعرف على مختلف جوانب حياه الدوله العربيه برمتها آنذاك. تلك الجوانب التى لا تنال الاهتمام الكافى فى الطريقه التقليديه.

و قد راعينا فى دراستنا بعض الاسس التى التزمنا بها فى مختلف الابواب، اهمها: ۱- الحرص على التأكيد على عروبه عهد سامرا و التطور الحضارى خلاله، باعتباره امتدادا للدوله العربيه التى قامت فى المدينه المنوره اثر هجره الرسول الأعظم صلى اللّه عليه و سلم اليها و امتدت حتى منتصف القرن السابع الهجرى. اذا لم تعد كلمه العرب بمعناها الواسع تقتصر على سكان بلاد العرب فقط، بل انها شملت جميع الامم و الشعوب التى حمل العرب اليها الدين الاسلامى، و اتخذت من العربيه لغه لها، و انضوت تحت رايه الدوله العربيه، و من ثم كانت الحضاره التى ازدهرت آنذاك و آتت اكلها فى القرن التالى حضاره عربيه. ۲- و مما له علاقه بذلك اجتهدنا ان نكشف عن اسباب وضع بعض الأخبار بصيغه معينه، او تحريفها بشكل او بآخر، و بخاصه ما يتعلق بمحاوله الحط من شأن العرب و قادتهم. مما كان يدسّه اعداء الأمه العربيه فى ثنايا الوقائع و الاخبار. ۳- و التزمنا جهد الاستطاعه بلغه العصر و اسلوبه السائد فى عهد سامرا من حيث التعابير و المصطلحات و المحتوى دون ان نتوسع بالاستعانه بالمعارف الحديثه و ذلك للحفاظ على التراث اللغوى، و تقديم صوره صادقه عن العهد المذكور من جهه، و للتمتع بنكهه ذلك الاسلوب من التعبير المتميز بقدر كبير من الفصاحه و البلاغه. ۴- و قد أرّخنا جميع الاحداث و الوقائع بالتاريخ العربى «الهجرى» لأنسجام ذلك مع طبيعه الموضوع. على اننا

وضعنا فی آخر الکتاب جدولا بما یقابل السنوات الهجریه الوارده فیه من السنوات المیلادیه، تسهیلا لمن یرید معرفه ذلک. ۵- و عند البحث فی سیره الخلفاء اجتهدنا ان نتحری رعایتهم للمصالح العامه فی اعمالهم و تصرفاتهم، و اهتمامهم بکل ما له علاقه بالدوله و المجتمع، لنتبین مدی ما قدموه فی خلال حکمهم مما یثبت ارکان الدوله و ما بذلوه لصالح النفع العام، و لرفع ما یلحق الناس من عنت و ارهاق.

و اننا لا نستطیع ان ندعی بأن هذه الدراسه قد حققت ما نصبو الیه من اعاده مدینه سامرا الی المرکز الذی تستحقه فی التاریخ العربی. الا اننا نأمل ان تکون قد القت بعض الضوء علی ذلک و اوضحت دور سامرا فی تطور الحضاره العربیه، و ذلک حسبنا، و اللّه تعالی من وراء القصد انه نعم المولی و نعم النصیر.

المؤلف

الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها ۱- تأسيس سامرا

۲- منشآت المعتصم باللّه فی سامرا

۳- سامرا فی عهد المتوکل علی الله

۴- تأسیس مدینه المتوکلیه (الجعفریه)

۵- سامرا بعد المتوکل علی اللّه

۶- العوده الی بغداد و هجر سامرا

۷- دور السکن فی سامرا

۸- زخارف سامرا

الباب الأول تأسيس سامرا و عمرانها

الفصل الأول تأسيس سامرا

۱- اسباب الانتقال من بغداد:

لما قدم المعتصم باللّه بغداد من طرسوس بعد ان بويع بالخلافه فی سنه (۲۱۸ ه) نزل دار المأمون فی الجانب الشرقی من بغداد، و اقام حتی سنه (۲۲۱ ه)، و کان معه عدد کبیر من الجند الاتراک.

و یجمع قدامی المؤرخین علی ان الجند الاتراک، الذین توسع الخلیفه المعتصم باللّه فی استخدامهم فی الجیش العربی، و قد اشدت شوکتهم، کانوا اهم الاسباب التی دفعته الی الانتقال من العاصمه بغداد و ان یتخذ له عاصمه جدیده غیرها. یقول الیعقوبی: «و کان اولئک الاتراک العجم اذا رکبوا الدواب رکضوا فیصدمون الناس یمینا و شمالا فیثب علیهم الغوغاء فیقتلون بعضا و یضربون بعضا، و تذهب دماؤهم هدرا لا یعدون علی من فعل ذلک. فثقل ذلک علی المعتصم و عزم علی الخروج من بغداد»(۱)، ای انه خرج بهم لیحمیهم من العامه.

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۶.

و يقول الطبرى: «حدثنى جعفر بن محمد الفراء ان سبب خروج المعتصم الى القاطول كان ان غلمانه الاتراك كانوا لا يزالون يجدون الواحد بعد الواحد منهم قتيلا فى ارباضها، و ذلك انهم كانوا عجما جفاه يركبون الدواب، فيتراكضون فى طرق بغداد و شوارعها، فيصدمون الرجل و المرأه و يطأون الصبى، فيأخذهم الاباء فيدكسونهم عن دوابهم و يجرحون بعضهم، فربما هلك من الجراح بعضهم، فشكت الأتراك ذلك الى المعتصم، و تأذت بهم العامه. فذكر انه رأى المعتصم راكبا منصرفا من المصلّى فى يوم عيد اضحى او فطر، فلما صار فى مربعه الحرشى(۱)، نظر الى شيخ قد قام اليه فقال له: يا ابا اسحاق، قال: فابتدره الجند ليضربوه، فاشار اليهم المعتصم فكفهم عنه، فقال للشيخ: مالك:

قال: لا-جزاك اللّه عن الجوار خيرا، جاورتنا و جئت بهؤلاء العلوج فاسكنتهم بين اظهرنا فايتمت بهم صبياننا، و ارملت بهم نسواننا، و قتلت بهم رجالنا. و المعتصم يسمع ذلك كله. قال: ثم دخل داره فلم ير راكبا الى السنه القابله فى مثل ذلك اليوم. فلما كان فى العام المقبل فى مثل ذلك اليوم خرج فصلى بالناس العيد، ثم لم يرجع الى منزله ببغداد، و لكنه صرف وجه دابته الى ناحيه القاطول، و خرج من بغداد و لم يرجع اليها»(۲).

و ما ذكره ابن الأثير لا يخرج عما ذكره الطبرى(۳). و يقول المسعودى: «و كانت الاتراك تؤذى العوام فى مدينه السلام بجريها الخيول فى الأسواق و ما ينال الضعفاء و الصبيان من ذلك، فكان اهل بغداد ربما ثاروا ببعضهم فقتلوه عند صدمه لامرأه او شيخ كبير او صبى

۱- كذا فى الاصل، و الصحيح الخرسى- دليل خارطه بغداد المفصل/ ۱۲۲، و بغداد فى عهد الخلافه العباسيه/ ۱۹۰.

۲- الطبرى ۹/ ۱۸.

۳- الكامل ۶/ ۴۵۲.

او ضریر. فعزم المعتصم علی النقله منهم»(۱). و یقول ایضا بنفس المعنی «و کان السبب فی ذلک ان اهلها کرهوه و تأذوا بجواره حین کثر عبیده من الاتراک و غیرهم من الاعاجم، لما کانوا یلقونه منهم و من غلظتهم، و ربما و ثبت العامه علی بعضهم فقتلوه لصدمهم اياهم فی حال رکضهم، فأحب التنحی بهم و الانفراد عن مدینه السلام»(۲).

و یقول الخطیب البغدادی: «و لکثره عسکر المعتصم و ضیق بغداد عنه و تأذی الناس به، بنی المعتصم سر من رأی و انتقل الیها فسکنها بعسکره»(۳).

و یضیف مسکویه علی ما ذکره الطبری «و حکی انه قام الی المعتصم یوما رجل من العامه فقال: یا ابا اسحاق اخرج عن مدینتنا و الا حاربناک بما لا تقوم له، فتقدم باخذ الرجل و حمله الیه، فلما صار بین یدیه، قال: و یلک بمن تحاربنی و ما هذا الذی لا قوام لی به؟ قال: نحاربک باصابعنا اذا هدأت العیون باللیل، یعنی الدعاء. فسکت عن الرجل و لم یعرض له، ثم خرج فبنی سر من رأی»(۴).

و ذکر صاحب العیون و الحدائق «ان المساکن و الطرق ضاقت علی الناس ببغداد لکثره العساکر التی تجمعت مع المعتصم و کثر غلمانه الأتراک»(۵).

و جاء فی تذکره ابن حمدون ما یفید بان الجند الاتراک اخذوا یتحرشون بالنساء و الصبیان مما اغضب الناس علیهم، اذ یقول:

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۸- ۳۰۹.

۳- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۶.

۴- تجارب الأمم ۶/ ۴۷۸- ۴۷۹.

۵- العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۱- ۳۸۲.

«کـان سـبب خروج المعتصم ان غلمانه الاتراک کثروا ببغـداد فتولعوا بحرم الناس و اولادهم، فاجتمع الیه جماعه منهم و قالوا: یا امیر المؤمنین ما احـد احب الینا مجاوره منک لأنک الامام و المحامی عن الدین، و قد افرط علینا امر غلمانک، فاما منعتهم منا و اما نقلتهم عنا. فقال: نقاهم لا یکون الا بنقلی، و لکنی افتقدهم و ازیل ما شکوتم منه. فنظروا فأذا الامر قد عظم و زاد. و خاف ان تقع بینهم حرب. و عاودوه بالشـکوی و قالوا: ان قدرت علی نصـفتنا و الا فتحول عنا. فقال: أتحول و کرامه، و رحل الی سـر من رأی»(۱).

و یذکر مثل هذا یاقوت الحموی فیقول: «ان جیوش المعتصم کثروا حتی بلغ عدد ممالیکه من الاتراک سبعین الفا، فمدوا ایدیهم الی حرم النـاس وسـعوا فیهـا بالفسـاد. فاجتمع العامه و وقفوا للمعتصم و قالوا: یا امیر المؤمنین ما شـی ء احب الینا من مجاورتک لأنـک الحـامی للـدین، و قـد افرط علینـا امر غلمانـک و عمنـا اذاهم، فاما منعتهم عنا او نقلتهم عنا. فقال: اما نقلهم فلا یکون الا بنقلی و لکنی افتقـدهم و انهـاهم و ازیل ما شـکوتم منه. فنظروا و اذا الأمر قـد زاد و عظم. و خاف منهم الفتنه و وقوع الحرب. و عاودوه بالشـکوی و قالوا: ان قـدرت علی نصـفتنا و الا فتحول عنا، و الا حار بناک بالـدعاء و ندعو علیک بالاسـحار. فقال: هذه جیوش لا قدره لی بها، نعم اتحول و کرامه، و ساق من فوره حتی نزل سامراء»(۲).

و یقول مثله ابن الطقطقی ایضـا «ان المعتصم اسـتکثر الممالیک فضاقت بهم بغـداد و تأذی بهم الناس، و زاحموهم فی دورهم و تعرضوا بالنسـاء فکـان فی کـل یوم ربمـا قتـل منهم جماعه. فرکب المعتصم یوما فلقیه رجل شـیخ فقال للمعتصم: یا ابا اسـحاق، فاراد.

۱- تذکره ابن حمدون/ ۱۰۳- ۱۰۴.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۴- ۱۷۵.

الجنـد ضـربه فمنعهم المعتصم، و قـال له: مالک یا شـیخ؟ فقال: لا جزاک اللّه خیرا عن الجوار، جاورتنا مـده فرأیناک شـر جار، جئتنـا بهؤلاـء العلوج من غلمانـک الاـتراک فاسـکنتهم بیننا فایتمت صبیاننا و ارملت نساءنا و اللّه لنقاتلنک بسـهام السـحر، یعنی الـدعاء، و المعتصم یسـمع ذلک. فدخل منزله و لم یر راکبا الا فی یوم مثل ذلک الیوم، فرکب و صـلی بالناس العید، و سار الی موضع سامرا فبناها(۱).

و لخص ابن دحیّه ما ذکره من سـبقه من المؤرخین الا انه اشار الی سبب آخر من اسباب نقمه العامه علی الجند هو النزول علیهم فی مساکنهم قسـرا، و هو امر لم یألفه العرب، فیقول: «ان العامه شـکوا الیه من الجند و النزول علیهم فی المساکن و التعرض بهم، فقال له بعض صلحاء المحدثین: یا أمیر المؤمنین انی لا آمن علیک ان یقاتلک العامه، فقال له: و لم تقاتلنی العامه، و من یحملها علی ذلک و انا فی هـذا العسـکر العظیم؟ فقال له: یقاتلونک بسـهام اللیل و رفع الایـدی الی اللّه تعالی فی المساجـد. فرکب فی الحال و تخیر موضع سر من رأی علی دجله»(۲).

لا ریب فی ان ضـیق العاصـمه بغداد بجند المعتصم باللّه لکثرتهم، و تخلفهم الحضاری عن سکان المدینه، و ما ترتب من النتائج السیئه عن احتکاکهم بالناس و تعدیهم علیهم، و وقوع الاذی بین الطرفین بحیث ضاق کل منهما ذرعا بالآخر، و حرص المعتصم بالله علی ان لا یغضب اهل بغـداد، و هی حاضـره الـدوله العربیه و کبری مـدنها، و قد شـعر بانتشار روح النقمه و التذمر بینهم، و خشـیه من أن یؤدی ذلک الی قیام فتنه لا یریـدها، مما جعله یقرر عزل الجیش بشکناته و اصـطبلاته بعیـدا عن بغـداد. و مما یؤید ذلک الطریقه التی

۱- الفخری ۲۱۱.

۲- النبراس/ ۶۵.

انتهجها فی اسکانهم عند ما بنی مدینه سامرا، اذ حرص علی ان یکونوا معزولین بمناطق سکناهم عن بقیه الناس.

ان ما استعرضناه مما ذکره المؤرخون عن اسباب انتقال المعتصم باللّه من بغداد یدور کله حول ضیق أهل بغداد بجنده من الاتراک و شکاواهم المتکرره من تصرفاتهم و تعدیاتهم، و شکوی الجند انفسهم من اعتداء الناس علیهم. علی ان هناک سببا آخر ورد ذکره علی لسان المعتصم باللّه نفسه، یستنتج منه انه لم یکن مطمئنا الی الحربیه من جیشه، و هم العرب، لانهم کانوا قد تلکأوا فی مبایعته و اظهروا میلهم الی العباس بن المأمون. و یقول أحد کتابه و هو ابو الوزیر احمد بن خالد: «بعثنی المعتصم باللّه فی سنه (۲۱۹ ه) و قال لی: یا احمد اشتر لی بناحیه سامرا موضعا ابنی.

فیه مدینه، فانی اتخوف ان یصیح هؤلاء الحربیه صیحه فیقتلوا غلمانی، حتی اکون فوقهم فان رابنی منهم ریب اتیتهم فی البر و البحر حتی آتی علیهم»(۱).

و یروی ابن الطقطقی هذا السبب بالشکل الآتی «ان المعتصم خاف من ببغداد من العسکر و لم یثق بهم فقال: «اطلبوا لی موضعا اخرج الیه و ابنی فیه مدینه و اعسکر به، فان رابنی من عساکر بغداد حادث کنت بنجوه و کنت قادرا علی ان آتیهم فی البر و فی الماء»(۲). مما یستدل منه انه کانت هناک فئات اخری فی الجیش تنقم علی المعتصم باللّه، الی جانب العرب، لاعتماده علی الجند الاتراک و ثقته بولائهم له.

و هناک سبب ثالث لخروج المعتصم باللّه من بغداد ذکره صاحب «الذخائر و التحف» و صاحب «الهفوات النادره» و السیوطی. و مع ما تضمنه الخبر من اوهام و مبالغه، فان خلاصته ان المعتصم

۱- الطبری ۹/ ۱۷، و الکامل ۶/ ۴۵۱، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۲- الفخری/ ۲۱۱.

باللّه كان قد فرغ من بناء قصره فى الميدان ببغداد فجلس للناس فيه، فأستأذنه اسحاق الموصلى فى الانشاد، فأذن له، فأنشده شعرا كان اول بيت فيه:

يا دار غيرك البلى فمحاك يا ليت شعرى ما الذى ابلاك

فتشاءم المعتصم من ذلك و تطير به، و تغامز الناس و عجبوا كيف ذهب هذا على اسحاق مع فهمه و علمه. و ان المعتصم بالله خرج الى سر من رأى و خرب القصر(۱).

و نستطيع ان نضيف الى ما ذكرناه من الاسباب التى دفعت المعتصم باللّه الى الانتقال من بغداد، سببا آخر يتعلق بشخصيته نفسه. فقد كان ذا نزعه عسكريه يعتز كثيرا بجيشه، و قد اراد ان تكون له عاصمه خاصه به و بجيشه مقتديا بجده ابى جعفر المنصور و بغيره من الملوك العظام. و ان مقابلته رهبان الدير الذى كان فى موقع سامرا قبل بنائها، و ما دار بينه و بينهم من حديث حول اسم الموضع و تاريخه، يؤكد رغبته فى ان يبنى مدينه خاصه به ينزلها هو و ينزلها اولاده من بعده(۲).

و قد كان لانتقال عاصمه الدوله العربيه من مدينه السلام الى سامرا نتائج مهمه. فقد اقيمت العاصمه الجديده بتصاميم و خطط متقدمه اتاحت فرص العمل لعدد كبير من ذوى الحرف المتعلقه بالبناء و العمران. و كان قيام سامرا بموجب هذه التصاميم و الخطط فرصه لبروز الفن العمرانى العربى بزخارفه المبتكره مما يعتبر من مفاخر الحضاره العربيه. وادى الانتقال الى سامرا الى قيام مركز حضارى جديد مهم الى جانب بغداد، كانت المنافسه العمرانيه و العلميه التى قامت بينهما خير مشجع على التقدم فى

۱- الذخائر و التحف/ ۱۲۹- ۱۳۰، و الهفوات النادره/ ۱۷- ۱۸، و تاريخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۷.

مضـمار الحضـاره و بخـاصه فی النواحی العلمیه منهـا. ممـا ساعـد علی أزدهار الحضاره العربیه فبلغت ذروتها خلال القرن التالی الذی اعتبر ازهی عصورها. هذا بالاضافه الی تخلص سکان مدینه بغداد من عبث الجند الاتراک و عنتهم.

علی ان هذه النتائج الایجابیه لانتقال المعتصم باللّه الی عاصـمته الجدیده، قد صحبتها نتائج سلبیه أثرت علی مسیره الدوله العربیه آنذاک. و کان اهم تلک النتائج اسـتفحال امر الاتراک. فقد ساعدتهم الطریقه التی اتبعت فی اسکانهم فی سامرا علی التقارب و التـآلف فیمـا بینهم ممـا ولـد فی نفوسـهم شـعورا بقوتهم و اهمیتهم فی الـدوله. فعملوا علی زیاده نفوذهم، و اتساع تـدخلهم فی شؤونها.

فأشـتد الصـراع بینهم و بین الخلفاء مده اسـتغرقت الجزء الاکبر من عمر العاصـمه الجدیده. اذ فقد الخلفاء خلالها سلطانهم و غدا کبار القواد الاتراک هم الحکام الفعلیین لانهم قد استولوا، منذ مقتل المتوکل علی اللّه، علی شؤون الدوله و اموالها، و استضعفوا الخلفـاء، فکان الخلیفه فی یـدهم کالأسـیر ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه او قتلوه(۱). ممـا جعل الخلفاء یحاولون الانتقال الی مدینه اخری او العوده الی بغداد للتخلص من سیطره اولئک القواد و نفوذهم. مما سـنعرض لتفصـیلاته فی فصول قادمه. و هکذا عـاد المعتمـد علی اللّه الی بغـداد فی اواخر ایـامه، حتی تولی المعتضـد باللّه فی سـنه ۲۷۹ ه فهجر سامرا. و بـذلک انتهی الـدور السیاسی للمدینه التی قدر لها ان تلعب دورا مهما فی التاریخ العربی.

۲- اختیار موضع سامرا:

بعد ان استقر رأی المعتصم باللّه علی ان الانتقال بعساکره من بغداد امر لا بد منه اخذ یتقری مکانا تتوفر فیه المواصفات المطلوبه

۱- الفخری/ ۲۲۰.

لاقامه مدينه له و معسكر لجيشه، من حيث السعه و توفر المياه و وسائل الحمايه الكافيه. فخرج الى الشماسيه شمالى بغداد. و قد اعتاد المأمون فى ايام خلافته ان يخرج اليها و يقيم فيها اياما. و قد عزم المعتصم باللّه على ان يبنى فيها مدينه، الا انه وجد الارض تضيق عن حاجته، كما كره قرب المكان من بغداد(١). و هو يريد الابتعاد بعساكره عنها. فاشار عليه وزيره الفضل بن مروان ان يخرج الى البردان، و هى من قرى بغداد على سبعه فراسخ منها(٢).

فمضى اليها و معه بعض رجاله و مستشاريه و عدد من المهندسين و من له معرفه بالاراضى و طبيعتها(٣). و اقام بها اياما فلم يستطب هواءها، و رآها ضيقه المساحه لا تتسع لقيام مدينه كبيره فيها(۴).

فصار الى باحمشا بين اوانا و الحظيره على الجانب الشرقى من دجله فقدر انشاء مدينه هناك الا انه لم يجد موضعا يحفر فيه نهرا لارتفاع الأرض عن مستوى النهر(۵). فتركها و نفذ الى قريه المطيره، و هى قريه جنوبى سامرا، بينها و بين القادسيه، و هى فى بقعه كلها متنزهات و بساتين و كروم(۶). و قد بنيت فى خلافه المأمون و نسبت الى مطر بن فزاره الشيبانى، و انما هى المطريه فغيرت و قيل المطيره(٧). و كما كانت المطيره متنزها لأهل بغداد صارت متنزها لاهل سامرا كذلك بعد تأسيسها. فاقام المعتصم باللّه بها قليلا فلم تروق له، فصار الى منطقه القاطول.

قال مسرور خادم هارون الرشيد: سألنى المعتصم اين كان الرشيد يتنزه اذا ضجر من المقام ببغداد. قال قلت له: بالقاطول.

و قد كان بنى هناك مدينه آثارها و سورها قائمان، و قد خاف من

١- كتاب البلدان/ ٢۵۶.

٢- معجم البلدان ١/ ٣٧۵.

٣- مدينه المعتصم على القاطول- مجله سومر ج/ ٢ للسنه الثالثه/ ١۶۴.

۴- مروج الذهب ۴/ ۵٣.

۵- كتاب البلدان/ ٢۵۶.

۶- الديارات/ ١۴۶.

٧- معجم البلدان ۵/ ١۵١.

الجنـد مـا خـاف منه المعتصم. فلمـا وثب اهـل الشـام و عصوا خرج الرشـيد الى الرقه فاقـام بهـا ايامـا، و بقيت مـدينه القاطول لم تستتم(۱). و يظهر ان ذلک کان بعـد ان اسـتفحل امر البرامکه و فکر بالتخلص منهم. و لعله اراد الابتعاد عن بغداد لکثره اتباعهم و مؤيـديهم فيها، لکى يسـتطيع ان يتـدبر امرهم. و کان الرشـيد قـد حفر نهرا کبيرا هناک سـماه ابا الجنـد لانه کان يسـقى ارضـا خصصت غلاتها لارزاق الجند(۲). الا ـ ان الوقت لم يتسع له لاتمام المـدينه و الانتقال اليها کما اشـرنا آنفا. فترسم المعتصم باللّه خطى ابيه فى الانتقـال الى القـاطول، و لعله فکر فى اتمـام بنـاء المـدينه التى بـدأها ابوه و لم يتمهـا. فخرج اليهـا و اسـتطلع جوها فاستطاب هواءها، و رآها اصلح المواضع لاقامه مدينه ينتقل اليها.

أمر الخليفه مهندسيه بتخطيـط المـدينه بحيث يجعلون البنـاء فيهـا على جانبى القاطول و بينه و بين نهر دجله. و ان يقسـموها الى قطـائع و زعها على القواد و الکتاب و رجال حاشـيته و الناس. فباشـر المهنـدسون العمل و احضـروا مواد البناء و جاءوا بالبنائين و الصناع، فأقاموا قصرا للخليفه. و بنوا بجواره بيوت رجال الحاشيه. کما أنشأوا معسکرا للجيش احاطوه بالاسوار. و بنى قاده الجيش و کبار رجال الـدوله قصورهم بالآجر على ضـفاف دجله و القاطول. و بنيت الاسواق و حولها الدور، و قد شـيد معظمها باللبن. و يظهر انه کانت هناک قريه على القاطول يسـکنها قوم من الجرامقه و ناس من النبط، فقال احد الشعراء يعيّر المعتصم باللّه بانتقاله من بغداد و مجاورته الجرامقه(۳):

۱- الطبرى ۹/ ۱۷.

۲- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴ و الجرامقه طائفه من العجم نسـبتها الى مدينه جرمق بين اصـبهان و نيسابور. و قد نزل بعضهم بالموصل فى اوائل الاسلام- معجم البلدان ۲/ ۱۳۹، و ترتيب القاموس المحيط ۱/ ۴۰۹.

أیا ساکن القاطول بین الجرامقهترکت ببغداد الکباش البطارقه

و کـان المعتصم باللّه قـد انتقل الی القاطول و سـکن فی القصـر الـذی بناه ابوه هناک ثم انتقل الی بعض ما بنی له، و سـکن الی جانبه بعض حاشیته و بعض الناس(۱). و یؤید المسـعودی و یاقوت الحموی ان المعتصم باللّه قد شید له قصرا فی القاطول، و لما انتقـل منه و هبه لمولاه اشـناس(۲). و قـد اقیمت امـام القصـر برکه واسـعه جمیله مـا تزال معالمهـا بـادیه للعیـان، و هی منخفض اصطناعی طوله (۲۲۰) م و عرضـه (۱۹۰) م و عمقه ثلاثه امتار. و قد قسـمت ارضه تقسـیما هندسـیا، فجعلت بعض اقسامه عمیقه جدا تسـمح بجریان الماء فیها، و ابقیت اجزاء منها بارتفاعها الأصـلی، فجعل الماء منها دکات مستطیله متناظره و متعاشقه، عددها فی الجانب الشـرقی اربع دکات و فی الجانب الغربی ست دکات. و جعل التراب الناشـی ء من الحفر علی طول جانبی المنخفض الشـرقی و الغربی بارتفاع یتراوح بین ۳ و ۵ أمتـار، فتـألف من ذلک کتفان عالیان زادا فی روعه البقعه و جمال منظرها. و کانت البحیره تستمد ماءها من فرع القاطول الممتد جنوبا الی القادسیه. کما کان یصرف ماؤها بکهاریز تنتهی بحافه نهر القائم(۳).

تقـع المـدینه الـتی بناهـا المعتصـم بـاللّه علی القـاطول فی منطقـه القادسـیه الممتـده بین نهر القـائم و نهر دجله، علی بعـد عشـره کیلومترات جنوبی سامرا. و اظهرت التنقیبات آثار سور مثمن الشکل یقع غربی مدینه المعتصم باللّه، یبلغ طول کل ضلع من

۱- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و کتاب البلدان/ ۲۵۷، و مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۲- مروج الذهب ۴/ ۵۳، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۳- مدینه المعتصم علی القاطول/ ۱۶۶.

اضلاعه (۶۳۰) م و هو مبنی باللبن و مدعوم بسلسله ابراج یبلغ عددها (۱۴۰) برجا. و فی کل رکن من ارکانه برج کبیر مدور قطره نحو ثمانیه امتار. و سمک السور اربعه امتار، و ارتفاعه نحو خمسه امتار. و تبلغ مساحه الأرض التی یکتنفها السور (۷۴۵) دونما، ای ما یقارب الملیونی متر مربع. و فی السور فتحات تدل علی انها کانت ابوابا له. و السور من الداخل مؤلف من اروقه، کل رواق بین دعامتین، و قد جعل بعض هذه الاروقه حجرات. و تشاهد فی وسط السور معالم بعض البنایات، و سلسله غرف ذات عقادات مدببه. و یدل شکل السور علی انه کان حصنا و معسکرا لجیش کبیر یقیم معظمه فی الخیم المنصوبه فی ساحته، و ان الأبنیه التی وجدت آثارها فیه انشئت لسکنی قواد الجیش.

و مما هو جدیر بالملاحظه ان سور القادسیه هذا یشبه اسوار القصور و القطائع التی انشئت فی سامرا فیما بعد، من حیث ضخامته و شکله و حجم اللبن الذی استخدم فی بنائه، مما یوحی بان المعتصم باللّه جعل الاسوار مثمنه لیکسبها مظهرا قریب الشبه بأسوار مدینه المنصور(۱). و ربما کان لشکل السور علاقه بتسمیه المعتصم باللّه بالخلیفه المثمن.

و کان یدور بمحاذاه قاعده السور من الداخل خندق ما یزال ظاهرا، کان یستمد ماءه من نهر القادسیه. و هو فرع من القاطول الاعلی یمتد الی نهر القائم فیقطعه علی عباره ما تزال بعض معالمها ظاهره للعیان فی عقیق القائم. و عند وصوله سور القادسیه یتفرع منه فرع یدخل المعسکر و ینقسم فی داخله الی فرعین یکونان زاویه قائمه، ثم ینعکس احدهما فی زاویه قائمه ایضا فیصیر موازیا للفرع الأول. و لا شک فی ان هذا التوزیع یساعد جمیع القاطنین فی

۱- الآثار القدیمه العامه- سامرا/ ۷۲- ۷۳، و مدینه المعتصم علی القاطول/ ۱۶۸.

داخل السور علی انتهال الماء. و من المحتمل ان المیاه الزائده کانت تصرف بمصرف یخرج من الضلع الجنوبی للسور.(۱).

أما مـدینه القاطول نفسـها فان المعتصم باللّه کان قـد انشأ کهریزا لایصال میاه الشـرب الیها. و یسـتمد هـذا الکهریز المیاه من نهر دجله فی نقطه تقع علی بعد کیلومترین تقریبا من شمالی صدر نهر القائم، ثم یسیر شرقا باتجاه حصن القادسیه فینحرف من جهته الشمالیه حتی ینتهی الی بنایات مدینه المعتصم بالله شرقی الحصن.

و قـد انشـی ء هذا الکهریز فی مجریین متوازیین احدهما خاص بموسم الفیضان و الآخر خاص بموسم الصـیف. و یبلغ طول هذا الکهریز من صدره حتی ابنیه مدینه القاطول زهاء اربعه کیلومترات(۲).

و وجدت فی الاراضی حول السور آثار مبان و اسوار تمتد غربا و شرقا، و قد شید بعضها بالآجر، و البعض الآخر باللبن. مما یدل علی ان قسما منها کان دورا و قصورا، و بعضها کان اسواقا.

و یظهر ان الأبنیه الکائنه فی جنوبی القادسـیه قد شـیدت جمیعها بالآجر مما یسـتنتج منه انها کانت قصورا لکبار القوم. و وجدت ایضـا خرائب فیهـا طبقـات من الرماد و کسـر الاوانی الزجاجیه و کتل من الزجاج المنصـهر، تـدل و فرتها علی ان معامل للزجاج کانت تقوم فی هذا الموضع، و قد اتخذه صناع الزجاج فی ایام ازدهار سامرا و عظمتها مقرا لهم، و شیدوا فیه مصانعهم و دورهم و مساکن عمالهم، و قد ظل کذلک بعد انتقال الخلافه منها و عوده العاصـمه الی بغداد(۳). و یذکر یاقوت الحموی ان القادسیه کانت قریه کبیره قرب سامرا یعمل فیها الزجاج(۴).

۱- مدینه المعتصم علی القاطول/ ۱۶۸.

۲- ری سامراء ۱/ ۲۶۶.

۳- مدینه المعصم علی القاطول/ ۱۶۸.

۴- المشترک وضعا/ ۳۳۷.

على ان المعتصم بـاللّه مـا لبث ان ادرك ان الأـرض التى اختارها ضـيقه غير قابله للتوسع لاحاطتها بـدجله و القاطول من جهه، و لارتفاع ضفه القاطول اليمنى بسبب تراكم الاتربه الناشئه من حفر هذا النهر على شاطئه الايمن، فتكون من ذلك سلسله مرتفعات و تلول على طول الضـفه المذكوره حجزت الاراضـى الواقعه الى جنوبه عن الواقف بالضـفه اليسرى، مما يخلق حاجزا بين جانبى المدينه(۱)، و هى بـذلك لاـ تفى بقيام حاضـره للخلافه، كما وجـد ان طبيعه الارض حصا و انهار يصـعب البناء فيها(۲). و كان الموضع فوق ذلك شديد البرد فتأذى به المعتصم باللّه و حاشيته، حتى قال بعض من كان معه(۳):

قالوا لنا ان بالقاطول مشتانافنحن نأمل صنع اللّه مولانا

الناس يأتمرون الرأى بينهم و اللّه فى كل يوم محدث شانا

و كان المعتصم باللّه قد صار فى خلال خروجه الى الصـيد الى ارض واسعه، و هى صحراء من ارض الطيرهان خاليه من السكان و لا عماره بها سوى دير للنصارى، فوقف بالـدير و سأل من فيه عن اسم الموضع. فقال له بعض الرهبان: «نجد فى كتبنا المتقدمه ان هـذا الموضع يسـمى سـرمن رأى و انه كان مـدينه سام بن نوح، و انه سـيعمر بعد الدهور على يد ملك جليل مظفر منصور له اصـحاب كأن وجوههم وجوه طير الفلاه ينزلها و ينزلها ولـده. فقال: انا و اللّه ابنيها و انزلها و ينزلها ولدى. و لقد امر الرشـيد يوما ان يخرج ولده الى الصيد، فخرجت مع محمد و المأمون و اكابر ولد الرشيد فاصطاد

۱- مدينه المعتصم على القاطول/ ۱۶۷.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۷، و فتوح البلدان/ ۲۹۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

کل واحد منا صیدا و اصطدت بومه ثم انصرفنا، و عرضنا صیدنا علیه فجعل من کان معنا من الخدم یقول هذا صید فلان و هذا صید فلان حتی عرض علیه صیدی، فلما رأی البومه و قد کان الخدم اشفقوا من عرضها لئلا یتطیر بها او ینالنی منه غلظه، فقال من صاد هذه؟ قالوا: ابو اسحاق، فاستبشر و ضحک و اظهر السرور.

ثم قال اما انه یلی الخلافه و یکون جنده و اصحابه و الغالبون علیه قوما وجوههم مثل وجه هذه البومه فیبنی مدینه قدیمه و ینزلها بهؤلاء القوم ثم ینزلها ولده من بعده، و ما سر الرشید یومئذ بشی ء من الصید کما سر بصیدی لتلک البومه»(۱). و هذه القصه لا تخلو من ان تکون موضوعه علی غرار الاسطوره التی وضعت عند ما اختار ابو جعفر المنصور موضع مدینته المدوره، و قد ذکرها یاقوت الحموی فی معجمه البلدانی(۲). و معالم وضعها ظاهره، اذ کیف یتوقع هارون الرشید ان یلی ابنه ابو اسحاق الخلافه و هو لم یدخله مع ولاه العهد من اولاده الذین کتب لهم کتاب العهد! و یرجح انها وضعت فیما بعد بشکل یلائم احوال المعتصم باللّه.

نظر المعتصم باللّه الی فضاء واسع تسافر فیه الأبصار، و هواء طیب، و ارض صحیحه، فأستمرأها و استطاب هواءها، و اقام هناک ثلاثا یتصید فی کل یوم، فوجد نفسه تتوق الی الغذاء و تطلب الزیاده علی العاده الجاریه، فعلم ان ذلک من تأثیر الهواء و الماء و التربه. فلما استطاب الموضع دعا باهل الدیر فاشتری منهم ارضهم باربعه الآف دینار(۳). و عرفت هذه المنطقه قدیما بصحراء الطیرهان و قصبتها الماحوزه، و هی التی بنی فیها المتوکل علی اللّه عاصمته المتوکلیه فیما بعد. و من المواضع الشهیره فیها قبل ان یختارها المعتصم باللّه لیقیم عاصمته فیها موضع یسمی (دور عربایا)

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۷.

۲- معجم البلدان ۱/ ۴۵۸- ۴۵۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

و موضع آخر اسمه (الكرخ) و دور عربايا او دور العربانى هو الدور الأسفل، و هو قريه بين سامرا و تكريت، و فيه انزل المعتصم باللّه بعض قواده عند ما بنى سامرا(۱). اما موضع الكرخ فكان يقال كرخ فيروز، و هو موضع مدينه قديمه على مرتفع من الأرض، و هو اقدم من سامرا، فلما بنيت اتصل بها، و ظل عامرا بعد هجرها و خرابها. و يقال له ايضا كرخ باجدا و كرخ جدان(۲). و قد انزل المعتصم باللّه فيه مولاه اشناس القائد فيمن ضم اليه من القواد، لما بنى سامرا(۳).

و كانت منطقه الطيرهان تؤلف مع تكريت و السن و البوازيج اول حدود اعمال المغرب عند البلدانيين و تعتبر من كور الموصل(۴). و هى ارض منبسطه كان يتردد عليها خلفاء بغداد للصيد. و يظهر ان المعتصم باللّه نفسه كان يتردد ايام كان اميرا، الى هذا الموضع للصيد، و يضرب فيه مضاربه، كما سنرى فيما بعد.

و كانت تعرف قبل الفتح العربى بنفس الاسم. فقد ورد ذكرها فى بعض الحوادث التى وقعت ايام العهد اليونانى فى العراق(۵). و قد استمر هذا الأسم يطلق على منطقه سامرا بعد تأسيسها و لقرون عديده(۶).

يقول اليعقوبى فى تاريخه: «ثم ارتحل (المعتصم باللّه) من القاطول الى سر من رأى، فوقف فى الموضع الذى فيه دار العامه، و هناك دير للنصارى فأشترى من اهل الدير الارض و اختط فيه.

۱- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و معجم البلدان ۲/ ۴۸۱، و المشترك وضعا/ ۱۸۳.

۲- معجم البلدان ۴/ ۴۴۷، و المشترك وضعا/ ۳۶۹.

۳- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و كتاب البلدان/ ۲۵۸.

۴- المسالك و الممالك ۹۴ و ۲۴۵، و الخراج و صناعه الكتابه/ ۱۷۵.

۵- اخبار فطاركه كرسى المشرق لمارى بن سليمان/ ۴- ۵.

۶- اخبار فطاركه كرسى المشرق لعمرو بن متى/ ۷۲- ۷۳، و ۸۳ و ۱۰۰، و ۱۱۶- ۱۲۱.

و صار الی موضع القصر المعروف بالجوسق علی دجله فبنی هناک عده قصور للقواد و الکتاب و سماها باسمائهم»(۱). و یقول المسعودی:

«و لم یزل (المعتصم باللّه) یتنقل فی تلک النواحی حتی وقع اختیاره علی موضع سامرا، و هو بلاد فی کوره الطیرهان»(۲). و یقول ایضا: «خرج یتقری المواضع فانتهی الی موضع سامرا، و کان هناک دیر عادی فسأل بعض اهل الدیر عن اسم الموضع فقال: یعرف بسامرا. قال له المعتصم: و ما معنی سامرا؟ قال: نجدها فی الکتب السالفه و الامم الماضیه انها مدینه سام بن نوح. قال له المعتصم:

و من ای بلاد هی و الام تضاف؟ قال: من بلاد طیرهان و الیها تضاف»(۳). و جاء فی اخبار فطارکه المشرق لماری بن سلیمان ان المعتصم باللّه «خرج الی الطیرهان للتصید، و صاد و جعل فی اعناق السباع الاطواق الحدید، و وسم علی افخاذ الظباء و حمیر الوحش اسمه، و استطاب الموضع، و ابتاع من سکان ذلک الموضع النصاری الجزیات المتصله بالمطیره، و جدد بناء سر من رأی»(۴).

و لما عزم المعتصم بالله علی ان ینزل بموضع سامرا کلف وزیره محمد بن عبد الملک الزیات و قاضی القضاه احمد بن ابی دواد، و عمر بن فرج، و احمد بن خالد المعروف بأبی الوزیر، و هما من رؤساء الدواوین، بأن یشتروا له من اصحاب الدیر الارض التی رآها و ان یدفعوا الیهم اربعه آلاف دینار ثمنالها، فقعلوا ذلک(۵).

و هناک خبر یروی عن ابی الوزیر انه قال: «بعثنی المعتصم فی سنه (۲۱۹ ه) و قال لی: یا احمد اشتر لی بناحیه سامرا موضعا ابنی فیه مدینه .. و قال لی: خذ مائه الف دینار، قال قلت: آخذ

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

۴- ص: ۷۷.

۵- کتاب البلدان/ ۲۵۷- ۲۵۸.

خمسه آلاف دینار فکلما احتجت الی زیاده بعثت الیک فاستزدت.

قال: نعم فأتیت الموضع فاشتریت موضع سامرا بخمسمائه درهم(۱)، من النصاری اصحاب الدیر، و اشتریت موضع البستان بخمسه آلاف درهم، و اشتریت عده مواضع حتی احکمت ما اردت، ثم انحدرت فاتیته بالصکاک، فعزم علی الخروج الیها. حتی وضع البناء بسامرا فی سنه (۲۲۱ ه)»(۲). و لا نری تضاربا بین الروایتین، اذ یجوز ان الخلیفه کلف الاشخاص المذکورین اول الأمر، ثم اقتصر مهمه الشراء علی ابی الوزیر.

و یبدو مما یرویه ابن ابی اصیبعه ان للمعتصم باللّه سابق معرفه بموضع سامرا عند ما کان امیرا، اذ یقول: «ثم صار المعتصم الی سر من رأی فضرب مضاربه فیها و اقام بها فی المضارب، فانی لفی بعض الایام علی باب مضرب المعتصم اذ خرج سلمویه بن بنان ... فقال لی: حدثنی فی غداه یومنا نصر بن منصور بن بشام انه کان یسایر المعتصم فی هذا البلد، یعنی بلد سر من رأی، و هو أمیر، قال لی سلمویه: قال نصر ان المعتصم امیر المؤمنین قال له: یا نصر أسمعت قط بأعجب ممن اتخذ فی هذا البلد بناء و أوطنه! لیت شعری ما اعجب موطنه، حزونه ارضه او کثره اخاقیقه(۳). ام کثره تلاعه و شد الحر فیه اذا حمی الحصی بالشمس، ما ینبغی ان یکون متوطن هذا البلد الا مضطرا مقهورا، او ردی ء التمییز. قال لی نصر بن منصور: و انا و اللّه خائف ان یوطن امیر المؤمنین هذا البلد. فان سلمویه لیحدثنی عن نصر اذ رمی ببصره نحو المشرق فرأی فی موضع الجوسق المعروف بالمصیب اکثر من الف رجل یضعون اساس الجوسق.

۱- فی معجم البلدان ۳/ ۱۷۴ بخمسه الاف درهم، و فی العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۱ بخمسمائه الف درهم.

۲- الطبری ۹/ ۱۷، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

۳- فی النص: اخافیقه، و هو خطأ مطبعی، و الاخاقیق الحفر.

فقال لى سلمويه: احسب ظن نصر بن منصور قد صح. و كان ذلک فى رجب سنه احدى و عشرين و مائتين»(۱).

ان ما ذکره ابو الوزير، و ما رواه ابن ابى اصيبعه يستنتج منه ان المعتصم باللّه کان يفکر بالانتقال الى عاصمه اخرى، و لذا يمکن القول ان شکوى اهل مدينه السلام کانت سببا مباشرا لانتقاله عنها.

و يظهر ان سعه الموضع و موقعه من نهر دجله و بعده عن بغداد مما اغرى المعتصم باللّه بأن يختاره لأن يقيم فيه مدينته التى ازمع على تأسيسها. على ان هناک اسبابا اخرى جعلته يفضل هذا الموضع على غيره. فانه کان محاطا بالمياه من جميع اطرافه بحيث انها تشکل سورا دفاعيا يحيط بالمدينه. فنهر دجله يلازمها من جهتها الغربيه و يسير بمحاذاتها من اقصى شماليها حتى اقصى جنوبيها، مما يؤمن اضافه الى اهميته الدفاعيه سبيلا للمواصلات النهريه و نقل البضائع و المؤن و غيرها الى المدينه عن طريق النهر، سواء کان ذلک من شمالى العراق او جنوبيه. اما من الجهات الاخرى فان مجرى النهروان- و هو مجرى القاطول او الرصاصى- الذى يفرع من دجله من شمالى مدينه سامرا، يجرى بموازاه دجله فيحيط بالمدينه من الجهتين الشماليه و الشرقيه. و ان مجرى نهر القائم- و هو قاطول الرشيد- الذى يتفرع من دجله من جنوبى سامرا و يلتقى بمجرى الرصاصى قبل وصوله الى نهر العظيم يحيط بالمدينه من الجهه الجنوبيه. و ذلک مما اغناه عن احاطه المدينه بسور يصد عنها الهجمات شأن المدن الاخرى فى ذلک العهد. ثم ان الموضع الذى تقع فيه المدينه يؤلف جرفا يرتفع عن مستوى مياه النهر، مما يجعلها فى مأمن من اخطار الفيضان. و لا يخفى ان الفيضان کان

۱- عيون الانباء/ ۲۳۵- ۲۳۶.

مصدر قلق شدید فی مدینه بغداد التی کانت معرضه دوما الی خطر الغرق(۱).

۳- قدم الموضع:

سبق ان اشرنا الی قدم منطقه الطیرهان التی اسست فیها مدینه سامرا، و ان ذکرها ورد فی بعض الحوادث التی وقعت فی العراق فی العهد الیونانی. و قد جاء فی بعض المصادر التراثیه ان موضع المدینه التی بناها المعتصم باللّه کان مدینه قدیمه اصابها الخراب فاندثرت معالمها. اذ یقول المسعودی: «و قد ذکر انها کانت قدیمه مسماه بهذا الاسم، سمیت بسام بن نوح، و انها کانت آهله عظیمه عامره، فلم تزل تتناقص علی مر الزمان، و کان اخرابها فی ایام فتنه الامین و المأمون»(۲) و یقول صاحب العیون و الحدائق: «حکی فی بعض الکتب ان سر من رأی کانت مدینه عظیمه عامره کثیره الأهل فأخربها الزمان حتی بقیت خربه و بها دیر عتیق، و کان سبب اخرابها فیما حکی ان اعراب ربیعه و غیرهم کانوا یغیرون علی اهلها فرحلوا عنها»(۳). و یقول ماری بن سلیمان: «و خرج المعتصم الی الطیرهان للتصید .. و استطاب الموضع و ابتاع من سکان ذلک الموضع النصاری الخرابات المتصله بالمطیره و جدد بناء سر من رأی»(۴).

ان ما رواه المؤرخون المذکورون یعنی ان بناء المعتصم باللّه مدینه سامرا کان تجدیدا لبناء المدینه القدیمه. علی ان هذه الاشارات جاءت عرضیه فی المصادر المشار الیها، بینما لم تشر

۱- ری سامراء ج/ ۵۴- ۵۵.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۹.

۳- العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۱.

۴- اخبار فطارکه کرسی المشرق/ ۷۷.

المصادر المهمه الاخرى الى شى ء من ذلك. كما ان الدراسات الحديثه عن المنطقه، و التنقيبات الأثريه التى اجريت فيها لم تكشف عما يؤيد ان المكان موقع مدينه قديمه اندثرت. بل على العكس من ذلك انه كان ارضا بكرا مستريحه الوف السنين(۱). خلا ما عثر عليه من دلائل سكناها فى عصور ما قبل التاريخ. مما يدعو الى القول بان ما جاء فى المصادر المذكوره ينقصه التأييد و البرهان على ان ذلک لا يعنى ان منطقه الطيرهان كانت صحراء لا عماره فيها كما يقول اليعقوبى(۲). فقد كان بها عدد من الأديره، و قد فصّلنا ذلک فى مكان آخر. كما ان ما ذكر عن بستان و خرابات اضافه الى الدير دليل واضح على انها لم تكن تخلو من بعض العمران.

و قد ثبت من التحريات و التنقيبات الاثريه التى اجريت فى خرائب سامرا انه كان فى موضعها مستوطنات و قرى يرجع بعضها الى ادوار ما قبل التاريخ. فقد اكتشف العالم الآثارى هرزفيلد فى مطلع هذا القرن مقبره تعود الى ادوار ما قبل التاريخ بالقرب من شريعه الناصريه، و وجد فيها نوعا من الفخار المصبوغ يعتبر وسطا بين فخار شوش و فخار تل العبيد، و سمى هذا الفخار القبتاريخى باسم «فخار سامراء» و هو يمثل دورا من ادوار ما قبل التاريخ فى العراق(۳). و عند ما توسعت مديريه الآثار العراقيه فى التنقيب فى الموقع المذكور عثرت على موضعين آخرين يعودان الى ما قبل التاريخ ايضا احدهما شمالى المقبره التى عثر عليها هرزفيلد و الآخر على ضفه دجله شمالى صدر القائم جنوبى سامرا يسمى تل الصوان.

۱- كتاب البلدان/ ۲۶۴.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۷.

۳- سامراء المديريه الآثار العامه/ ۷۶.

یقع تـل الصـوان قرب النصـب المعروف بالقـائم علی الضـفه الشـرقیه لنهر دجله، علی بعـد (۱۱) کیلومترا جنوبی مـدینه سـامراء الحـالیه. و تؤلف اطلاـل هـذا الموقع تلا بیضوی الشـکل تقریبا طوله من الشـمال الی الجنوب (۲۳۰) م و عرضـه من الشـرق الی الغرب (۱۱۰) م، و لا یزید ارتفاعه عن ثلاثه امتار و نصف عند اعلی بقعه من سطحه. و قد اعلنت المدیریه العامه للآثار عن اثریه هذا التل فی سنه (۱۹۴۹) و میزت نوعیه الملتقطات المنتشـره علی سـطحه و ثبتت ازمانها التاریخیه. ثم قررت فی سنه (۱۹۶۴) ان تقوم بـاجراء تنقیبـات عامه شامله فیه. و قـد دفعها الی ذلک سـببان مهمان، اولهما ان وقوع التل فی وسط العراق قـد یکشف فی طیاته عن دلائل أثریه تلقی الضوء علی نوع الارتباط الحضاری بین شـمالی وادی الرافـدین و جنوبیه فی خلال النصف الثانی من الألف السادس قبل المیلاد، حین بدأ العراقی القدیم ینحدر الی منطقه السـهول الغربیه فی وسط الوادی و جنوبیه. و یؤسس اولی القری الزراعیه هناک.

و ثانیهما احتمال العثور علی قریه من الطور المـذکور بابنیتها و آثارها الاخری لتوضـح جوانب مهمه من تاریخ العراق القدیم فی النصف الثانی من العصر الحجری الحدیث و بدایه ما یسمی بالعصر الحجری المعدنی. لأن ما کان معروفا عن المرحله الحضاریه المسـماه (بطور سامراء) لما قبل التاریـخ لا یتعـدی الفخاریات التی کشف عنها هرزفیلـد لأول مره فی المقبره التی تعود الی هذه الفتره. و لقد اسفرت التنقیبات عن نتائج مهمه القت الضوء علی جوانب کثیره مما توخته دائره الآثار العراقیه. اذ کشفت لأول مره عن مسـتوطنه تم الکشف علی خمس طبقات اثریه منها کانت قد سـکنت علی التوالی(۱). و ترجع الطبقات الثلاث السـفلی منها الی آواخر

۱- التنقیب فی تل الصوان للدکتور بهنام ابو الصوف، مجله سومر ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۸/ ۳۷- ۳۸.

العصر الحجری الحدیث، ثم طور حسونه القدیم و بدایه فخار حسونه الانموذجی الذی یستمر الی الطبقه الرابعه ثم الخامسه مع فخار طور سامراء(۱).

و کشفت الطبقه الرابعه، اضافه الی البیوت المبنیه باللبن عن بنایات اخری ذات تخطیط بنائی موحد یشبه الی حد کبیر الحرف اللاتینی T بغرف متعدده اعتبرها المنقبون مخازن للحبوب، و کان احدها مکانا دینیا. و لوحظ ان طبقه السکن الثالثه قد سیجت فیها جمیع المنطقه المسکونه بسور خارجی بطلعات غیر منتظمه، و تمت حمایته بخندق منیع. و هو اقدم نظام دفاعی تم العثور علیه حتی الآن فی وادی الرافدین. و تتخلل هذه الأبنیه ساحه واسعه و دروب بعضها مرصوف بالحصی. و وجدت فی احدی الساحات مجموعه من التنانیر ملاصقه لسور القریه، و هناک ما یدل علی انها کانت کورا لشی الفخار. و هذا بحد ذاته یعتبر کشفا مهما اکد ان فخاریات سامرا بکل انواعها الملونه و المحززه و لمدلوکه و البسیطه الخالیه من النقوش قد تم صنعها فی تل الصوان.

و ان غزاره بقایا هذا النوع من الفخار هنا یؤکد بان تل الصوان کان مرکزا مهما لهذه الصناعه فی القسم الوسطی من العراق، و منه کانت تتزود القری و المستوطنات الاخری فی هذه المنطقه من وادی الرافدین(۲).

و قد تأکد بان الطبقه الرابعه قد مرت بدورین سکنیین علی الأقل. کما ظهر ان معظم مشتملات الدور العلوی بغرفها الصغیره کانت مخازن للغلال. و قد عثر فیها علی بقایا من تلک الغلال و عظام الحیوانات التی استفاد السکان من لحومها. کما وجدت آلات و ادوات حجریه استعملت للحراثه و الحصاد و لتهیئه

۱- مقدمه فی تاریخ الحضارات القدیمه/ ۲۱۴- ۲۱۵.

۲- التنقیب فی تل الصوان السابق/ ۳۹.

الطعام(۱). و ان العـدد الكبير من تماثيـل صـغيره للنساء الـذى وجـد فى مقبره تل الصوان قـد يعنى ان هـذا الموقع كان فى اوائل الالـف السادس قبل الميلاد، و ربما قبل ذلك بقليل، مركزا رئيسا لعباده الأم الالهه. و قـد وضـعت تماثيل صـغيره عديـده لها فى توابيت الصـغار لتحميهم فى رحلتهم الطويله فى عـالم مـا بعـد الموت. و لوحـظ ان اكثر بقايـا الهياكل العظيمه التى عثر عليها فى قبور القريه كـان اصـحابها قـد دفنوا بوضـعيه القرفصـاء و ان الرأس يتجه دوما نحو الجنوب الا ما نـدر. و وجـدت بعض الهياكل ملفوفه بحصـير مطلى بالقار، كما عثر على عدد من الاوانى الكبيره من الجص مع اغطيتها المماثله لشكل الاناء البيضوى المفلطح قد اسـتخدمت كتوابيت للأطفال، و يظهر ان هذا النوع من مدافن الاطفال كان شائعا فى تل الصوان و بخاصه فى الطبقتين الرابعه و الخامسه(۲).

و من الادوات التى تلفت النظر مما عثر عليه، مجرشه، و مـدقه كرويه، و مدقات طويله الشـكل، و منجل من حجر الصوان ملصـق بالقار، و محراث من الحجر، و حجاره مقلاع، و ثقاله ل «جومه» حياكه، و هاون او جاون، و حجر للدلك، و صـناره باب، و طبله لمزج الاصـباع، و ادوات مختلفه من معظم. كمـا عـثر على مجموعه من عـده الخيـاطه كالابـر و المخـارز، و هى ادله قـاطعه على تمرس سـكان هـذا الموقع فى خياطه الملابس من الجلود، او من الصوف الـذى كان يغزل بمغازل تصـنع اقراصـها من الفخار او الحجر. و ان الكشف عن تقالات من الحجر و الفخار يدل على اسـتخدام انواع ساذجه من «جوم» الحياكه، و هو برهان على انهم مارسوا حيا؟؟؟

الأقمشه لاستخدامها فى الملابس و اغراض اخرى(۳). و مما عثر

۱- نفس المصدر.

۲- التنقيب فى تل الصوان/ ۴۰- ۴۱.

۳- نفس المصدر/ ۴۳- ۴۵.

علیه ایضا سلتان من الخوص مبطنتان بالقار مما یظهر ان صناعه السلال و تبطینها بالقار کانت علی ما یظن صناعه شائعه فی تل الصوان منذ اقدم الطبقات السکنیه فیه(۱). و عثر کذلک علی ختم منبسط مستطیل الشکل من الحجر الأسود و قد حفرت فیه حزوز متقاطعه، و هذا یعتبر واحدا من الاختام المنبسطه الاولی التی وصلتنا من اواسط الألف السادس قبل المیلاد(۲).

یقول المرحوم الاستاذ طه باقر ان فخار سامرا بالمقانه مع فخار تل حلف الذی یلیه، یمتاز بانه ذو لون واحد(Monochrome) کما یمتاز بزخارفه الهندسیه المرتبه فی انطقه(Bands) متوازیه و کذلک اشکال بعض الحیوانات مثل الطیور و الاسماک و العقارب و الأیل، و فی حالات قلیله اشکال آدمیه مرسومه بصوره تخطیطیه تقریبیه.

و کانت هذه الزخارف تنقش بلون اسود فاتح او اسمر، علی سطح الاناء ذی اللون الاصفر الباهت. و لحد ما نعرفه الی الآن لم یعرف العراقیون القدماء استعمال المعادن و التعدین فی طور سامرا، و کانت الحجاره الماده المعتمده فی صنع الأدوات و منها الحجر البرکانی الاسود (الاوبزیدی-Obzidian (۳).

و مما کان یشغل اذهان علماء الآثار، لا سیما من یبحث منهم فی فترات ما قبل التاریخ، التعرف علی نمط الحیاه الاقتصادیه، و انواع المواد الغذائیه الاولی التی عرفها الانسان بعد ان استقر فی قری ثابته قرب المیاه. فقد عثر علی بقایا من الغلال و الحبوب المتفحمه، و البقایا العظیمه للحیوانات التی اقتات علی لحومها سکان تل الصوان فی مختلف ادواره، فتفرع لدراستها احد مشاهیر المختصین بالنباتات القدیمه هو الاستاذ هانس هیلبان من المتحف

۱- مجله سومر، ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۷، ص: ب.

۲- نفس المصدر، ص: ج.

۳- مقدمه فی تاریخ الحضارات القدیمه/ ۲۱۶- ۲۱۷.

الوطنی فی کوبنهاکن بالدانمارک. و توصل الی ان الحنطه و الشعیر کانا من جمله المحاصیل الحقلیه لاهالی تل الصوان. و انهم کانوا یعتمدون احیانا علی السقی فی زراعه هذین النوعین من الغلال، لقله الامطار فی وسط العراق فی ذلک الزمن و کما هی الحال الآن(۱). مما یستنتج منه ان سکان هذا المستوطن بدأوا بمشاریع الری الصغیره.

کما ان البحث الدقیق فی الرکام و التراب الناجم عن حفریات مختلف البقایا النباتیه و مخازن الغلال کشف عن بقایا من عظام الحیوانات الالیفه و البریه التی اصطادها الانسان فی هذا الموقع و اقتات علی لحومها و استفاد من جلودها و اصوافها. و ظهر بنتیجه دراسه المختصین لهذه البقایا ان الخراف و الماعز و الغزلان کانت عماد الثروه الحیوانیه، لأهل هذا الموقع فی الألف السادس قبل المیلاد، و ان السمک کان الغذاء الرئیس لسکنه تل الصوان فی جمیع ادواره(۲). کما انهم کانوا یضعون الاسماک مع الموتی لتکون زادا لهم فی رحله الموت الطویله، کما تدل علی ذلک بقایا عظام السمک الکثیره التی وجدت فی القبور المکتشفه فی هذا التل(۳).

و تمخضت الحفریات فی تل الصوان فی موسم سنه (۱۹۷۲) عن نتائج مهمه ساعدت علی تکوین فکره عامه عن نمط الحیاه الاجتماعیه و الاقتصادیه لقریه الصوان، و کذلک عن بدایه الاستیطان فیها. و مما یمکن استخلاصه ان سکان القریه تلاحموا مع بینتهم ممارسوا البدایات الاولی لأسالیب الری نتیجه لتذبذب

۱- لتنقیب فی تل الصوان/ ۴۵.

۲- نفس المصدر/ ۴۶.

۳- مجله سومر ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۷. ص: ج.

سقوط الامطار و قلتها فی هذه المنطقه. و ان هذا التفاعل ساعد علی الخلق و الابداع فی النواحی التی میزت اولئک السکان(۱).

۴- بناء سامرا:

اشاره

یعتبر ما کتبه المؤرخ الجغرافی احمد بن ابی یعقوب المعروف بالیعقوبی عن تخطیط مدینه سامرا و عمرانها فی «کتاب البلدان» اوسع ما تضمنته کتب التراث العربی عن هذا الموضوع. و لکتابه الیعقوبی المتوفی سنه (۲۸۴ ه) عن المدینه اهمیه خاصه اذ کان معاصرا لها عند ما کانت عاصمه الدوله العربیه، و قریب عهد من تأسیسها. و لذا سیکون کتابه المذکور مصدرنا الأول فیا سنورده فی هذا البحث(۲)، الا اذا اشرنا الی مصدر آخر.

تخطیط المدینه:

بعد ان اختار المعتصم باللّه الأرض اللازمه لبناء المدینه اوعز الی المهندسین بتخطیطها وفق اسس عینها لهم. و یمکن ان نستخلص من مجریات العمل فی تأسیس المدینه، ان اهم تلک الأسس کانت:

۱- اکد المعتصم باللّه علی ضروره ان تصیر قطائع الأتراک جمیعا و الفراغنه، بعیده عن الاسواق و الزحام، و ذلک بجعل مساکنهم فی شوارع واسعه و دروب طوال، لیس معهم فی قطائعهم و دروبهم احد من الناس یختلط بهم من تاجر و لا غیره. و ذلک لتلافی المشاکل التی واجهها فی بغداد من جراء التصادم المستمر بین

۱- مجله سومر ج: ۱ و ۲ لسنه ۱۹۷۲، ص: ب.

۲- کتاب البلدان/ ۲۵۵- ۲۶۸.

اهلها و جنده من الاتراک فی دروب المدینه و اسواقها مما اضطره علی ترک العاصمه و الانتقال الی مدینه بعیده عنها.

۲- ان یبدأ العمران فی الجانب الشرقی من المدینه، لما تمتاز به ارض هذا الجانب مما سبقت الاشاره الیه من الممیزات. ثم ینظر بعد ذلک فی اعمار الجانب الغربی.

۳- الاکثار من الشوارع الرئیسه فی المدینه علی ان تکون موازیه لنهر دجله، و بأعرض ما یمکن، و ان توصل بینها شوارع فرعیه عریضه و دروب، و ان یکون الشارع الذی علی ضفه دجله مباشره فسیحا یتسع للسفن التی ستفرغ حمولتها فی فروضه او تحمل منها.

۴- ان تقام الأسواق الرئیسه حول المسجد الجامع الذی تقرر انشاؤه علی شارع السریجه، بحیث تجعل سوق خاصه لکل تجاره منفرده، و یکون کل قوم من اصحاب التجارات و البیاعات علی حده، علی مثل ما رسمت علیه اسواق بغداد.

و قد خطط المهندسون شوارع المدینه و دروبها، و وضعوا اسس القصور و المساجد، و مختلف القطائع التی اعدت لسکنی الجند، و مختلف طبقات الناس، وفق الأسس المشار الیها. و قد برهنوا فی تخطیطهم علی مهاره فائقه تجلت فی تنظیم الشوارع، و تنسیق الأبنیه العامه، و توزیع القطائع، و اقامه الاسواق.

و کان من اول اعمال المعتصم باللّه، بعد ان کمل تخطیط المدینه انه کتب الی مختلف الولایات «فی اشخاص الفعله و البنائین و اهل المهن من الحدادین و النجارین و سائر الصناعات. و فی حمل الساج و سائر الخشب و الجذوع من البصره و ما والاها، و من بغداد و سائر السواد و من انطاکیه و سائر سواحل الشام. و فی حمل عمله الرخام و فرش الرخام، فاقیمت باللاذقیه و غیرها دور صناعه

الرخام»(۱) لتهيئه ما تحتاجه قصور المدينه و مساجدها من الرخام و المرمر الابيض و الملون. على ان المعتصم باللّه لم يقتصر على استخدام عمال البناء و الحرفيين ممن لهم علاقه بالبناء و التشييد فقط، بل حاول ان يحشد للمدينه الجديده ايدى عامله كثيره فى مختلف النواحى. و لهذا اقدم من كل بلد من يعمل عملا من الاعمال او يعالج مهنه من مهن العماره و الزرع و النخل و الغروس، و هندسه الماء و وزنه و استنباطه و العلم بمواضعه من الأرض. و حمل من مصر من يعمل القراطيس و غيرها، و حمل من البصره من يعمل الزجاج و الخزف و الحصر. و حمل من الكوفه من يعمل؟؟؟ ف و من يعمل الأدهان و الاصباغ. و من سائر البلدان من اهل كل مهنه و صناعه. فانزلوا بعيالهم فى اماكن خاصه من المدينه، و اقطعوا فيها لبناء منازل لهم.

ابتدأ البناء فى سنه (۲۲۱ ه)(۲). و يظهر ان اول ما بنى فى المدينه الجديده هو قصر الخليفه الذى عرف بالدار العامه، و قد بنى فى بستان الدير الذى اشتراه المعتصم باللّه، و صارت ارض الدير بيت المال. و يقول المسعودى: «انه ارتاد لبناء قصره موضعا فيها فأسس بنيانه، و هو الموضع المعروف بالوزيرى فى سر من رأى، و اليها يضاف التين الوزيرى، و هو اعذب الأتيان و ارقها قشرأ و اصغرها حبا»(۳).

و يقول الآثارى كريزويل ان المعتصم باللّه ارسل رجالا- الى مصر و امرهم بانتزاع اعمده الرخام من الكنائس، و انهم بعد ان انتزعوا اعمده كنائس الاسكندريه ذهبوا الى كنيسه القديس ميناس فى

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۱۷، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۷۳، و التنبيه و الاشراف/ ۳۰۱ و معجم البلدان ۳/ ۱۷۴، و الكامل ۶/ ۴۵۲.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

مربوط و انتزعوا منها الرخام الملون و مرمر التبليط(۱). الا ان زعمه هـذا لا يمكن قبوله، لأن المعتصم باللّه الذی دفع مبالغ كبيره لشـراء الخرائب و الاراضـی المتروكه التی كـانت تخص الرهبـان فی موضع سـامرا لا يمكن ان يأمر باغتصاب اعمـده الكنائس و مرمر تبليطها، و بخاصه اذا ما علمنا ان دور صـناعه للرخام و المرمر قد اقيمت فی بعض المدن التی اشـتهرت بقطعه و صقله، لسد حاجه المدينه الجديده منه.

الشوارع الرئيسه:

يسـمی الشارع الـذی امتد علی ضـفاف نهر دجله من شـمالی المدينه حتی جنوبيها بشارع الخليج، حيث كانت تقوم عليه الفرض لرسو السـفن التی تحمل البضائع و التجارات الی المدينه من بغداد و واسط و كسكر و سائر السواد و البصره و الأبله و الاحواز، و من الموصـل و يعربايـا و ديـار ربيعه و ما اتصل بـذلک، و تقوم فی هـذا الشارع قطائع المغاربه، و عرف الموضع الـذی خصـص لسكنهم باسم «الأزلاخ» و تعتبر هذه القطائع اول ما اختط فی سر من رأی.

و هو بهذا الاعتبار شارع حيوی للمدينه، بل هو شـريان حياتها الاقتصاديه لأن جميع السفن التی تحمل اليها البضائع و المؤن تفرغ حمولتها علی الفرض القائمه عليه، و كذلک تحمل منها الحاصلات و البضائع التی تنقل الی مدن اخری.

و يلی شارع الخليج شرقا الشارع الرئيس فی المدينه و قد عرف اول الأمر بشارع السريجه، ثم اطلق عليه اسم الشارع الاعظم، لأنه كان اطول شوارع سامرا و اعرضها. فقد امتد من آخر البناء من قطيعه اشناس شمالا حتی آخر البناء فی قطيعه الافشين فی المطيره غربا بحيث كان طوله فی عهد المعتصم (۱۹) كيلومترا تقريبا

۱- Cresswell. Ashort Account Of Muslim Arcitecture, P: ۲۶۰

و كانت[1] تقطعه دروب و شوارع عرضيه من جهه الشرع الى شارع ابى احمد بن الرشيد، و تنفذ الى شارع الخليج على دجله غربا.

و قد قامت على جانبيه بعض القطائع السكنيه. منها قطيعه اسحاق بن يحيى بن معاذ رئيس حرس المعتصم بالله، و قطائع عدد من القواد من غير الأتراك، كالقواد العرب والمخاربه و الخراسانيين، مل عجيف بن عنبسه، و الحسن بن على المأمونى، و حزام بن غالب الذى كان يتولى شؤون الاصطبلات بظهر قطيعته، و هاشم بن بانيجور، و هارون بن نعيم. بحيث كان لكل منهم قطيعه خاصه به و باصحابه. ثم القطائع الخاصه بكبار الخدم مثل مسرور سمانه و قرقاس و ثابت.

كما كانت تقع على هذا الشارع المبانى الخاصه ببعض مؤسسات الدوله مثل ديوان الخراج، و الخزائن الخاصه و العامه، و مجلس الشرط، و المسجد الجامع الذى لم يزل يجمع فيه الى ايام المتوكل على اللّه، و الحبس الكبير، و دار الرقيق، و السوق العظمى و قد بنيت منعزله عن المنازل و فيها قسم خاص لكل تجاره منفرد عن غيره. كما كان هناك سوق لأهل كل مهنه بحيث لا يختلطون بغيرهم من اصحاب المهن الاخرى.

و قامت كذلك على جانبى هذا الشارع اعداد كبيره من منازل الناس، و قد بنوا اسواقهم فيه لمختلف البياعات و الصناعات و التجارات. و هكذا كانت العمارات و القطائع و المنازل و الاسواق تمتد على جانبى هذا الشارع، و بينه و بين شارع الخليج من جهه الغرب، و بينه و بين شارع ابى احمد من جهه الشرق. و يبدو من تخصيص بعض القطائع الواقعه على جانبى هذا الشارع للقواد من

۱- رى سامراء ۱/ ۶۱ و اشناس و الافشين من كبار قواد المعتصم بالله و سيرد ذكرهم فى الفصل الاول من الباب الرابع، و فى الفصل الثانى من الباب الثامن.

غیر الاتراک و لأصحابهم ان المعتصم باللّه لم یحرص علی عزلهم اسوه بما فعله بقطائع الجند الاتراک، فقد اسکن بینهم خلیطا من الناس.

و یمتد شرقی الشارع الأعظم الشارع المعروف بشارع ابی أحمد بن الرشید، و سمی هذا الشارع باسمه لان قطیعته کانت فی وسطه. و قد قامت علیه قطائع للوزراء و القضاه و الکتاب و لسائر الناس. اذ کانت تقوم فی آخره مما یلی الوادی الغربی المسمی بوادی ابراهیم بن رباح، قطیعه قاضی القضاه احمد بن أبی دواد، و قطیعه الوزیر الفضل بن مروان، و قطیعه الوزیر محمد بن عبد الملک الزیات، و قطیعه ابراهیم بن رباح بن شبیب الجوهری من کبار الکتاب. و یتضح من هذا ان شارع ابی احمد خصص لسکنی الوزراء و الکتاب و القضاه و غیرهم من کبار موظفی الدوله.

و بالاضافه الی الشوارع الثلاثه ماره الذکر کان هناک شارعان آخران یمتدان الی الشرق من شارع ابی احمد و موازیان له، الأول شارع الحیر الأول الذی یمتد من الوادی المتصل بوادی اسحاق بن ابراهیم فی الجنوب حتی وادی ابراهیم بن رباح فی الشمال، و قد قامت فیه قطائع اخلاط الناس، و الثانی هو شارع برغامش القائد الترکی و اوله من المطیره عند قطائع الأفشین و یمتد شمالا الی الوادی المتصل بوادی ابراهیم بن رباح. و اقیمت فی هذا الشارع قطائع للاتراک و الفراغنه، و لکل منهما دروبه المنفرده لا یخالطهم فیها احد من الناس. فالاتراک فی الدروب التی فی القبله، و الفراغنه بازائهم فی الدروب التی فی ظهر القبله. و قد سمح للفراغنه بمجاوره الأتراک لقربهم منهم فی بلادهم(۱).

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۵.

عزل مساكن الأتراك:

لقد افردت قطائع الأتراک عن قطائع الناس جميعا بحيث جعلوا منعزلين عن غيرهم، و لا يختلطون باحد و لا يجاورهم احد سوى الفراغنه. فقد اقطع المعتصم باللّه اشناس الموضع المعروف بالكرخ، و يقال له كرخ سامرا تمييزا عن كرخ بغداد و هو المحله التى فى الجانب الغربى من بغداد. كما كان يسمى كرخ باجدا، و كرخ جدان ايضا(۱)، و هو على بعد عشره اميال شمالى سامرا(۲). و ضم اليه عددا من قواد الأتراک و رجالهم و امره ان لا يسمح لقريب بمجاورتهم، كما انزل بعضهم فى الدور المعروف بدور العربانى(۳).

و اقطع الأفشين حيدر بن كاوس الاشروسنى فى المطيره فى آخر البناء مشرقا، و ضم اليه اصحابه من الاشروسنيه و غيرهم من الأتراک، و امره ان يبنى هناک سويقه فيها حوانيت للتجار مما لا بد منه، و مساجد و حمامات. كما اقطع الحسن بن سهل بين آخر الاسواق و المطيره. و لم يكن فى ذلک الموضع يومئذ شى ء من العمارات، الا ان المنطقه ما لبثت ان عمرت و امتد بناء الناس فيها من كل ناحيه حتى اتصل البناء بالمطيره. و اقطع خاقان غرطوج و اصحابه مما يلى قصر الجوسق الخاقانى و امر ان يضم اصحابه اليه. و أقطع وصيفا و اصحابه مما يلى الحير.

و لكى يؤمن المعتصم باللّه عزله الجند الاتراک عن غيرهم اشترى لهم الجوارى و زوجهم بهن، و منعهم من ان يتزوجوا من احد من المولدين، الى ان ينشأ لهم الولد فيتزوج بعضهم من بعض. و اجرى

۱- المشترک وضعا/ ۳۶۸- ۳۶۹.

۲- بلدان الخلافه الشرقيه/ ۷۴.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

لجواری الاتراک ارزاقا قائمه، و اثبت اسماءهن فی الدواوین، و لم یکن احد منهم یستطیع ان یطلق امرأته.

انتقال المعتصم باللّه الی سامرا:

لیس هناک تاریخ معین لانتقال المعتصم باللّه الی عاصمته الجدیده سامرا سوی ما ذکره الیعقوبی بقوله «و انتقل الوجوه و الجله و القواد و اهل النباهه من سائر الناس مع المعتصم الی سر من رأی فی سنه ثلاث و عشرین و مائتین»(۱). الا ان اتفاق المصادر الرئیسه علی تاریخ بدایه بناء المدینه فی سنه (۲۲۱ ه) کما أشرنا، و قیاسا علی سرعه بناء مدینه المعتصم علی القاطول، مما ذکرناه فی فصل آخر، یمکن القول ان الانتقال تم فی خلال سنه (۲۲۲ ه). و مما یؤید هذا ان اقدم خبر ذکرت فیه سامرا کحاضره للخلافه هو قدوم الأفشین ببابک الخرمی و اخیه علی المعتصم باللّه بسامرا لیله الخمیس لثلاث خلون من صفر سنه (۲۲۳ ه)(۲).

و ذلک یعنی ان الخلیفه قد استقر فی عاصمته الجدیده خلال الأشهر القلیله التی سبقت هذا التاریخ، ای فی بحر السنه (۲۲۲ ه).

و یقول الیعقوبی ایضا: «و اتسع الناس فی البناء بسر من رأی اکثر من اتساعهم ببغداد، و بنوا المنازل الواسعه. و بلغت غله و مستغلات سر من رأی و اسواقها عشره الاف الف درهم»(۳).

و یقول المسعودی: «و تسامع الناس ان دار ملک قد اتخذت؟؟؟ و اجهزوا الیها من انواع الامتعه و سائر ما ینتفع به

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۵۲، و مروج الذهب ۴/ ۵۶، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۴ و لعیون و الحدائق ۳/ ۳۸۸.

۳- کتاب البلدان/ ۲۶۳.

الناس»(۱). و یقول یاقوت الحموی: «فعمر الناس حول قصره حتی صارت اعظم بلاد اللّه»(۲).

ان انتقال عاصمه الدوله بدواوینها الی المدینه الجدیده، مع الخلیفه و رجاله و حاشیته، و نقل الجیش بعدده و عدته الیها، استلزم انتقال جمیع الموظفین و من یتعلق بهم کذلک. و کما أقدم الخلیفه نفسه اول الأمر الی سامرا کثیرا من اصحاب الاعمال و الحرف و التجارات و غیرهم ممن کانت الحاجه ماسه الیهم فی أثناء بناء المدینه، فقد اخذ آخرون من اصحاب هذه الأصناف یفدون الیها للعمل فیها لسد حاجه السکان المتزایدین. و لا یخفی ان قرب سامرا مما یؤتی به من المیره و المؤن من الموصل و بعربایا و سائر دیار ربیعه فی السفن فی دجله ساعد علی تموین المدینه و باسعار مناسبه مما یسر العیش فیها. فتقاطر الناس علی اختلاف طبقاتهم الیها بعیالهم و اهلیهم مستفیدین من اقطاعهم الاراضی لبناء المنازل و من توفر الأسواق و فرص العمل.

توسع العمران فی الجانب الغربی:

لما فرغ المعتصم باللّه من البناء فی الجانب الشرقی من سر من رأی وفق التخطیط الذی وضعه المهندسون لها، و تقاطرت افواج الناس من مختلف البلدان للسکن فیها بعد ان استقر بها الخلیفه و اصبحت عاصمه الدوله العربیه بدلا من بغداد، اتسعت الابنیه و ازداد عدد السکان فیها. فظهرت الحاجه الی مزید من المیاه سواء للشرب او للزراعه و سقی الجنائن و البساتین. و بالنظر لأن هذا الجانب من النهر ترتفع اراضیه عن مستوی میاه النهر، فقد

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۵.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

كـانت ميـاه الشـرب تحمـل اليهم من دجله على البغـال و الابـل، لأـن الآبـار بعيـده الرشـا لارتفاع الأرض، ثم ان ماءها مالـح غير مسـتساغ، ممـا تعـذر معه انشـاء البسـاتين و المزارع بنطاق واسع يتفق وسـعه المـدينه و حاجتها. و لهـذا اتجهت انظار الخليفه الى الضـفه المقـابله (الغربيه) من نهر دجله. فهى ارض منخفضه يسـهل حمـل المـاء اليها و يمكن التوسع فى زراعتها. فعمـد الى عقد جسـر يوصل بين الجانبين. و قد اقيم هذا الجسـر فى مركز المدينه تقريبا امام القصـر الهارونى الذى بناه هارون بن المعتصم باللّه فيما بعد. و يظهر انه كان من الجسور ذوات العقود، اى كان ثابتا مبنيا بالحجاره.

لقـد شـجع ذلـك بعض النـاس على الانتقال الى الجانب الغربى من نهر دجله و العمل هناك. فحفروا الجـداول السـيحيه و شـقوا الترع و انشـأوا عليهـا المزارع و البسـاتين، فقامت فيها القرى العديـده. و كانت هـذه الجـداول تتفرع من نهر الاسـحاقى الـذى امر المعتصم باللّه بحفره لأرواء الأراضـى الواقعه على هذا الجانب من النهر ارواء سـيحيا. و نهر الاسحاقى هذا يستمد مياهه من دجله فى موضع يقع جنوبى تكريت بقليـل، فيجرى امـام سـامرا من الغرب بموازاه نهر دجله. و هو نهر قـديم كـان يمتـد حتى منخفض عقرقوف فى غربى بغـداد، حفره قـدامى العراقيين، الا انه كان قـد اهمل فأندرس. فأمر المعتصم باللّه صاحب شـرطته اسـحاق بن ابراهيم بان يتولى الأشراف على احياء القسم الاعلى منه الممتد بين تكريت و جنوبى سامرا، و لذا عرف بالاسحاقى.

و قـد قسم نهر الاسـحاقى الى فرعين شـمالى معسـكر الاصـطبلات، الشـطر الغربى و يسـير جنوبا وسط الاراضـى التى بين دجله و الفرات الى مسـافه تقرب من (۴۰) كيلومترا ثم تضـيع معاله فى رمال الصـحراء. و الشـطر الشـرقى و يسير بموازاه السور الخارجى الغربى

لعسكر الاصطبلات، و بعد ان يسير مسافه (۳۰) كيلومترا تقريبا نحو الجنوب الشرقى يصب فى مجرى نهر الدجيل القديم(۱).

فصار نهر الاسحاقى بما يحمله من مياه و فيره محور العمران فى الجانب الغربى من مدينه سامرا.

يقول اليعقوبى فى وصف التوسع الذى احدثه هذا النهر:

«فانشأ هناك العمارات و البساتين و الأجنه، و حفر الانهار من دجله و صير الى كل قائد عماره ناحيه من النواحى. و حمل النخل من بغداد و البصره و سائر السواد، و حملت الغروس من الجزيره و الشام و الجبل و الرى و خراسان و سائر البلدان. فكثرت المياه فى هذه العماره فى الجانب الغربى(۲) بسر من رأى. و صلح النخل، و ثبتت الاشجار، و زكت الثمار، و حسنت الفواكه، و حسن الريحان و البقل. و زرع الناس اصناف الزرع و الرياحين و البقول و الرطاب، و كانت الأرض مستريحه الوف سنين. فزكا كل ما غرس فيها و زرع بها حتى بلغت غله العمارات بالنهر المعروف بالاسحاقى و ما عليه و الايتاخى و العمرى و العبد الملكى و داليه ابن حماد و المسرورى و سيق و العربات المحدثه و هى خمسه قرى، و القرى السفلى و هى سبع قرى، و الأجنه و البساتين، و خراج الزراعه اربعمائه الف دينار فى السنه. و بنى المعتصم العمارات قصورا و صير فى كل بستان قصرا فيه مجالس و برك و ميادين، فحسنت العمارات، و رغب وجوه الناس فى ان يكون لهم بها ادنى ارض و تنافسوا فى ذلك و بلغ الجريب من الأرض مالا كبيرا»(۳).

لقد انتهج المعتصم باللّه فى انجاز عمران عاصمته الجديده خطه تقوم على توزيع الأعمال على كبار قواده و رجاله، ليختص كل

۱- لمزيد من التفصيلات عن نهر الاسحاقى، راجع: رى سامراء ۱/ ۷۹- ۸۳.

۲- فى الأصل: الشرقى.

۳- كتاب البلدان/ ۲۶۳- ۲۶۴.

منهم بجزء من عمران المدینه و یستعین علی انجازه باصحابه و اعوانه. و لا یستبعد ان القواد منهم استخدموا الجند فی انجاز ما کلفوا به. فکلف بعض کبار اصحابه ببناء القصور، فصیر الی خاقان غرطوج بناء الجوسق الخاقانی، و امر عمر بن فرج بان یتولی بناء القصر المعروف بالعمری، و کلف ابا الوزیر احمد بن خالد ببناء القصر الوزیری. و کذلک فعل فی تشیید القطائع السکنیه و المساجد و الاسواق. و قد اشرنا الی توزیعه القطائع علی کبار القواد و طلبه الیهم ان ینجزوها وفق التخطیط الموضوع لها، سواء لدور السکن او للمرافق العامه کالمساجد و الساحات و الأسواق.

و قد عمل جهده فی تهیئه العمال و الصناع الحرفیین، و مواد البناء، و الأموال اللازمه لتکالیف المواد و اجور العاملین. و کان لهذا التوزیع فی العمل نتائج باهره فی اسراع القواد بانجاز ما کلفوا به و تنافسهم فی ذلک، و فی نوعیه العمل المنجز.

و لأهتمام المعتصم بالله بانجاز تأسیس المدینه باسرع ما یمکن لیتخلص من مشاکل جنده مع اهل بغداد، و لیتفرغ لشؤون الدوله الکثیره الاخری، و بذله الاموال اللازمه لذلک، فلا نستبعد انه قد جعل من نفسه مشرفا عاما علی ذلک، یقوم بین آونه و اخری بالتجول فی الشوارع الرئیسه لیراقب سیر العمل، و یجیز العمال و المهندسین الماهرین المتفوقین باعمالهم، تشجیعا لهم و لغیرهم للاسراع بانجاز ما کلفوا به علی احسن وجه، مما أثار روح المنافسه فی العاملین و دفعهم الی مزید من الجهد و اتقان العمل.

حتی تم انجاز بناء تلک القصور و القطائع و المساجد و الاسواق، و فتح الشوارع الرئیسه و الفرعیه بالسرعه المطلوبه. علما انه کان قد کلف وزیره محمد بن عبد الملک الزیات بالاشراف علی جمیع، ما بنی بسامرا فی جانبیها الشرقی و الغربی(۱).

۱- الطبری ۹/ ۲۰.

۵- اسم المدينه:

اذا تصفحنا كتب البلدانيين العرب، و أمهات الكتب التى تعتبر مصادر التاريخ العربى، نجد ان الاسم الغالب الذى يطلقونه على العاصمه الثانيه للخلفاء العباسيين التى اسسها ثامنهم المعتصم باللّه ابن هارون الرشيد، هو (سر من رأى). كما ان بعضهم يطلق عليها اسم (سامرا). فان ابا جعفر محمد بن موسى الخوارزمى المتوفى سنه (۲۳۲ ه) ذكرها باسم (سر من رأى) فى موضعين من كتابه(۱).

و يعتبر اقدم من ذكر المدينه من البلدانيين بهذا الاسم و كان قد عاصر تأسيسها. و كذلك اطلق عليها هذا الاسم ابن خرداذبه ابو القاسم عبيد اللّه بن عبد اللّه المتوفى سنه (۲۸۰ ه) فى كتابه المسالك و الممالك حينما وردت فى تضاعيفه.

و ان احمد بن اسحاق اليعقوبى المتوفى سنه (۲۹۲ ه) الذى يعتبر ما ورد عن سامرا فى كتابه (كتاب البلدان) اوفى ما وصلنا من النصوص القديمه عنها، من حيث اسباب اختيار موقعها، و خططها، و جهود المعتصم باللّه فى بنائها، و توسعها فى عهد ابنيه الواثق بالله و المتوكل على الله، يستعمل نفس الأسم (سر من رأى) فى كتابه المذكور، و فى كتابه الآخر (تاريخ اليعقوبى)(۲).

اما ابو اسحاق الاصطخرى ابراهيم بن محمد المتوفى سنه (۳۴۶ ه) فيسميها (سر من رأى) ايضا فى النبذه المختصره التى ذكرها عنها فى كتابه(۳). و فعل مثله ابو القاسم محمد بن حوقل النصيبى فى كتابه عند ذكره نبذه عنها فى اثناء كلامه عن مدن

۱- كتاب صوره الارض/ ۲۱ و ۱۲۹.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۵- ۲۶۸، و تاريخ اليعقوبى ۲- ۴۷۴- ۵۱۱.

۳- كتاب الاقاليم/ ۴۸.

العراق(۱). و کذلک فعل الشابشتی ابو الحسن علی بن محمد المتوفی سنه (۳۸۸ ه) فانه یقتصر علی استعمال اسم (سر من رأی) حیثما وردت فی کتابه(۲).

علی ان المقدسی البشاری محمد بن احمد المتوفی سنه (۳۸۰ ه) ذکرها فی کتابه باسم (سامرا) عند کلامه عن اقلیم العراق. الا انه یشیر الی انها عند ما زاد فیها المتوکل و صارت عجیبه حسنه سمیت (سرور من رأی) ثم اختصرت فقیل (سر من رأی) و لما خربت سمیت (ساء من رأی) ثم اختصرت فقیل (سامرا)(۳). مما یوحی ان اسم سامرا اطلق علیها بعد ان اهملت و خربت، و هو قول یخالف الواقع. و قد ذکرها الهمذانی احمد بن محمد المتوفی سنه (۳۶۵ ه) باسم (سر من رأی) فی کتابه(۴).

اما المؤرخون فأن اقدمهم ابن قتیبه عبد اللّه بن مسلم المتوفی سنه (۲۷۶ ه) یطلق علیها اسم (سر من رأی) عند ما یتکلم عن المعتصم و خروجه الی بنائها فی کتابه (المعارف)(۵). بینما یستعمل الطبری محمد بن جریر المتوفی سنه (۳۱۰ ه) اسم (سامرا) حیثما ورد ذکرها فی الجزءین التاسع و العاشر من کتابه (الرسل و الملوک).

و یسمیها البلاذری احمد بن یحیی المتوفی سنه (۲۷۹ ه) ای فی سنه الانتقال منها و العوده الی مدینه السلام، و قد عاصرها منذ تأسیسها (سر من رأی)(۶)، ایضا.

و قد استعمل المسعودی علی بن الحسین المتوفی سنه (۳۴۶ ه) الاسمین للمدینه فی مؤلفیه: التنبیه و الاشراف، و مروج الذهب.

۱- صوره الارض لابن حوقل/ ۲۱۸.

۲- الدیارات/ ۳۸ و ۷۹ و ۱۰۵ و ۱۴۹ و ۱۹۰.

۳- احسن التقاسیم/ ۱۲۲- ۱۲۳.

۴- مختصر کتاب البلدان/ ۱۸ و ۱۲۵ و ۲۵۳.

۵- المعارف/ ۳۹۲.

۶- فتوح البلدان/ ۲۹۵.

فانه ینهج فی الکتاب الأول نهج البلدانیین و یطلق علیها اسم (سر من رأی) عند ما یذکر ابتداء المعتصم باللّه ببنائها و یقول انه هو سماها به(۱). غیر انه فی کتابه الثانی یستعمل اسم (سامرا) عند اشارته الی الموضع الذی اختاره المعتصم باللّه للبناء فیه و یفسر معناه و الأصل الذی اشتق منه، ثم یستمر باستخدام هذه التسمیه کلما ورد ذکره للمدینه فی الکتاب عدا بعض المناسبات فقد استخدم الأسم الأول(۲).

الا ان طاهر بن مطهر المقدسی المتوفی سنه (۳۵۵ ه) یقتصر علی استخدام اسم (سر من رأی) فی کتابه(۳). و یقتصر ابن الأثیر علی بن محمد المتوفی سنه (۶۳۰ ه) علی استعمال (سامرا) فی الجزءین السادس و السابع من کتابه الکامل فی التاریخ، و احسبه قد اقتدی بالطبری فی ذلک. و یلاحظ ان صاحب الفهرست ابن الندیم محمد بن اسحاق المتوفی سنه (۴۳۸ ه) یذکرها فی عدد من المواضع فی کتابه باسم (سر من رأی)(۴). و یری ابن دحیه الکلبی عمر بن ابی علی المتوفی سنه (۶۳۳ ه) انها سمیت (سر من رأی) لأن المعتصم لما انتقل الیها بجملته و عسکره سر کل منهم برؤیتها فقیل فیها (سر من رأی) و لزمها هذا الاسم، و قد غیرته العامه فقالوا (سامرا)(۵). و هذا یتفق و ما یراه یاقوت الحموی الذی یقول ان اسمها (سر من رأی) فخففها الناس و قالوا سامرا(۶).

و ینقل عن الزجاجی قوله: «کان اسمها قدیما سامیرا سمیت بسامیر بن نوح کان ینزلها لأن اباه اقطعه ایاها فلما استحدثها

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۵ و ۳۰۶ و ۳۰۹.

۲- مروج الذهب ۴/ ۴۶ و ۵۶ و ۱۱۴.

۳- البدء و التاریخ ۳/ ۱۱۴ و ۱۲۲.

۴- الفهرست/ ۲۳۶ و ۲۷۷.

۵- النبراس/ ۶۵.

۶- معجم البلدان ۳/ ۱۷۳.

المعتصم سماها سر من رأی(۱). علی انه نفسه یذکرها باسم آخر هو (سراء) و یقول انه اسم من اسماء سر من رأی مدینه المعتصم(۲).

و یرد الحریری ابو محمد علی بن القاسم المتوفی سنه (۵۱۶ ه) علی من یسمیها سامرا، و یری ان الصواب هو ان تسمی سر من رأی، علی ما نطق بها فی الأصل، لأن المسمی بالجمله یحکی علی صیفته الاصلیه، و ان المعتصم حین شرع فی انشائها ثقل ذلک علی عسکره، فلما انتقل بهم الیها سر کل منهم برؤیتها فقیل سر من رأی و لزمها هذا الاسم، و هو یری ان تغییر الشعراء الاسم المذکور انما هو لاقامه الوزن و تصحیح النظم(۳).

من هذا یتضح ان الاسم الغالب علی المدینه فی مؤلفات القدامی من البلدانیین و المؤرخین هو سر من رأی. و یرجح ان تغلب هذا الاسم یعود الی ان المعتصم باللّه هو الذی سماها به(۴). و من ثم اصبح الاسم الرسمی لها. و قد سماها بعضهم سامرا. علی ان هناک اسماء اخری اطلقت علی المدینه فی ثنایا کثیر من کتب الأدب و بخاصه فی الشعر. و قد لخص یاقوت تلک الاسماء، فقال «سامراء» لغه فی سر من رأی. و فیها لغات سامراء ممدود، و سامرا مقصور، و سر من راء، و سراء مهموز الآخر، و سر من راء مقصور الآخر»(۵) و استشهد علی ذلک بأبیات من الشعر.

۱- نفس المصدر/ ۲۱۵.

۲- المشترک وضعا/ ۲۴۳.

۳- دره الغواص/ ۱۸۰- ۱۸۱.

۴- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و التنبیه و الاشراف/ ۳۰۹، و معجم البلدان، ۳/ ۲۱۵.

۵- معجم البلدان ۳/ ۱۷۳.

اما سبب تسمیتها فیروی یاقوت ثلاثه اقوال فی ذلک. الأول انها کانت مدینه عتیقه تحمل الیها الاتاوه التی کانت موظفه للفرس علی الروم، و قد استدل علی ذلک من اسم المدینه، لأن (سا) اسم الاتاوه و (مره) اسم العدد، و المعنی انه مکان لقبض الجزیه. و القول الثانی ان سام بن نوح کان یصیف بالقریه التی ابتناها ابوه عند خروجه من السفینه ببازیدی و سماها ثمانون، و یشتو بأرض جوخی، و کان ممره من ارض جوخی الی بازیدی علی شاطی ء دجله من الجانب الشرقی، فسمی ذلک المکان (سام راه) یعنی طریق سام. و القول الثالث انها مدینه بناها سام بن نوح، او انها بنیت له فنسبت الیه و قیل سام راه(۱).

ان القول صاحبه فارسی یحاول ان یربط کل حدث او موضع باکاسره الفرس، و هو قول واضح البطلان، لأن الادعاء بان الروم کانوا یدفعون اتاوه للفرس امر مشکوک فیه، و حتی اذا ما کان ذلک قد وقع فعلا فان الموضع المذکور لا یصلح ان یکون مکان اتصال بین الدولتین المذکورتین، لأنه لا یقع علی الحدود الفاصله بینهما.

و یبدو ان صاحب القول اراد ان یستنتج تاریخ المدینه من تحلیل اسمها المرکب ففسره بما ذهب الیه هواه، ففاته الصواب لأنه تفسیر عقیم(۲). و اما القولان الثانی و الثالث فانهما الی الاساطیر اقرب لأنهما ینقصهما السند التاریخی، و هما کالقول الأول محاوله لاستنتاج سبب تسمیه المدینه من تحلیل اسمها، و لو کان ذلک من باب الظن و الوهم.

و هناک من یرجح ان اسم موضع سامرا مشتق من اسم مستوطن قدیم عرفه الآشوریون و البابلیون باسم (سومورم؟؟؟

او باسم (سورمارتا-Su -ur -mar -ta و کان موضعا مهما فی

۱- نفس المصدر/ ۱۷۳- ۱۷۴.

۲- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ۱/ ۱۳.

العهـد الـذى سـبق الفتح العربى، و قد التقى فيه الجيش الساسانى بالجيش الرومانى بعد مقتل الانبراطور جوليان فى عام ۳۶۳ م و تراجع الجيش الرومانى، و قد دون اخبار هذه المعركه المؤرخ اميانوس مرسـيلينوس الذى رافق الحمله و ذكر هذا الموضع باسـم (سوميره)، و كـان الجيش الرومـانى قـد عـبر عنـد تراجعه نهر دجله فى مكـان ورد اسـمه بصـيغه (دورا) و هو موضع امـام الـدور الآن(۱).

و يقول انسـتاس الكرملى «امـا اسم المـدينه فليس من وضع المعتصم نفسه بل هو قـديم فى التاريـخ فقـد ذكره المؤرخ الرومانى اميانوس مرسـيلينوس الشـهير الذى ولد فى سـنه ۳۲۰ م و تـوفى سـنه ۳۹۰ م بصـوره (سومرا-Sumera)، و نـوه به زوسـيمس المؤرخ اليونـانى من ابنـاء المـائه الخـامسه للمسـيح صاحب التاريـخ الرومانى بصوره (سوما-Souma أهل النقـد من ابناء هـذا العصـر انه سـقط من آخر الاسم حرفان و الأصل (سومرا-Soumara و ورد فى مصـنفات السريان (شومرا) بالشين المنقوطه .. اما الكلمه فليست بعربيه صـرفه و ان ذهب الى هذا الرأى كثيرون من المؤرخين و الكتبه و اللغويين و ذلك لعتقها كما اوضـحنا. و هى عنـدنا من اصل سامى قـديم و يختلف معناها باختلاف تقدير اللفظه للصـحفه عنه، فاذا قلنا ان اصـلها (شامريا) فمعناها اللّه يحرس المدينه، او بعباره اخرى (المحروسه) و ان قدرنا اصلها (شامورا) باماله الالف الاخيره فمعناها الحرس، اى منزل الحرس او موطن الحفظه بتقـدير حـذف المضـاف و ابقـاء المضـاف اليه، و هو كثير الورود فى جميع اللغات الساميه. و عليه يعتبر قولهم ان (سامرا) تخفيف (سر من رأى) او (ساء من رأى) من قبيل الوضع»(۲).

۱- المرشد الى مواطن الآثار و الحضاره/ ۱۱- ۱۲.

۲- مجله لغه العرب العدد(۶) من السنه الثالثه/ ۷۲۱- ۷۲۲.

و للمرحوم الـدكتور مصـطفى جواد رأى قريب من هـذا فى تخريج اسم سامرا، فيقول: «سامرا اسم ارامى و هو فى اصـله مقصور كسـائر الاسـماء الآـراميه بـالعراق، مثـل: كربلا و عكبرا، و حرورا، و باعقوبا ..) و قـد مـد العرب كثيرا من هـذه الاسـماء الآراميه المقصوره فى استعمالهم اياها، و خصوصا ذكرها فى الشعر الحاقا لها بالاسماء العربيه او توهما منهم انها عربيه تجمع بين المد و القصر ... و اذ كانت الآراميه فرعا من فروع اللغه الساميه الأم، و كان الغالب على سينها ان تبدل شينا فى العربيه جاز ان يكون بين ماده (شمر) العربيه و (سامرا) الآراميه صله لفظيه وصله معنويه. قال الأصمعى: «التشمير: الارسال من قولهم شمّرت السفينه ارسلتها و شمّرت السهم ارسلته» و قال ابن سيده:

«شمّر الشى ء ارسله، و خص ابن الاعرابى به السفينه و السهم».

فغير بعيـد ان كانت (سامرا) عنـد الآراميين فرضه كبيره لارسال السـفن فى دجله او دار صـناعه لها، و لدجله عندها خليج لا يزال على حاله القديمه يتبطح فيه الماء عند الزياده»(۱).

يتبين من مختلف التوضـيحات التى قـدمت عن اصل تسـميه موضع سامرا بهـذا الاسم ان ذلک الأصل قديم يرجع عهده الى ايام الآشوريين و البابليين، و من الطبيعى ان يتعرض اللفظ للتحوير و التعـديل بمرور الزمن و فى مختلف اللغات، حتى اسـتقر عند بناء المدينه فى عهد المعتصم باللّه الى سر من رأى و سامرا.

۶- اطلال سامرا:

تقع مدينه سامراء الحاليه على الضـفه الشرقيه لنهر دجله شمالى بغداد بمسافه (۱۳۰) كيلومترا. و قد بنيت على قسم من من اطلال سامرا التى اسسها المعتصم باللّه و اتخذها عاصمه له فى

۱- موسوعه العتبات المقدسه- قسم سامراء ۱/ ۷- ۸.

اواخر سنه (۲۲۲ ه). و هـذه الاطلال تحيط بالمـدينه الحاليه من جميع جهاتها، و تمتـد على طول نهر دجله ابتـداء من صـدر نهر الرصاصـى شـمالا حتى فم نهر القائم جنوبا. و يبلغ طولها نحوا من اربعه و ثلاثين كيلومترا، تقع ثمانيه منها جنوبى المدينه الحاليه و تقع البقيه شـماليها. و يظهر هـذا الامتـداد الهائل لاطلال المـدينه القـديمه مـدى سـعتها و امتداد عمرانها عند ما كانت «المدينه الثانيه من مدن خلفاء بنى هاشم» و عاصـمه الدوله العربيه. و قد اصاب القزوينى عند ما و صفها بانها «اعظم بلاد اللّه بناء و اهلا .. و لم يكن فى الأرض احسن و لا اجمل و لا اوسع ملكا منها»(۱). الا ان تلك المـدينه الواسـعه المزدهره التى قامت خلال فتره قصيره، اسرع اليها الخراب بعد ان هجرت، و لم يبق من آثارها شاخصا اليوم.

اى بعد ما يزيد على احد عشر قرنا، سوى القليل من بقايا المبانى التى لا تزال قائمه تتحدى الزمن.

و يتوزع القسم المهم من الأطلال المـذكوره شـمالى المـدينه الحـاليه و جنوبيها. حيث تقوم فى الشـمال الملويه و بقايا المسـجد الجـامع الكبير و دار الخليفه و بـاب العـامه و جـامع ابى دلف. و تقوم فى الجنوب بقايـا قصـر بلكوارا و اطلال المـدينه التى بناها المعتصم باللّه على القاطول.

و لما كانت سامرا قـد توسـعت ايام ازدهارها الى الجهه الغربيه من نهر دجله فان المنطقه الممتـده بين نهر دجله و نهر الاسـحاقى كـانت بمثـابه حـدائق المـدينه الكبيره، و قـد عمرت بالبسـاتين و الجنائن و القصور، و لكن لم يبق شاخصا من مبانيها سوى بقايا قصر المعشوق و قبه الصليبيه و قصر الجص.

و يضاف الى الاطلال المشار اليها من بقايا مدينه سامرا القديمه ملحقان مهمان من جهتها الجنوبيه هما بقايا القادسيه الواقعه بين

۱- آثار البلاد و اخبار العباد/ ۲۵۸.

نهر دجله و نهر القائم، و بقایا الاصطبلات المقابله للقادسیه فی الجانب الغربی من المدینه.

أما بقیه الاطلال فهی أسوار و آکام ترابیه مبعثره فی جمیع الجوانب، و أهم الاسوار التی لا تزال ماثله سور عیسی و سور اشناس و سور القصر الجعفری.

و تتکون الآکام بصوره عامه من بقایا أسوار الدور و القصور و زوایا غرفها و قاعاتها. و تتسلسل آکام الاسوار علی خطوط مستقیمه تدل علی استقامه شوارع المدینه القدیمه، کما تتوزع بقایا زوایا الدور و القصور فی کثیر من المحلات حول ساحات صغیره و کبیره تظهر الشی ء الکثیر من مخططات المبانی المختفیه تحتها.

و تظهر آثار الشوارع القدیمه الفسیحه بصوره خاصه فی جوار قصر بلکوارا فی الجنوب، و بعد سور اشناس فی الشمال، اذ یظهر جلیا ما کان یسمی بالشارع الاعظم الذی یبقی اتجاهه مستقیما الی مسافه سبعه کیلومترات، و تظهر علی جانبیه سلسله منتظمه من الشوارع الفرعیه التی یبلغ عرض بعضها خمسین مترا. کما تظهر فی الآکام المتراکمه علی جانبی الشارع الأعظم مخططات الدور و الاسواق التی یستطیع المشاهد ان یتبین حدودها و تقسیماتها الاساسیه. کما تظهر فی أقصی الشمال بعض بقایا مدینه المتوکلیه التی اسسها المتوکل علی اللّه فی آواخر ایامه.

ان الصور الجویه التی اخذت لأطلال سامرا تظهر اتجاهات الشوارع و تقسیمات الدور و القصور بوضوح تام، یدل علی براعه هندسیه فائقه فی تخطیط المدینه من حیث سعه شوارعها و استقامتها، و توزیع الأبنیه العامه و المساجد و الأسواق و دور السکن، و تنسیقها لمدینه کامله مع ما تحتاجه من ساحات و ملاعب و متنزهات(۱).

۱- راجع عن اطلال سامرا: الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۹- ۱۰.

و قد بدأ الاهتمام باطلال سامرا منذ اواسط القرن التاسع عشر. غير ان التنقيب فيها لم يبدأ الا بعد انتهاء العقد الأول من القرن العشرين. فقد قام المهندس هنری فیوله-henry Viollet لاول مره ببعض التنقيبات الاستكشافيه فى دار الخليفه خلال صيف سنه ۱۹۱۰ م. ثم اعقبه فى السنه التاليه الآثارى الالمانى هرزفيلد-herzfeld على رأس بعثه علميه، فقام بتنقيبات واسعه استمرت حتى نشوب الحرب العالميه الاولى. و شملت هذه التنقيبات دار الخليفه و قصر بلكوارا و المسجد الجامع و تل العليق، مع نحو خمس عشره دارا من دور السكن الخاصه، بالقرب من المدينه الحاليه. و كانت الآثار التى عثرت عليها بعثه هرزفيلد خلال هذه التنقيبات قد وضعت فى صناديق بقيت فى سامراء خلال الحرب المذكوره، و لما ابتليت البلاد بالاحتلال الانكليزى نقلت تلك الصناديق الى انكلترا. و قد نشر قسم من النتائج العلميه التى حصلت من هذه التنقيبات، و لذلك فان النتائج التى توصل اليها هرزفيلد فى هذا الحقل لم يعرف عنها الا الشى ء القليل(۱).

و اوفدت مديريه الآثار القديمه العامه منذ سنه ۱۹۳۶ م عده بعثات آثاريه لاجراء مزيد من الحفريات و التنقيب فى اطلال سامراء. و كانت حصيلتها معلومات غزيره عن معالم المدينه ايام كانت عاصمه مزدهره. و قد نشرت فى سنه ۱۹۴۰ نتائج التنقيبات التى قامت بها البعثات المذكوره فى كتاب «حفريات سامراء ۱۹۳۶- ۱۹۳۹» بجزءين. يقع الجزء الأول فى (۵۰) صحيفه عدا الفهارس و الالواح المرفقه به، و يتناول وصفا دقيقا لما كشفت عنه التنقيبات التى اجرتها مديريه الآثار القديمه العامه فى خلال مواسم السنوات المذكوره. و قد اوصلت هذه التنقيبات الى معرفه مخططات قصر كامل هو قصر الجص فى الموقع المعروف باسم الحويصلات، و ثلاث دور

۱- حفريات سامراء(۱۹۳۶- ۱۹۳۹) ۱/ ۴.

سکنیه کامله، و مخططات القسم الأکبر من غرف ثمانی دور اخری.

و یقع الجزء الثانی فی (۱۶) صحیفه عدا الفهرست و الالواح المرفقه به. و فیه بحث مفصل عن الآثار المنقوله التی عثر علیها فی اثناء التنقیب فی اطلال سامرا خلال المده المشار الیها آنفا، و قد تضمن اوصافها و الوانها و ممیزاتها الاخری.

کما اصدرت المدیریه المذکوره فی سنه ۱۹۴۰ کتابا آخر بعنوان «سامراء» تضمن بحوثا عن مدینه سامرا الحالیه، و عن اطلال المدینه القدیمه، مع مجمل لتأریخها و خلاصه وافیه عما توصل الیه الآثاریون عن اهم الآثار التی لا تزال بقایاها شاخصه حتی الیوم کالمسجد الجامع و الملویه و دار الخلیفه و باب العامه و السرادیب الملحقه بدار الخلیفه، و ساحه اللعب و حلبه السباق و ساحه الفروسیه و تل العلیق، و جامع ابی دلف، و قصر بلکوارا، و القصر الهارونی، و قصر المعشوق، و قبه الصلیبیه، و سور القادسیه، و الاصطبلات، و المقبره القبتاریخیه.

ان اطلال مدینه سامرا تتمیز بمیزه مهمه من الوجهه الآثاریه.

لأنها رغم اتساعها الهائل، تعود الی عهد معین محدود لم یسبقه دور بناء اقدم منه، کما انه لم یتبعه دور بناء احدث منه. اذ ان جمیع الاطلال الممتده من النهر الرصاصی شمالا حتی صدر نهر القائم جنوبا، علی طول لا یقل عن اربعه و ثلاثین کیلومترا، هی بقایا مدینه سامرا التی شیدت و اتسعت بسرعه خارقه، ثم هجرت بغته فاندرست بسرعه هائله ایضا، اذ لم تعش غیر حقبه قصیره تزید قلیلا عن نصف قرن، تعود الی دور محدد معین. و هو مما یندر مصادفته فی تاریخ الآثریات.

الفصل الثانی منشآت المعتصم باللّه فی سامرا

اشاره

سنستعرض فیما یلی اهم منشآت المعتصم باللّه فی مدینه سامرا، مما لا یزال قسم من اطلالها ماثلا حتی الیوم، او ورد ذکر عنها فی مصادر التراث العربی.

۱- دار الخلیفه (دار العامه):

اشاره

کانت دار الخلیفه اهم و افخم القصور التی بنیت حین تأسیس سامرا علی عهد مؤسسها الخلیفه المعتصم باللّه. و یمکن اعتبارها اول بنایه انشئت فیها. و هی تقع علی شارع السریجه او الشارع الأعظم. و دار الخلیفه هی دار العامه التی یجلس فیها ایام الأثنین و الخمیس. و قد بنیت فی موضع الدیر الذی ابتاعه المعتصم باللّه قبل شروعه فی انشاء سامرا(۱). و یبلغ طول واجهتها من جهه النهر (۷۰۰) م، اما المسافه بین بابها و منتهی بنایاتها الخلفیه فلا تقل عن (۸۰۰) م، و ذلک بصرف النظر عن الحدیقه الفسیحه التی کانت تمتد امامها حتی شاطیء النهر علی طول (۶۰۰) م. «و کانت دار الخلافه و ما یتصل بها کأنها لکبرها مدینه قائمه بذاتها»(۲).

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۵.

۲- الحضاره الاسلامیه ۲/ ۱۷۶.

و قد لاحظ اطلال هذا القصر العظيم المهندس المعمارى الفرنسى فيوله-Viollet فى سنه ١٩٠٩ م و رسم مخططا تقريبيا للمعالم التى رآها حينئذ. كما رسم صوره خياليه للقصر كما تصور حالته الأصليه، و على ضوء المخطط الذى رسمه له.

و مع ان الريازه التى تظهر على هـذه الصوره تمعن فى الخيال و لم تتقيـد بالريازات المعروفه، فان الصوره تعطى فكره لا بأس بها عن أقسام القصر المختلفه. و جاء العالم الآثارى الالمانى هرزفيلد-Herzfeld بعد فيوله و اجرى تنقيبات و حفريات منتظمه فى بعض اطلال القصـر، كشف خلالها قسـميه الوسطى و الجنوبى مع بعض الأقسام المتفرقه، و اظهر قاعه العرش و غرف التشريفات و الحمام و دور الحريم. كما عثر على آثار كثيره و رسوم و زخارف بـديعه و مواد خزفيه ثمينه. الا ان اسـتمرار الناس على اقتلاع الآجر من جـدران القصـر و اسـسه لاسـتعمالها فى بناياتهم لم يبق من الغرف و القاعات التى اكتشـفها هرزفيلد شـيئا غير الركام و الانقاض الكلسـيه. و لم يبق ما يسـتلفت الزائرين بين اطلال القصـر المذكور سوى الأواوين القائمه فى مدخل القصـر المطل على السـهل، و السـردابين المحفوران فى الجهتين الشـرقيه و الشماليه. اما بقيه اقسام القصر فقد اصبحت آكاما لا تظهر اوضاعها العامه الأ من الصور الجويه(١).

الأواوين القائمه:

ان أواوين القصر التى تكوّن باب العامه من اهم المبانى الشاخصه من بقايا القصر. و تتألف الجبهه من ثلاثه اواوين مدببه العقود، الايوان الوسطى كبير و مستطيل الشكل، طوله (٥ ر ١٧) م

١- سامرا لمديريه الآثار القديمه العامه/ ٥٠- ٥١.

و عرضه (۸) م، و جـداراه الجانبيان يحملان عقاده مدببه ترتفع ذروتها عن الارض (۱۲) م. و واجهته الامـاميه مفتوحه بكاملها و مطله على السـهل، و ضلعه الخلفيه مسدوده بجدار شاقولى ينفتح فيه باب كبير يبلغ عرضه (۸ ر ۳) م و ارتفاعه (۷) م اما الايوانان الجانبيان فهما اقل عرضا و عمقا من الايوان الوسطى. فان عرض واجهه كل منهما (۵ ر ۴) م و لا يتجاوز عمقهما (۴) م. و تكوّن العقـاده التى تعلو الجـدران الثلاـثه نصف قبه. و يوجـد فى الجـدار الخلفى باب مرتفع تعلوه نافـذه، و هو يفضـى الى قاعه خلفيه كبيره مدببه العقد، مثل عقد الايوان الوسـطى. و فى جانب الايوان الشـمالى باب آخر يفضى الى غرفه مربعه متصله بغرف اخرى ظهرت جدرانها الباقيه عند رفع الانقاض فى سنه ۱۹۳۷. كما يوجد بجانب الايوان الجنوبى سلسله غرف ظهرت جدرانها كذلك عند رفع الانقاض فى السنه المذكوره(۱).

كان الباب الذى يقع خلف الايوان الوسطى يؤدى الى سلسله قاعات كبيره توصل الى غرف الخليفه و قاعه العرش. الا ان جدران هذه الغرف و القاعات و الممرات التى بينها قد اندرست تماما. و كان يوجد فوق هذه الاواوين طابق آخر لأن احد جدرانها كان قائما الى علو سته امتار حتى عهد قريب. و يظهر هذا الجدار فى الصور التى اخذت للاواوين قبل الحرب العالميه الاولى. و كانت الاواوين المذكوره مزدانه بزخارف جصـيه شاهد (فيوله) قسما منها فى محلها. و عثر هرزفيلد على بعض منها بين الانقاض خلال تنقيباته. كما عثرت مديريه الآثار القديمه على قسم آخر عند ما رفعت الانقاض لتجميل منظر الاواوين و تقويه اسس الجدران.

و قد ظهرت على جدران الغرفه المتصله بالغرفه المربعه التى اشير

۱- نفس المصدر/ ۵۳.

الیها آنفا، زخرفه جداریه بدیعه نقلت الی دار الآثار العربیه(۱).

باب العامه:

ان الاواوین المبحوث عنها کانت بمثابه مدخل القصر، و کانت تسمی «باب العامه» و الساحه التی امام الأواوین تکون شرفه تطل علی السهل. و تلاحظ هناک معالم الدرج العریض الذی یصل القصر بالسهل، و البرکه الکبیره التی کانت تبدأ من اسفل الدرج المذکور، و تتصل من منتصف ضلعها الغربیه بساقیه منتظمه تمتد علی طول (۴۰۰) م حتی تصل الی شاطی ء دجله(۲).

و کانت الساحه الواسعه الممتده امام باب العامه قد اتخذت میدانا عاما کما تدل الحوادث التی جرت فیها. فقد شهر بها ببابک الخرمی لما قبض علیه و جی ء به الی سامرا فی اوائل سنه (۲۲۳ ه) و اراد المعتصم باللّه ان یشهر به و یریه للناس، فأمر بحمله علی فیل من المطیره، حیث انزله القائد الأفشین فی قصره، الی دار العامه «فاستشرفه الناس من المطیره الی باب العامه فأدخل دار العامه الی امیر المؤمنین»(۳) فقتل صبرا. کما کان یصلب بها بعض المحکوم علیهم، فعند ما مات الأفشین فی الحبس «اخرجوه فصلبوه علی باب العامه لیراه الناس، ثم طرح بباب العامه مع خشبته»(۴).

و کانت تنصب بها رؤوس بعض القتلی من الثوار و الخارجین علی الدوله. فعند ما قتل یحیی بن عمر الطالبی الذی خرج فی الکوفه فی سنه (۲۵۰ ه) «نصب رأسه بباب العامه بسامرا»(۵) و لما قتل

۱- نفس المصدر/ ۵۴.

۲- سامرا لمدیریه الآثار القدیمه/ ۵۵.

۳- الطبری ۹/ ۵۲- ۵۳، و العیون و الحدائق/ ۳۸۸.

۴- الطبری ۹/ ۱۱۴.

۵- الطبری ۹/ ۲۷۰.

القائد صالح بن وصیف فی سنه (۲۵۶ ه) «حمل رأسه علی قناه و طیف به ... و نصب بباب العامه ساعه ثم نحی، و فعل به ذلک ثلاثه ایام تتابعا»(۱).

کما کانت تضرب اعناق المجرمین، و یجلد بعض المغضوب علیهم بباب العامه. ففی سنه (۲۵۸ ه) «ضرب عنق قاض لصاحب الزنج کان یقضی له بعبادان، و اعناق اربعه عشر رجلا من الزنج باب العامه بسامرا»(۲). و عند ما أمر القائد صالح بن وصیف بضرب الکاتبین احمد بن اسرائیل و عیسی بن ابراهیم، فی سنه (۲۵۵ ه) «أخرج احمد بن اسرائیل و ابو نوح عیسی بن ابراهیم الی باب العامه، فقعد صالح بن وصیف فی الدار و وکل بضربهما حماد بن محمد بن حماد بن دنقش»(۳). و لما خالف القائد الترکی کنجور فی سنه (۲۵۹ ه) و کان والیا علی الکوفه و قتل، «الزم کاتب له نصرانی مالا، ثم ضرب هذا الکاتب فی شهر ربیع الآخر بباب العامه الف سوط فمات»(۴).

و کان الباب المذکور یتخذ احیانا للتظاهر ضد السلطه.

فعند ما ادعی احد المشعوذین انه ذو القرنین فی سنه (۲۳۵ ه) «خرج من اصحابه بباب العامه رجلان .. و زعما انه نبی»(۵).

و لما بویع للمستعین باللّه فی سنه (۲۴۸ ه) تظاهر عدد من مؤیدی المعتز بن المتوکل علی اللّه، و شهروا السلاح، تصدی لهم الاشروسنیه من الجند، و نفر علی باب العامه عدد من المبیضه و الشاکریه

۱- نفس المصدر/ ۴۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۴۹۰، و المنتظم ۵/ ۸.

۳- الطبری ۹/ ۳۹۷.

۴- الطبری ۹/ ۵۰۲.

۵- الطبری/ ۱۷۵، و الکامل ۷/ ۵۰.

و كثروا، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه فشتتوهم و هزموهم(۱).

قاعه العرش:

تتكون قاعه العرش من غرفه كبيره وسطى مربعه الشكل محاطه بأربع قاعات على شكل الحرف T . و يرجح ان الغرفه الكبيره كانت تعلوها قبه. و قد عثر فى اطلال هذه القاعه على بقايا من اطار من رخام جميل و زخارف جصيه. و كانت امثال هذه القاعات التى على شكل الحرف T توجد فى البيوت كذلك كقاعات للاستقبال. و عثر فى هذه القاعات على بقايا زخارف جصيه جميله فى بواطن الاقواس، او مما كان يزين الجدران.

و كانت توجد بين اذرع التقاطع قاعات صغرى مزينه بافاريز من الواح و بلاطات رخاميه. و هناك غرفه صغيره مزينه جدرانها بزخارف جصيه، و بها محراب، مما يدل على انها اتخذت مسجدا للخليفه(۲).

جناح الحريم:

ان ما تم التنقيب عنه فى القسم الخاص بالحريم من القصر اظهر انه كانت تمتد على جانبى الجناح الشرقى و الجناح الغربى من هذا القسم غرف عديده متماثله، اعيد بناؤها عده مرات، معده للسكنى. و كلها مجهزه بالمياه بمواسير كبيره من الرصاص، تتصل بها انابيت بعضها من الزجاج الأزرق و بعضها من الفخار.

كما ان هناك حجرات للاستحمام و الغسيل و دورات للمياه. و فى

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۷، و الكامل ۷/ ۱۱۷- ۱۱۸.

۲- ۳۶۲: Creswell ,E .M .A .P

القسم الجنوبی من هذا الجناح مقابل قاعه العرش غرفه مربعه لها اربعه ابواب واسعه، فی وسطها حوض کبیر محاط بممشی طول ضلعه (۲۱) م، تحیط به اربعه اعمده رخامیه من کل جانب.

و هذا الحوض من الکرانیت المصری یعود الی عهد الفراعنه. و کانت جدران هذه الغرفه مزینه بصور الاشخاص(۱).

الساحه الکبری:

و هناک قاعه کبیره اخری فی القصر، مستطیله یبلغ طولها حوالی (۳۸) م و عرضها (۵ ر ۱۰) م، تقع امام القاعده الشرقیه من قاعات العرش، و تفتح بخمسه ابواب علی ساحه واسعه مکشوفه، طولها (۳۵۰) م و عرضها (۱۸۰) م. و هی محاطه بجدران من الشمال و الجنوب، و یوجد علی مسافه کل عشرین مترا تقریبا برج نصف دائری شید لاسناد هذه الجدران. و هناک عده ابواب فی کل من هذین الجدارین تؤدی الی الابنیه المجاوره التی کانت تستخدم کثکنات للجند من حرس القصر، او مخازن للاسلحه و غیرها. و قد زینت بعض اقسام هذه الساحه بحدائق من الازهار، و برک و فوارات مصنوعه من الرخام.(۲)

و کانت هذه الساحه الواسعه مقسمه بقناه الی قسمین: القسم الغربی و هو مبلط و تزینه نافورتان، و القسم الشرقی و هو غیر مبلط و به عدد من القنوات الصغیره، یمکن ان یستدل منها علی ان هذا الجزء من الساحه کان حدیقه واسعه.

و یری هرزفیلد انه کان فی الساحه الکبری هذه ثلاثه مساجد لم تکن محاریبها علی سمت القبله تماما(۳).

۱- نفس المصدر.

۲- نفس المصدر.

۳- ری سامراء ۱/ ۷۱.

السردابان:

و من مشتملات قصر الخليفه سردابان احدهما صغير و الآخر كبير. و يقع السرداب الصغير فى الجهه الشرقيه للساحه الكبرى باتجاه محور الايوان الكبير و على بعد (۶۰۰) م منه. و يسميه الناس الزندان و الهبّيه- اى الهاويه- و هاويه السباع. و يتكون هذا السرداب من حفره مربعه الشكل نقرت فى الصخر، يبلغ عمقها نحو (۱۰) امتار و طول ضلعها نحو (۲۱) م. و قد فتح على جدار من جدرانها الاربعه ثلاثه اواوين او كهوف نقشت على جدرانها زخارف جصيه. و تتوسط الحفره بركه كبيره مستديره. و ينزل الى السرداب و يصعد منه بسلمين متصلين بدهليز منتظم. و كان مدخل هذا السلم يقع فى غرفه جميله زينت جدرانها برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس. و هذه الغرفه جزء من المبانى التى تحيط بفتحه السرداب من جهاته الاربع. و السرداب محاط بصفوف متوازيه من الغرف العديده التى يرجح انها كانت اصطبلات لدواب القصر(۱).

و يمكن القول ان تسميه هذا السرداب بهاويه السباع انه كان هناك عدد من السباع بالقرب منه، و ربما انها كانت تأوى اليه، و قد ورد فى الأخبار ما يؤيد ذلك. فان الخليفه المهتدى باللّه امر بقتل السباع التى كانت فى دار السلطان و طرد الكلاب(۲).

اما السرداب الكبير فانه يقع فى الجهه الشماليه الغربيه للسرداب الصغير، شمالى شرقى الاواوين. و هو حفره اكبر و اعمق من الحفره السابقه، تحيط بها بنايه مربعه الشكل كثيره التقسيمات، يبلغ طول ضلعها (۱۸۰) م. و فى وسط ارضيه هذا

۱- سامراء لمديريه الاثار العامه/ ۵۷- ۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۴۰۶، و الكامل ۷/ ۲۰۳.

السرداب برکه مستدیره واسعه یبلغ قطرها نحو (۸۰) م تتصل بکهریز تحت الارض. و فی القسم الاعلی من السرداب عدد من الغرف الصغیره یحیط بالجهه الداخلیه من جدران البنایه، و بعضها مسقف بعقود متقاطعه. و فی الزاویه الشمالیه الشرقیه للسرداب آثار بنایه اخری کثیره التقسیمات و یعتقد انها کانت الخزانه العامه(۱). و قد اشار الیعقوبی الی ان الخزائن الخاصه و خزائن العامه کانت فی شارع السریجه ممایلی الدار العامه(۲). التی بنیت علی ارض الدیر التی اشتراها المعتصم باللّه قبل بناء سامرا، و صار الدیر بیت المال(۳). کما ذکر الطبری و ابن الأثیر فی حوادث سنه (۲۳۱ ه) ان قوما من اللصوص نقبوا بیت المال فی دار العامه فی جوف القصر و اخذوا اثنین و اربعین الفا من الدراهم و شیئا یسیرا من الدنانیر(۴).

و یری هیرزفیلد ان الابنیه التی کانت فی الرکن الشمالی الغربی للسرداب الکبیر تؤلف ثکنات الجیش و یرجح انها ثکنات للخیاله، اما ثکنات الجند المشاه فتفصلها عنها قطعه من الارض خالیه من البناء. و کانت هذه الثکنات تقع الی جانب الشارع الأعظم الذی یوصلها بالقصر، و هی تشرف علی الحدیقه و شاطی ء دجله. و کانت هذه الثکنات تتألف من (۶۰۰) قاعه ینزلها نحو (۳۰۰۰) من الجنود(۵).

و یقول الدکتور سوسه ان البرکتین المذکورتین فی السردابین قد انشئتا علی عهد المتوکل علی اللّه، و دلیله علی ذلک ان القناه التی

۱- سامراء لمدیریه الآثار العامه/ ۵۸.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۱.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۲۵۵.

۴- الطبری ۹/ ۱۴۰، و الکامل ۷/ ۲۳.

۵- ری سامراء ۱/ ۷۱.

تمونهما بالمياه انشئت فی عهد الخليفه المذكور، و هی تبدأ من نهر دجله من فوق الدور، و تنتهی بسامرا(۱).

ساحه اللعب و حلبه السباق:

توجد فی منتهی قصر الخليفه من جهته الشرقيه و خلف السرداب الصغير او هاويه السباع، ساحه مسوره مستطيله الشكل يبلغ طولها (۵۳۰) م و عرضها (۶۵) م. و هذه الساحه المسوره لا تقطع محور القصر بصوره عموديه، بل تنحرف قليلا. و يغلب على الظن انها كانت معده للألعاب و لا سيما للعب كره الصولجان التی كان يمارسها آنذاك الخلفاء و الوزراء و قواد الجيش. و يلاحظ فی منتصف القسم الخلفی من سور هذه الساحه آثار بنايه مرتفعه بعض الارتفاع، يظهر انها كانت معده للتفرج منها على الالعاب و المسابقات، لأنها كانت مطله على الساحه المذكوره من جهه، و على حلبه السباق التی تمتد خلف القصر من جهه أخرى(۲).

اما حلبه السباق فكانت تبدأ من امام هذه البنايه و تمتد الى مسافه خمسه كيلومترات و نصف الكيلومتر، و تكون منحنيا منتظما مسدودا، يبلغ طول محيطه (۵ ر ۱۱) كيلومتر. و تشاهد معالم هذه الحلبه الطويله بوضوح عند تتبع الآكام الصغيره الممتده خلف قصر الخليفه(۳).

و كانت حلبه السباق مستطيله تمتد طولا نحو جهه الشرق، و تبدأ فی اولها عند القصر ضيقه ثم تتسع تدريجيا حتى تبلغ اقصى سعتها فی نهايتها(۴).

۱- نفس المصدر/ ۷۰.

۲- سامرا- الآثار القديمه العامه/ ۵۹.

۳- نفس المصدر.

۴- ری سامراء ۱/ ۷۱.

زخارف دار العامه:

ان فخامه الزخارف التی وجدت فی غرف القصر و قاعاته قلما یوجد مثلها. فقد زینت معظم جدران القاعات و الغرف بزخارف جصیه، اما جدران غرفه العرش فقد کانت زخارفها من الرخام المنحوت. و لوحظ ان جدران بعض الغرف مکسوه بالبلاط الرخامی. و کانت الاجزاء العلیا من جدران غرف الحریم تغطیها لوحات جداریه لصور الأشخاص و الحیوانات، و قد عثر علی اجزاء من تلک اللوحات.

و کانت جمیع الأجزاء الخشبیه کالابواب و الدعامات و السقوف من خشب الصاج المنحوت و المدهون، و بعضه مذهب، و قد عثر علی کسر صغیره من البرنز المذهب. کما وجدت کتابات محفوره علی الخشب، و علی قسم منها اسماء صانعیها من الحرفیین بعضها بالعربیه و بعضها بالسریانیه او الیونانیه(۱).

۲- الجوسق الخاقانی:

عند ما ارتحل المعتصم باللّه من القاطول الی سر من رأی وقف فی الموضع الذی فیه دار العامه و کان فیه دیر للنصاری فاشتری الأرض من أهل الدیر و اختط فیها، ثم صار الی موضع قصر الجوسق علی دجله و بنی هناک عده قصور(۲). و یستدل من هذا ان دار العامه بنیت علی ارض الدیر، ثم بنی قصر الجوسق فی موضع آخر علی شاطی ء دجله. ای ان دار العامه و الجوسق الخاقانی قصران مختلفان. الا ان الآثاری کریزویل استاذ العماره الاسلامیه فی

۱- ۶۶۲ - ۵۶۲: Creswell ,Ibid ,P .

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۳.

جامعه فؤاد الأول بالقاهره اعتبر قصر العامه اسما آخر للقصر الخاقانی، لأن ما ذکره فی کتابه

Ashort Account of Early Muslim Architecture

تحت عنوان: الجوسق الخاقانی (او قصر المعتصم) انما یتعلق بدار العامه و لا صله له بقصر الجوسق.

لقد کان قصر الجوسق من اهم القصور التی شیدها المعتصم باللّه فی سامرا. و قد اختار له موضعا یقع علی ضفه دجله الشرقیه جنوبی دار العامه مطلا علی الحیر، و یشغل المساحه التی بین شاطی ء دجله و الحیر و هی مساحه واسعه جدا(۱). و قد اتخذه المعتصم باللّه مقرا له فسکن فیه طیله خلافته، و لما توفی دفن فیه(۲). و قد وصف الجوسق(۳). کما سکنه المعتز باللّه من بعده(۴)، و سکنه کذلک عرطوج ابی الفتح بن خاقان، امور بنائه و الاشراف علیه. و کان قد اقطعه و اصحابه الاراضی التی تلی الجوسق(۵). فبنوا فیها قصورهم و مساکنهم.

و قد اتخذ اغلب خلفاء سامرا بعد المعتصم باللّه هذا القصر سکنا لهم. فقد سکنه الواثق باللّه فی اول خلافته ثم انتقل الی قصره الهارونی الذی شیده، و فیه دفن عند وفاته(۶). و عند ما کان المنتصر امیرا سکن فی قصر الجوسق(۷)، و لما بویع بالخلافه سکن فی القصر المحدث و فیه کانت وفاته(۸). و یظهر من الأحداث المهمه التی وقعت فی ایام المستعین بالله انه کان یسکن فی قصر

۱- ری سامراء ۱/ ۷۴.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۸، و مروج الذهب ۴/ ۴۶ و ۶۳.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۸۰ و ۲۸۴ و الکامل ۷/ ۱۱۹ و ۱۲۳ و ۱۳۹ و ۱۴۲.

۴- الطبری ۹/ ۳۸ و الکامل ۷/ ۱۹۹.

۵- کتاب البلدان/ ۲۵۸.

۶- الطبری ۹/ ۱۵۱، و الکامل ۷/ ۳۰.

۷- الطبری ۹/ ۲۱۷.

۸- الطبری ۹/ ۲۵۴.

الجوسق(۱). كما سكنه المعتز باللّه من بعده(۲) و سكنه كذلك المهتدى باللّه، و قد تكرر ذكر الجوسق كثيرا فى حوادث الخلاف الذى نشب بين الخليفه و القواد الأتراك(۳). كما سكن فيه المعتمد على اللّه اغلب ايام خلافته، قبل ان يبنى قصر المعشوق(۴).

و كان المعتصم باللّه قد بنى فى الجوسق سجنا لحبس قائده الأفشين الذى اتهم بالتآمر و الخروج على الاسلام و سماه (سجن لؤلؤه) ثم عرف بعد ذلك بالأفشين.(۵). و يظهر ان هذا السجن خصص لسجن الامراء و القواد و السياسيين المغضوب عليهم. فقد حبس المستعين باللّه المعتز و اخاه المؤيد فى حجره الجوسق. و وكل بهما(۶). و حبس المعتز باللّه اخويه المؤيد و الموفق فى الحبس المذكور(۷). و لما خرج القائد التركى كنجور و قبض عليه امر المعتز باللّه بحبسه فى الجوسق(۸).

و لا شك فى ان اطلال الجوسق و بقاياه كانت من ابرز و أوسع المواقع الأثريه فى سامرا. الا ان قرب تلك الأطلال من مدينه سامراء الحاليه كان اهم اسباب ازاله معالم تلك الأطلال. اذ استخرج الناس كل ما فيها من آجر و مرمر و ما يصلح للبناء و نقلوه الى المدينه الجديده التى شيدت فوق اطلال قسم من سامرا القديمه، و استعملوه فى بناء بيوتها، و فى انشاء السور الضخم حولها.

و يرجح ان جزءا من مدينه سامراء الحاليه قد بنى على طرف من

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۸ و ۲۵۹ و ۲۸۰ و ۲۸۴، و الكامل ۷/ ۱۱۹ و ۱۲۳ و ۱۳۹ و ۱۴۲.

۲- الطبرى ۹/ ۳۸،، و الكامل ۷/ ۱۹۹.

۳- الطبرى ۹/ ۴۵۲ و ۴۵۵ و ۴۵۷ و ۴۵۹ و ۴۶۱ و ۴۶۷ و ۴۶۹.

۴- الطبرى ۹/ ۵۰۷ و ۵۴۱ و ۶۲۲.

۵- الطبرى ۹/ ۱۰۶.

۶- الطبرى ۹/ ۲۵۹ و ۲۸۴، و الكامل ۷/ ۱۱۹ و ۱۴۲.

۷- الطبرى ۹/ ۳۶۱.

۸- نفس المصدر/ ۳۷۲.

ارض قصر الجوسق، مما ادی الی محو معالم القصر محوا یکاد یکون کاملا(۱).

و من الادله علی اهمیه قصر الجوسق من حیث موقعه و مساحته بالنسبه لقصور سامرا الاخری، ان المکتفی باللّه لما اتجهت نیته الی الانتقال الی سامرا و اعاده بنائها، و خرج الیها فی سنه (۲۹۰ ه) و معه الصناع یرید البناء بها، ضربت له المضارب فی الجوسق، و ابدی الرغبه فی البناء فیه الا ان وزیره ثناه عن عزمه(۲).

و مما یجدر ذکره ان یاقوت الحموی یذکر بین القصور التی بناها المتوکل علی اللّه فی سامرا قصرا باسم الجوسق، و یقول ان المتوکل علی اللّه انفق علیه خمسمائه الف درهم(۳). و یظهر من ذلک ان هناک قصرین باسم الجوسق، احدهما من ابنیه المعتصم باللّه و هو الجوسق الخاقانی، و الآخر من ابنیه المتوکل علی اللّه انشأه بالقرب من الجوسق الکبیر، فی احدی ساحاته(۴).

۳- قصر الجص:

اشاره

کان الموقع المعروف باسم الحویصلات الواقع فی الجهه الغربیه من نهر دجله علی بعد سبعه عشر کیلومترا شمالی محطه قطار سامراء الحالیه، یلفت النظر باطلاله العالیه و ما یشغله من مساحه واسعه مما یوحی بانه بقایا احد قصور خلفاء سامرا ایام کانت عاصمه الدوله العربیه. و قد لوحظ ان موقعه ینطبق علی موقع «قصر الجص» الذی ذکره یاقوت الحموی بانه «قصر عظیم قرب سامرا فوق الهارونی بناه المعتصم للنزهه»(۵). و قال عنه سهراب

۱- ری سامراء ۱/ ۷۸.

۲- الطبری ۱۰/ ۹۸، و الکامل ۷/ ۵۲۹، و المنتظم ۶/ ۳۸.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۴- ری سامراء ۱/ ۷۸.

۵- معجم البلدان ۴/ ۳۵۶.

فی معرض کلامه عن نهر الاسحاقی «ثم یمر فی غربی دجله علیه ضیاع و عمارات، و یمر بطیرهان، و یجی ء الی قصر المعتصم باللّه المعروف بقصر الجص، و یسقی الضیاع التی هناک فی غربی سر من رأی»(۱).

لقد استرعی الموقع المذکور اهتمام دائره الآثار القدیمه فأوفدت بعثه للتنقیب فیه فی اوائل نیسان سنه ۱۹۳۶. فکشفت البعثه بما قامت به من الحفریات و التحریات عن بقایا قصر عظیم.

و استطاعت ان ترسم له مخططا یوضح اقسامه و محتویاته مع ابعادها، علی ضوء ما عثرت علیه من اسس الجدران و بقایا زوایاها، و تعرفت علی المواد المستخدمه فی بنائه. و قد تأکد لدی الدائره المذکوره ان هذا القصر هو قصر الجص الذی ذکره سهراب و یاقوت الحموی(۲).

یتکون القصر من بنایه مربعه الشکل تتوسط ساحه مسوره، و یبلغ طول ضلع البنایه (۱۴۰) م. اما طول السور الخارجی فیقدر بنحو (۳۷۰) م. و یظهر من ذلک ان مساحه القصر لا تقل عن (۱۹۰۰۰) متر مربع. اما مساحته مع حدائقه و ساحاته و سوره الخارجی فتربو علی ثلاثین و مائه الف متر مربع. و قد جرفت میاه نهر دجله الزاویه الشمالیه الشرقیه من القصر و ازالت معالم السور الخارجی من الجهتین الشمالیه و الشرقیه کما ازالت الضلع الشمالیه من السور الداخلی و معظم الضلع الشرقیه منه ایضا(۳).

و یظهر من التخطیط الذی وضعته دائره الآثار القدیمه لما کشفته الحفریات عن بقایا هذا القصر، انه کانت فی مرکز بنایه

۱- عجائب الاقالیم السبعه/ ۱۲۷.

۲- حفریات سامراء ۱/ ۱۱.

۳- نفس المصدر.

القصـر قاعه مربعه كبيره طول كل ضلع من اضلاعها (۴۰ ر ۱۵) م، و جدرانها سـميكه جدا يبلغ سمكها (۲۰ ر ۲) م، و يظهر انها كانت تحمل قبه مرتفعه، و يرجـح ان قاعـده القبه كانت تحتوى على عدد من النوافذ لاناره القاعه. و تتصل هذه القاعه المركزيه من اواسط اضـلاعها الأربع باربع قاعات مسـتطيله، بواسـطه اربعه مداخل كبيره عرض كل مدخل منها (۶۰ ر ۳ م). علما ان طول القاعات المستطيله (۶۰ ر ۱۶) م و عرضها (۶۰ ر ۶) م. و كل واحده من هذه القاعات المسـتطيله تتصل بدورها من وسط ضلعها الطويـل بايوان مسـتطيل مكشوف طوله (۸۰ ر ۷) م و عرضـه (۲۰ ر ۶) م. و كل ايوان يفتح على صـحن واسع مسـتطيل الشـكل مكشوف طوله (۸۰ ر ۲۲) م و عرضه (۸۰ ر ۱۸) م. و ينتهى كل صحن منها بثلاث غرف مستطيله تفضى الوسطيه منها الى دهليز ينتهى الى الخارج ببابين متناظرين يكونان مـدخل القصـر فى كل جهه من جهاته الأربع. و تمتد امام البابين دكه عريضه تشـرف على الساحات الممتـده بين القصـر و السور الخارجى. و توجـد فى طرفى كل ايوان غرفتان تفضـيان الى الصـحن. كما يوجد فى منتهى كـل قـاعه من القاعـات المسـتطيله التى تحيـط بالقاعه المركزيه قاعه مربعه الشـكل توصل بين القاعات المـذكوره بعضـها ببعض. و تؤلف هذه الاقسام حول القاعه المركزيه شـكلا مصـلبا تام التناظر. اما المساحه الباقيه بين اضـلاع المصـلب فينقسم كل منها الى عده بيوت مرتبه كالآتى:

۱- القسم المحصور بين الصـحن الشـرقى و الصـحن الجنوبى، اى فى الجهه الجنوبيه الشـرقيه من القصـر، فيه عشره بيوت يتراوح عـدد غرفها بين الست و الثمانى غرف. و يسـتقل كل بيت منها بمـدخل خاص و حمام و دوره مياه. و تفتـح مـداخل بعض هـذه البيوت على الممر الممتـد على طول السور الداخلى للقصـر، بينما تفتح مداخل البعض الآخر على ممر خاص عمودى على السور المذكور، و تنفذ الى القصر.

۲- القسم المحصور بین الصحن الغربی و الصحن الجنوبی، ای فی الجهه الجنوبیه الغربیه فانها تختلف عن ذلک، لأنها تتکون من قاعات و حمامات کبیره عوضا عن بیوت صغیره.

۳- القسم المحصور بین الصحن الغربی و الصحن الشمالی و هو یشبه تقسیمات الزاویه الجنوبیه الشرقیه و البیوت فیه متناظره مع بیوت ذلک القسم.

۴- القسم المحصور بین الصحن الشرقی و الصحن الشمالی، ای فی الجهه الشمالیه الشرقیه من القصر، فقد اندرس، و یغلب علی الظن ان تقسیماته شبیهه بالزاویه الجنوبیه الغربیه. بالنظر للتناظر المشاهد فی الأقسام المعلومه من مخطط القصر(۱).

السور:

کان السور الذی یحیط بالقصر مدعما بمائه برج، اربعه منها کبیره و مستدیره، قطر کل منها ثلاثه امتار، و البقیه صغیره مستطیله. و الابراج الصغیره موزعه علی اساس (۲۴) برجا لکل ضلع من اضلاع السور الاربع. و هی منشوریه الشکل طولها متران و عرضها (۴۰ ر ۱) م. و مما یلفت النظر انها منفصله عن جدار السور بمقدار ۸۰ سم، مما یحمل علی الاعتقاد بانها کانت تتصل بالجدار بواسطه عقود خاصه. اما السور الخارجی فلم یکشف منه سوی برجین أثنین فقط، قطر کل منهما ثمانیه امتار، و المسافه بینهما (۲۵) مترا(۲).

مواد الأبنیه:

ان الابنیه الرئیسه للقصر کالبهو و القاعات و الدواوین مبنیه بالآجر و الجص. و ابعاد الآجر المستعمل هی (۲۵* ۲۵* ۷) سم،

۱- حفریات سامراء ۱/ ۱۲- ۱۳.

۲- حفریات سامراء ۱/ ۱۴.

و اما سائر جدران القصر فهی مبنیه بالحصی الممزوج بالجص بشکل یشبه الخرسانه. و قد استعمل فی بناء الأسس النوره و الرماد عوضا عن الجص. اما السور الخارجی فکان مبنیا باللبن(۱).

تبليط الأرض:

بلطت ارض البهو و القاعات و الأواوین بالآجر المربع الشکل، و طول ضلع الأجره (۳۶) سم. و حاله الآجر المستعمل تدل علی اتقان کبیر فی صناعته، کما ان عملیه التبلیط کانت قد تمت بصوره متقنه جدا. و قد بلطت سائر اقسام القصر بطبقه من الجص المخلوط بالرمل، و یلاحظ ان هذه الطبقه الجصیه قد کسیت بطبقه من القار فی الحمامات و دورات المیاه(۲).

طلاء الجدران:

لقد ظهر للمنقبین ان الجدران کانت مطلیه بطبقه من الجبس بصوره عامه. و ان جدران القاعات منقوشه بزخارف محفوره فی طبقه الجبس. اما جدران الغرف الصغیره فعاریه عن الزخارف، الا انه یلاحظ ان ابوابها کانت محاطه باطارات جبسیه بارزه ذات اشکال متنوعه. و قد لوحظ ان اقسام الجدران الواقعه خلف الزخارف الجبسیه قد طلیت بالقار، لمنع تأثیر الرطوبه علیها، کما لوحظ ان خلف الزخارف سلسله من المسامیر مغروزه فی الجدار. و لا شک فی ان القصد منها ضمان ثبات التصاق الزخارف بالجدران لمنع انفصالها و سقوطها. و یمکن ان یستنتج من ذلک ان بعض تلک الزخارف کانت تعمل علی قوالب خاصه اولا، ثم تثبت

۱- نفس المصدر.

۲- نفس المصدر.

حسب الحاجه علی الجدران. و مما هو جدیر بالملاحظه ان استعمال هذه المسامیر و القار لم یظهر خلف الزخارف التی اکتشفت فی اطلال سامرا فی جانبها الشرقی. و سبب ذلک ان انخاض مستوی الأرض فی الجانب الغربی من دجله بالنسبه للضفه الشرقیه، ساعد علی تکوین الحدائق و البساتین، غیر انه جعل البنایات معرضه لتأثیر الرطوبه بطبیعه الحال. و یظهر ان الرغبه فی التوقی من تأثیر الرطوبه علی الزخارف الجصیه هی التی حملت البنائین علی اتخاذ مثل هذه التدابیر(۱).

الزخارف الجداریه:

تتکون عناصر الزخارف المستعمله فی تزیین جدران القصر من اوراق العنب و عناقیده بوجه عام. غیر ان کیفیه توزع و تعاقب هذه الاوراق و العناقید تأخذ اشکالا متنوعه جدا. کما ان تنظیمها الهندسی یضفی علیها جمالا أخاذا. و تحاط المنطقه المزخرفه دوما باطار جبسی یتألف من سلسله حلقات او ضفائر مختلفه الأشکال.

و مما یجدر ذکره ان الزخارف الجبسیه التی ظهرت بین انقاض القصر الفوقانی مکونه من اوراق و عناقید مثل زخارف القصر التحتانی الا انها اکثر دقه و تعقیدا. فان بعض الاوراق فی هذه الزخارف تأخذ اشکالا تزیینیه جمیله جدا، حیث تکون وردات مجتمعه حول مرکز واحد. کما ان العناقید تقع فی وسط الوردات و فوق الأوراق. و یستدل من تعقد الزخرفه و اتقانها ان هذه البنایه احدث عهدا من القصر التحتانی(۲). و ربما کان هذا القسم العلوی بمثابه قصر للنزهه و التفرج، یصعد الیه الخلیفه بین حین

۱- نفس المصدر/ ۱۵.

۲- نفس المصدر/ ۱۷.

و آخر ليشرف على ساحات القصر و حدائقه، و على نهر دجله و مدينه سر من رأى(۱).

۴- قصور المعتصم باللّه الاخرى:

كان المعتصم باللّه عند ما شرع ببناء مدينه سامرا طلب الى المهندسين ان يختاروا من الاراضى اصلحها و أنسبها لأنشاء عدد من القصور عليها. فاختاروا عده مواضع، و صير الى عدد من كبار اصحابه بناء قصر، فصير الى خاقان عرطوج بناء الجوسق الخاقانى، و الى عمر بن فرج بناء القصر الذى سمى بالعمرى، و الى ابى الوزير احمد بن خالد بناء القصر الوزيرى(۲). و قد ذكرنا ما توفر لدينا من المعلومات عن الجوسق الخاقانى، الا ان بقيه القصور المشار اليها لم يعثر على شى ء من اطلالها، و لم يكن لها نصيب من اعمال الحفريات و التنقيب. كما اننا لا نجد عنها فى مصادرنا الأوليه شيئا يتعلق ببنائها او محتوياتها و اوصافها سوى ذكرها عند الكلام عن بعض الاحداث التى وقعت فى سامرا. فقد ورد ذكر القصر العمرى فى حوادث سنه (۲۲۴ ه) عند ما تزوج الحسن بن الأفشين من اترنجه بنت اشناس، اذ يقول الطبرى «و دخل بها فى العمرى قصر المعتصم»(۳). و فى حوادث سنه (۲۴۸ ه) لما بويع للمستعين باللّه و ثار فى دار العامه جمع من فرسان الشاكريه و الطبريه و معهم عدد جم من الغوغاء و السوقه داعين للمعتز بن المتوكل على اللّه، فشد عليهم المغاربه و الاشروسنيه، و انصرف الأتراك ممن بايعوا المستعين باللّه مما يلى العمرى و البساتين(۴). و يفهم من هذه

۱- نفس المصدر/ ۲۰.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۸.

۳- الطبرى ۹/ ۱۰۱.

۴- نفس المصدر/ ۲۵۶- ۲۵۷.

الاشاره ان القصـر العمری کان فی احد البساتین القریبه من دار العامه. اما عن القصر الوزیری فقد وردت فی الطبری اشارتان الی «الوزیریه» و لا ندری هل لهذا الموضع علاقه بالقصر المذکور.

و قد ذکر المسعودی ان المعتصم باللّه «لما استطاب الموضع دعا بأهل الدیر فأشتری منهم ارضهم باربعه الاف دینار، و ارتاد لبناء قصره موضعا فیها فأسس بنیانه و هو الموضع المعروف بالوزیریه»(۱).

و اولی الاشارتین فی الطبری کانت عنـد ما احصـی ما فی دار الأفشـین بعد ادانته و کان له بعض المتاع فی الوزیریه(۲). و کانت الاشاره الاخری عند ما وافی القائد موسی بن بغا فی رجاله للوثوب بالمهتدی باللّه، فصار الی قنطره فی ناحیه الوزیریه(۳).

۵- معسکر الاصطبلات و نهر الاسحاقی:

ان بقایا الاصـطبلات و اطلالها الممتـده علی الجانب الغربی من نهر دجله، علی بعـد (۱۵) کیلومترا جنوبی مـدینه سامراء الحالیه، هی بقایا معسـکر الجیش الـذی بناه المعتصم باللّه فی أثناء اقامته فی القاطول قبل ان یؤسـس مـدینه سامرا، ثم اکمله فیما بعـد. و مما یـدل علی اقامته هـذا المعسـکر فی تلک المده وجود کهاریز للماء وسط مبانی الثکنات تسـتمد میاهها من الینابیع الموجوده فی منطقه الجزیره غربی المعسکر و توصلها الی داخله، و ذلک قبل احیاء نهر الاسحاقی(۴). و عند ما قرر المعتصم بالله ان یترک منطقه القاطول و یتجه الی سامرا اکمل ابنیه المعسکر و اصطبلاته، و بنی له سورا خارجیا متینا و احاطه بخندق من المیاه.

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۴.

۳- نفس المصدر/ ۴۵۹.

۴- ری سامراء ۱/ ۱۰۱.

و یمکن القول ان سبب انشاء ثکنات الجیش و اصطبلاته فی الجانب الآخر من دجله هو نفس السبب الذی حمل المعتصم باللّه علی الانتقال من مدینه بغداد و العمل علی تأسیس مدینه جدیده تتسع لفصل مساکن الجند و ثکناتهم عن غیرهم من الناس، و عزل أقسام الجیش بحسب عناصرهم و اسکانهم متباعدین عن بعضهم، لکی یتلافی قیام المشاکل التی حدثت فی مدینه السلام.

و یظهر ان الاغراض التی توخاها المعتصم باللّه من احیاء نهر الاسحاقی کانت توفیر المیاه للمعسکر الواسع، و ان یقیم من مجراه خندقا علی محاذاه سوره الخارجی زیاده فی تحصینه بهذا الحاجز المائی الذی یحول دون الوصول الیه، و ذلک بحسب القواعد العسکریه التی کانت متبعه آنذاک.

لقد دلت التنقیبات التی اجریت فی اطلال معسکر الاصطبلات علی انه کان یتألف من مستطیل صغیر طوله (۵۰۰) م و عرضه (۲۱۵) م یتصل بمستطیل کبیر طوله (۱۷۰۰) م و عرضه ۵۵۰ م.

و ان المستطیل الصغیر کان مقسما الی سلسله من الأحواش. اما المستطیل الکبیر فکان مقسما الی ثلاثه اقسام متساویه تفصل بینها أسوار شبیهه بالاسوار الخارجیه للمعسکر. و ان المربع الشرقی من هذه الاقسام کامل البناء، اذ یشاهد فیه شارعان رئیسان یتقاطعان عند منتصفیهما باتجاه عمودی علی جدران السور و علی الشوارع الاربعه التی تمتد علی طول الاسوار. و تنقسم المربعات الاربعه المتکونه علی اضلاع هذین الشارعین المتعامدین الی اقسام عدیده بشوارع طولیه و عرضیه کلها متعامده او متوازیه. اما المربعان الآخران فأن الأوسط منهما قلیل البناء، و الغربی خال من البناء لا یری فیه سوی خطوط الشوارع(۱).

۱- سامراء لمدیریه الآثار العامه/ ۷۳- ۷۴.

و من الواضح ان (الاصطبلات) کان معسکرا کبیرا یحتوی علی ثکنات الجنود و دور الضباط و ساحات للخیم. کما کان یضم و لا ـ شک اصطبلات واسعه لدواب الجند، مع ساحات للتدریب، و مخازن للاسلحه و المؤن، و مرافق اخری مما تحتاجه المعسکرات عاده. فقد بنیت فیه من الثکنات ما یکفی لسکن (۲۵۰) الف جندی، و من الاصطبلات ما یکفی لایواء (۱۶۰) الف حصان(۱).

و کان یحیط بالمعسکر سور خارجی یبدأ من الشمال من حافه نهر دجله الغربیه فی المکان المعروف باسم «تل بندری» و یمتد علی مسافه (۲۶) کیلومترا غربی المعسکر، ثم ینتهی جنوبا عند حافه دجله الغربیه عند التل المسمی «تل مسعود» الواقع علی بعد (۱۳) کیلومترا جنوبی تل بندری. و کان هذا السور محصنا بابراج عدیده فی المداخل الرئیسه للمعسکر و فی المنعطفات. و من جمله هذه الابراج البرجان الواقعان فی اول السور عند تل بندری و فی منتهاه عند تل مسعود، و کانت المیاه تحیط بالمعسکر الذی تبلغ مساحته (۵۸) کیلومترا مربعا من جمیع جوانه. فنهرا دجله و دجیل یحدانه من الشمال و الشرق، و نهر الاسحاقی یحده من الغرب و الجنوب. و کان الاسحاقی اضافه الی احاطته سور المعسکر بحاجز مائی کخندق امامه، یمون المعسکر بحاجاته من المیاه.

و لتحقیق هذا الغرض کانت هناک ثلاثه فروع رئیسه له، تتفرع من ضفته الیسری فتخترق المعسکر، ثم یصب بعضها فی نهر دجله و بعضها فی نهر دجیل. و یتفرع الأول و هو الشمالی من نقطه تقع علی بعد کیلومترین تقریبا جنوبی شرقی المدخل الرئیس للمعسکر فی القسم الشمالی من السور، ثم یصب فی دجله. و یتفرع الاوسط من موضع یبعد حوالی کیلومترین جنوبی شرقی صدر الفرع

۱- مختصر تاریخ العرب/ ۲۴۸.

الشمالی و یخترق السور من تحته و یتجه الی الثکنات، و بعد ان یخترقها یصب فی دجله ایضا. و کان هناک ناظم خاص انشی ء علی نهر الاسحاقی جنوبی صدر هذا النهر مباشره لحجز المیاه امام الناظم و تحویلها الیه بمنسوب عال. و یشتمل هذا الناظم علی ثلاث فتحات لا تزال آثارها ظاهره. اما الفرع الثالث و هو الجنوبی فانه یتفرع جنوبی الناظم المذکور بکیلومتر و نصف تقریبا، و یسیر بین الاسحاقی و سور المعسکر، ثم یدخل المعسکر من تحت السور و یخترق قسمه الجنوبی الشرقی لیخرج من تحته ایضا الی خارج المعسکر. و بعد ان یخترق جدار المطبک و خندقه، و هو جدار قدیم ضخم مدعم بابراج، یتجه نحو نهر دجیل فیصب فیه علی مسافه اربعه کیلومترات من مقدم مصب نهر الاسحاقی فی نهر دجیل. و کما انشی ء ناظم علی الاسحاقی لحجز المیاه امامه و تحویلها الی هذا الفرع، فقد انشی ء ناظم خاص فی فوهه هذا الفرع لتنظیم المیاه التی تدخل فیه. و یستدل من آثار الناظمین المذکورین ان ناظم الاسحاقی یتألف من فتحتین، و ناظم صدر الفرع یتألف من فتحه واحده. و نظرا لسعه مساحه المعسکر و وفره المیاه فقد استعملت مساحه کبیره منه لاحداث مراع اصطناعیه لجیاد الجیش، فکانت الاراضی المخصصه للمرعی تغمر بمیاه فروع الاسحاقی(۱).

و الاسحاقی نهر قدیم یعود الی عصور سحیقه، کان فی اوله یتفرع من الضفه الیمنی لنهر دجله عند تکریت و یسیر جنوبا حتی ینتهی عند منخفض عقرقوف، بعد ان یروی القسم الأعظم من اراضی الجزیره الممتده بین دجله و الفرات شمالی سامرا. و قد اتت علیه عادیات الزمن فاهمل و اندثر، الا ان آثار مجراه کانت واضحه. و عند ما شعر المعتصم باللّه بحاجه الجانب الغربی من

۱- ری سامراء ۱/ ۹۴- ۹۹.

سامراء الی مزید من المیاه لری المزارع و البساتین الواسعه، اشیر علیه باحیاء النهر المندرس المذکور، فکلف رئیس شرطته اسحاق بن ابراهیم الخزاعی بان یتولی الاشراف علی المشروع، فانفق علیه کثیرا من المال حتی عادت الیه الحیاه، و عادت المیاه تجری فیه، و لذا سمی النهر الجدید باسمه.

و بعد ان هجرت سامرا و امتد الیها الخراب استمر نهر الاسحاقی یروی المناطق المذکوره فی الجانب الغربی من دجله.

فقد اشار الیه سهراب (المتوفی سنه ۲۹۰ ه) فی کتابه بقوله:

«یحمل من دجله من غربیها نهر یقال له الاسحاقی اوله اسفل من تکریت بشی ء یسیر، یمر فی غربی دجله، علیه ضیاع و عمارات، و یمر بطیرهان و یجی ء الی قصر المعتصم المعروف بقصر الجص و یسقی الضیاع التی هناک فی غربی مدینه سر من رأی المعروفات بالأوله و الثانیه و الثالثه و الی السابعه، و یصب فی دجله بازاء المطیره»(۱).

۶- جسر سامرا:

بالنظر لوجود معسکرات الجیش فی الجانب الغربی من سامرا، و لقیام العمران فیه، اصبح من الضروری ربط جانبی المدینه بجسر یسهل للناس الانتقال بینهما، و قد بادر المعتصم بالله فور فراغه من بناء الجانب الشرقی من دجله، و هو جانب سر من رأی، الی عقد جسر الی الجانب الغربی من دجله(۲). و من المؤسف ان المصادر الأولیه لا تزودنا بمعلومات وافیه عن هذا الجسر من حیث نوعیته و هل کان ثابتا قد بنی بالحجر ام کان طافیا علی السفن.

و لا تتضمن تلک المصادر سوی اشارات عابره. فقد اشار المسعودی عند خروج المعتصم باللّه لحرب الروم فی سنه (۲۲۳ ه) الی هذا

۱- عجائب الاقالیم السبعه/ ۱۲۷.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۳.

الجسـر بقوله: «فخرج المعتصم من فوره ... فعسـكر فى غربى دجله .. و نصـبت الأعلام على الجسـر»[(۱)]. و يظهر ان النـاس كانوا متحمسـين لحرب الروم و متفائلين بهذه الحمله فرفعوا الاعلام فوق الجسـر اظهارا لتأييدهم الخليفه فى خروجه للحرب على رأس الجيش العربى. و يـذكر الطـبرى هـذا الجسـر فى حـوادث سـنه (۲۴۹ ه) بقـوله: «و تحركـت المغـاربه فى هـذه السـنه .. و كـانوا يجتمعون قرب الجسر بسامرا»[(۲)]. و يذكره ايضا فى حوادث سنه (۲۵۴ ه) عند ما حاول بغا الشـرابى الوثوب بالمعتز باللّه، فدخل سامرا ليلا بطريق دجله «فصار الى الجسر فى الثلث الأول من الليل، فلما قارب الزورق الجسر. خرج بغا فى البستان الخاقانى»[(۳)].

و يشـاركه فى ذلك ابن الأثير فى تاريخه[(۴)]. و لاـ يسـتخلص مما رويناه سوى انه كان هناك جسـر فى سامرا فى اثناء الحوادث المذكوره، و انه قريب من الجوسق الخاقانى.

لقد اقام المعتصم باللّه الجسر فى الموضع الواقع امام القصـر الهارونى الذى شـيد فى عهد الواثق باللّه. و لا تزال بقايا هذا الجسـر يمكن مشاهـدتها على الجـانب الغربى من مجرى نهر دجله الحالى، و قـد نصـبت مضـخه ماء على سـقف احـد الطيقان الضـخمه المتبقيه من آثار الجسـر المـذكور. و ان قول اليعقوبى «ان المعتصم عقـد جسـرا» معناه انه بناه على شـكل الجسور ذات العقود او الطيقان المألوفه[(۵)]. و يسـتخلص من تدقيق بقايا الجسـر المذكور ان عرضه كان حوالى (۱۶) مترا مما يدل على ضـخامه بنائه و عظمه تصميمه[(۶)].

۱- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۲- الطبرى ۹/ ۲۶۵.

۳- نفس المصدر/ ۳۸۰.

۴- الكامل ۷/ ۱۸۷.

۵- رى سامراء ۱/ ۷۴.

۶- نفس المصدر ۲/ ۶۰۰.

الفصل الثالث سامرا فی عهد المتوکل علی اللّه

۱- عمران سامرا فی عهد الواثق باللّه:

اشاره

کان الواثق بالله یختلف عن ابیه المعتصم باللّه فی کثیر من صفاته و سجایاه، و هو بعمه المأمون اشبه. و یقول صاحب الذهب المسبوک ان المأمون هو الذی رباه فتقبل افعاله(۱). فقد کان بعیدا عن الروح العسکریه و حیاه الخشونه، میالا الی الاداب و العلوم و المناقشه فی المجالس الادبیه و العلمیه، و فنانا بطبیعته مولعا بالشعر و الغناء و التلحین. و مع ان اهتمامه بعمران حاضره الخلافه سامرا التی اسسها ابوه و انفق علیها اموالا طائله، لم یبلغ درجه اهتمامه بما یتفق و میوله، فانه استمر فی السکنی بها باعتبارها عاصمه الدوله العربیه و» کان قد انتقل من قصور ابیه و بنی له قصرا علی شط دجله یقال له الهارونی»(۲)، و اتخذه سکنا له الی حین وفاته فدفن فیه(۳). و زاد فی الاقطاعات، ای انه اقطع الناس اراضی جدیده لبناء مساکن لهم و اسواق، مما ادی الی توسع المدینه

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۴، و فتوح البلدان/ ۲۹۵، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

۳- الطبری ۹/ ۱۵۱، و فتوح البلدان/ ۲۹۵، و الکامل ۷/ ۳۰.

و ازدیـاد العمران فیهـا و زیـاده سـکانها. کمـا انه زاد فی الأسواق لتلبیه حاجات سـکان المـدینه، و وسع الغرض التی کانت علی دجله لتستوعب السفن التی تردها من الموصل و بغداد و واسط و البصره(۱). مما کان عاملا مهما فی تنشیط التجاره و توسعها.

ان مـا اهتم به الواثق بـاللّه من عمران سـامرا علی قتله، شـجع الناس علی البناء و التعمیر فی المـدینه، لا سـیما تجدیـد مساکنهم و عماراتهم فاحکموها و اتقنوها لما علموا ان سامرا قد صارت مدینه عامره، و کانوا قبل ذلک یسمونها العسکر(۲).

تشیید القصر الهارونی:

کان الواثق باللّه قد اختار موضـعا لبناء قصـره الهارونی علی شاطی ء دجله فی الجهه الشمالیه الغربیه من دار الخلیفه، و قد بنی له مسناه قویه(۳). و جعـل فیه مجالس فی دکه شـرقیه و دکه غربیه، و کان من احسن القصور(۴). و قـد انتقل الیه. و تکاد مصادرنا الاـولیه تخلو من ذکر شـی ء مهم عن هـذا القصـر الاـ النزر الیسـیر و لاـ سـیما من حیث سـعته و ما یحتوی علیه من مبان و مرافق اخری.

فقد اشار الطبری فی حوادث سنه (۲۲۹ ه) عرضا الی وصف احد اروقه القصـر، قال: «ذکر عن عزون بن عبد العزیز الانصاری انه قال: کنا لیله فی هـذه السـنه عند الواثق فقال: لست اشـتهی اللیله النبیذ، و لکن هلموا نتحدث اللیله، فجلس فی رواقه الأوسط فی الهـارونی فی البنـاء الأول الـذی کان ابراهیم بن رباح بناه. و قـد کان فی احـد شـقی ذلک الرواق قبه مرتفعه فی السـماء بیضاء، کأنها

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

۲- نفس المصدر.

۳- الآثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۰.

۴- کتاب البلدان/ ۲۶۴، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۸.

بیضه الاـ قـدر ذراع، فیمـا تری العین، حولهـا. فی وسـطها ساج منقوش باللازورد و الـذهب، و کانت تسـمی قبه المنطقه، و کان ذلک الرواق یسمی رواق قبه المنطقه»(١).

کمـا ورد ذکر الهـارونی فی بعض الاحـداث التی وقعت فی سـامرا بعـد الواثق بـاللّه. فعنـد ما قبض المتوکل علی اللّه علی وزیره محمد بن عبد الملک الزیات فی سـنه (٢٣٣ ه) و أمر باستصـفاء امواله و املاـکه، صـیر مـا قبض مما فی منزله من متاع و جوار و غلمان و دواب فی الهارونی(٢). ای فی قصر الخلیفه، لأنه عند ما ولی الخلافه اقام به و بنی به ابنیه کثیره(٣). و لما توفی المنتصر باللّه اجتمع القواد الاتراک فی الهارونی و فیهم بغا الکبیر و بغا الصـغیر و اوتامش و اصـحابهم، لانتخاب من یخلفه(۴). و عند ما ثـارت العـامه اثر مبـایعه المسـتعین بـاللّه و نـادوا بخلافه المعتز «دخلوا دار العامه منصـرفین الی الهارونی فانتهبوا الخزانه التی فیها السلاح و الدورع و الجواشن»(۵). و یظهر انه کان قد اتخذ مستودعا للاسلحه.

تقع اطلال القصـر الهارونی فی الموقع المعروف بالکویر علی شاطی ء دجله الشـرقی، و لا تزال بقایا الـدکتین الضـخمتین ظاهره یمکن مشاهدتها علی شاطی ء دجله الشـرقی الحالی فی موضع الکویر المذکور. و قد اشـتهر آجر هذا القصـر و مسـناته بالکبر و الضخامه حتی صار یضرب به المثل فی سامراء الحدیثه فیقال آجر الکویر.

و کـان الجسـر الـذی اقـامه المعتصم بـاللّه علی نهر دجله یقع امـام القصـر الهارونی تماما. الا ان معالم القصـر تکاد تزول بسـبب تهافت اهل

١- الطبری ٩/ ١٢۵.

٢- نفس المصدر/ ١۵٨.

٣- معجم البلدان ٣/ ١٧۵.

۴- الطبری ٩/ ٢۵۶، و الکامل ٧/ ١١٧.

۵- الطبری ٩/ ٢۵٧.

مدینه سامراء علی اقتلاع الآجر من جدرانه و البلوغ فی ذلک حتی اسسها(۱).

و من بقایا القصر الهارونی قاعده الحوض الکبیر و قد نقلت من بین انقاضه الی دار الآثار العربیه(۲).

و عند ما اتم الواثق باللّه بناء القصر الهارونی مدحه الشاعر علی بن الجهم واصفا بعض معالم الهارونی، بقصیده منها قوله:(۳):

بان بقرب الخلیفه التحف محل صدق و روضه أنف

دار تحار العیون فیها و لایبلغها الواصفون ان وصفوا

لم تنتسب قبله الی احدو لا تحلت من الألی سلفوا

البحر و البر فی یدی ملک تشرق من نور وجهه السدف

اختاره اللّه للامام الذی ینصف من نفسه و ینتصف

قد علم الناس ان بالملک الواثق بالله یشرق الشرف

تبارک الجامع القلوب علی طاعته و القلوب تختلف

۲- توسیع مدینه سامرا:

اشاره

کان المتوکل علی اللّه مثل ابیه المعتصم باللّه یحب البناء و العمران کثیرا، و قد تفوق علیه فیما اسسه بسامرا من القصور و المتنزهات، و ما شقه من الترع و الجداول، و ما بذله من الاموال الطائله علی ذلک. فقد کان میالا للبذخ مسرفا بطبیعته، و لهذا

۱- الآثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۰.

۲- نفس المصدر.

۳- کامل القصیده فی دیوان علی بن الجهم/ ۱۴- ۱۶.

«لم تكن النفقـات فی عصـر من الأعصـار و لا وقت من الأوقات مثلها فی ایامه»(١). و کانت فاتحه اعماله العمرانیه توسـیع مدینه سامرا، فشق شارعین جدیدین فی ناحیتها الشـرقیه موازیین لشوارعها الکبیره الاخری، هما شارع الأسـکر و شارع الحیر الجدید. و بنی فیها عددا کبیرا من القصور التی کانت زینه لها اکملت بهاءها بحیث بلغت اوج عمرانها فی عهده.

و یعتبر بنـاء الجـامع الکبیر فی آخر الحیر، و شق الشوارع الفرعیه الثلاثه التی توصل الیه من المـدینه، و اقامه الاسواق و الحوانیت لمختلف التجارات و الصـناعات علی جوانب هذه الشوارع، اهم ما ادی الی توسیع المدینه. اذ قامت علی هذه الشوارع شکلک و قطائع للسـکنی. فقد اقطع المتوکل علی اللّه الکاتبین نجاح بن سـلمه و احمد بن اسرائیل، و محمد بن موسی المنجم و اخوانه، و جماعه من الکتاب و القواد و الهاشـمیین و غیرهم فی آخر الشوارع المـذکوره مما یلی قبله الجامع، و بذلک اتسـعت علی الناس المنازل و الدور کما اتسع اهل الاسواق(٢).

و یلاحظ اهتمام المهندسـین آنذاک بفتح الشوارع الفرعیه و الدروب التی توصل بین الشوارع الرئیسه فی المدینه. و لا یخفی ان ذلک یتیـح لأکثر المساکن ان تکون و اجهاتها علی تلک الشوارع و الـدروب، و یسـهل الاتصال بین قطائع السـکان و الأسواق، اضافه الی تخفیف الزحام داخل المدینه.

امـا الشارعـان اللـذان امر المتوکـل علی الله یفتحهمـا فی شـرقی سامرا فهما شارع الأسـکر و شارع الحیر الجدیـد. و یعرف شارع الأسـکر بشارع صالـح العباسـی لأنه ینتهی عنـد داره التی کانت علی وادی ابراهیم بن ریاح. و هو یبـدأ من المطیره و ینتهی عند حائط

١- مروج الذهب ۴/ ١٢٢.

٢- کتاب البلدان/ ٢۶۵- ٢۶۶.

الحير. و قامت عليه قطائع العسكر الاتراك و الفراغنه فى دروب منفصله عن بعضها. و تليها قطائع القواد و الكتاب و الوجوه من الناس(۱). و يبدو ان المتوكل على اللّه قد انتهج سياسه ابيه فى عزل مساكن الجند عن بقيه الناس و توزيعهم بحسب انتماء آتهم منفردين بعضهم عن البعض. و لعل ازدياد عدد الجند كان سبب فتح هذا الشارع لتقوم قطائعهم على جانبيه، و لهذا سمى بشارع الأسكر او العسكر.

و يقع شارع الحير الجديد شرقى الشارع السابق و موازيا له. و قد سمى بالجديد تمييزا له عن شارع الحير الذى فتح عند تأسيس المدينه فى ايام المعتصم باللّه. و قد اقطعت السكك على جانبيه لعدد من قواد الفراغنه و الاشروسنيه و الاشتاخنجيه و غيرهم من الأعاجم، و اخلاطا من الناس، و كان ينتهى عند حائط الحير ايضا(۲).

و صار بذلك عدد شوارع سامرا الموازيه لنهر دجله سبعه شوارع، اولها شارع الخليج فى الجهه الغربيه من المدينه على ضفاف دجله مباشره و آخرها شارع الحير الجديد فى الجهه الشرقيه لها. و كانت الشوارع الأربعه من جهه الشرق، و هى شارع الحير و شارع برغاش و شارع الأسكر و شارع الحير الجديد، تسمى «طرق الحير» لأنها كانت تنتهى عند حائط الحير(۳).

و كان من اجراءات المتوكل على الله فى توسيع مدينه سامرا جنوبا، انه انزل ابنه ابراهيم المؤيد بالمطيره، و انزل ابنه المعتز خلفها مشرقا بموضع يقال له بلكوارا و كان قد بنى قصرا فسيحا هناك. فاتصل البناء من بلكوارا جنوبا الى آخر الموضع المعروف بالدور شمالا، مسافه اربعه فراسخ(۴).

۱- كتاب البلدان/ ۲۶۲- ۲۶۳.

۲- كتاب البلدان/ ۲۶۲- ۲۶۳.

۳- رى سامراء ۱/ ۱۰۶.

۴- كتاب البلدان/ ۲۶۵.

الطراز الحيرى فى البناء:

بلغ من حب المتوكل على اللّه للبناء و اهتمامه به انه احيا طرازا عربيا قديما فيه هو الطراز الحيرى ذو الكمين و الأروقه.

فقد حدثه بعض ندمائه ان احد ملوك الحيره كان احدث بنيانا على صوره الحرب و هيئتها، للهجه بها و ميله اليها و لئلا يغيب عنه ذكرها. فكان الرواق و فيه مجلس الملك يعتبر الصدر، و الكمان ميمنه و ميسره و فيهما اقرب خواصه اليه، و فى اليمين خزانه الكسوه، و فى اليسار خزانه الشراب. و اتبع الناس المتوكل على اللّه فى اتخاذ هذا الطراز من البناء لبيوتهم فى عهده و بعده(۱). كما صار الطراز الحيرى يتخذ فى بناء القصور الكبيره اذ صار لها مقدم و على جانبيه جناحان، و لها ثلاثه ابواب أوسطها الباب الأكبر و الى جانبيه البابان الصغيران(۲). و قد انتقل هذا الطراز من البناء الى بغداد، فكان قصر التاج الذى بدأ المعتضد باللّه بتشييده ببغداد و اكمله ابنه المكتفى باللّه، صوره مكبره للطراز الحيرى اذ كان وجهه مبنيا على خمسه عقود كل عقد يقوم على عشره اساطين، و الاسطوانه خمسه اذرع(۳).

كما نقله الأمير احمد بن طولون الى مصر، و قد اشرنا الى ذلك عند الكلام عن اعمال ابن طولون العمرانيه فى مصر.

ساحات الفروسيه و السباق:

يظهر من دراسه الخرائط الطوبو غرافيه و الصور الجويه لأطلال مدينه سامرا انه كان فى السهل الممتد شمالى الجامع الكبير، اى غربى ساحه الحير، اربع حلقات كبيره تدور حول مربع

۱- مروج الذهب ۴/ ۸۷.

۲- الحضاره الاسلاميه ۲/ ۱۷۵.

۳- معجم البلدان ۲/ ۵.

مرکزی. و قد اثبتت التنقیبات التی قامت بها دائره الآثار القدیمه ان هذه الحلقات تتکون من طوقین متوازیین بینهما ساحه عرضها ثمانون مترا، و هما یدوران حول المربع المرکزی اربع دورات دون ان تنقطع، و فی المربع المذکور دکه مرتفعه تظهر علیها آثار بنایه من الآجر.

و کانت الدوائر المذکوره ساحه للفروسیه او حلبه للسباق انشئت علی شکل مبتکر بدیع. و کانت البنایه فی الدکه المرتفعه معده للجوس الخلیفه و حاشیته للتفرج و التمتع. اما الساحه الممتده بین الدائرتین المتوازیتین، و الملتویه حول الدکه المذکوره فکانت معده لجری الخیل و تسابقها. و من الواضح ان هذا الترتیب المبتکر هو ان یجعل طول الدوره الکامله فی هذه الدوائر المتتالیه یزید علی خمسه کیلومترات، بینما لا یزید بعدها الاعظم عن الدکه علی طول الدوره عن (۶۰۰) متر بحیث یستطیع المتسابقون ان یقطعوا علی هذه الساحه مسافه خمسه کیلومترات او اضعافها دون ان یبتعدون عن عین الخلیفه و اصحابه باکثر من (۶۰۰) متر فی جمیع الأحوال، و هو ابتکار یثیر الاعجاب و لا ریب. و مما یؤید ذلک ان هذه الدوائر تقع فی نفس المنطقه التی تشاهد فیها معالم حلبتین آخریین من حلبات السباق، تبدأ احداهما من خلف دار الخلیفه، و تبدأ الاخری من تل العلیق. و ان اوضاع هذه الحلبات الثلاث تسوغ الافتراض بأن اقدمها هی التی تبدأ من شرقی دار الخلیفه و تتجه شرقا داخل ساحه الحیر حتی تنتهی قرب نهر القاطول، و یزید طول دورتها علی عشره کیلومترات و نصف الکیلومتر. فکان طول الدوره یساعد علی اجراء سباقات کبیره، غیر ان الخیول کانت تتباعد عن الدکه تباعدا کبیرا لا- یترک مجالا- لتتبع حرکاتها، فیحرم المشاهد من التمتع بمرآها و هی تتسابق نحو الهدف. اما الحلبه التی تبدأ من تل العلیق فلیست

واضحه المعالم عدا فی قسمها الأول، و مع هذا فان اتجاه هذا القسم کاف للحکم علی انها کانت طویله جدا. و من الطبیعی ان یساعد ارتفاع التل علی تتبع حرکات الخیول علی هذه المسافات الکبیره، الا ان ذلک کان یتطلب جهدا کبیرا و انتباها شدیدا(۱).

و قد سبقت الاشاره فی البحث الخاص بدار الخلیفه الی هاتین الساحتین، و انهما انشئتا مع الدار المذکوره. اما الساحه التی وصفنا شکلها المبتکر فقد استحدثت بعد الحلبتین المذکورتین، لایجاد حلبه سباق یبقی المتسابقون و خیولهم فیها تحت الأنظار علی الدوام. و یرجح انها من منشآت المتوکل علی اللّه.

اتل العلیق:

یقع هذا التل شمالی الجامع الکبیر، و قطره نحو مائتی متر، و هو یرتفع عن السهل المحیط به بمقدار (۲۵) مترا. و یحیط به خندق عریض دائری یبلغ عمقه نحو ثلاثه امتار. و حوله معالم سور مستدیر یبلغ قطره نحو (۴۵۰) مترا(۲). و فی شمالی التل طریق ینحدر من قمته و یعبر الخندق، و یرجح انه کانت علیه قنطره، و کانت المیاه تصل الی الخندق من القناه التی حفرها المتوکل علی اللّه لایصال الماء الی سامرا(۳).

و یعلل الناس تسمیه التل بروایه یتناقلونها هی ان التل تکون من التراب الذی نقله الجنود الخیاله بعلیق خیولهم. و یروون ان الخلیفه المتوکل علی اللّه اراد ان یظهر ضخامه جیشه و کثره

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۶۳- ۶۵.

۲- نفس المصدر/ ۶۰.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۱۸.

عـدد فرسـانه بـدليل عيـانى محسوس، فـأمر ان يملأ كل واحـد من جنوده الخياله عليقه بالتراب، ثم يرميه هناك، فتكون التل من التراب الـذى تجمع على هذا الوجه(۱). و جـاء فى خلاـصه الـذهب المسـبوك ان المعتصم بالله هو الـذى امر بعمل تل المخالى المذكور لما جيش الجيوش الى محاصره عموريه(۲). و يحتـج القائلون بالرأى الأول ان اتصال خندق التل بقناه سامرا دليل على انه من عمل المتوكل على اللّه الذى انشأ القناه المذكوره. الا اننا نرى ان ما ذهب اليه صاحب الذهب المسـبوك اقرب الى الواقع لمـا عرف عن المعتصم باللّه من الروح العسـكريه الشديـده و حبه الجيش و عنايته به بحيث انه ترك العاصـمه الى مـدينه اخرى بسـببه، و لهـذا فـان التفاخر بضـخامه الجيش و كثره عـدد فرسانه اجـدر به. اما اتخاذ اتصال خنـدق التل بالقناه دليلا على انه من منشـآت المتوكـل على اللّه، فلا يغير من الواقع شـيئا، لأن ذلك لا يمنع من ان يكون التل موجودا و ان المتوكل على اللّه اوصـل الماء الى الخندق المحيط به.

من المؤكد ان التل اصطناعى و قد كون بطريقه حفر خندق مستدير و تكويم التراب الذى يرفع منه فوق الدائره الباقيه فى داخله. و قد درس هرزفيلد هذا التل خلال تنقيباته فى سامرا و اسـتنتج انه كان على قمته قصـر مربع الشـكل مقسم الى تسع غرف متصله ببعضـها، واحـده منهـا فى الوسـط و اربعه متصـله باضـلاع هـذه الغرفه على شـكل اواوين مفتوحه. و الاربعه الاخرى بين اضـلاع الاواوين المـذكوره. و الغرض من تكوين هـذا التل فى وسط السـهل و تشـييد هـذا القصـر فوقه انما كان للتفرج من محل مرتفع يمتد فيه النظر، لأنه كان يشرف على الحير و على احدى حلبات السباق(۳). و هناک احتمال ان يكون هذا التل قبر احد

۱- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۶۱- ۶۲.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

۳- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۶۱- ۶۲.

القواد الرومان، و قد استعمل للتفرج على السباق بعد ان شيدت فوقه تلك الحجرات، و مما يجدر ذكره للمقارنه ان هناك مصطبه على الكتف الغربى للقاطول الأعلى حيث تنتهى دوره حلبه السباق، عليها بقايا غرف مماثله تطل على الساحه المنبسطه، يحتمل انها شيدت لغرض التفرج منها ايضا(١).

الحير:

حائر الحير هو الحائط او السور الذى بناه المعتصم باللّه فى نهايه ابنيه سامرا من جهتها الشرقيه. و كان يمتد على طول الأبنيه من الجوسق الخاقانى حتى المطيره. و قد احتفظ بالسهل الواسع الممتد خلف هذا الحائط من غير بناء ليكون ساحه ترتع فيها الحيوانات و الطيور، و سميت بساحه الحير. و يذكر اليعقوبى انه كلما توسع عمران سامرا شرقا و امتد الى ساحه الحير هدم السور المذكور و بنى آخر بدلا عنه بعد العمران الجديد، و عدد اصنافا من الطيور و الوحوش كالظباء و الحمر الوحشيه و الأيائل و الارانب و النعام و غيرها، مما كان محجوزا فى الساحه المذكوره(٢).

و عند ما توسع المتوكل على اللّه فى العمران شرقى سامرا انشأ حائطا جديدا على الحدود الجديده للبناء الذى اقيم فى ظهر شارع الحير الجديد، بعد ان اقتطع جزءا كبيرا من ساحه الحير، و جعل لهذا الحائط بابا رئيسا عرف بباب الحير، جنوبى الجامع الكبير ممايلى الجوسق، ليوصل بين الساحه و المدينه. و قد ورد ذكر الحير و بابه فى عدد من الأحداث المهمه التى وقعت فى ايام الخليفه المهتدى باللّه. فقد ذكره الطبرى فى حوادث السنه (٢٥٦ ه) عند ما

١- المرشد الى مواطن الاثار و الحضاره- (سامراء)/ ١٨.

٢- كتاب البلدان/ ٢٦٣.

صـار القائـد موسـى بن بغا الى باب الحير و عسـكر هناك قرب دار القائـد التركى ياجور(۱). و عنـد مـا القى القبض على القائد صالح بن وصيف اخرج من باب الحير ليذهبوا به الى الجوسق(۲).

و عنـد ما عزم المهتدى باللّه على حرب الأتراك خرج الى الحير و عرض الناس و امر ان تضـرب الخيام و المضارب فى الحير، و عبأ اتباعه لمواجهه الأتراك(۳).

ان المتوكل على اللّه وسع الحير نحو الشـرق و انشأ فيه حديقه واسـعه للحيوانات تزيد مساحتها على عشرين الف دونم، و احاطها بسور بلغ طوله حوالى ثلاـثين كيلومترا. و قـد جمعت فيها اصـناف الحيوانات البريه من الوحش و الطير، كان بعضـها حرا طليقا و بعضـها حبيسـا فى الأقفـاص. و للشـاعر البحـترى قصـيده يمتـدح فيهـا المتوكـل على اللّه و يشـير الى حير الوحش و يقـدر عـدد الوحوش فيه بالفين، و يقول انها كانت تألفه و تخضع له، و يذكر نهر نيزك الذى يروى متنزه الحير، جاء فيها(۴):

خليفه اللّه ما للحمد منصرف الا الى نعم أصبحت توليها

فلا فضيله، الا انت لابسهاو لا رعيه، الا انت راعيها

ملك كملك سليمان الذى خضعت له البريه: قاصيها و دانيها

۱- الطبرى ۹/ ۴۳۸- ۴۳۹.

۲- نفس المصدر/ ۴۵۴.

۳- نفس المصدر/ ۴۶۵.

۴- ديوان البحترى- طبعه بيروت ۱/ ۴۵- ۴۶.

و طاعه الوحش اذ جاءتک من خرق أحرى، و أدمانه كحل مآقيها(۱)

كالكاعب الرود يخفى فى ترائبهاروع العبير و يبدو فى تراقيها

الفان وافت، على قدر مسارعهالى قبول الذى حاولته فيها

ان سرت سارت و ان وقفتها وقفت صورا اليك، بالحاظ تواليها

يرعن منک الى وجه يرين له جلاله يكثر التسبيح رائيها

حتى قطعت بها القاطول و افترقت بالحير فى عرصه فسح نواحيها

فنهر نيزک ورد من مواردهاو ساحه التل مغنى من مغانيها

و قد انشى ء فى الطرف الجنوبى لهذا المتنزه الواسع قصرا يشرف على بركه ماء واسعه ينتهى اليها نهر نيزك، و عرف هذا القصر باسم قصر الدكه. و كان طوله (۱۶۵) مترا و عرضه (۱۲۵) مترا، اى ان مساحته كانت تربو على عشرين الف متر مربع.

و يرجح الدكتور احمد سوسه، ان هذا القصر كان يعرف بقصر الساج ايضا، و ان البركه التى امامه هى البركه الحسناء التى وصفها البحترى و تغنى بجمالها و روعه الرياض التى تحتها(۲).

۱- الخرق: المدهوش من خوف او حياء. و الادمانه: الطبيه التى لونها مشرب بياضا.

۲- رى سامراء ۲/ ۲۹۹.

و توجد فی الرکن الجنوبی لقصر الدکه اطلال بنایه واسعه طولها (۴۰۰) متر و عرضها (۲۶۵) مترا، یری الدکتور سوسه انه یحتمل ان تکون هذه الأطلال من بقایا قصر البدیع الذی بناه المتوکل علی اللّه، لأن البحتری اقترح فی احدی قصائده فی مدح المعتز باللّه، ان یمد فرع قناه سامرا الذی شقه المتوکل علی اللّه لتموین قصر الدکه بالماء، و یوصله الی قصر البدیع و منه ینهیه الی دجله قرب الجوسق، اذ یقول:(۱).

الحقه یا خیر الوری بمسیره و امدد فضول عبابه المتدفق

فاذا بلغت به البدیع فانماانزلت دجله فی فناء الجوسق

و هو یرجح ایضا ان قصری الصبیح و الملیح اللذین بناهما المتوکل علی اللّه یقعان فی هذا المتنزه ایضا. و هو یستند فی ذلک علی وصف البحتری الوارد فی احدی مدائحه التی قالها فی المتوکل علی اللّه، و ذکر فیها القصرین المذکورین و البرکه الحسناء، التی قال فیها:(۲)

و استتم الصبیح فی خیر وقت فهو مغنی انس و دار مقام

ناظر وجهه الملیح فلو یستطیع حیاه معلنا بالسلام

ألبسا بهجه و قابل ذا ذاک فمن ضاحک و من بسام

۱- نفس المصدر ۱/ ۱۲۵.

۲- نفس المصدر ۲/ ۳۰۳ و القصیده فی دیوان البحتری ۳/ ۲۰۰۴- ۲۰۰۷.

حتی یقول:

مستمد بجدول من عباب الماء کالأبیض الصقیل الحسام

و اذا ما توسط البرکه الخضراء ألقت علیه صبغ الرخام

فتراه کأنه ماء بحر یخدع العین و هو ماء غمام

علی ان تأیید ذلک یتوقف علی ما ستسفر عنه التنقیبات و التحریات التی ستجریها دائره الآثار القدیمه علی الاطلال و الآکام المشار الیها. علما ان الدائره المذکوره لا تری رأی الدکتور سوسه فی موضوع البرکه، و تری انها برکه القصر الجعفری الذی شیده المتوکل علی اللّه فی مدینه المتوکلیه، و ان البرکه التی فی حدیقه الحیوانات من عمل المعتصم باللّه عند ما بنی قصره علی القاطول قبل انتقاله الی سامرا(۱).

۳- مشاریع الری فی عهد المتوکل علی اللّه:

اشاره

تم فی عهد المتوکل علی اللّه ثلاثه مشاریع مهمه لری سامرا و ما حولها، هی: قناه سامرا او قناه المتوکل علی اللّه، و نهر النیزک، و النهر الجعفری. و سنلقی نظره سریعه علی کل من قناه سامرا و نهر النیزک، اما النهر الجعفری فنرجی ء البحث فیه الی موضوع انشاء مدینه المتوکلیه لأنه انشی ء لایصال المیاه الیها.

قناه سامرا:

کان من جمله المشاکل التی واجهت مدینه سامراء منذ تأسیسها ان ارتفاع الضفه الشرقیه لنهر دجله التی قامت علیها المدینه

۱- نفس المصدر ۲/ ۳۱۲.

اولا، حال دون توفر المياه للشرب و للرى الا بالواسطه. و قد اعتمد الناس فى شربهم على حمل المياه اليهم فى الروايا على الأبل و البغال، و هذا ما دفع المعتصم باللّه الى اعمار الجانب الغربى من المدينه، لأن ارضه منخفضه عن مستوى النهر و يسهل اسقاؤها سيحا، مما يساعد على التوسع فى الزراعه. و قد اشرنا الى احيائه نهر الاسحاقى الذى صار محور العمران فى هذا الجانب من المدينه.

و يظهر ان المتوكل على الله صرف همته الى توسيع مدينه سامرا فى الجانب الشرقى منها رأى ان يبدأ بتوفير المياه الكافيه لها قبل كل شى ء. و لهذا كان اول مشاريعه الاروائيه حفر قناه تؤمن ايصال الماء الى هذا الجانب من المدينه بطريقه الرى الجوفى المعروف برى الكهاريز. و اشتمل مشروعه على كهريزين ضخمين يستعمل احدهما فى الشتاء و الآخر فى الصيف. و هما يستمدان المياه من نهر دجله شمال الدور، فيسيران جنوبا حتى يصلا العاصمه. و قد مدت هذه القناه جنوبا لتصل الى المطيره فالقادسيه(۱).

و الكهريز مجرى ماء على شكل نفق تحت الأرض لسحب المياه الجوفيه من العيون و نقلها الى الاراضى الزراعيه سيحا، و ذلك بحفر آبار على مسافات معينه على طول النفق لرفع اتربه المجرى بواسطتها و لاستخدامها كنوافذ هوائيه للنفق و للنزول اليه اذا ما اقتضى تنظيفه من الترسبات و العوائق التى تحول دون جريان الماء فيه. و تحفر الآبار عاده بانحدار تدريجى من بئر الى اخرى ادنى مستوى منها، ليتسنى للمياه الجريان الى الجهه المطلوبه. و تغطى هذه الآبار بابواب لمنع تسرب الاتربه الى المجرى. و تختلف المسافه بين بئر و اخرى حسب طبيعه الأرض، و هى تتراوح بين خمسه

۱- رى سامراء ۱/ ۲۷۰- ۲۷۲.

امتار و عشرين مترا. و تكون هذه الآبار عاده باتجاه واحد، و هى تدل على اتجاه الكهريز و طوله. و من الطبيعى ان يختلف طول الكهريز باختلاف طبيعه سطح الارض و عمق المياه الجوفيه.

لقد تسنى للمتوكل على اللّه بواسطه هذه القناه ان يوصل المياه الى البركه الكبيره التى كانت خلف دار العامه، و هى المعروفه ببركه السباع. ثم الى البركه الثانيه التى تقع شمالى غربى البركه السابقه. و الى ساحه السباق الواسعه التى انشأها من جهه الحير، و الى خندق تل العليق المشرف عليها. كما انه وفر الماء الكافى للجامع الكبير و لاسيما لنافورته التى لا ينقطع ماؤها.

نهر نيزك:

اراد المتوكل على اللّه ان يوسع حير الحيوانات خارج مدينه سامرا شرقا، فى المنطقه الكائنه بين القاطول الاعلى و القاطول الأسفل المسمى بنهر القائم، و ذلك بعد ان ضم جزءا كبيرا من اراضى الحير الذى انشأه المعتصم باللّه، الى مدينه سامرا عند ما وسعها نحو الشرق بفتح الشوارع الجديده و توزيع الاراضى التى اقطعها لبناء المساكن، و بناء الجامع الكبير. الا ان المنطقه التى اختارها لتكون حديقه واسعه للحيوانات و متنزها كبيرا لأهل سامرا، تحتاج الى مزيد من المياه الدائمه الجريان. فعمد الى احياء نهر القادسيه القديم الذى كان يتفرع من الضفه اليمنى للقاطول الأعلى، من موضع يبعد عن صدره بثلاثين كيلومترا و ينتهى عند منطقه المشرحات فيخترق المنطقه المذكوره و يرويها.

و هى المنطقه التى كان الخليفه هارون الرشيد بنى فيها قصرا لنزهته. و كان نهر نيزك ينتهى عند البركه التى انشأها المتوكل على اللّه فى هذا المتنزه. و لكى يؤمن استمرار تدفق المياه فى النهر الجديد اقيم ناظم على نهر القاطول ليرفع مناسيب المياه

فیه حتی یتدفق الی النهر المذکور الذی سمی بنهر نیزک. و بذلک أمن ارواء منطقه الحیر الجدید الواسع و حدائقه سیحا.

و کانت تتفرع من نهر نیزک عده فروع من ضفته الغربیه لتسقی اراضی المطیره و منطقه برکوارا، جنوبی سامرا(۱).

۴- الجامع الکبیر:

مقدمه:

کـان من خطه المعتصم بـاللّه فی بنـاء سـامرا ان یبنی مسـجدا فی کل منطقه سـکنیه، فعنـد ما اقطع کبیر قواده اشـناس و اصـحابه الموضع المعروف بالکرخ امره ان یبنی مع المساکن المساجـد و الأسواق. کما انه انشأ مسـجدا جامعا علی شارع السـریجه، و هو الشـارع الأـعظم، و اختـط الأسواق حوله. و لم یزل یجمع فیه الی ایام المتوکل علی اللّه الـذی تولی الخلافه سـنه (۲۳۳ ه) فضاق علی الناس فهـدمه و بنی مسـجدا جامعا واسـعا فی طرف الحیر. یقول الیعقوبی: «و بنی المسـجد الجامع فی اول الحیر فی موضـع واسع خارج المنازل لا یتصل به شی ء من القطائع و الأسواق، و اتقنه و وسعه و احکم بناءه، و جعل فیه فواره ماء لا ینقطع ماؤها. و جعل الطرق الیه من ثلاثه صـفوف واسـعه عظیمه من الشارع الذی یأخذ من وادی ابراهیم بن رباح، فی کل صف حوانیت فیها اصـناف التجارات و الصـناعات و البیاعات، و عرض کل صف مائه ذراع بالذراع السوداء، لئلا یضـیق علیه الدخول الی المسـجد اذا حضر المسجد فی الجمع فی جیوشه و جموعه و بخیله و رجله»(۲).

۱- ری سامراء ۲/ ۲۸۹.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

یستنتج مما ذکره الیعقوبی ان المتوکل علی اللّه بنی الجامع الکبیر خارج المدینه و مد الیه ثلاثه شوارع توصل بینه و بین الشارع الأعظم فی سامرا، و جعل عرض کل شارع من هـذه الشوارع مائه ذراع سوداء، و تقوم علی جوانبها حوانیت اصـناف التجارات و الصناعات بهدف توسیع المدینه و زیاده اسواقها و متاجرها.

و کانت هذه الشوارع الثلاثه تتفرع من الشارع الأعظم جنوبی دار الخلیفه و القصر الهارونی و قصـر الجوسق، و تتجه شـرقا حتی تفضی الی الجامع فی جانب الحائط الغربی الذی کانت فیه سبعه مداخل، بعد ان تخترق السور الخارجی للجامع.

یقول البلاـذری عن المتوکـل علی اللّه: «و بنی مسـجدا جامعـا کبیرا و أعظم النفقه علیه، و امر برفع منارته لتعلو اصوات المؤذنین فیهـا حتی نظر الیها من فراسـخ، فجمع الناس فیه و ترکوا المسـجد الأول»(۱). و جاء فی خلاصه الذهب المسـبوک ان المعتصـم بـاللّه «بنی الجـامع الکبیر و انفق علی ذلـک خمسـمائه الف دینـار و جعـل وجوه حیطـانه مرایـا بحیث یری القائم فی الصـلاه من یـدخل من خلفه. و بنی المناره التی یقال انها من احدی العجائب»(۲). و هو لا شک و اهم اذا ما اعتبرنا کتاب البلـدان للیعقوبی اقدم المصادر و اوثقها عن سامرا. و ان البلاذری ایده فی روایته، کما ایده یاقوت فی معجمه.

یعتبر المسجد الجامع الذی انشأه المتوکل علی اللّه اروع المنشآت ذات الأثر فی تلک الحقبه من حیاه الدوله العربیه.

و تشاهد آثاره الیوم مع مئذنته الملویه شمالی شرقی مدینه سامراء الحالیه. و تعتبر اضخم و ابرز الأثار الباقیه من مبانی سامرا

۱- فتوح البلدان/ ۲۹۵، و معجم البلدان ۳/ ۱۷۵ و قد نقل عن البلاذری نفس النص.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

القدیمه. و رغم ان هذا الجامع یشبه المساجد الجامعه الاخری من حیث تخطیطه العام و محتویاته الا انه یمتاز علیها جمیعا بسعه مساحته و ضخامه بنائه، و بمئذنته الملویه. و هو یعد اکبر جامع فی العالم الاسلامی. و کان البدء ببنائه فی سنه (۲۳۴ ه) و الانتهاء منه فی سنه (۲۳۷ ه)(۱). و یذکر یاقوت الحموی ان مجموع ما انفق علی بنائه بلغ خمسه عشر الف الف درهم(۲).

و یتضح من تنقیبات هرزفیلد ان اضلاع السور الخارجی للجامع کانت تبلغ ۳۷۶* ۴۴۴ م، ای ان مساحه المسجد و الزیادات التی فی خارجه تربو علی (۱۷) هکتارا ای اکثر من (۶۸) دونما عراقیا(۳). و یقدر بروکلمان مساحه صحنه الداخلی باربعه و اربعین الف متر مربع، و یقول: «و بحسبنا لکی نکون فکره عن معنی هذا الرقم ان نذکر ان صحن کنیسه القدیس بطرس فی روما یبلغ (۱۵۱۶۰ م ۲)، و صحن ایا صوفیا فی استانبول یبلغ (۶۸۹۰ م ۲)، فی حین لا یزید صحن کاتدرائیه کولون علی (۶۱۲۶ م ۲)(۴).

مخطط الجامع:

یتألف الجامع من اربعه اقسام تحیط بالصحن هی: الحرم و یقع علی الضلع الجنوبیه للجامع، و کان فیه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعه و عشرین صفا من الاعمده فی کل صف منها تسعه اعمده. و ینتهی الرواق الأوسط بالمحراب و هو اعرض قلیلا من الاروقه الاخری. ثم القسم الشمالی المقابل للحرم، و کان فیه خمسه و عشرون رواقا مؤلفه من اربعه و عشرین صفا من

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۹.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۱۲.

۴- تاریخ الشعوب الاسلامیه ۲/ ۵۱.

الاعمـده فی کـل صف منها ثلاثه اعمـده. و کانت صـفوف هـذه الأعمـده تمتـد علی شـکل خطوط ذات زوایا قائمه الی داخل المسـجد بالنسبه لجداریه الشـمالی و الجنوبی. و الرواق الأوسط فی هذا القسم اکثر اتساعا من بقیه اروقته. ثم الجانبان الشرقی و الغربی من المسـجد و کـان فی کـل منهما ثلاثه و عشـرون رواقا مؤلفه من اثنین و عشـرین صـفا من الأعمـده فی کل صف منها اربعه اعمـده. و بذلک یبلغ مجموع الأعمده (۴۶۴) عمودا(۱). و هناک اختلاف فی مجموع الأعمـده ناشـی ء من اعتبار البعض عدد صفوف الأعمده فی الحرم عشره اعمده بدلا من تسعه، او من اعتبار عدد صفوف الاعمده فی القسم الشمالی اربعه بدلا من ثلاثه، بحیث یصبح المجموع (۴۸۸) عمودا.

ان جمیع الأعمـده کانت مبنیه بالآجر علی قواعـد مربعه طول ضـلعها (۷۰ ر ۲ م) و ترتفع بشـکل مثمن تـارکه فی کل زاویه من الزوایـا الأربع فسـحه لارتکاز عمود رخامی قطره (۳۰ سم). و کان بعض هـذه الأعمـده الرخامیه اسـطوانیا، و بعضـها مثمنا، و قد ثبتت قطعها باوتاد معـدنیه، و ملئت الثقوب بالرصاص، و احیطت مواضع الأتصال باطواق معـدنیه ایضا. و یبلغ ارتفاع الأعمده من ارضیه الجامع حتی السقف حوالی (۵۰ ر ۱۰ م)، و ینتهی اعلاها بتیجان جرسیه الشکل. و کانت الأعمده الرخامیه بالوان متعدده وجد منها تسعه انواع مختلفه معظمها من المرمر(۲).

و کانت هذه الأعمده تحمل السقف الخشبی للجامع دون ان ان ترتبط بعقود او طیقان من البناء کما ارتأی الآثاریون(۳). الا

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۷- ۴۸.

۲- العماره العباسیه/ ۱۴۵- ۱۴۶.

۳- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۸.

انه یظهر ان الفسحه الموجوده بین الأعمده کانت قد سقفت بعوارض، و ان الحفر التی ثبتت فیها العوارض المتقاطعه کانت لا تزال تری فی الجانب الداخلی للجدار فی عام ۱۹۱۱. کما ان التنقیبات التی اجرتها دائره الآثار القدیمه کشفت عن وجود اکتاف من الطابوق و الجص، و ذلک مما یدفع الی القول بان السقف لم یکن یستند مباشره علی الأعمده(۱).

المحراب:

اما محراب الجامع فانه یقع فی منتصف الضلع الجنوبیه، و کان قد تهدم و اتخذ شکل باب. غیر ان دائره الآثار القدیمه کشفت عن معالمه من تحت الانقاض و اعادت بناء القسم الاسفل منه. لاعطاء فکره عامه عن سابق وضعه(۲). و هو تجویف مستطیل الشکل عرضه (۵۹ ر ۲ م) و عمقه (۷۵ ر ۱ م) و هی نفس الأبعاد التی کانت متخذه حینذاک للمحاریب(۳). و کان یحف به من الجانبین زوجان من اعمده الرخام الوردی اللون، و فی اسفل کل عمود و اعلاه قاعده بسیطه مستطیله. و یقوم علی العمودین قوسان متحدا المرکز یشکلان عقاده المحراب، و ذلک ضمن اطار مستطیل بارتفاع جدار الجامع(۴). و قد عثر بین اللقی علی قطع من الفسیفساء المزجج النفیس و المذهب، یرجح انها مما کان یغطی جدران المحراب. و قد اشار المقدسی الی ان حیطان الجامع قد لبست بالمینا(۵). کما اشار الاربلی الی ان وجوه حیطان الجامع

۱- العماره العباسیه/ ۱۴۵- ۱۴۶.

۲- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۷.

۳- ۷۷۲: Creswell ,E .M .A .P .

۴- ری سامراء ۱/ ۱۱۱.

۵- أحسن التقاسیم/ ۱۲۲.

جعلت من المرایا(۱). و یظهر انهما قصدا بذلک الفسیفساء المزججه و المذهبه المشار الیها. و کان هرزفیلد قد فسر المینا بالموزاییک ای الفسیفساء(۲). و یلاحظ ان المحور الرئیس للمحراب یشیر الی ان اتجاه القبله فیه یقع علی ۱۹۸ درجه و ۳۰ دقیقه علی حین ان القبله تقع علی ۱۹۶ درجه و ۴۶ دقیقه، ای ان اتجاه الجدار یرجع درجه واحده و ۴۴ دقیقه الی الشرق(۳).

و هذا یتفق مع ما یقوله الیعقوبی عن سامرا «و اسمها فی الکتب المتقدمه زوراء بنی العباس و یصدق ذلک ان قبل مساجدها کلها مزوره، فیها ازورار، لیس فیها قبله مستویه»(۴).

و کشف التنقیب عن وجود بابین صغیرین علی جانبی المحراب احدهما عن یمینه و الآخر عن یساره، و هما یؤدیان الی بنایه صغیره کانت قائمه خلف المحراب. و قد قیل عن هذه البنایه انها ربما کانت مکانا لاستراحه الخلیفه اذا جاء للصلاه، لأن قصور الخلفاء فی سامرا کانت بعیده عن المسجد الجامع. کما قد یکون احد البابین قد خصص لدخول الامام المسؤول عن الجامع کی لا یتخطی المصلین من ظهورهم اذا جاء للصلاه بهم(۵).

النافوره:

کان صحن الجامع واسعا فسیحا، و بعد رفع الرکام المتجمع فیه ظهرت فی وسطه آثار تدل علی انه کانت هناک نافوره مدوره کبیره. و قد اشار الیعقوبی الیها فی معرض کلامه عن بناء الجامع

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

۲- ۲۷۷: Creswell ,E .M .A .P .

۳- ری سامراء ۱/ ۲۸۴ ه.

۴- کتاب البلدان/ ۲۶۸.

۵- مجله سومر العددان ۱ و ۲ من سنه ۱۹۶۹/ ۱۴۸.

بقوله «و جعل فیه فواره ماء لا ینقطع ماؤها»(۱). و قال یاقوت الحموی ان المتوکل علی اللّه «اشتق من دجله قناتین شتویه و صیفیه تدخلان الجامع و تتخللان شوارع سامراء»(۲). و بذلک تأمن استمرار تدفق المیاه من النافوره.

و قد اظهرت تنقیبات هرزفیلد ان الحوض کان یرتکز علی قاعده اسطوانیه بنیت بالآجر بمونه الکلس و الرماد و کسیت بالرخام. و عثر فی الانقاض المجاوره للنافوره علی قطع من اعمده رخامیه و اجزاء من تیجانها، و زخارف جصیه مذهبه، و قطع من الفسیفساء الزجاجیه. و یرجح من وجود بقایا الأعمده الرخامیه حول قاعده الحوض انه کان ثمه سقف فوق النافوره تحمله هذه الأعمده(۳). و وصف حمد اللّه المستوفی الحوض المشار الیه بأنه کان قطعه واحده من الحجر محیطها (۲۳) ذراعا، و ارتفاعها (۷) أذرع و سمکها نصف ذراع، و کانت تعرف بکأس فرغون(۴).

و اشار المؤرخ ابن الفوطی فی حوادث سنه (۶۵۳ ه) الی انه فی هذه السنه «حملت القصعه المعروفه بقصعه فرعون من سر من رأی الی بغداد فی کلک، و رفعت تحت دار الخلیفه، و کانت عظیمه جدا، فلم تزل حتی سنه (۶۵۷ ه) ثم کسرت»(۵).

و سبق ان ذکرنا ان الحوض الکبیر الذی کان یتوسط الدار المربعه فی جناح الحریم من دار العامه کان من الکرانیت المصری و انه یعود الی عهد الفراعنه، و لذا یمکن القول بان حوض الجامع الکبیر و هو صخره عظیمه مجوفه کان قد جلب من مصر ایضا مع

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۳- ری سامراء ۱/ ۱۱۱.

۴- نفس المصدر.

۵- الحوادث الجامعه/ ۳۰۶.

الحوض المذكور او بعده، و من هنا جاءت نسبته الى فرعون فسمى كأس فرعون او قصعه فرعون.

جدران الجامع:

لم يبق من بناء الجامع شى ء قائم غير جدرانه الخارجيه التى تحيط بساحه مستطيله طولها نحو ۲۴۰ مترا و عرضها ۱۶۰ مترا، اى ما مساحته (۳۸) الف متر مربع. و هذه الجدران سميكه لا يقل سمكها عن مترين، و يناهز ارتفاعها عشره امتار. و هى مبنيه بناء جيدا متقنا بالآجر و الجص. و تدعمها من الخارج ابراج نصف دائريه عددها اربعون برجا، اربعه منها فى الاركان، و ثمانيه فى كل من الضلعين الشماليه و الجنوبيه، و عشره فى كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه(۱). الاـ ان المخططات التى وضعها الآثاريون ممن عنوا بدراسه بقايا الجامع، مثل بيليه و هرزفيلد و فيوله و كريزويل تتفق فى ان عدد الابراج الواقعه على كل من الجانبين الأطول منه (۱۲) برجا، و فى كل من الجانبين الآخرين (۸) ابراج، فيصبح المجموع (۴۴) برجا(۲).

شيدت الابراج المذكوره على قواعد مستطيله من صنفين او ثلاثه من الطابوق، و هى تمس محيط البرج، طولها (۹۰ ر ۳ م) و عرضها (۲۵ ر ۲ م) لأبراج الجوانب. اما ابراج الاركان فيبلغ طول القواعد التى تقوم فوقها (۴۵ ر ۵ م) و عرضها (۲۵ ر ۵).

و معدل قطر ابراج الجوانب (۶۰ ر ۳ م) اما ابراج الأركان فان اقطارها اكبر من ذلك. و يبلغ معدل بروز الابراج جميعا بما فيها ابراج الأركان (۱۵ ر ۲ م) من كلا الوجهين، عدا البرجين

۱- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۴۵.

۲- العماره العباسيه/ ۱۳۳.

اللذين على جانبى المحراب فانهما مستطيلان من وجهما الداخلى حتى مستوى قمه الأبواب(۱).

ان الابراج خاليه من النقوش و الزخارف. اما اجزاء الجدران الواقعه بين الابراج فانها مزدانه فى قسمها الأعلى بست خسفات مربعه يظهر فى وسط كل منها خسفه مستديره تكسب الجدار رونقا و جمالا. و يبلغ قطر الخسفه المستديره مترا واحدا و عمقها (۲۵ سم) و قد بنى نصفها العلوى على شكل عقد نصف دائرى. و لا يزال قسم من هذه الخسفات تكسوه طبقه من الزخارف الجصيه. و فوق الخسفات بثلاثين سنتمترا يوجد افريز يتكون من صفين من الآجر. و يظهر على كل جزء من اجزاء الجدار بين الابراج شق شاقولى منتظم لا شک فى انه کان يحتوى على المواسير المخصصه لتصريف مياه الامطار مما يتجمع فوق سطح الجامع(۲).

و قد عثرت دائره الآثار العامه فى أثناء التحرى و التنقيب فى الجامع على قطع زجاجيه زرقاء غامقه مربعه الشكل طول ضلع الواحده منها (۵۰ سم) و سمكها (۵ ر ۳ سم) و يبدو انها كانت بالأصل تزين الجزء السفلى من الجدار القبلى داخل الحرم الى ارتفاع متر اعتبارا من تبليط ارضيه الجامع. و قد لوحظ ان هناک صفين من تلک القطع احدهما فوق الآخر، و تكبس فى الفراغات الحاصله بينهما مساند مدوره من نفس الزجاج لزياده تماسک القطع الزجاجيه التى كانت مثبته فى القديم على ثلاثه صفوف. و ما تزال آثار طبعاتها تشاهد بصوره سليمه جليه اسفل الجدار القبلى(۳).

۱- نفس المصدر/ ۱۳۱- ۱۳۳.

۲- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۴۶.

۳- العماره العباسيه/ ۱۵۰.

ابواب الجامع و نوافذه:

كان للجامع سبعه عشر مدخلا تختلف سعه كل منها باختلاف موقعها. اثنان منها فى الضلع الجنوبيه، و قد سبقت الاشاره الى انهما كانا مدخلين خاصين احدهما للخليفه و الآخر لأمام الجامع.

و قد اختيرت مواقع الأبواب الرئيسه الاخرى بشكل يتفق و نظام اروقه الجامع، و كانت موزعه على جهات الجامع الثلاث الباقيه.

ففى الجهه الشرقيه خمسه مداخل رئيسه عرض كل منها (۹۰ ر ۳ م) باستثناء احدها فقد وسع بعدئذ ليبلغ عرضه (۸۵ ر ۴) م. و فى الجهه الغربيه سبعه مداخل، خمسه منها اصليه انشئت عند بناء الجامع و قد بنيت على غرار مداخل الجهه الشرقيه من حيث مقاييسها و طراز عمرانها، و هى تقابلها تماما. اما المدخلان الآخران فقد اضيفا فى وقت لاحق بناء على الحاجه اليهما بسبب تزايد عدد المصلين و تزاحمهم على الابواب. و كان عرض احدهما (۶۵ ر ۲ م) و عرض الآخر (۲۵۸ ر ۲ م). اما الجهه الشماليه فقد كان فيها ثلاثه مداخل، و اوسطها اوسعها اذ يبلغ عرضه (۹۵ ر ۲ م) و هو يقابل المناره الملويه تماما(۱).

ان جميع الابواب المذكوره مستطيله الشكل، و هى تمتد بواسطه دعامات ترتفع عليها عقود، و فى اغلب الابواب تهدم البناء القائم فوقها، الا انه تبين بعد فحص النوافذ التى بقيت مصانه انه كان هناك عقد مرتفع مسطح يستند على عوارض(۲).

اما نوافذ الجامع فلم تكن كثيره، اذ خلت جدرانه منها عدا القسم الاعلى من الضلع الجنوبيه، اى الجدار القبلى. حيث توجد سلسله من النوافذ تبدو من الخارج كفتحات ضيقه مستقله،

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۹/ ۱۴۶- ۱۴۷.

۲- العماره العباسيه/ ۱۳۹- ۱۴۰.

الا انها تأخذ فی الداخل هیئه شبابیک جمیله. و یتألف کل واحد من هذه الشبابیک من دخله مستطیله الشکل یظهر داخلها عمودان من الآجر یحملان طاقا مکونا من خمس حنایا. و کان عدد هذه النوافذ (۲۴) نافذه، اثنتان منها تقعان فوق البابین الذین علی جانبی المحراب. و یحیط بکل نافذه اطار مستطیل ارتفاعه (۵ ر ۲ م) و عرضه (۹۰ ر ۱ م). و هناک شباکان آخر ان فی جنوبی کل من الضلعین الشرقی و الغربی. بحیث یصبح مجموع النوافذ (۲۸) نافذه، و یظهر ان الشبابیک الاربعه فتحت فی وقت متأخر عن وقت البناء(۱).

و قد عثر هرزفیلد فی اثناء تنقیباته علی نوعین من الزجاج یتألف النوع الأول من بقایا الواح زجاجیه سمیکه بیّن انها کانت تستخدم لهذه النوافذ، و النوع الآخر قطع صغیره مثلثه الشکل استخدمت لمل ء الحافات. و مما لفت نظره انه لم یجد هناک ایه علاقه تذکر بین صف النوافذ و ترتیب الابراج، بل ان النوافذ جمیعها متناسقه مع الاروقه الشمالیه و الجنوبیه للحرم و تقع علی محاورها(۲).

الاسوار الخارجیه للجامع:

یستدل من الحفریات التی اجریت فی منطقه الجامع و من الصور الجویه التی اخذت لها، انه کان یحیط بالجامع سور عظیم من الاجر من جوانبه الشرقیه و الغربیه و الشمالیه. و یحیط بهذا السور من الجوانب الاربعه سور کبیر آخر یفصله عن السور الأول فضاء مکشوف عظیم الاتساع فی جهاته الجنوبیه و الشرقیه و الغربیه، و یضیق فی الجهه الشمالیه، یبلغ طوله (۴۴۴) مترا،

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۹/ ۱۴۹.

۲- العماره العباسیه/ ۱۴۱- ۱۴۲.

و عرضه (۳۷۶) مترا. و يدعمه (۶۸) برجا، اربعه منها كبيره دائريه الشكل فى اركان السور، و سبعه عشر برجا، اربعه منها فى كل من ضلعيه الشرقى و الغربى، و خمسه عشر برجا فى كل من ضلعيه الشمالى و الجنوبى، و كلها بهيئه نصف دائره(۱).

كما لوحظت آثار ابنيه بين جدران الجامع و السور الداخلى تدل على انها كانت مدارس دينيه حول الجامع، يدرس فيها الطلاب الذين كانوا يسكنون هناك ايضا، على نمط المدارس الدينيه الحاليه الملحقه بالجوامع و الأماكن المقدسه(۲).

المناره الملويه:

الملويه مئذنه مخروطيه الشكل تستند الى قاعده مربعه، و يصعد الى قمتها من سطح مائل عريض يدور حولها من خارجها دوران الحلزون. و هى تقع خارج الجامع على بعد (۲۵ مترا) من ضلعه الشماليه و على محوره الأوسط، و ترتبط به بممر عرضه (۱۲ مترا). و كانت قد تعرضت الى تخريبات كثيره و بخاصه فى قاعدتها و فى لوالبها الاولى، حتى ان معالم القاعده كادت تزول تماما. فقامت دائره الآثار القديمه باعمال الصيانه اللازمه لها منذ سنه ۱۹۳۷، فأظهرت اسس القاعده و اعادت بناءها، و عمرت اللوالب فاعادت المرقاه الى حالتها السابقه(۳). و فى سنه ۱۹۷۰ شيدت سلما حديثا عند جانبها الجنوبى ليسهل عمليه الصعود اليها، و اصلحت التخريبات التى فى بدن المناره و رممت القمه،

۱- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۴۹، مجله سومر المشار اليها/ ۱۴۴.

۲- رى سامراء/ ۱۱۲.

۳- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ۴۵.

و نصبت سیاجا حدیدیا حول بدن المئذنه بارتفاع مناسب لیؤمن خطر ارتقائها(۱).

و یمکن تقسیم المناره الملویه الی ثلاثه اقسام هی: القاعده، و بدن المناره، و قمتها.

تتألف القاعده من مربعین الواحد فوق الآخر و ارتفاعهما معا ۲۰ ر ۴ م و طول ضلع المربع الأسفل ۵۰ ر ۳۱ م، و هناک افریز بارز بارتفاع ۱۵ سم یمتد حول الجوانب الاربعه للقاعده. اما المربع الثانی فهو فوق المربع السابق مباشره و اصغر منه قلیلا، و ابعاده ۶۰ ر ۲۰ م* ۴۰ ر ۳۰ م. و جوانب القاعده مزخرفه بعدد من الحنایا المستطیله المجوفه. فهناک ست حنایا علی الجانب الجنوبی المقابل للضلع الشمالیه للجامع، و تسع حنایا علی کل جانب من الجوانب الثلاثه الأخری(۲).

و تتصل قاعده الملویه بالجامع بواسطه اسس آجریه یرجح انها بقایا السلم المتخذ للصعود الی هذه القاعده. فقد کشفت الحفریات التی قام بها هرزفیلد و التحریات التی اجرتها مدیریه الآثار العامه عن وجود سلم منحدر طوله ۲۵ مترا و عرضه ۱۲ مترا مشید بالآجر، یبدأ من نقطه تبعد عن جدار الواجهه الشمالیه للجامع بمسافه قدرها ۲۵ ر ۲ متر ثم یأخذ ذلک المنحدر بالارتفاع حتی یتصل بالقاعده المذکوره، فی نفس المکان الذی یبدأ فیه السلم الحلزونی الموصل الی اعلی المناره الملویه(۳).

و یرتفع بدن المناره عن القاعده ب ۵۰ مترا. و تبدأ المرقاه الحلزونیه التی تضمن الصعود الی القمه، من وسط الضلع الجنوبیه للقاعده و تدور حول محور المئذنه باتجاه معاکس لاتجاه

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ من السنه ۱۹۷۰/ ۲۸۱.

۲- العماره العباسیه/ ۱۵۹.

۳- مجله سومر المشار الیها آنفا/ ۲۸۰.

دوران عقرب الساعه، خمس مرات. و هی تتناقص فی سعتها كلما ارتفعت، اذ انها تبدأ بعرض ۵۰ ر ۲ م و تنتهی بعرض ۹۰ ر ۱. الی ان تصل باب القمه الذی ینفتح هو ایضا فی وسط الضلع الجنوبیه. و یقول هرزفیلد ان السلم الحلزونی كان له سیاج من الخشب، و قد استدل علی ذلک من الثقوب التی رآها علی الجانب الخارجی منه(۱).

و تكون القمه اسطوانه یبلغ ارتفاعها سته امتار، و هی مزدانه بروازین عمیاء مدببه العقد و مقعره السطح، عددها ثمان، غیر ان احداها تقوم مقام باب ینفذ الی داخل الاسطوانه و یوصل الی ذروتها بواسطه سلم حلزونی یدور داخلها حول محورها(۲).

و هناک ثمانیه ثقوب فی قاعده الاسطوانه استدل منها هرزفیلد انها ربما كانت تغطی ذلک الموضع سقیفه محموله علی ثمانیه اعمده خشبیه مثبته فی تلک الثقوب. الا ان بعض الآثاریین رجحوا ان هذه الثقوب او الحفر تعود لأعمده رخامیه باعتبار ان الرخام اكثر مقاومه للعوامل الطبیعیه. الا ان الهیئه الفنیه التی انیط بها صیانه الملویه فی سنه ۱۹۷۰ عثرت فی احد تلک الثقوب علی بقایا من عمود خشبی، مما دل علی ان هرزفیلد كان مصیبا فی أستنتاجه(۳).

طراز المناره الملویه:

امتازت مناره الجامع الكبیر فی سامرا بانها طراز غریب فی نوعه، سواء من حیث شكلها و مظهرها، او طریقه ارتقائها الی اعلاها. فقد كانت المنائر حتی تاریخ انشاء الملویه اسطوانیه فی

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۴۵.

۲- نفس المصدر.

۳- مجله سومر- للعددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۷۰/ ۲۸۰.

شکلها او مربعه و یصعد الیها بسلالم داخلیه. و کلما کانت المناره مرتفعه سامقه کانت ادعی الی الجمال و الروعه. و ملویه سامرا بضخامتها و شکلها المخروطی اللولبی لیست جمیله رائعه حسب، بل انها مهیبه تملأ النفس رهبه و خشوعا اضافه الی سلمها الخارجی الحلزونی، مما اکسبها میزه واضحه علی غیرها من المنائر. و من هنا کان اهتمام الآثاریین، لا سیما المعماریین منهم شدیدا فی معرفه اصول هذا الطراز من المنائر، و حاولوا ان یتعرفوا علی المصدر الذی اقتبسه منه معمار سامرا، فطرحت عده افتراضات لذلک، و امعن بعضها فی الغرابه حین افترض ان طراز الملویه مقتبس من معابد النار المجوسیه. و یظهر ان اصحاب هذا الافتراض تناسوا ان الدین الاسلامی انما جاء لیقضی علی المجوسیه و معابدها، مما لا یمکن القول معه ان یقتبس طرازها. کما تناسوا اصاله حضاره وادی الرافدین و عمق جذورها، و انها عرفت هذا النوع من البناء ذی السلالم الحلزونیه الخارجیه.

فقد اقام العراقیون «الزقورات» فی جنوبی البلاد و شمالیها، التی تمیز جمیعها بضخامتها و تعدد طوابقها و طریقه ارتقائها الی اعلاها. و هی نفس الصفات التی تمیزت بها ملویه سامرا. لذا یصح ما قاله کریزویل بان السلم الحلزونی المستخدم فی مناره سامرا و مناره جامع ابی دلف مقتبس من الزقورات(۱)، قولا مقبولا.

ان الزقورات التی شیدت فی سومر و بابل و آشور لم تکن من طراز واحد، کما انها اختلفت فیها طریقه الوصول الی قمتها.

فقد اتخذت فی بعضها السلالم الاعتیادیه المتصله ببعضها بین طابق و آخر، و اتخذ فی بعضها الآخر السلم الذی یدور حول البناء عده دورات حتی یصل الی اعلاه. و کان برج بابل و زقوره خرسباد

۱- Creswell ,E .M .A .P :۹۷۲

(دور شروكين) قد اتبع فيهما الاسلوب الأخير. و يقول هيرودوتس عن برج بابل «ان حاره الاله (جوبتر- بعل) المقدسه فناء مربع طول كل ضلع من اضلاعه نصف الميل، ذو ابواب من البرنز الصلد، كانت ما تزال باقيه فى زمنى. و يقع وسط ذلك الفناء او الساحه برج ذو بناء صلد طوله ٨/ ١ الميل و عرضه ٨/ ١ الميل ايضا، اقيم فوقه برج ثان و على هذا برج ثالث، و هكذا الى البرج الثامن الأعلى. و كان الصعود الى القمه من الخارج بواسطه سلم يدور حول جميع الابراج، و عند ما يبلغ المرء منتصف المسافه فى صعوده فانه يجد موضعا للاستراحه، حيث اعتاد الناس الجلوس بعض الوقت و هم فى طريق ارتقائهم الى القمه»(١).

اما زقوره خرسباد (دور شروكين) فقد كشفت منذ ما يزيد على مائه عام على يد الباحث الفرنسى فكتور بلاس-Victor Place الذى عثر على ثلاث طوابق و بقايا طابق رابع، و لم يجد الزقوره اسطوانيه كما كان يتوقع بل وجدها مربعه الشكل طول ضلعها ١٠ ر ٤٣ مترا، و لها سلم يبدأ من الزوايه الجنوبيه و يستمر على طول الواجهه و يلتف عند الزاويه، ثم يرتفع مارا بالزوايا على التوالى حتى يجد الصاعد نفسه فى الطابق الأول فوق النقطه التى بدأ بالصعود منها و لكن على ارتفاع ١٠ ر ٦ متر، و يستمر السلم بالدوران حول البرج بعكس اتجاه دوران عقرب الساعه- كما فى ملويه سامرا- حتى يتم صعود الطوابق الثلاثه بارتفاع ١٠ ر ٦ متر لكل منها(٢). و يقول المهندس المعمارى الهولندى بوسنك-Busink احد المختصين بالموضوع ان الزقوره المذكوره تتألف من خمسه طوابق فقط، و فى الطابق الخامس معبد الاله آشور، و الوصول الى هذا الطابق لم

١- مقدمه فى تاريخ الحضارات القديمه/ ٥٧٠.

٢- ٩٧٢: P. A. M. F, Creswell

یکن بسلم اعتیادی و انما بمنحدر حلزونی یدور حول البرج(۱).

ان ما اوردناه آنفا یوضح ان طراز ملویه سامرا طراز محلی عریق توارثته الاجیال فی وادی الرافدین خلال العصور الطویله من تاریخها، بحیث لا یمکن الزعم بانه لم یکن هناک نموذج للملویه فی العراق عند ما بنیت سامرا و اسس الجامع الکبیر، فی القرن الثالث، و ان المعمار الذی تولی بنایتها کان خبیرا ماهرا لا تنقصه القابلیه علی الابتکار و التطویر فبناها علی اساس دائری و لیس مربعا، فجاء بهذه التحفه الفنیه التی ستبقی خالده علی مر العصور.

۵- قصور المتوکل علی اللّه:

اشاره

اهتم المتوکل علی اللّه ببناء القصور اهتماما عجیبا یثیر الانتباه. فقد بنی عددا منها فی انحاء مختلفه من سامرا، و قد تفنن فی تزیینها و زخرفتها و انشاء حدائقها و برکها الجمیله.

و لعله وجد فی ذلک ما یشغله و یلهیه عن مشاکل القواد الأتراک، و یحرره من ضغوطهم المالیه و الاداریه. و قد سبقت الاشاره الی سوء العلاقه بین الطرفین، و محاوله کل منهما اخضاع الطرف الآخر او الفتک به و التخلص منه. الا ان مما یؤسف له انه رغم متانه بناء تلک القصور و رصانه اسسها، لم یبق منها شی ء سوی اطلال بعضها و آثار من اسسها تساعد الی حد ما علی معرفه تخطیطها و مساحاتها و مواد بنائها. اما ما احتوت علیه من ریازه و تصاویر و افاریز مما یعبر عما وصل الیه الفن العمرانی فی عهد سامرا، فقد ذهب به الاهمال و عوادی الزمن، و لم یبق سوی بعض القطع و الکسر مما یعثر علیه بین الآکام، فتتخذ

۱- Nenneveh and Btbylon ,P .ll .

وسیله للاستدلال و الاستنتاج مما لا ـ یمکن معه الوصول الی الحقیقه کامله. و ان ما جاء فی طیات المصادر التی ذکرت تلک القصور لا یزید علی نتف و اشارات لا تشفی الغلیل، و ان ما قاله الشعراء فیها اقتصر علی مدحها و التفاخر بها و ذلک فی معرض مدح الخلیفه و الثناء علیه و التزلف الیه. و لا یتضمن شعرهم شیئا عن محتویاتها او زخارفها و رسومها او اثاثها، سوی النزر الیسیر.

علی اننا سنحاول ان نتحری ما جاء فی ثنایا الشعر و تلک المصادر عما کانت تضمه تلک القصور بین جدرانها من مرافق و اجنحه، و ما یحیط بها من حدائق، و ما یزینها من برک و احواض. و یمکن اعتبار کتاب الدیارات للشابشتی و معجم البلدان لیاقوت الحموی اغزر تلک المصادر عن القصور المذکوره.

فقد ذکرا اغلبها و اشارا الی بعض مما ذکرنا، و لم یفتهما ان یبینا مقدار ما انفق من الأموال علیها. و یقدر الشابشتی مجموع ما انفقه المتوکل علی اللّه علی بناء القصور و عددها (۱۹) قصرا بمائتی الف الف و اربعه و سبعین الف الف درهم و مائه الف الف دینار (و لعلها مائه الف دینار)، و هی تعادل آنذاک ثلاثه عشر الف الف دینار و خمسمائه الف دینار و خمسه و عشرین الف دینار(۱). و یقول یاقوت الحموی ان مجموع ما انفقه علی ذلک هو مائتا الف الف درهم و اربعه و تسعون الف الف درهم(۲). اما النویری فیقول: «حکی المؤرخون انه أنفق فی بنائها مائه الف دینار و خمسون الف دینار عینا، و مائتا الف الف و ثمانیه و خمسون الف الف و خمسمائه الف درهم»(۳).

۱- الدیارات/ ۱۵۹- ۱۶۰.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۳- نهایه الارب ۱/ ۴۰۶.

و سنحاول فیما یأتی من البحث ان نلم باکثر ما جاء فی مصادرنا التراثیه عن بعض تلک القصور، و ما اسفرت عنه التنقیبات و التحقیقات الحدیثه عنها.

قصر بلکوارا:

اختلفت المصادر فی اسم هذا القصر، اذ ورد باسماء متقاربه بالفاظها. فقد سماه الیعقوبی فی (کتاب البلدان) «بلکوارا»(۱). و ورد فی الطبری «برکوارا»(۲). و ذکره الشابشتی باسم «برکوار» و باسم «برکوارا»(۳). اما یاقوت الحموی فقد سماه (یزکوار) و (برکوان)(۴). و یبدو ان هذا الاسم من الکلمات الدخیله و لذا تعدد صور رسمه و الفاظه.

و یقول الدکتور احمد سوسه ان المتوکل علی اللّه اطلق علیه اسم «بلکوارا» الا ان بعض المؤرخین سموه برکوارا او بزکوارا(۵).

و فسر الاستاذ عبد الحمید الدجیلی الکلمه بقوله انها فارسیه و ضبطها الصحیح «بزرکوارا» ای القصر العظیم الکبیر جدا، و یری الاستاذ احمد حامد الصرواف، و هو من الادباء المتقنین للغه الفارسیه ان الاصح فی تسمیته هو «برکوارا» و معناه الهانی ء او الهنی ء(۶). و رأینا المستشرقین و الآثاریین ممن اشاروا الی هذا القصر انهم آثروا استخدام الاسم «بلکوارا» الذی ذکره الیعقوبی.

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۵.

۲- الطبری ۹/ ۴۹۰.

۳- الدیارات/ ۱۵۰ و ۱۵۶ و ۱۵۹ و ۱۶۰ علی التوالی.

۴- معجم البلدان ۱/ ۴۱۰ و ۳/ ۱۷۵ و ۵/ ۷۱.

۵- ری سامراء ۱/ ۱۲۵.

۶- الدیارات/ ۳۶۶.

لقد شـيد المتوكل على اللّه هذا القصـر فی اقصی الجنوب لمدينه سامرا فی منطقه القادسيه عملا بخطته فی توسيع عمران المدينه الی مختلف جهاتهـا. و تقع اطلالـه اليوم علی مسـافه سـته كيلومترات من مـدينه سـامراء الحـاليه و يسـمی موقعه «المنقور». ذكره الشابشتی فی معرض كلامه عن متنزه القادسيه فقال: «و بالقادسيه بنی المتوكل قصره المعروف ببركوار، و لما فرغ من بنائه و هبه لابنه المعتز و جعل اعذاره فيه. و كان من احسن ابنيه المتوكل و اجلّها، و بلغت النفقه عليه عشرين الف الف درهم»(۱).

و اشـار الی ان الاـيوان الـذی اقيم فيه الاحتفـال باعـذار المعتز كان واسـعا طوله مائه ذراع و عرضه خمسون ذراعا(۲). و ذكر ان المتوكل علی الله كان يتردد علی هذا القصر فی المواسم و الأعياد، و يجلس فيه للشراب(۳).

و يعتبر قصـر بلكوارا القصـر الوحيد من القصور التی بناها المتوكل علی اللّه فی سامرا مما امتدت اليه ايدی الآثاريين فكشـفوا لنا عن معالمه ما لم تتضـمنه المصادر التراثيه. فقـد نقب الاسـتاذ هرزفيلد فی سـنه ۱۹۱۱ فی هـذه المنطقه و اكتشف اسـس و معالم القصـر المذكور. و قد لخص ما كتبه عنه مؤلف كتاب (العماره العباسـيه فی سامرا) تلخيصا وافيا سـنعتمد فی استعراضنا هذا عليه ما لم نشر الی مصدر آخر(۴).

تشـغل مبانی هـذا القصـر مساحه واسـعه من الأرض تزيـد علی ثلاثه امثال مـدينه سامراء الحاليه عند ما كانت مسوره. و يحيط به سور مستطيل ذو ابراج طوله (۱۲۵۰) مترا، يرتكز جانبه

۱- نفس المصدر/ ۱۵۰.

۲- الديارات/ ۱۵۰.

۳- نفس المصدر/ ۱۶۰.

۴- العماره العباسيه/ ۱۶۵- ۱۷۰.

الجنوبی علی شاطی ء دجله الصخری الذی یرتفع بمقدار خمسه عشر مترا. و له ثلاثه ابواب تقع فی منتصف الجدران الشمالیه و الشرقیه و الغربیه. و یخترق البناء شارعان رئیسان متقاطعان.

و کانت الأرض تضم الی جانب القصر مجموعه من المنازل و ثکنات الحرس. و هناک حدیقه واسعه خارج جدار القصر یحیط بها سور ذو دعامات یکسوه الملاط، ینتهی عند الشاطی ء بسقفیات غنیه بالزخارف، و یتوسط الحدیقه حوض ماء کبیر. و قد انشی ء الی جانب الحدیقه مرفأ خاص للسفن التی یستخدمها القصر(۱).

و کان للقصر مدخل رئیس کبیر یتوسط جداره الشمالی الشرقی، فی منتصف ساحه مربعه عند تقاطع الشارعین. و تقسم بنایات القصر الی ثلاثه اقسام متوازیه، یحتوی القسم الأوسط منها علی بوابه القصر الضخمه، و ثلاث رحبات و تسع قاعات مرتبه علی شکل صلیب. و تفتح غرف العرش علی الرحبه الثالثه کقاعات کبیره مفتوحه علی النهر. و قد روعی التناسق المحوری و التشابه التام علی جانبی القصر. و کانت الواجهات المطله علی الرحبه و الحدیقه ذات ثلاثه عقود، کما هی الحال فی دار الخلیفه، و یزید العقد الأوسط منها اتساعا و ارتفاعا علی العقدین الجانبیین. و خصصت القاعات ذات المداخل و الواجهات المتماثله للاجتماعات العامه. اما القاعتان الخارجیتان الواقعتان علی المحور الرئیس للقصر فلهما شکل الحرف و کان ذلک مألوفا آنذاک فی ابنیه سامرا. و تقوم حول هاتین القاعتین رحبات و غرف کثیره للسکن، بینها حمام فاخر مکسو بالرخام.

و هناک اربع مجموعات من الغرف المتشابهه، بین اذرع الصلیب، یتکون کل منها من ثمانی غرف تدور حول فناء مربع

۱- ری سامراء ۱/ ۱۲۷.

الشكل. و قد سقفت القاعات الكبيره بالخشب، او بسقوف معقوده على الأرجح. اما الغرف الصغيره فقد سقفت بعقود من الطابوق.

و شيد عدد من المساكن فى القسم الممتد بين رحبه الشرق الثالثه و الحائط المطل على النهر. اما الفضاء المجاور للرحبتين فقد كان خاليا من البناء تقريبا. و هذه البيوت يمكن اعتبارها نماذج لطراز البيوت الخاصه فى سامرا. فهى تتكون من ست عشره غرفه مجتمعه حول فناء مستطيل الشكل، و يظهر انها كانت معده لسكنى الحرم و الخدم.

و يلاحظ عند حائط الرحبه الثالثه بقايا مسجد ذى اروقه منتظمه، و له محراب فى رواقه الجنوبى، ابعاده ۱۵* ۱۳ مترا، و له صفان من الاعمده من الرخام او الخشب الساج. و كان المسجد مبنيا بالآجر، و لم يبق منه سوى آثار مواضع الاعمده و اسس قواعدها. كما وجدت آثار مسجد صغير آخر فى القسم الجنوبى من القصر، تبلغ ابعاده ۳۵ ر ۱۰* ۷۶ ر ۷ متر، و قد شيد باللبن، و له ثلاثه ابواب فى جداره الشمالى، و يتألف محرابه من حنيه مستديره عميقه تحيط بها انصاف اعمده مزخرفه بزخارف ذات تقوير، و هى تشكل اطارا مستطيلا للمحراب.

و يختلف القسم الشمالى من القصر فى تخطيطه، ففيه رحبات كبرى يرجح انها كانت ثكنات للحرس.

و قد تميز قصر بلكوارا بزخارفه الجصيه التى كانت تغطى مساحات كبيره من سطوح جدرانه و سقوفه و افاريزه. و من طبيعه الزخارف التى تغطى مساحات واسعه انها تعتمد على تكرار الزخرف الواحد، و لذا يقل التنوع فيها. و لقد زينت جدران بعض الغرف و سقوفها بصور مائيه مموهه بالذهب اضافه الى الزخارف الجصيه. و كانت تعلو الافاريز حنايا جداريه فى ثلاثه

صفوف، السفلی منها مربعه، و الوسطی مدببه العقد، و العلیا دائریه. اما واجهه القصر ذات العقود الثلاثه فقد زینت بالفسیفساء الزجاجیه علی ارضیه مذهبه.

و عملت ابواب الغرف من الخشب الجید، و قد حفرت علیها الزخارف و النقوش الجمیله المختلفه، و قد موّه اکثرها بالذهب.

کما موهت مسامیرها النحاسیه بالذهب کذلک. اما النوافذ فکانت مغطاه بالزجاج الملون بمختلف الالوان لا سیما الازرق و الأصفر الغامق و الفاتح، و الأخضر الغامق، و الأحمر القانی، و البنفسجی و الابیض الرائق.

یعد قصر بلکوارا عملا معماریا من الطراز الاول، و لا یعود ذلک الی سعه مساحته حسب، و انما لما اشتمل علیه من مظاهر عمرانیه غنیه، و انسجام فی مختلف اقسامه، و تخطیط قاعاته و رحباته، و تباین اشکال مداخله، و بلغ اقصی عظمته المعماریه فی واجهته ذات العقود الثلاثه المزینه بالفسیفساء. کما ان اختیار المواقع یشیر الی مهاره هندسیه کبیره، و معرفه واسعه باختیار المواقع الممتازه للبناء. اذ ان الواقف فی الحجره الوسطی یری باتجاه الشمال الغربی صفا کبیرا من القاعات و رحبات الشرف الثلاث مع بواباتها، و الحدیقه و النهر، و الاراضی المتموجه الممتده الی الجزیره.

و قدر رتبت شتی العناصر المتباینه التی کان یتألف منها هذا القصر العظیم ترتیبا متناسقا فبدت جمیله الترکیب، روعی فی تخطیطها ان تکون واسعه النطاق علی هیئه الحرف بحیث ینتهی محورها الطویل العمودی علی النهر بالغرف الثلاث المعقوده فی الواجهه، و قد زینت زینه بدیعه بآیات النحت و الفسیفساء(۱).

۱- دائره المعارف الاسلامیه ۱۱/ ۸۶.

و اعتبره الآثاری کریزویل من اعظم المنشآت المعماریه لکبر مساحته و ضخامه حجمه، و کثره الظواهر الفنیه المعماریه فیه(۱). و یقول عنه المستشرق الالمانی بروکلمان انه اهم بناء لا تزال اسسه محفوظه لنا فی سامرا، و قد اعجب کثیرا بتخطیطه و محتویاته و ملحقاته، و بخاصه ظاهره الانسجام بینها(۲).

و لخص العالم الآثاری ارنست کونل وصف القصر بمایلی: «بناه الخلیفه المتوکل لأبنه المعتز، بالقرب من سامرا، علی غرار قصر الحیره. و به عده افنیه کبیره متتابعه و عدد من قاعات العرش المتعامده، ممتده علی طوله علی هیئه ابهاء مکشوفه لها واجهات مؤلفه من ثلاثه عقود. و عن یمین وسطه و یساره تمتد اروقه بها عشرات من المساکن لکل منها فناء خاص. و ینتهی ذلک کله بحدیقه تتجه نحو دجله ممتده الی ما وراء السور الخارجی، و بها حوض ماء و مرسی للزوارق»(۳).

قصرا الشاه و العروس:

اعتبرهما الیعقوبی من القصور التی انفق علیها المتوکل علی اللّه اموالا عظاما(۴). و ذکرهما الشابشتی فی جمله القصور التی انشأها المتوکل علی الله(۵). و قال یاقوت الحمودی عنهما «قصران عظیمان بناحیه سامرا انفق علی عماره الشاه عشرون الف الف درهم و علی العروس ثلاثین الف الف درهم. ثم نقضت فی ایام المستعین و وهب نقضاتها لوزیره احمد بن الخصیب فیما

۱- ری سامراء ۱/ ۱۲۷.

۲- تاریخ الشعوب الاسلامیه ۲/ ۵۰.

۳- الفن الاسلامی/ ۳۷.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

۵- الدیارات/ ۱۵۹.

وهب له»(۱). کما انه ذکر قصر العروس و ما انفق علیه فی معرض بیان ما بناه المتوکل علی اللّه من القصور(۲).

و جاء فی الاغانی «لما عقـد المتوکل لولاه العهود من ولـده رکب بسـر من رأی رکبه لم یر احسن منها، و رکب ولاه العهود بین یـدیه، و الاتراک بین ایـدیهم اولادهم، یمشون بین یدی المتوکل بمناطق الذهب، و فی ایدیهم الطبرزینات المحلاه بالذهب. ثم نزل فی الماء فجلس فیه و الجیش معه، فی الجوانحیات و سائر السفن.

و جـاء حتی نزل فی القصـر الـذی یقـال له العروس، و اذن للناس فـدخلوا الیه. فلما تکاملوا بین یـدیه مثل ابراهیم بن العباس بین الصفین، فأستأذن فی الانشاد فاذن له، فقال(۳):

و لما بدا جعفر فی الخمیس بین المطل و بین العروس

بدا لابسا بهما حلهأزیلت بها طالعات النحوس

و لما بدا بین احبابه ولاه العهود و عز النفوس

غدا قمرا بین اقماره و شمسا مکلله بالشموس

و ذکر فی حوادث السنه (۲۳۷ ه) فی النجوم الزاهره «و فیها کان بناء قصـر العروس بسامرا، و تکمل فی هذه السـنه، فبلغت النفقه علیه ثلاثین الف الف درهـم»(۴).

قصرا المختار و البدیع:

ذکر الیعقوبی قصر البدیع بین القصور التی بناها المتوکل علی اللّه(۵). و ذکر الشابشتی القصرین المختار و البدیع فی

۱- معجم البلدان ۳/ ۳۱۶.

۲- نفس المصدر/ ۱۷۵.

۳- الاغانی ۱۰/ ۶۴.

۴- النجوم الزاهره ۲/ ۲۹۰.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

جمله قصور المتوکل علی اللّه(۱). و قال یاقوت الحموی عن قصر البدیع: «اسم بناء عظیم للتوکل بسر من رأی»(۲). و قال عن قصر المختار «قصر کان بسامرا من ابنیه المتوکل. ذکر ابو الحسن علی بن یحیی المنجم عن ابیه، قال: أخذ المتوکل بیدی یوما و جعل یطوف الابنیه بسامرا لیختار بیتا یشرب فیه. فلما انتهی الی البیت المعروف بالمختار استحسنه و جعل یتأمله و قال لی:

هل رأیت احسن من هذا البناء؟ فقلت: یمتع اللّه امیر المؤمنین، و تکلمت بما حضرنی. و کانت فیه صور عجیبه من جمتلها صور بیعه فیها رهبان و احسنها صوره شهار البیعه. فأمر بفرش الموضع و اصلاح المجلس. و حضر الندماء و المغنون، و اخذنا فی الشرب.

فلما انتشی فی الشرب اخذ سکینا لطیفا و کتب علی حائط البیت:

ما رأینا کبهجه المختارلا و لا مثل صور الشهار

مجلس حف بالسرور و بالنرجس و الآس و الغنا و الزمار

لیس فیه عیب سوی ان ما فیه سیفنی بنازل الأقدار

فقلت: یعیذ اللّه امیر المؤمنین و دولته من هذا، و وجمنا.

فقال: شآنکم و ما فاتکم من وقتکم، و ما یقدم قولی خیرا و لا یؤخر شرا»(۳). و قال یاقوت ان النفقه علی قصر المختار کانت خمسه آلاف الف درهم(۴).

و جاء فی الطبری عن هذین القصرین ان المتوکل علی اللّه لما امر ببناء الماحوزه، و سماها الجعفری، امر بنقض القصر المختار

۱- الدیارات/ ۱۵۹.

۲- معجم البلدان ۱/ ۳۵۹.

۳- معجم البلدان ۵/ ۷۰- ۷۱.

۴- نفس المصدر ۳/ ۱۷۵.

و البـديع و حمـل ساجهما الى الجعفرى(۱). و يقول الـدكتور احمـد سوسه ان الاطلال الموجوده فى السـاحه المسوره فى حلبه السباق القديمه يرجح ان تكون من بقايا قصر البديع. و دليله على ذلك ان البحترى فى احدى مدائحه الخليفه المعتز باللّه اقترح عليه ان يمد فرع قناه سامرا الذى انشى ء لتموين قصر الدكه بالماء. فيوصله الى قصر البديع و منه ينهيه الى دجله قرب الجوسق و ذلك فى قوله(۲):

الحقه يا خير الورى بمسيرهو امدد فضول عبابه المتدفق

فاذا بلغت به البديع فانماانزلت دجله فى بناء الجوسق

و يلاحظ ان الشاعر يقصد بذكر البديع الموضع الذى كان يشغله القصر المذكور، لأنه كان قد نقض فى عهد المتوكل على اللّه، كما ذكرنا آنفا. ان يكون النقض قد شمل جانبا يسيرا منه و بقى القسم الرئيس للقصر ماثلا حتى عهد المعتز باللّه.

قصرا الصبيح و المليح:

يفهم من قصيده للبحترى يشير فيها الى اربعه قصور من قصور المتوكل على اللّه، هى: الجعفرى و شيراز و الصبيح و المليح، ان قصر: لصبيح شيد بعد المليح. و انهما يقعان فى منطقه واحده، و هما متقابلان تتوسطهما بركه من الرخام الاخضر يسقيها جدول

۱- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۲- رى سامراء ۱/ ۱۲۵.

ماء علیه دوالیب یدیرها النعام بدلا عن الجمال کما هو المألوف، یقول فیها(۱):

و استتم الصبیح فی خیر وقت فهو مغنی انس و دار مقام

ناظر وجهه الملیح فلوینطق حیاه معلنا بالسلام

البسا بهجه و قابل ذا ذاک،فمن ضاحک و من بسام

کالمحبین لو اطاقا التقاءافرطا فی العناق و الالتزام

مستمد بجدول من عباب الماءکالابیض الصقیل الحسام

فاذا ما توسط البرکه الخضراءالقت علیه صبغ الرخام

فتراه کأنه ماء بحریخدع العین و هو ماء غمام

و الدوالیب اذ یدرن و لا ناضح بهن غیر النعام

ان خیر القصور اصبح موهوبابکره العدی لخیر الامام

و کان مبلغ ما انفق علی کل من الصبیح و الملیح خمسه آلاف الف درهم(۲). مما یستدل منه انهما قصران صغیران اعدا للنزهه و الاستراحه. و یظهر من قصیده اخری للبحتری امتدح بها

۱- کامل القصیده فی دیوان البحتری ۳/ ۲۰۰۴- ۲۰۰۷.

۲- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

المتوکل علی اللّه بعد انتهائه من بناء القصر الجعفری فی المتوکلیه فی سنه ۲۴۶ ه، ان قصر الصبیح کان روضه بهیجه کثیره الورود.

و کنا ذکرنا بعض ابیات هذه القصیده عند الکلام عن القصر الجعفری.

و قد ذکر الشابشتی هذین القصرین بین قصور المتوکل علی اللّه(۱). کما کنا قد اشرنا فی مکان آخر الی ان هذین القصرین یرجع انهما بنیا فی المتنزه الذی انشأه المتوکل علی اللّه فی حیر الحیوانات.

قصر البرج:

یقول الیعقوبی ان المتوکل علی اللّه انفق علی البرج الف الف و سبعمائه الف دینار(۲). و یقول یاقوت الحموی ان ما انفق علیه کان عشره آلاف الف درهم(۳). و ذکر الشابشتی نفس المبلغ الذی قال به الیعقوبی(۴). و یظهر مما سنذکره من بعض اوصاف القصر ان ما ذکره الیعقوبی و الشابشتی اقرب الی واقع النفقه علیه.

یصفه الشابشتی بأنه «من احسن ابنیه المتوکل، فجعل فیه صورا عظاما من الذهب و الفضه، و برکه عظیمه جعل فرشها ظاهرها و بطاننها صفائح الفضه. و جعل علیها شجره ذهب فیها کل طائر یصوت و یصفر، و کلله بالجوهر، و سماها طوبی. و عمل له سریر من الذهب کبیر علیه صورتا سبعین عظیمین، و درج علیها

۱- الدیارات/ ۱۵۹.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۴- الدیارات/ ۱۶۱.

صور السباع و النسور و غير ذلک، على ما يوصف به سرير سليمان بن داود عليهما السلام. و جعل حيطان القصر من داخل و خارج ملبسه بالفسيفساء و الرخام المذهب. فبلغت النفقه على هذا القصر الف الف و سبعمائه الف دينار. و جلس فيه على السرير الذهب، و عليه ثياب الوشى المثقله. و امر الا يدخل عليه احد الا فى ثياب و شى منسوجه او ديباج ظاهره. و كان جلوسه فيه سنه تسع و ثلاثين و مائتين. ثم دعا بالطعام، و حضر الندماء و سائر المغنين و الملهين، و كل الناس. و رام النوم فما تهيأ له. فقال له الفتح: يا مولاى، ليس هذا يوم نوم. فجلس للشرب. فلما كان الليل رام النوم، فما امكنه، فدعا بدهن بنفسج، فجعل منه شيئا على رأسه و تنشقه فلم ينفعه. فمكث ثلاثه ايام بلياليها لم ينم.

ثم حم حمى حاده، فانتقل الى الهارونى قصر اخيه الواثق، فاقام به سته اشهر عليلا، و امر بهدم البرج و ضرب تلک الحلى عينا»(۱).

و قد نقل النويرى طرفا من هذا الوصف، و اضاف: و قد وصفه الشعراء فمن ذلک قول السرى(۲):

مجلس فى فناء دجله، يرتاح اليه الخليع و المستور

طائر فى الهواء، فالبرق يسرى دون اعلاه و الحمام يطير

فاذا الغيم سار، اسيل منه حلل دون جدره و ستور

۱- الديارات/ ۱۶۰- ۱۶۲.

۲- نهايه الأرب ۱/ ۴۰۶- ۴۰۷. و السرى هو الشاعر ابو الحسن السرى ابن احمد بن السرى الكندى، الملقب بالرفاء، لانه كان فى صباه يرفو و يطرز الملابس. توفى سنه ۳۶۶ ه و قيل سنه ۳۴۴ ه- و فيات الاعيان ۲/ ۱۰۴- ۱۰۵.

و اذا غارت الکواکب صبحافهو الکوکب الذی لا یغور

و قال ایضا:

منزل کالربیع حلت علیه حالبات السحاب عقد النطاق

یمتع العین فی طرائف حسن تتحامی بها عن الاطراق

بین ساج کأنه ذائب التبر مثل ذائب الأوراق

و یظهر من هـذا الوصف ان قصـر البرج کـان عظیم الارتفـاع، یناطـح الغیم: ناصع البیاض یغالب بیاضه ضوء الشـمس، و انه کان متعه للناظرین. و یوحی هـذا الوصف ان القصـر بقی عامرا شامخا حتی اواخر مقام الخلافه بسامرا و بعدها لعده عقود من السـنین بحیث ادرکه الشاعر السـری و وصـفه بشـعره المـذکور. و قد اشار الشابشتی الی ان المتوکل علی اللّه امر بهدمه فی اواسط عهده بالخلافه. الا ان یکون الهدم قد اهمل فی حینه بالنظر لجمال القصر و روائه، او ان الهدم اقتصر علی قسم منه.

القصور الاخری:

و هنـاک قصور اخری شـیدها المتوکـل علی اللّه، الاـ ان مـا جـاء عنها فی المصادر لیس فیه ما یسـتحق الـذکر سوی نسـبه تلک القصور الی الخلیفه المـذکور، و ذکر المبالغ التی أنفقت علیها. و قـد یرد فی بعضـها معلومات قلیله جدا عنها. و من هذه القصور مما اتفق علی ذکرها الشابشتی و یاقوت الحموی ما یأتی(۱):

۱- الدیارات/ ۱۵۹ و معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

البهو: و قد انفق على تشييده خمسه و عشرون الف الف درهم، و لم يذكرا شيئا عن موضعه و تاريخ انشائه. و يبدو انه كان فخما فسيحا لارتفاع كلفته.

الجعفرى المحدث: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

و قد ذكره الطبرى فى احداث سنه ۲۴۸ ه، و ذلك عند ما سكنه المنتصر باللّه الذى أثر ترك المتوكليه و العوده الى سامرا، و فيه كانت وفاته(۱).

شيراز: انفق عليه عشره آلاف الف درهم. و ذكره الشابشتى باسم «السندان».

الغريب: بلغت النفقه عليه عشره آلاف الف درهم.

قصر بستان الايتاخيه: انفق على تشييده عشره آلاف الف درهم. و سماه الشابشتى «القصر». و قد يكون هو احد القصور التى ذكرها اليعقوبى ان عندها ينتهى شارع ابى احمد فى قطيعه القائد ايتاخ(۲).

القلائد: ذكره ياقوت الحموى و قال ان المتوكل على اللّه انفق عليه خمسين الف دينار، ثم جعل فيه ابنيه بمائه الف دينار. و ذكره الشابشتى باسم «القلايه».

الجوسق: كان المعتصم باللّه شيد قصرا كبيرا لسكناه على دجله جنوبى دار العامه و سماه الجوسق الخاقانى. و قد اشرنا اليه و الى اهميته فى تاريخ سامرا. و بنى المتوكل على اللّه قصرا بنفس الاسم انفق عليه خمسمائه الف درهم(۳). و يظهر من ضآله المبلغ الذى انفق على بنائه اذا ما قورن بما انفق على القصور الاخرى التى

۱- الطبرى ۹/ ۲۳۷ و ۲۴۴ و ۲۵۴.

۲- كتاب البلدان ۲۶۱- ۲۶۲.

۳- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

بناها الخليفه المذكور، انه لم يكن قصرا فخما قائما بذاته، بل ربما كان جناحا ملحقا بالجوسق الخاقانى فسمى باسمه.

و قد سبق للمتوكل على اللّه لما نزل فى اول خلافته فى القصر الهارونى انه بنى فيه ابنيه جديده. فمدحه الشاعر على بن الجهم و وصف بعض معالم هذا القصر بما يوحى كأن المتوكل على اللّه هو الذى بناه، بقصيده منها قوله(۱):

ما زلت اسمع ان الملوك تبنى على قدر اخطارها

و اعلم ان عقول الرجال يقضى عليها بآثارها

فللروم ما شاده الاولون و للفرس مأثور احرارها

فلما رأينا بناء الأمام رأينا الخلافه فى دارها

بدائع لم ترها فارس و لا الروم فى طول اعمارها

صحون تسافر فيها العيون و تحسر عن بعد اقطارها

و قبه ملك كأن النجوم تفضى اليها باسرارها

لها شرفات كان الربيع كساها الرياض بانوارها

نظمن الفسيفس نظم الحلى لعون النساء و ابكارها

فيضن كمصبحات برزن بفصح النصارى و افطارها

فمنهن عاقصه شعرهاو مصلحه عقد زنارها

و سطح على شاهق مشرف عليه النخيل بأثمارها

و فواره ثأرها فى السماءفليست تقصر عن ثارها

ترد على الحزن ما انزلت على الارض من صوب مدرارها(۲)

۱- كامل القصيده فى ديوان على بن الجهم/ ۲۸- ۳۰، و يقول ياقوت انه قالها فى القصر الجعفرى- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۲- ورد هذا البيت ببعض الاختلاف فى« عيون الاخبار» ۱/ ۳۱۳.

فلا زالت الارض معمورهبعمرک یا خیر عمارها

یتضح من بعض ابیات هذه القصیده ان بناء القصر الهارونی کان مبتکرا فی طرازه فاق ما یعرفه الروم و الفرس من طرز البناء.

و انه واسع الصحون فسیح الابهاء، تعلوه قبه تناهز النجوم بارتفاعها، و قد سبقت الاشاره الیها، و له شرفات تزین جدرانها زخارف الفسیفساء و فیها صور الازهار، و صور النساء من النصاری و هن بهیئات مختلفه من عاقصه شعرها، و مصلحه عقد زنارها. کما یظهر ان المتوکل علی اللّه اضاف الی القصر نافوره ماء، فأشاد الشاعر بقوه دفعها الماء حتی لترد المطر الساقط من السماء. کما اشاد باهتمام الخلیفه بالعمران و انه فاق غیره من الخلفاء فی ذلک. و قد اشاد الشاعر نفسه بالبرکه التی توسطتها الفواره المذکوره، و ان المتوکل هو الذی انشأها فی هذا القصر، بقصیده اخری منها(۱):

انشأتها برکه مبارکهفبارک اللّه فی عواقبها

حفت بما تشتهی النفوس لهاو حارت الناس فی عجائبها

لم یخلق اللّه مثلها وطنافی مشرق الارض و مغاربها

کأنها و الریاض محدقهبها عروس تجلی لخاطبها

من ای اقطارها اتیت رأیت الحسن حیران فی جوانبها

للموج فیها تلاطم عجب و الجزر و المد فی مشاربها

الوحید و التل و الجامع: انفرد یاقوت الحموی بذکر القصر «الوحید» و قال ان المتوکل علی اللّه انفق علیه الفی الف درهم.

و یظهر من قله کلفته انه کان دارا صغیره للاستراحه. و «قصر التل» الذی انفق علیه خمسه الاف الف درهم. و هناک من یرجح

۱- دیوان علی بن الجهم/ ۳۲.

ان آثار البنايه التی كشفت عنها تنقيبات هرزفيلد فی قمه تل العليق قد تكون هی أطلال هذا القصر(۱).

كما انفرد الشابشتی بذكر قصر اسمه «الجامع» الا انه لم يبين موضعه و لا المبالغ التی انفقت عليه.

الغرد:

و من القصور التی ذكرها ياقوت الحموی قصر «الغرد» و قال عنه «هو بناء للمتوكل بسر من رأی فی دجله انفق عليه الفی الف درهم، و لم يصح لی انا ضبطه و ما اظنه الا الغرد، و اللّه اعلم»(۲).

و قد ذكر البحتری هذا القصر فی قصيدتين امتدح بهما المتوكل على اللّه، فقد قال فی احداهما(۳):

أحسن بدجله منظرا و مخيماو الغرد فی اكتاف دجله منزلا

خضل الفناء متی وطئت ترابه قلت: الغمام انهل فيه فاسبلا

حشدت له الامواج فضل دوافع أعجلن دو لابيه ان يتمهلا

تبيض نقيته و يسطع نوره حتی تكل العين فيه و تتكلا

كالكوكب الدری اخلص ضوءه حلك الدجی حتی تألق و انجلی

۱- ری سامراء ۱/ ۱۱۹.

۲- معجم البلدان ۴/ ۱۹۲- ۱۹۳.

۳- ديوان البحتری ۳/ ۱۶۵۱- ۱۶۵۴.

رفدت جوانبه القباب میامناو میاسرا و سفلن عنه و اعتلی

فتخاله و تخالهن ازاءه ملکا تدین له الملوک ممثلا

و علی اعالیه رقیب ما ینی کلفا بتصریف الریاح موکلا

من حیث دارت یطلب وجههافعل المقاتل جال ثم استقبلا

بدع لبدع فی السماحه ما تری من امره الا عجیبا مجذلا

و یفهم مما جاء فی هذه الأبیات ان بنایه الغرد کانت مرتفعه جدا بحیث انها تعلو علی ما جاورها من المبانی، و انها کان فی اعلاها ما یشیر الی اتجاه الریح، مما اعتبره الشاعر من الاعمال المبتکره العجیبه.

و جاء ذکر «الغرد» فی قصیده اخری للبحتری امتدح بها المتوکل علی اللّه عند ما عقد الصلح مع بنی تغلب، و منها قوله(۱):

تؤم القصور البیض من ارض بابل بحیث تلاقی (غردها) و (بدیعها)

۱- نفس المصدر ۲/ ۱۲۹۶- ۱۳۰۱.

اذا اشرق البرج المطل رمينه بأبصار خوص قد أرثت قطوعها

و فيها يصف الشاعر الأبل التى كـدها السير و هى تنظر باعين غائره الى هـذه القصور السامقه. و يبدو ان القصور الثلاثه، الغرد و البديع و البرج كانت متقاربه من بعضها.

***

الفصل الرابع تأسیس مدینه المتوکلیه (الجعفریه)

۱- تأسیس المدینه:

کان اضخم اعمال المتوکل علی اللّه العمرانیه تأسیسه مدینه جدیده سمیت باسمه. فقد بذل اول امره جهودا کبیره فی توسیع مدینه سامرا و تحسینها و ایصال الماء الیها، و انفق علی ذلک اموالا طائله، لیجعل منها اجمل مدینه تلیق بأن تکون عاصمه الدوله العربیه المترامیه الاطراف. و لکن سامرا، مع ما اقامه فیها من منشآت عمرانیه و مشاریع اروائیه، لم تشبع طموحه، بل انها ضاقت باحلامه و رغباته. فراح یفکر فی انشاء مدینه جدیده یشرف علی تخطیطها و بنائها وفق ما یطمح الیه من شوارع عریضه مستقیمه، و قصور فخمه جلیله، و حدائق غناء و متنزهات جمیله، و مبان واسعه لدواوین الدوله. و استولت علیه رغبه ملحه فی ان تنسب الیه المدینه لیخلد بها اسمه. فأمر محمد بن موسی المنجم و من یحضر ببابه غیره من المهندسین ان یختاروا موضعا صالحا لانشاء مدینه خاصه به بالمواصفات التی یریدها. فوقع اختیارهم علی موضع یقع شمال مدینه سامرا، بینها و بین تکریت، یقال له الماحوزه(۱)،

۱- کذا سماها الیعقوبی و الطبری و البلاذری، الا ان المسعودی و ابن الاثیر یسمیانها« الماخوره»- کتاب البلدان/ ۲۶۶، و الطبری ۹/ ۲۱۲، و فتوح البلدان، ۲۹۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۰، و الکامل ۷/ ۸۷.

على بعـد عشـرين كيلومترا تقريبا من سامراء الحاليه(۱). و قـالوا له ان المعتصم قـد رأى ان يبنى هنـا مـدينه و يحفر نهرا كان فى الدهر القديم(۲)، فلقى ذلك هوى فى نفسه. و يظهر انه فضل هـذا الموضع لأنه يمتـد على ضـفاف دجله مثل مدينه سامرا، و ان فيه نهرا مندرسا يسد حاجه المدينه الجديده و منشآتها من المياه اذا ما اعيد حفره.

و قد ايد المهندسون صـلاحيه المنطقه للبناء، و ان من الممكن احياء النهر المذكور اذا ما توفرت النفقات اللازمه لذلك، و كانوا قـدروا النفقه على احيائه بالف الف و خمسـمائه الف دينار(۳). و مع جسـامه المبلغ فقـد رضـى المتوكل على اللّه و طاب نفسا و أمر بالمباشره بحفره بنفس الوقت الذى بوشر فيه بتخطيط المدينه و البناء فيها.

و قـد حـدد البلاذرى موضع المدينه بقوله «ثم انه احدث مدينه سـماها المتوكليه و عمرها و اقام بها و اقطع الناس فيها القطائع، و جعلها فيما بين الكرخ المعروف بفيروز و القاطول، فدخلت الدور و القريه المعروفه بالماحوزه فيها، و بنى بها مسجدا جامعا»(۴).

كـانت اعمـال تأسـيس المـدينه و بنائهـا بـدأت مع البـدء بحفر النهر، فكان لا بـد من توفير المياه اللازمه لأعمال البناء، و لـذا امر المتوكل على اللّه بانشاء كهريز يسـتمد مياهه من نهر دجله بالقرب من تكريت و يحملها الى موقع المـدينه الجديـده على شاكله قناه سامرا التى سـبق ان انشئت لأيصال المياه الى سامرا و كانت قناه جوفيه، و يمكن تتبع آثار هذا الكهريز على طول المسافه من صدره حتى

۱- رى سامراء ۲/ ۳۱۵.

۲- كتاب البلدان/ ۲۶۶.

۳- كتاب البلدان/ ۲۶۶. و فى الطبرى ۹/ ۲۱۲ ان ما قدر من النفقه كان مائتى الف دينار.

۴- فتوح البلدان/ ۲۹۵- ۲۹۶.

مدینه المتوکلیه. فهو یبدأ من دجله بالقرب من تلول هطره، ثم یسیر بموازاه قناه سامرا «قناه المتوکل» فیخترق الدور، و یتابع سیره الی جـانب کهریزی القنـاه المـذکوره حتی یصـل امام قنطره الرصاص التی علی القاطول الاعلی، فینحرف نحو الغرب. و بعـد ان یقطع قنـاه سـامرا و القـاطول یتجه نحو مـدینه المتوکلیه. و لاـ تزال شـبکه الکهاریز التی کانت تتفرع من الکهریز المـذکور ماثله یمکن مشاهـدتها فی عده امکنه داخل اطلال مدینه المتوکلیه(۱). و کان ذلک ضـروریا لتعذر نقل کمیات المیاه المطلوبه للبناء من نهر دجله علی ظهور الحیوانات.

و قد عین المهندسون مواضع قصور الخلیفه، و دار الخلافه و الدواوین الرسمیه، و المناطق السکنیه، و قطائع القواد و الجند.

و وضـعوا التفصـیلات اللاـزمه لعمرانهـا، و جی ء بالعمـال و البنـائین، و قـام العمل علی قـدم و ساق لانجاز المـدینه بأقصـر وقت ممکن. و مـدوا الشارع الأعظم من دار اشـناس التی بالکرخ، و کانت قـد صارت للفتـح بن خاقان، مسافه ثلاثه فراسـخ شـمالا، و جعلوا عرضه فی مدینه المتوکلیه مائتی ذراع، و قدروا ان یحفر علی جانبیه جدولان یجری فیهما الماء من النهر الکبیر الذی بوشر بحفره. و اقطع الخلیفه ولاـه عهوده الثلاثه و سائر اولاده، و قواده و کتابه و جنـده، و سائر الناس کافه، عن یمین الشارع الاعظم و عن یسـاره، و جعـل الاـسواق الکبیره فی موضع منعزل، کمـا جعل فی کل مربعه و قطیعه سوقا خاصا بها(۲). و قـد بدأ العمل فی بناء المدینه فی سنه ۲۴۵ ه.

و تمیز الشارع الأعظم بطوله و استقامته، و لا سیما بعد ان امتد الی آخر مدینه المتوکلیه وضوعف عرضه. اذ بعد ان یترک سور

۱- ری سامراء ۲/ ۳۴۰- ۳۴۲.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۶- ۲۶۷.

اشناس یتجه شمالا مسافه کیلومترین تقریبا ثم ینعطف نحو الغرب قلیلا فیسیر باتجاه مستقیم بین نهر دجله و القاطول الاعلی، و بعد ان یسیر مسافه کیلومتر واحد تقریبا یتضاعف عرضه الی مائتی ذراع، و یستمر فی نفس الاتجاه مسافه سته کیلومترات و نصف الکیلومتر تقریبا فیجتاز السور الذی یفصل بلاط الخلیفه و قصوره و دواوین الدوله عن بقیه المدینه، فیعود الی عرضه السابق حتی یصل الی نهایه المدینه.(۱) و واضح ان هذه المنطقه من المدینه یقل فیها الزحام، و تتطلب الهدوء، و لذا فلا تحتاج الی ذلک الشارع العریض. و یبلغ طول الشارع الاعظم فی داخل مدینه المتوکلیه حوالی اثنی عشر کیلومترا و نصف الکیلومتر(۲).

و یظهر ان تصمیم مدینه المتوکلیه وضع علی اساس تقسیمها الی ثلاثه اقسام: اولها القسم الجنوبی منها و یعرف باسم دور عربایا او الدور العربانی، و قد خصص لسکنی الناس بصوره عامه و کانت شوارعه الفرعیه مستقیمه و متوازیه، و یخترق الشارع الأعظم هذا القسم من المدینه من الجنوب الی الشمال، و کان یعرف بالشارع الغربی، و الی شرقیه شارع آخر هو امتداد لشارع ابی احمد فی سامرا، و کان یسمی بالشارع الشرقی. و خصص القسم الممتد علی ضفاف دجله من هذا الجزء من المدینه الی الفتح بن خاقان و ابراهیم بن رباح. و قد سبق ان اشرنا الی ان دار اشناس و قطیعته قد صارت الی الفتح بن خاقان(۳).

و القسم الثانی هو القسم الوسطی من المدینه و قد خصص لقطائع القواد و اصحابهم، فکان لکل قائد قصر خاص یطل علی دجله، و تمتد قطیعته التی تنتشر فیها مساکن اتباعه من الجند،

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۶، و الطبری ۹/ ۲۱۲، و الکامل ۷/ ۸۷.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۶ و ری سامراء ۲/ ۳۳۹.

۳- ری سامراء ۲/ ۶۲۴- ۶۲۵.

شرقی قصره، فتخترق الشارع الأعظم و شارع ابی احمد حتی تنتهی الی ضفه القاطول الاعلی. و فی هذا الجزء من المدینه یتسع عرض الشارع الأعظم الی مائتی ذراع، و تتفرع من جانبیه شوارع فرعیه بزوایا قائمه، تنتهی الغربیه منها الی ضفاف نهر دجله، و تنتهی الشرقیه الی ضفاف القاطول الاعلی. و شید فی شمالی هذا القسم جامع المدینه المعروف باسم جامع ابی دلف و مئذنته الملویه. و ینتهی القسم الوسطی من المدینه شمالی الجامع بقلیل حیث یبدأ القسم الثالث منها، و هو القسم الشمالی الذی خصص لدار الخلافه و دواوین الدوله و قصور المتوکل علی اللّه، و یفصله عن بقیه اجزاء المدینه سور یمتد بین ضفه القاطول الأعلی و نهر دجله و له ثلاثه ابواب عظام جلیله یدخل منها الفارس برمحه(۱). بحیث کانت هذه المنطقه معزوله تماما عن المدینه.

و قد روعیت حمایه هذا القسم و عزلته فقد کان یحده من الشمال و الشرق نهر القاطول الاعلی، و من الغرب نهر دجله و من الجنوب السور الذی مر ذکره. و لا سبیل للوصول الی هذا القسم من غیر الابواب الثلاثه الماره الذکر. کما یلاحظ ان دار الخلافه و دواین الدوله و قصور الخلیفه قد احیطت هی الاخری بسور خاص بها یبلغ طوله اربعه کیلومترات و نصف الکیلومتر تقریبا. و قد ترکت بین السور الفاصل بین القسمین الوسطی و الشمالی، و القسم الخاص بدار الخلافه و الدواوین مساحات واسعه نظمت فیها حدائق و بساتین یخترقها شارعان یؤدیان الی دار الخلافه و دواوین الدوله(۲).

و کان المتوکل علی اللّه یتفقد بنفسه سیر العمل فی بناء مدینته، و فی حفر النهر، فمن رآه من العاملین قد جد فی البناء

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۶.

۲- ری سامراء ۲/ ۶۲۵- ۶۲۷.

اجـازه و اعطـاه، فجـد الناس و نشـطوا للعمل(۱)، و بلـغ مـن حرصـه على متـابعه العمـل و الاسـراع فى انجـازه انه انتقـل الى قريه المحمديه ليكون قريبا من الماحوزه ليسهل عليه الاشراف على ذلك(۲).

و المحمديه قريه قريبه من الماحوزه كانت تعرف بالايتاخيه نسبه الى القائد التركى ايتاخ، و سـماها المتوكل على اللّه المحمديه باسم اكبر ابنائه محمد المنتصر، و كانت تعرف قبل انشاء سامرا بدير ابى الصفره، و هم قوم من الخوارج(۳). و يرجح ان تسميتها بالمحمـديه كانت بعـد ان تمكن من القائـد المـذكور و قتله. و يتبادر الى الـذهن ان اقامه المتوكل على اللّه فى المحمـديه، ربما كانت وسيله للتخلص من معاكسه القواد الاتراك له فى سامرا و الابتعاد عن مشاكلهم العديده معه.

لقـد ارتفع البنيان فى خلال مـده تزيـد على السـنه، اذ بنيت القصور و شـيدت الدور. و سـمى المتوكل على اللّه المدينه الجديده «الجعفريه» نسـبه اليه، الا انه كان هو و خاصه اصحابه يسمونها «المتوكليه»(۴). و كان البناء قـد اتصل منها الى الدور ثم الكرخ و سـامرا حتى اسـفل المطيره، حيث شـيد قصـر المعتز بن المتوكـل على اللّه، و لم يبق بين ذلك مكان لا عماره فيه، و كان مقـدار ذلك سبعه فراسخ(۵).

و انتقل المتوكل على اللّه الى قصور هذه المدينه فى اول يوم من المحرم من سنه ۲۴۷ ه. فلما جلس اجاز الناس بالجوائز السنيه و وصـلهم، و اعطى جميع القواد و الكتـاب، و من تولى عملاـ و سـاهم فى تأسـيس المـدينه، و تكامـل له السـرور حتى قـال: «الآن علمت انى

۱- كتاب البلدان/ ۲۶۶.

۲- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۳- معجم البلدان ۵/ ۶۵.

۴- كتاب البلدان/ ۲۶۶، و الطبرى ۹/ ۲۱۲، و الكامل ۷/ ۸۷.

۵- كتاب البلدان/ ۲۶۶- ۲۶۷.

ملک اذ بنیت لنفسی مدینه سکنتها»(۱). و اقام فیه احتفالاـ جمع فیه القراء، و احضر اصحاب الملاهی، و وهبهم اکثر من الفی الف درهم(۲).

و امر الخلیفه بان تنقل دواوین الدوله من سامرا الی الجعفریه، فنقل دیوان الخراج و دیوان الضیاع و دیوان الزمام و دیوان الجند و الشاکریه و دیوان الموالی و الغلمان و دیوان البرید، و جمیع الدواوین الاخری(۳). و من الطبیعی ان ینتقل الی العاصمه الجدیده حاشیه الخلیفه و ندماؤه و مستشاروه، و رجال الدوله و موظفوها، و کل من له علاقه بمؤسساتها و دواوینها المختلفه.

کما انتقل الیها العدید من الناس اقتداء بالخلیفه و رغبه فی التجدید. و یقول یاقوت الحموی: «و لما انتقل المتوکل من سامراء الی الجعفریه انتقل معه عامه اهل سامراء حتی کادت تخلو، فقال فی ذلک ابو علی البصیر هذه الأبیات»(۴)، منها قوله:

ان الحقیقه غیر ما یتوهم فاختر لنفسک أی امر تعزم

أتکون فی القوم الذین تأخرواعن خطهم ام فی الذین تقدموا

لا تقعدن تلوم نفسک، حین لایجدی علیک تلوم و تندم

أضحت قفارا سر من را ما بهاالا لمنقطع به متلوم

تبکی بظاهر وحشه و کأنهاان لم تکن تبکی بعین تسجم

رحل الامام فاصبحت، و کانهاعرصات مکه حین یمضی الموسم

۱- نفس المصدر/ ۲۶۷.

۲- الطبری ۹/ ۲۱۲، و الکامل ۷/ ۸۷.

۳- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۴- معجم البلدان ۲/ ۱۴۳- ۱۴۴.

و كأنما تلك الشوارع بعض ماأخلت اياد من البلاد و جرهم

كانت معادا للعيون، فأصبحت عظه و معتبرا لمن يتوسم

فارحل الى الارض التى يحتلهاخير البريه، ان ذاك الأحزم

و انزل مجاوره باكرم منزل و تيمم الجهه التى يتيمم

ارض تسالم صيفها و شتاؤهابالجسم بينهما يصح و يسقم

و من اشـهر ما قيل من الشـعر فى مدينه المتوكليه ما قاله الشاعر البحترى يمتدح المتوكل على اللّه و يشـيد بالمدينه الجديده. فقد قال فى ذلك قصيده منها(۱):

يهنيك فى المتوكليه أنهاحسن المصيف بها، و طاب المربع

فيحاء مشرقه يرق نسيمهاميث تدرجها الرياح و اجرع

و فسيحه الاكناف ضاعف حسنهابر لها مفضى و بحر مترع

۱- ديوان البحترى- طبعه بيروت، ۱/ ۴۲- ۴۴.

قد سر فیها الاولیاء اذ التقواببناء منبرها الجدید فجمعوا

فارفع بدار الضرب باقی ذکرهاان الرفیع محله من ترفع

و من قوله فی قصیده اخری(۱):

اری المتوکلیه قد تعالت محاسنها، و اکملت التماما

قصور کالکواکب لامعات یکدن یضئن للساری الظلاما

وبر مثل برد الوشی فیه جنی الحوذان ینثر و الخزامی

اذا برز الربیع له کسته غوادی المزن و الریح النعامی

غرائب من فنون النبت فیهاجنی الزهر الفرادی و التواما

تضاحکها الضحی طورا و طوراعلیها الغیث ینسجم انسجاما

عنـد ما انتقل المتوکل علی اللّه الی عاصـمته الجدیده کان الخلاف بینه و بین القواد الاتراک قد بلغ درجه خطیره. و مما زاد فی خطوره هذا الخلاف ان ولی العهد محمد المنتصـر انضم الی معارضـی ابیه. و بلغ الخلاف بین الجانبین ان بات کل جانب منهما یتربص بالجانب الآخر و یعمل علی التخلص منه. و سرعان ما نجح الجانب الترکی فی تدبیر مؤامره اغتیل فیها الخلیفه، و لم یکن قد مضی علی انتقاله الی المتوکلیه سوی تسعه اشهر و ثلاثه ایام. اذ قتل لیله الاربعاء لأربع خلون من شوال سنه ۲۴۷ ه(۲).

۱- دیوان البحتری- طبعه بیروت، ۱/ ۳۷- ۳۹.

۲- الطبری ۹/ ۲۳۰، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۱۸.

و تولی الخلافه محمد المنتصر، فلم یلبث فی المتوکلیه سوی ایام قلیله ثم انتقل الی سامرا، و امر الناس جمیعا بالانتقال عن الماحوزه و ان یهدموا المنازل و یحملوا النقض الی سامرا. فانتقل الناس، و خربت قصور مدینه المتوکلیه و منازلها و مساکنها و اسواقها فی اسرع مده بحیث صار موضعها موحشا لا انیس فیه، کأنه لم یعمر و لم یسکن من قبل(۱). و یقول البلاذری ان المنتصر انتقل الی سامرا یوم الثلاثا لعشر خلون من شوال(۲). اما المسعودی فیری ان مقام المنتصر باللّه بعد ابیه فی الماحوزه سبعه ایام ثم انتقل منه و امر بتخریب المدینه(۳). بینما یری الطبری ان اقامته کانت عشره ایام ثم تحول بعیاله و قواده و جنوده الی سامرا(۴).

تقع اطلال مدینه المتوکلیه علی ضفاف نهر دجله، علی بعد عشره کیلومترات من الحدود الشمالیه لسامرا. و لا تزال آثار السور العظیم الذی کان یحیط بدار الخلافه و الدواوین و قصور الخلیفه و الذی یربو طوله علی اربعه کیلومترات و نصف الکیلومتر ماثله للعیان. و تبلغ مساحه الأرض التی کانت تشغلها هذه المبانی (۵۴۰) دونما. کما ان هناک آثار سور آخر یقع جنوبی السور السابق، و کان یمتد بین ضفه نهر دجله و الضفه الیمنی لنهر القاطول و یفصل دار الخلافه و الدواوین و قصور الخلیفه عن بقیه المتوکلیه کما اشرنا آنفا(۵). و لعدم القیام بالتنقیب فی اطلال المدینه خلا ما قامت به مدیریه الآثار القدیمه العامه من التنقیب المحدود فی اطلال بعض الدور السکنیه، فلم تتوفر معلومات کافیه واضحه

۱- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۲- فتوح البلدان/ ۲۹۶.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۳۰.

۴- الطبری ۹/ ۲۳۴.

۵- ری سامراء ۱/ ۱۲۹.

عن المدينه. و كان هززفيلد قد القى نظره خاطفه على هذه المنطقه من سامرا دون ان ينقب فيها كما سنذكر فيما بعد عند الكلام عن القصر الجعفرى.

۲- النهر الجعفرى:

فى الوقت الذى كان فيه العمال منهمكين فى انجاز مبانى و منشآت المدينه المتوكليه فى الماحوزه كان عدد كبير جدا من عمال الحفر منهمكين ايضا فى حفر النهر الـذى سيوصل المياه الى المـدينه الجديـده. فقد عهد الخليفه المتوكل على اللّه الى دليل بن يعقوب النصرانى كاتب القائد بغا الكبير، بأمر الاشراف على حفر النهر المذكور الذى اطلق عليه اسم الخليفه جعفر المتوكل على اللّه فسـمى النهر الجعفرى. و قـد اسـتخدم فى حفره اثنى عشـر الف رجـل، و لم يزل دليـل يحمـل المال اجورا للعمال و للنفقات الاخرى مما يستلزمه العمل(۱).

يتفرع النهر الجعفرى من الضـفه الغربيه لنهر دجله من موضع يقع شمالى تكريت بما يقرب من ۳۸ كيلومترا، و يسير موازيا لدجله مسافه ۲۰ كم تقريبا، فيتجه نحو الشـرق مبتعدا عن دجله و بعد ان يجتاز الدور (دور تكريت) يصل الى تل اصـطناعى يسمى «تل البنات» و هو تل كبير ينقسم عنده النهر المذكور الى فرعين يحيطان بالتل. ثم يعود الفرعان بعده للالتقاء ثانيه، فيسـير النهر مقتربا من دجله حتى يصـل القـاطول الاـعلى عنـد قنطره الرصاصـى الواقعه على مسـافه ۵ ر ۷ كلم من صـدر القـاطول، و هنا يتشـعب الجعفرى الى ثلاثه فروع، فيعبر فرعان منه نهر القاطول، يعبر احدهما على عباره فوق القنطره المذكوره، و يعبر الفرع

۱- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

الآخر علی عباره اخری شمالی العباره السابقه، و یصب الفرع الثالث فی نهر القاطول. و بعد ان یعبر الفرعان ینتهیان الی حوض کبیر انشی ء فی ضفه القاطول الیمنی لتتجمع فیه میاهما. ثم تتشعب من الحوض عده جداول یمتد احدها الی مدینه المتوکلیه، و یوصل الآخر المیاه الی السواقی التی حفرت علی جانبی الشارع الأعظم، و یمتد جدول ثالث الی القصر الجعفری لیزود برکته الواسعه بالمیاه. و یبلغ طول النهر الجعفری من مبدئه حتی البرکه حوالی ۶۳ کلم(۱).

و کانت العبّاره التی انشئت علی قنطره الرصاصی لعبور فرع النهر الجعفری تستعمل بنفس الوقت جسرا لعبور الناس و الدواب ایضا. و یرجح ان الجعفری کان یجری وسط العباره، و علی جانبیه ممران للسابله و الحیوانات، و یظهر ان العباره بقیت تستخدم جسرا للعبور بعد ان اهمل النهر الجعفری. و کانت العباره الشمالیه اصغر و تقتصر علی عبور فرع الجعفری علیها. و یلاحظ من الآثار المتبقیه لقنطره الرصاصی الأصلیه انها کانت تتألف من ثلاث دعامات و ان مجری النهر کان یمر من تحت القنطره بفتحتین معقودتین بطاقین ضخمین، عرض کل فتحه عشره امتار. و یبلغ طول البناء الذی یشتمل علی الفتحتین و الدعامات الثلاث تسعا و عشرین مترا، و قد قلع هذا البناء من اساسه لاستخراج الرصاص من احجاره(۲).

و هناک اختلاف فی روایات المؤرخین عن النهر الجعفری، فبعضهم یقول انه لم یتم حفره، و بعضهم یری أنه تم انجازه الا ان الماء لم یجر فیه بالشکل المطلوب. یقول الطبری ان المتوکل علی

۱- ری سامراء ۲/ ۳۱۹- ۳۲۱.

۲- نفس المصدر/ ۳۳۴- ۳۳۶.

اللّه قتـل فبطل العمل فى النهر و اخربت الجعفريه و نقضت و لم يتم امر النهر(۱). و يقـول اليعقوبى ان النهر لم يتم امره و لم يجر فيه المـاء الا ـ جريـا ضـعيفا لم يكن له اتصـال و لا ـ اسـتقامه رغم انه انفق عليه قرابه الف الف دينار، و هو يعزو صـعوبه حفره الى صلا ـ به الأ ـ رض و طبيعتهـا المتكونه من الحصـا و الانهـار ممـا لا تعمل فيه المعاول الا بصـعوبه بالغه(۲). امـا ابن الأ ـ ثير فيقول ان المتوكـل على اللّه حفر للمـدينه نهرا، و قتل فبطل حفر النهر و اخربت المـدينه(۳). و يلاحـظ من هـذه الروايات ان الطبرى و ابن الأثير يتفقان فى ان النهر لم يتم حفره لموت المتوكل على اللّه، بينما يفهم من روايه اليعقوبى ان حفر النهر لم يتم كما يجب، اى ان حفره كان فاشلا بسبب صلابه الأرض و لذا فقد كان جريان الماء فيه ضعيفا متقطعا.

و يظهر من روايه اوردها احمـد بن يوسف الكاتب عن مشـروع هذا النهر ان ما ذهب اليه اليعقوبى اقرب الى الصواب. و خلاصـه مـا يقوله: ان المتوكل على اللّه طلب الى محمـد و احمـد ابنى موسـى بن شاكر، و هما من المتقـدمين فى علم الرياضه و الهيئه و حركـات النجوم و الحيـل، ان يتوليـا حفر النهر الجعفرى. فكلفـا احمـد بن كثير الفرغـانى، و هو مهنـدس كان قـد عمل المقياس الجديد لنهر النيل بمصر فى سنه ۲۴۷ ه «فغلط فى فوهه النهر و جعلها اخفض من سائره، فصار ما يغمر الفوهه لا يغمر سائره» فلما علم المتوكـل كلف المهنـدس سـند بن على بـأن يتحرى امر النهر المـذكور و يبين له مـا اذا كـان هنـاك خطـأ ارتكب فيه لكى يعاقب الاخوين ابنى موسى بن شاكر.

۱- الطبری ۹/ ۲۱۲.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۷.

۳- الکامل ۷/ ۸۷.

و كان قد سبق للأخوين المذكورين ان اساءا الى سند بن على بأن سعيا به لدى المتوكل على الله و باعداه عنه. كما كانا قد دبرا على الكندى العالم الفيلسوف عند المتوكل على اللّه فغضب عليه، فتوجها الى داره و استوليا على مكتبته. و لذا فقد توسلا الى سند بن على ان يتستر على عيوب النهر و الاخطاء التى ارتكبت فى تخطيطه و حفره. فاشترط سند عليهما ان يعيدا الى الكندى منزلته لدى الخليفه، و يعيدا اليه مكتبته فأعاداها و أخذا خطه بذلك.

فقال لهما سند: «الخطأ فى هذا النهر يستتر مده اربعه اشهر، و هى فتره زياده نهر دجله، و قد اجمع الحسّاب- اى المنجمون- على ان امير المؤمنين لا يبلغ هذا المدى، و انا اخبره الساعه انه لم يقع خطأ فى النهر، ابقاء على ارواحكما، فان صدق المنجمون افلتنا نحن الثلاثه، و ان كذبوا و جاءت مدته حتى تنقص دجله و ينضب النهر اوقع بنا ثلاثتنا». فشكر الاخوان له قوله. فدخل سند الى المتوكل على اللّه و قال له: ما غلطا فى امر النهر. و زادت دجله و جرى الماء فى النهر و استتر حاله. ثم قتل المتوكل على اللّه بعد شهرين من ذلك. و سلم المهندسون المذكورون(۱).

و يظهر من هذا ان النهر الجعفرى قد تم حفره و جرت فيه المياه فى موسم الفيضان، و ذلك قبيل مقتل المتوكل على اللّه. و ان الخطأ الذى وقع به المهندسون هو عدم التأكد من مناسيب المياه فى نهر دجله فى مختلف ايام السنه، لكى يحفر مستوى النهر وفق ذلك، بحيث ان صدر النهر جاء اعلى من مستوى المياه فى دجله فى الظروف الاعتياديه فلا تجرى فيه. و ان الماء الذى جرى فيه انما كان فى موسم الفيضان اذ ارتفع فيه منسوبه فسهل انسيابه الى الجعفرى و لكن لأمد قصير. و لا ينكر ان مجهودات عظيمه قد بذلت و اموالا طائله قد انفقت على النهر، اذ استغرق العمل فيه قرابه

۱- كامل الخبر فى المكافأه/ ۱۹۵- ۱۹۶، و عيون الانباء/ ۲۸۶- ۲۸۷.

سنه و نصف، و ذلک لصلابه الارض التی یمر فیها مما لا یساعد علی الحفر العمیق. اما موضوع اجماع المنجمین علی قرب نهایه اجل المتوکل علی اللّه، فامر لا یخلو من ان تهدید القواد الاتراک باغتیاله قد شاع بین الناس آنذاک، و ان ظواهر الامور تدل علی رجحان کفه الاتراک و قرب تحقیق ذلک، فاستغل المنجمون الأمر لاظهار براعتهم فادعوا ان حساباتهم تعطی تلک الدلاله.

۳– القصر الجعفری:

اشاره

بنی المتوکل علی اللّه فی المدینه التی اسسها فی الماحوزه قصرا سماه باسمه «القصر الجعفری». یقول عنه الیعقوبی: «و انتقل المتوکل الی موضع یقال له الماحوزه .. و بنی هناک مدینه سماها الجعفریه. و بنی فیها قصرا لم یسمع بمثله»(۱). و یقول عنه ابو الفداء فی حوادث سنه ۲۴۶ ه «و فیها تحول المتوکل الی الجعفری و کان قد ابتدأ فی عمارته سنه ۲۴۵ ه و انفق علیه اموالا تجل عن الحصر»(۲). اما یاقوت الحموی فقد قال عن هذا القصر: «الجعفری: هذا اسم قصر بناه امیر المؤمنین جعفر المتوکل علی اللّه بن المعتصم بالله قرب سامرا بموضع یقال له الماحوزه. و فی سنه ۲۴۵ ه بنی المتوکل الجعفری و انفق علیه الفی الف دینار .. لأن الدراهم کانت فی ایام المتوکل کل خمسه و عشرین درهما بدینار، فیکون عن الفی الف دینار خمسون الف الف درهم. و لما عزم المتوکل علی بناء الجعفری تقدم الی احمد بن اسرائیل باختیار رجل یتقلد المستغلات بالجعفری من قبل ان یبنی، و اخراج فضول ما بناه الناس من المنازل، فسمی

۱– تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۲.

۲– المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۴۱.

له ابا لخطاب الحسن بن محمد الكاتب. فكتب الحسن بن محمد الى ابى عون، لما دعى الى هذا العمل:

انى خرجت اليك من اعجوبهمما سمعت به، و لما تسمع

سميت للاسواق قبل بنائهاو وليت فصل قطائع لم تقطع(۱)

و ايد ياقوت النفقه التى اشار اليها، فى مكان آخر من معجمه، و لذلك عند ما عدد قصور المتوكل على الله و ما انفقه على كل منها(۲). و يتضح من ذلك انه لم ينفق على اى قصر آخر مثل هذا المبلغ الكبير الذى يزيد على ضعف ما انفق على قصر بلكوارا مع سعته و ضخامه بنائه. و قد يكون ياقوت واهما فى ذلك. اذ يقول الطبرى ان هذه النفقه كانت على بناء مدينه الجعفرى التى كان يسميها هو و اصحابه المتوكليه(۳). اى ان المبلغ المذكور قد انفق على بناء المدينه كلها و ليس على قصر الجعفرى حسب. و مما يؤيد ان الطبرى يقصد بالجعفرى المدينه لا القصر قوله فى مكان آخر «فلما عزم المتوكل على بناء الجعفرى قال له نجاح- و كان من الندماء- يا امير المؤمنين، اسمى لك قوما تدفعهم الى حتى استخرج لك منهم اموالا تبنى بها مدينتك هذه»(۴). و هو يسميها احيانا الجعفريه(۵).

۱- معجم البلدان ۲/ ۱۴۳.

۲- نفس المصدر ۳/ ۱۷۵.

۳- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۴- نفس المصدر/ ۲۱۵- ۲۱۶.

۵- نفس المصدر/ ۲۲۱- ۲۲۳.

و لاـ تزال بقایا القصـر الجعفری و برکته الواسـعه تشاهـد علی ضـفه نهر دجله فی شـمالی السور الـداخلی لمـدینه المتوکلیه، فی الزاویه التی یکونها نهر دجله من جهه و نهر القاطول من الجهه الأخری(۱). و قد تعرف الآثاری هرزفیلد علی بقایا هذا القصر فی اطلالـ المتوکلیه، و وصـفها بقوله: «انها سور ضـخم یغطی مساحه تبلغ ۳/ ۱ ۱ کیلومتر مربع، محاطه بجـدران مـدعمه بابراج من الطابوق المصنوع من اللبن. و تشکل مضلعا غیر منتظم یقع بین ضفه دجله العلیا و القناه، عند نقطه علی هذه القناه بحوالی ۲/ ۱ ۴ کیلومتر شـمالی جامع ابی دلف، و حوالی کیلومتر واحد شـمالی قنطره الرصاص. و عثر علی مدخل السور حیث ینقطع منه شارع مستطیل خلال مساحه القصر باتجاه ۷۰ درجه جنوب غربی»(۲).

و قد اشـتهر القصـر الجعفری بحسـنه و فخامه بنائه و ببرکته الواسعه الجمیله. فوصفه عدد من الادباء و الشعراء. یقال ان ابا العیناء، الأدیب البصـیر، دخل علی المتوکل علی اللّه فی قصره الجعفری فی سنه ۲۴۶ ه، فقال له المتوکل: ما تقول فی دارنا هـذه؟ فقال: ان الناس بنوا الدور فی الدنیا، و انت بنیت الدنیا فی دارک. فاستحسن کلامه(۳). و عند ما انتهی المتوکل علی اللّه من بناء قصره هذا مدحه البحتری و أشاد بالقصر، و مما جاء فی شعره قوله(۴):

أصبحت بهجه النعیم و امست بین قصر الصبیح و الجعفری

۱- ری سامراء ۱/ ۱۳۳.

۲- العماره العباسیه/ ۱۷۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۲۳۶، و معجم الادباء ۱/ ۶۲، و وفیات الاعیان ۳/ ۴۶۸.

۴- دیوان البحتری ۴/ ۲۴۵۱- ۲۴۵۲.

فی البناء العجیب و المنزل الآنس و المنظر الجمیل البهی

و ریاض تصبو النفوس الیهاو تحیا بوردهن الجنی

دار ملک مختاره لامام احرزت کفه تراث النبی

و لعل احسن ما قاله البحتری فی هذا القصر قوله فی احدی مدائحه المتوکل علی اللّه(۱):

قد تم حسن الجعفری، و لم یکن لیتم الا بالخلیفه جعفر

ملک تبوأ خیر دار اقامهفی خیر مبدی للامام و محضر

فی رأس مشرفه حصاها لؤلؤ،و ترابها مسک یشاب بعنبر

مخضره، و الغیث لیس بساکب و مضیئه، و اللیل لیس بمقمر

تقریر لطفک و اختیارک اغنیاعن کل مختار لها و مصدر

فرفعت بنیانا کأن زهاءه اعلام رضوی او شواهد صنبر

ازری علی همم الملوک و غض من بنیان کسری فی الزمان و قیصر

۱- نفس المصدر ۲/ ۱۰۳۹- ۱۰۴۲.

ملأت جوانبه الفضاء و عانقت شرفاته قطع السحاب الممطر

عال علی لحظ العیون، کأنماینظرن منه الی بیاض المشتری

و تسیر دجله تحته، ففناؤه من لجه غمر و روض أخضر

أعطیته محض الهوی، و خصصته بصفاء ود منک غیر مکدر

و اسم شققت له من اسمک فاکتسی شرف العلو به و فضل المفخر

و تظهر القصیده ما کان علیه القصر من سعه المساحه، و کثره الشرفات و ارتفاعها الذی یناطح السحاب العالی. و ان فخامته مما تعجز عن بناء مثله الملوک، و تقصر عنه ابنیه الروم و الفرس.

و انه کان یطل علی دجله، و تحیط به الریاض الخضر، و ان الخلیفه سماه باسمه، و ذلک مما زاده فخرا و جلالا.

و قد انشأ المتوکل علی اللّه امام قصره الجعفری برکه سمیت باسمه ایضا هی «البرکه الجعفریه» التی اشتهرت بسعتها و جمال تنسیقها، و اعتبرت فی یومها من عجائب الزمان. و لم یبق منها الیوم سوی حفره عمیقه تحیط بها اطلال القصر الجعفری فی خرائب مدینه المتوکلیه، و هی مستطیله الشکل یبلغ طولها زهاء ۱۲۰ مترا و عرضها حوالی ۸۰ مترا، ای بمساحه تقرب من عشره الاف متر مربع. و کان المتوکل علی اللّه جعل فرعا من النهر الجعفری ینتهی الیها من جهتها الشرقیه لیزودها بالمیاه. کما انشأ لها ثلاثه کهاریز تخرج من قمرها عند ضلعها الجنوبیه، ثم

تتوحد بکهریز واحد واسع لتصریف میاهها الزائده الی نهر دجله(۱).

و قد سبقت الاشاره الی ان مدیریه الآثار العامه تری ان البرکه الجعفریه هذه هی التی وصفها البحتری و سماها البرکه الحسناء و اشاد بها بقصیدته المشهوره التی یقول فیها(۲):

یا من رأی البرکه الحسناء رؤیتهاو الآنسات اذا لاحت مغانیها

یحسبها انها من فضل رتبتهاتعد واحده، و البحر ثانیها

ما بال دجله کالغیری تنافسهافی الحسن طورا، و طورا تباهیها

أما رأت کالی ء الاسلام یکلؤهامن أن تعاب، و بانی المجد بانیها

کأن جن سلیمان الذین ولواابداعها فأدقوا معانیها

فلو تمر بها بلقیس عن عرض قالت: هی الصرح تمثیلا و تشبیها

تخط فیها وفود الماء معجلهکالخیل خارجه من حبل مجریها

کانما الفضه البیضاء سائلهمن السبائک تجری فی مجاریها

۱- ری سامراء ۲/ ۳۳۷.

۲- کامل القصیده فی دیوان البحتری ۴/ ۲۴۱۴- ۲۴۲۱.

لا يبالغ السمک المحصور غايتهالبعد ما بين قاصيها و دانيها

يعمق فيها باوساط مجنحهكالطير تنفض فی جو خوافيها

لهن صحن رحيب فی اسافلهااذا انحططن و بهو فی اعاليها

صور الی صوره الدلفين يؤنسهامنه انزواء بعينيه يوازيها

و زادها زينه من بعد زينتهاان اسمه حين يدعی من اساميها

محفوفه برياض لا تزال تری ريش الطواويس تحكيه و يحكيها

و دكتين مثل الشعريين غدت احداهما بازاء الاخری تساميها

ان البحتری يشيد بحسن البركه، و يشير الی سعتها كأنها البحر و يقول ان دجله تغار منها لحسنها، و كأنها من صنع جن سليمان، و يشبهها بالصرح الذی بناه سليمان لبلقيس من الزجاج الصقيل، و ذلک لشده صفائها. و يشير الی سرعه تدفق المياه فيها كأنها الخيل فی جريها، و انها من السعه بحيث لا يبلغ السمک الذی فيها طرفيها، و ان بهوا مرتفعا يشرف عليها، و ان تمثالا للدلفين كان مقاما فی احد اركانها. و هی محاطه برياض من الورود متنوعه الالوان كريش الطواويس. و ان مما يزيد فی جلالها و زينتها ان تسمی باسم الخليفه جعفر المتوكل علی اللّه.

و يشير فی خاتمه شعره الی دكتين كانتا علی البركتين و يشبههما

بالشعريين، و همـا من أسـطع النجوم و اقربهما الى الأرض، احـداهما الشاميه و تسـمى الغميصاء او الغميضاء، و الاخرى يمانيه و تسمى العبور.

قصر لؤلؤه:

و هناك آثار قصر آخر يقع جنوبى القصر الجعفرى على ضفه نهر دجله، خارج سور المتوكليه، يرجح انها اطلال قصر لؤلؤه(۱). و قد قال عنه الطبرى ان المتوكل على اللّه بنى فى المتوكليه قصـرا سماه لؤلؤه لم ير فى مثل علوه(۲). و ذكره الشابشتى فى جمله قصور المتوكل على اللّه و سماه «اللؤلؤه»(۳).

و قال ياقوت الحموى ان النفقه عليه بلغت خمسه الاف الف درهم(۴).

۴- جامع ابى دلف:

مقدمه:

يقع جامع ابى دلف فى مدينه المتوكليه التى بناها المتوكل على اللّه فى اواخر سـنوات حكمه و اتخذها عاصمه له، شمالى مدينه سامرا. و تبعـد اطلال الجامع و بقاياه عن مـدينه سامراء الحاليه بنحو خمسه عشـر كيلومترا. و كان العالم الآثارى هرزفيلـد قـد قام بالتنقيب فى اطلال هذا الجامع و توصل الى كثير من المعلومات عن

۱- رى سامراء ۱/ ۱۳۵.

۲- الطبرى ۹/ ۲۱۲.

۳- الديارات/ ۱۵۹.

۴- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

سوره و اروقته و تسقيفه، الا ان تحرياته لم تتناول جميع اطلال الجامع، كما ان بعضها لم يكن بدرجه كافيه من الدقه. و قد كشفت التنقيبات التى قامت بها مديريه الآثار القديمه العامه عن كثير من المعلومات المتعلقه بمشتملات الجامع و ابعادها، و بتسقيفه. كما قامت بصيانه قسم كبير من بقاياه، و بخاصه منارته الملويه، و ما بقى من اسواره و جدرانه. و نشر الاستاذان بشير فرنسيس مفتش الآثار القديمه، و محمود على الرسام فى مديريه الآثار القديمه العامه مقالا فى مجله سومر(۱)، تضمن جميع ما كشفت عنه التنقيبات المذكوره.

ان جامع ابى دلف من جمله منشآت المتوكل على اللّه فى مدينه المتوكليه. فقد ذكر البلاذرى ان المتوكل على اللّه «احدث مدينه سماها المتوكليه. و بنى بها مسجدا جامعا»(۲). و قال اليعقوبى ان المتوكل على اللّه عند بنائه الجعفريه «جعل فى كل مربعه و ناحيه سوقا، و بنى المسجد الجامع»(۳). كما اشار الطبرى الى وجود مسجد جامع فى مدينه الجعفريه صلى فيه عبد الصمد بن موسى صلاه الفطر بالناس، و لم يصل بسامرا احد(۴). و يضيف الدكتور احمد سوسه ادله اخرى على ان هذا الجامع شيد فى نفس الوقت الذى شيدت فيه المتوكليه ليحل محل المسجد الجامع فى سامرا.

منها وجود الشارع الواسع الموازى للشارع الأعظم الذى يبدأ من الحدود الجنوبيه للمتوكليه و يخترقها و ينتهى عند الجامع المذكور.

و الساحتان الواسعتان فى شمالى الجامع و جنوبيه تتفرع منهما

۱- مجله سومر، الجزء: ۱ لسنه ۱۹۴۷/ ۶۰- ۷۶.

۲- فتوح البلدان/ ۲۹۵.

۳- كتاب البلدان/ ۲۶۷.

۴- الطبرى ۹- ۲۲۱.

الشوارع الى الشرق و الغرب و الشمال و الجنوب، مما يدل على ان الجامع كان جزءا من تخطيط مدينه المتوكليه(١).

اما نسبه الجامع الى ابى دلف فانها حديثه و يرجح ان الناس اطلقوها عليه فى القرون المتأخره لما يتمتع به صاحب هذا الاسم من الشهره، و لعلمهم انه كان من القواد العرب القلائل فى تلك الايام و قد عاش فى سامرا، فطاب لهم ان ينسبوه اليه، فاطلقوا عليه اسم جامع ابى دلف(٢). و ابو دلف هو القاسم بن عيسى بن ادريس بن معقل العجلى، احد الامراء الشجعان و من كبار رجال الدوله العربيه و قوادها على عهد الرشيد و ابنائه من بعده فى بغداد و سامرا. و قد سماه المتوكل على اللّه «شقيق دوله بنى العباس»(٣). و قد اشتهر بالسخاء و الكرم و الوفاء كشهرته بالشجاعه و الطعان.

تخطيط الجامع:

تعتبر بقايا جامع ابى دلف ابرز اطلال مدينه المتوكليه. و هو يشبه فى تخطيطه و شكله العام الجامع الكبير الذى شيده المتوكل على اللّه فى سامرا. فى اوائل عهده بالخلافه، شبها كبيرا. فهو مثله مستطيل الشكل، ذو صحن مكشوف محاط من جهاته الأربع باروقه، و مئذنته ملويه ذات مرقاه خارجيه، كما كان محاطا بساحه فسيحه مسوره. اما اوجه الخلاف التى تميز بها هذا الجامع عن الجامع الكبير فتنحصر فى الأبعاد و عدد الاروقه و كيفيه التسقيف، كما سترى فيما بعد. كما ان اطلال هذا الجامع على عكس ما هى عليه بقايا جامع سامرا الكبير الذى شيدت اسواره من الآجر فبقى معظمها شاخصا حتى الآن، بينما لم

١- رى سامراء ٢/ ٦٠٤- ٦٠٥.

٢- مجله سومر- العدد المذكور آنفا/ ٧۶.

٣- المحاسن و المساوى ء/ ٢٠٩.

یبق شـی ء مما كان فی داخلها من المبانی سوی بعض المعالم و الأسس. اما جامع ابی دلف فان منشآته الداخليه قد بنيت بالآجر و الجص فبقيت اكثر جدرانها قائمه عدا سـقوفها، بينما تداعت اسواره المشيده باللبن و تحولت الی خطوط من الآكام و الكثبان، عدا السور الشمالی فانه لا يزال اغلبه قائما قد يصل ارتفاعه فی بعض النقاط الی حوالی سبعه امتار(۱).

يبلغ طول الضـلع الكبری لجامع ابی دلف، و هی الضلع الممتده من الجنوب الی الشمال ۴۷ ر ۲۱۵ متر و ضلعه الصغری الممتده من الشرق الی الغرب ۲۴ ر ۱۳۸ متر، فتكون مساحته ثلاثين الف متر مربع تقريبا. و فی وسـطه صـحن مكشوف مستطيل الشكل ايضا و طول ضلعه الكبری ۰۷ ر ۱۵۵ متر، و ضلعه الصغری ۶۰ ر ۱۰۴ م ای ما مساحته سته عشر الف متر مربع، و تحيط بالصحن من جوانبه الاربعه اروقه مساحتها مع سـمك الجـدران ۵۰۰ ر ۱۳ متر مربع(۲). ای انه محـاط باربعه اقسام: بيت الصـلاه او الحرم فی الجنوب، و القسم الشمالی المقابل للحرم، ثم القسمين الشرقی و الغربی. و جميع هذه الاقسام تؤلف بوائك تمتد من الجنوب الی الشـمال. و للحرم ست عشـره دعـامه تكون سـبع عشـره بلاطه، و كل بلاطه منها تتكون من خمسه اقواس باتساع ۱۲ ر ۳ متر متجهه نحو الشـمال. و يمتد صف عقود الرواقين فی طرفی الحرم الی الشـمال فيؤلفان فی كل من الضـلع الشرقيه و الضلع الغربيه تسع عشره بلاطه عمقها ۱۴ مترا. و الجزء الشـمالی من الجامع يشـبه الحرم و له ست عشـره دعامه تؤلف سبع عشره بلاطه. و كل رواق

۱- مديريه الاثار القديمه- سامرا/ ۶۶- ۶۷ و مجله سومر آنفه الذكر/ ۶۳.

۲- سومر آنفه الذكر/ ۶۳.

یتألف من ثلاثه عقود، معدل اتساع کل عقد ۵۰ ر ۳ متر، تتجه نحو الجنوب(۱).

و یبلغ عمق بیت الصلاه ۲۰ ر ۲۹ متر و هو عمق البوائک التی تنتهی عند الضلع الجنوبیه بدعامات علی شکل الحرف تسند البائکه المستعرضه للاروقه السبعه عشر الموازیه للجدار الجنوبی علی بعد ۶۰ ر ۱۰ متر منه. و اما هذه الأقواس السبعه عشر جناح عمقه ۶۰ ر ۱۰ امتار یمتد من الشرق الی الغرب بامتداد عرض الجامع، و یقع بین جدار القبله و الصفوف الأخیره من اقواس الحرم الموازیه للجدار المذکور. و یبدو ان هذا الجناح ظهر لأول مره فی الجوامع الاسلامیه مما جعل لجامع ابی دلف مکانه فریده فی سلسله تطور تصمیم الجوامع(۲). و قد کشفت التنقیبات التی اجرتها مدیریه الآثار القدیمه العامه عن وجود قواعد للاعمده فی هذا الجناح، مما یرجح انه کان مسقفا مثل حرم الجامع(۳).

و یلاحظ ان اقواس اروقه الجامع من طراز الاقواس ذات الأربعه مراکز، و هی مثل الاقواس التی وجدت فی المبانی الاخری بسامرا، کدار الخلیفه. کما انها تشبه اقواس قصر الاخیضر قرب کربلا فی البادیه، و فی العراق عدد من المبانی القدیمه فیها مثل هذه الاقواس ایضا. و تتکون هذه الاقواس من حلقتین آجرها مربع الشکل، و قد صف آجر الحلقه الداخلیه و وجهه الی الخارج، فی حین ان آجر الحلقه الخارجیه قد جعلت حافته الی الخارج، و سمک الحلقه الواحده نحو ۵۰ سم(۴).

۱- نفس المصدر/ ۶۶- ۶۷، و العماره العباسیه/ ۱۹۱ و ۱۹۴- ۱۹۵.

۲- العماره العباسیه/ ۱۹۳- ۱۹۴.

۳- مجله سومر انفه الذکر/ ۶۷.

۴- نفس المصدر.

المحراب و المنبر:

یقع محراب جامع ابی دلف فی منتصف جداره الجنوبی بمقدار ۵ ر ۱۲ درجه غربا. و قد سبق ان اشرنا الی ان الیعقوبی قد ذکر هذا الانحراف و انه موجود فی کل مساجد سامرا و لهذا سمیت زوراء بنی العباس. و هو مشید بالآجر و الجص و یبرز ظهره عن جدار الجامع من الخارج بمقدار ۴۴ ر ۲ م. و لوحظ من بقایا البناء ما یدل علی وجود محرابین للجامع احدهما بظهر الآخر و انهما شیدا فی وقتین مختلفین. و قد یکون الأول قد شید عند بناء الجامع ثم ارتؤی بعد اکماله ضروره تصغیره لاسباب ربما کان من جملتها وضع المنبر الذی یشغل جزء من المحراب الأول(۱).

و تشاهد عند الرکن الأیسر للمحراب بقایا بناء من الآجر و الجص طوله ۶۵ ر ۲ م و عرضه ۲۰ ر ۱ م فی نهایته ثلاث درجات.

و یستنتج من شکل البناء و وضعه انه کان منبرا، و انه قد اضیف بعد اکمال الجامع، و لا یستبعد انه بنی فی وقت واحد مع المحراب الثانی(۲).

سور الجامع و ابوابه:

یحیط بالجامع سور خارجی یفصله عن جدران الجامع فضاء واسع فی الشرق و الغرب و الشمال و عرضه ۱۰۸ م، اما فی الجنوب فیضیق الی ۳۰ م(۳). و قد شید السور باللبن و کسی وجهاه

۱- نفس المصدر/ ۶۷- ۶۸.

۲- نفس المصدر/ ۶۸.

۳- ری سامراء ۲/ ۶۰۳.

الـداخلی و الخارجی بطبقه سـمیکه من الجص. و یتراوح سـمک السور بین ۶۰ ر ۱ م و ۸۰ ر ۱ م. و هو مثـل سور جامع سامرا الکبیر مـدعم من الخـارج بـابراج نصف دائریه. و یقوم فی کـل رکن من ارکانه الأربعه برج مسـتدیر یقوم علی قاعـده من الآجر مربعه الشکل طول ضلعها ۶۰ ر ۳ م و اضـلاعها مماسه لمحیط البرج، ای ان قطر البرج هو نفس طول ضـلع المربع. و قد شـیدت الاقسام السفلی من الابراج الی ارتفاع ۵۵ مترا بالآجر مثل القاعده و ما بقی منها بنی باللبن. و قد اسـتعمل للبناء ملاط الجص فی حالتی البناء باللبن او بالآجر.

و تقوم الابراج الاخری و هی نصف دائریه علی قواعد من الآجر مسـتطیله الشـکل طول ضـلعها الموازیه للسور ۱۰ ر ۳ م و طول کل من الضلعین المتعامدتین علیه ۹۰ ر ۱ م. و لما کانت هذه الاضلاع مماسه لمحیط البرج فان استدارته تزید علی نصف دائره. و تتوزع هذه الابراج علی جوانب السور الاربعه کالآتی: بنیت فی الضـلع القبلیه للسور عشره ابراج و قد شید البرجان اللذان یلیان برجی الرکنین بـاللبن، و اللـذان یلیانهما بالآجر، و هکـذا بالتناوب فتکون سـته من ابراج هـذا الجانب مبنیه باللبن و الأربعه الأخر بالآجر.

و البعد بین الرکنین و البرجین المجاورین لهما ۴۰ ر ۱۲ مترا.

و المسـافه بین الاـبراج الباقیه ۶۰ ر ۴ امتـار. امـا البعـد بین بروز المحراب و البرج المجـاور له فهو ۱۸ مترا. و فی الضـلع الشمالیه المقابله لضـلع القبله ثمانیه ابراج متناظره الابعاد ابتـداء من برجی الرکنین، فالبرج الـذی یلی الرکن یبعد عنه ب ۸۰ ر ۱۱ مترا، و یبعد هذا عن البرج الذی یلیه ب ۶۰ ر ۱۲ مترا، و یبعد هذا من البرج الثالث ب ۲۰ ر ۱۲ مترا، و البعد بینه و بین البرج الرابع ۶۰ ر ۱۲ مترا، و البعد بین البرجین المجاورین للمدخل الأوسط الذی یقابل المئذنه ۸ ر ۱۱ مترا. و کل هذه الابراج مبنیه باللبن بملاط الجص. و قد حافظ هذا الجانب من السور علی

وضعه تقريبا، فلم تؤثر فيه عوادى الزمن كما فعلت فى اسوار الجوانب الاخرى الا قليلا. و قد لوحظ امام قاعده هذا السور من الخارج وجود قنوات مكشوفه مشيده بالآجر عمقها نحو ۲۰ سم و عرضها ۱۸ سم، و هى تشبه تلك القنوات التى وجدت فى سور جامع سامرا الكبير، و اعتبرت مثلها لتصريف مياه الأمطار. و يبلغ سمک جدار السور فى هذه الضلع ۸۰ ر ۱ مترا. اما ابراج الضلعين الكبيرين، الشرقيه و الغربيه للسور فعددها عشره فى كل منهما.

و كلها مبنيه باللبن بملاط الجص. و البعد بين برج الركن و البرج الذى يليه ۸۰ ر ۳۵ مترا، و الأبعاد بين الابراج الاخرى تكاد تكون متساويه و هى تتراوح بين ۱۴ مترا و ۱۵ مترا. و بهذا يكون مجموع الابراج التى تدعم السور ۴۲ برجا، اربعه منها و هى ابراج الاركان دائريه الشكل- اسطوانيه- و البقيه و عددها ۳۸ برجا نصف دائريه. و كلها مبنيه باللبن عدا اربعه ابراج منها فى الضلع القبليه بنيت بالآجر كما سبق بيانه(۱).

اما ابواب الجامع فعددها ثمانيه عشر بابا، ثلاثه منها و هى القبليه تؤدى الى مشتملات تتصل بالضلع الجنوبيه للسور، و ثلاثه فى الضلع الشرقيه و الغربيه. و يلاحظ فى مواضع ابواب الجامع من جهاته الأربع انها تقع جميعها على محور الأقواس التى امامها، كما هى الحال فى جامع سامرا الكبير، دون مراعاه توسطها الجدران. ففى الضلع القبليه ثلاثه ابواب، يجاور اثنان منها برجى الركنين و يقع الثالث فى الوسط عند المحراب. و يبعد البابان الاولان عن برجى الركنين بنحو مترين و عرض كل منهما ۵۸ ر ۱ مترا. و اظهرت الحفريات ان كل باب منهما كان يؤدى الى حجره طولها ۱۰ امتار و عرضها ۶ امتار، و جدرانها من الآجر، و ارضيتها مبلطه بالطابوق. و يظهر من انفراد هاتين الحجرتين

۱- مجله سومر المذكوره/ ۶۳- ۶۴.

و موضـعهما انهمـا مخصصـتان لمن يتولى امور الجـامع. امـا البـاب الثـالث و هو الاوسـط فانه يبعـد عن شـرقى بناء المحراب من الخارج ب ۲۰ ر ۱ مـترا، و عرضه ۶۰ ر ۱ مترا، و هو يؤدى الى بنايه واسـعه مشـيده بالآجر تقع خلف المحراب ملاصـقه للجدار القبلى. و يبـدو ان الغرض من تشـييد هـذه البنـايه ملاصـقه للجـامع ان تكون مكانـا لاـستراحه الخليفه اذا ما جاء لصـلاه الجمعه، فيـدخلها من الباب الذى فى ظهر الجامع، و بعد استراحته و تجديد وضوئه، يدخل الجامع من الباب الذى بجانب المحراب. و قد ظهر من التنقيب ان جميع جـدران هـذه الـدار قـد بنيت بالآجر و كسيت بالجص من الـداخل و الخارج، و ان جميع حجراتها قد بلطت بالجص ايضا(۱). و من الجـدير بالملاحظه انها شـيدت على الطراز الحيرى ذى الصـدر و الكمين، و هو الطراز الـذى شاع آنذاك فى بناء الدور و القصور(۲).

التسقيف و التبليط:

ان مـا تبقى من الاـقواس و ما يعلوها من البناء لا يـدل على ان سـقف الجامع كان معقودا بالآجر، و ذلك لعـدم وجود التقوسات التى تبدأ منها العقادات. الا انه وجدت عند نقاط تعلو بنحو ۵۰ سم عن ذروه الأقواس فى جهات متعدده من اروقه المصلى ثقوبا بقطر ۲۰- ۲۵ سم على استقامه واحده، و تتراوح المسافه بين ثقب و آخر بين ۶۰ سم و ۷۰ سم. و يستنتج من وجود هذه الثقوب ان السقف كان قائما على جسور من الخشب، و انه كان يرتفع عن مستوى التبليط بنحو سبعه أمتار(۳).

۱- مجله سومر آنفه الذكر/ ۶۴- ۶۶.

۲- نفس المصدر/ ۷۴.

۳- نفس المصدر/ ۶۸.

و كانت الاقسام المسقفه من الجامع مبلطه بطبقه سميكه من الجص، اما الاقسام المكشوفه فقد بلطت بالطابوق المصقول المربع الشكل، و طول ضلع الطابوقه ۳۲ سم و سمكها ۵ سم. و معدل حجم الطابوق الذی استخدم فی تطبیق ساحه المئذنه الملويه ۴۸* ۴۸* ۵ سم، و هو مربع الشكل و مصقول ايضا(۱).

المئذنه:

لجامع ابی دلف مئذنه مبنيه بالآجر و الجص و هی تشبه ملويه جامع سامرا الكبير و قد بنيت علی شاكلتها الا انها اصغر منها حجما. و هی تقع علی محور الباب الأوسط للجامع و علی بعد ۵۰ ر ۹ امتار منه. و تقوم علی قاعده مربعه الشكل تقريبا، طول كل من ضلعيها الشماليه و الجنوبيه ۸۷ ر ۱۰ امتار، و طول كل من الضلعين الشرقيه و الغربيه ۶۰ ر ۱۰ امتار، و تعلو عن مستوى التطبيق ب ۷۰ ر ۲ مترا. و يزين كلا من اوجهها الأربعه صف من المشكيات عددها ۱۳ مشكاه فی كل وجه عدا الوجه الجنوبی ففيه عشر مشكيات تتوسطها باب المصعد. و يقع باب المصعد فی الضلع الجنوبيه لقاعده المئذنه كما اشرنا، و هو يفض الی درج يصعد منه الی سطح القاعده، و يبلغ عرض المدخل ۱۵ ر ۱ مترا، و عدد قدمات الدرج المشيد فی صلب القاعده اربع، تتجه نحو بدن الملويه من غير ان تنعطف الی الحلزون. و يرتفع جسم المناره، ای القسم الحلزونی منها، الی علو ۲۰ ر ۱۶ مترا فوق القاعده، فيصبح ارتفاع ملويه جامع ابی دلف من مستوى التطبيق حتی القمه المتهدمه نحو ۱۹ مترا. و يبدأ الحلزون، و هو سلم المئذنه من يمين

۱- مجله سومر آنفه الذكر/ ۶۹.

الباب و يدور ثلاث دورات كامله باتجاه معاكس لدوران عقرب الساعه، و عرضه متر واحد(۱).

و قد عثر فى الرواقين الواقعين بين المئذنه و الجدار الشمالى للجامع على رحبه مربعه يبلغ طول ضلعها ۷۰ مترا تحيط بها جدران اقتلعت حجارتها. و وجد فى الجدار الموازى للضلع الشماليه آثار عشر طاقات زخرفيه مشابهه لتلك التى وجدت على اوجه قاعده الملويه. و يظهر من هذا ان جدران رحبه المئذنه كانت كلها مزينه بالزخارف المذكوره. و قد ظهرت فى هذه الرحبه آثار قناتين تمتدان بين سور الجامع الخارجى و الجدار الذى فى يمين المئذنه و يسارها، و لعلهما كانتا لتزويد الميضأه بالماء، او لانسياب مياه الآمطار(۲).

۱- نفس المصدر/ ۶۹.

۲- نفس المصدر/ ۷۲.

الفصل الخامس سامرا بعد المتوکل علی اللّه

۱- المنتصر باللّه:

اشاره

بویع للمنتصر باللّه بالقصر الجعفری بالمتوکلیه، الا انه آثر الابتعاد عن مسرح جریمه مقتل ابیه المتوکل علی اللّه. فلم یلبث سوی بضعه ایام حتی قرر اعاده عاصمته الی سامرا. و سبق ان ذکرنا انه امر الناس جمیعا بالانتقال عن الماحوزه- و هی منطقه مدینه المتوکلیه- و ان یهدموا المنازل و یحملوا الانقاض الی سامرا. فخربت قصور المتوکلیه و منازلها و اسواقها.

و عند عوده المنتصر باللّه الی سامرا سکن فی القصر الجعفری المحدث الذی بناه ابوه و انفق علیه عشره الالف الف درهم(۱).

و ذکر الطبری ان المنتصر باللّه عقد مجلسه فی هذا القصر لیستمع هو و القواد و القضاه و الامراء من بنی العباس الی اعلان اخویه المعتز و المؤید تنازلهما عن ولایه العهد من بعده(۲). و فی هذا القصر کانت وفاته فی اوائل ربیع الآخر سنه ۲۴۸ ه.

۱- معجم البلدان ۳/ ۱۷۵.

۲- الطبری ۹/ ۲۳۷ و ۲۴۴.

كـان من المنتظر بعـد ان عـادت الجموع الكثيره من سـكان المتوكليه الى سامرا ان يعاد بناء قصورها و بيوتها و اسواقها و مرافقها التى سبق ان هدمت او هجرت عند انتقال العاصـمه الى المتوكليه. و ان يتم ذلك بموجب تخطيط و تنسيق يعيد للمدينه عمرانها و بهاءهـا. الاـ ان الوضع النفسـى للمنتصـر باللّه و ما كان اعتراه من كآبه و قلق لنـدمه على المشاركه فى اغتيال ابيه، و قصـر مـده حكمه، فـانه لم يقم بشـى ء من ذلـك، بـل انه اهمل مشاريع ابيه العمرانيه، و بخاصه النهر الجعفرى فلم يحاول تصـحيح الأخطاء التى حصـلت فى حفره. و لـذا فان سامرا لم تحظ فى ايامه بشـى ء من العنايه بعمرانها، و لكن امه طلبت عنـد وفاته ان تظهر قبره، فبنت له ضريحا اقيمت عليه قبه عرفت بقبه الصليبيه.

قبه الصليبيه:

تقع اطلال هذه القبه على الضفه المرتفعه لنهر الاسحاقى فى الجانب الغربى من دجله، جنوبى قصر المعشوق و على مقربه منه.

و كـانت فى الأصـل بنايه مثمنه الشـكل تتوسـطها قاعه مربعه يحيط بها رواق مثمن، و يسـتدل من سـمك جـدرانها و من الاسـم الشـائع لهـا انهـا كانت تعلوها قبه. و لا مجال للشك فى انها كانت ضـريحا لأحـد الخلفاء(١). و كان هرزفيلـد قـد اجرى تنقيبات اوليه فى اطلال هـذه البنايه، و وجد فيها ثلاثه قبور مما جعله يرجح انها كانت موضع قبر الخليفه المنتصـر باللّه. ثم دفن الى جانبه المعتز باللّه و المهتدى باللّه(٢).

١- الاثار القديمه العامه- سامراء/ ٧٢.

٢- ٨٨٣: Creswell ,E .M .A .P

یقول الطبری عن دفن المنتصر باللّه انه اول خلیفه من بنی العباس عرف قبره لأن امه طلبت اظهار قبره(۱). و یقول عن دفن المعتز باللّه انه لما مات دفن مع المنتصر فی ناحیه قصر الصوامع(۲). و یضیف ابن الأثیر علی ذلک ان المهتدی باللّه لما مات دفن بمقبره المنتصر(۳). و فی هذا ما یؤید ما ذهب الیه هرزفیلد فی ان قبه الصلیبیه کانت ضریحا للخلفاء المذکورین.

و یری کریزول ان القبه المذکوره تعود الی زمن متأخر من عهد سامرا لأنها مبنیه بنفس المواد التی استعملت فی بناء قصر المعشوق الذی شید فی اواخر عهد المعتمد علی اللّه(۴). و قد یؤید هذا الرأی قرب القبه من القصر المذکور، و ان المعتمد علی اللّه ربما قد بناها لتکون ضریحا له. لاسیما و انه عند ما توفی ببغداد حمل الی سامرا و دفن فیها.

۲- المستعین باللّه:

لما توفی المنتصر باللّه اجتمع کبار القاده الاتراک فی القصر الهارونی و اتفقوا علی اختیار خلف له فبایعوا حفید المعتصم باللّه احمد بن محمد و لقب بالمستعین باللّه. و قد بات لیلته الأولی فی القصر المذکور. و یظهر من مجری الحوادث المهمه علی عهده انه سکن فی قصر الجوسق الخاقانی، قصر جده المعتصم باللّه الواقع علی نهر دجله جنوبی دار الخلیفه. فقد التجأ القائد الترکی اوتامش الی الخلیفه فی هذا القصر لما هاجمه مناوئوه

۱- الطبری ۹/ ۲۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰.

۳- الکامل ۷/ ۲۳۰.

۴- ....

من الأتراک، فدخلوا الجوسق و استخرجوه و قتلوه مع کاتبه شجاع بن القاسم(۱). و لما قتل باغا الترکی حاصر اتباعه من الجند و القواد الموالین له فی قصر الجوسق ایضا. و علم المستعین بالله باجتماعهم فرک القصر منحدرا مع بعض قواد و افراد حاشیته الی بغداد(۲).

و نزل الخلیفه فی بغداد علی محمد بن عبد الله بن طاهر فی داره. ثم انتقل منها الی دار رزق الخادم فی الرصافه. و لما تنازل عن الخلافه و بایع المعتز باللّه نقل هو و عیاله و ولده و جواریه من الدار المذکوره الی قصر الحسن بن سهل بالمخرم، و انزلوا فیها جمیعا(۳).

لقد ظلت شؤون سامرا و مرافقها العمرانیه مهمله طیله خلافه المستعین باللّه، لأنه قضی ما یقارب الثلاث سنوات من حکمه فی سامرا فی صراع مستمر مع الاتراک مما اضطره علی الانتقال الی بغداد، ثم قیام الحرب بین بغداد و سامرا، و لذا لم تتح له الفرصه للقیام بای عمل عمرانی یذکر فی سامرا.

۳- المعتز باللّه:

اما المعتز باللّه الذی بایعه الاتراک الذین ظلموا فی سامرا و فشلوا فی اقناع المستعین باللّه بالعوده الیها، فقد کان ینزل فی قصر الجوسق اول امره. و قد اضاف الیه جناحا خاصا لسکناه احسن عمارته و ریازته. و قد ذکر الشابشتی ان المعتز باللّه بنی فی الجوسق بیتا قدرته له امه و مثلث حیطانه و سقوفه، فکان احسن بیت رئی، و لما انتهی منه دعا المعتز باللّه حاشیته الیه فقضوا

۱- الطبری ۹/ ۲۶۴، و الکامل ۷/ ۱۲۳.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۰.

۳- الطبری ۹/ ۳۴۸.

احسن یوم سرورا(۱). و ضـرب فیه المعتز باللّه دینارا من دنانیر الصـله کل دینار بـدینارین کتب علی کل دینار منها «ضـرب هذا الدینار بالجوسق لخزینه امیر المؤمنین المعتز باللّه»(۲). و کان المعتز باللّه فی بیته هذا لما جی ء الیه برأس المسـتعین باللّه فی سنه ۲۵۲ ه(۳). و برأس القائد بغا الشرابی فی سنه ۲۵۴ ه(۴).

و یشـیر البحتری فی احـدی قصائـده فی مـدح المعتز بـاللّه الی انه بنی قصـرا فخمـا یقـال له «الکامل» و قـد تضـمن مـدحه بعض اوصاف القصر، و مما جاء فیها قوله(۵):

لما کملت رویه و عزیمهأعملت رأیک فی ابتناء الکامل

و غدوت من بین الملوک موفقامنه لأیمن حله و منازل

ذعر الحمام و قد ترنم فوقه من منظر خطر المزله هائل

روفت لمنخرق الریاح سموکه و زهت عجائب حسنه المتخایل

و کأن حیطان الزجاج بجوه لجج یمجن علی جنوب ساحل

و کأن تفویق الرخام اذا التقی تألیقه بالمنظر المتقابل

۱- الدیارات/ ۶۷۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۶۸.

۳- الطبری ۹/ ۳۶۴، و الدیارات/ ۱۷۰.

۴- الطبری ۹/ ۳۸۰.

۵- دیوان البحتری ۳/ ۱۶۴۶- ۱۶۴۹.

حبک الغمام رصفن بین منمرو مسیر و مقارب و مشاکل

لبست من الذهب الصقیل سقوفه نورا یضی ء علی الظلام الحافل

فتری العیون یجلن فی ذی رونق متلهب العالی انیق السافل

فکانما نشرت علی بستانه سیراء و شی الیمنه المتواصل

اغنته دجله اذ تلاحق فیضهاعن فیض منسجم السحاب الهاطل

وافیته و الورد فی وقت معاو نزلت فیه مع الربیع النازل

یتضح من اوصاف البحتری ان الکامل کان قصرا مرتفعا شاهق البنیان، یحاذر الحمام ان یطاله فی ارتفاعه، و قد بنی بالرخام و المرمر و موهت سقوفه بالذهب الصقیل، و زینت نوافذه بالزجاج الشفاف. و انه کان علی شاطی ء دجله بحیث یسقی ماؤها بستان القصر، و ان المعتز باللّه نزل فیه فی اول فصل الربیع.

و مدح البحتری المعتز باللّه بقصیده اخری اشار فیها الی انه افتتح بناء جدیدا، و لعله یقصد القصر الکامل المشار الیه آنفآ، کما یظهر من اوصاف البناء، اذ جاء فیها قوله:(۱)

۱- دیون البحتری- طبعه صادر ۱/ ۱۷۹- ۱۸۰.

بارك اللّه للخليفه فى الفتح الجنوبى، و البناء الجديد

خير مبهج، و بنيان بمن فى منيف، عند السماك مشيد

فوق صرح ممرد من قوارير، غريب التأليف و التمديد

لو بدا حسنه لجن سليمان لخروا من ركع و سجود

قد عددنا اليوم الذى جئته فيه لافراط حسنه، يوم عيد

كما ذكر البحترى فى احدى مدائحه المعتز باللّه قصرا آخر باسم «قصر الساج» اذ يقول فيها(۱):

و كأن قصر الساج خله عاشق برزت لوامقها بوجه مونق

قصر تكامل حسنه فى قلعهبيضاء، واسطه لبحر محدق

و انى المحل فلا المزار بشاسع عمن يزور، و لا الفناء بضيق

قدرته تقدير غير مفرطو بنيته بنيان غير مشقق

و وصلت بين الجعفرى و بينه بالنهر يحمل من جنوب الخندق

۱- ديوان البحترى ۳/ ۱۴۷۹- ۱۴۸۴.

نهر کأن الماء فی حجراته افرند متن الصارم المتألق

لقد بنی المعتز هذا القصر و لم یدخر وسعا فی الانفاق علیه بحیث تکامل حسنه. فقد کان کالقلعه البیضاء وسط ساحه خضراء تکتنفها الاشجار الخضراء و الوان الورود. و کان واسع الارجاء قریبا فی موقعه.

و کان هناک قصر بدیع یقع علی ضفه القاطول الاعلی فی الناحیه الثمالیه الغربیه من ساحه الحیر، یعرف بقصر الدکه.

و قد عین الطبری موقع هذا القصر فی معرض کلامه فی حادث مقتل القائد صالح بن وصیف فی سنه ۲۵۶ ه فیقول ان الناس اجتمعوا و «تهایجوا من دار امیر المؤمنین، فرکبوا فی السلاح، و اخذوا فی الحیر حتی اجتمعوا ما بین الدکه و ظهر المسجد الجامع».(۱) و یرجح الدکتور احمد سوسه ان قصر الدکه هذا هو نفسه القصر المعروف بقصر الساج. و دلیله علی ذلک ان البحتری لما وصف قصر الساج فی قصیدته آنفه الذکر اشار فی اواخرها الی نهر کان یبدأ من قرب القصر الجعفری و ینتهی عنده، ای ان النهر یوصل بین القصرین المذکورین، و ذلک بقوله:

الحقه یا خیر الوری بمسیره و امدد فضول عبابه المتدفق

فاذا بلغت به البدیع فانماانزلت دجله فی فناء الجوسق

ان وصف البحتری بانه قصر تکامل فی حسنه و هو کالقلعه البیضاء یحیط بها البحر، و ان المعتز باللّه وصل بینه و بین الجعفری

۱- الطبری ۹/ ۴۵۱.

بالنهر الذی کان یتفرع من قناه سامرا، ینطبق علی قصر الدکه، و لذا فهو قصر الساج الذی بناه المعتز باللّه(۱).

و یظهر ان مناطق سکنی الجند من الاتراک قد امتدت بعیدا عن المسجد الجامع الکبیر مما صعب علی المسنین منهم الوصول الیه لأداء فریضه الصلاه، فبتنی المعتز باللّه مسجدا قریبا من مناطق سکناهم.

فأشاد البحتری بصنیع المعتز باللّه بقوله(۲):

یا ابن عم النبی أمتعت العمر و ملیت نعمه الامتاع

یعلم اللّه کیف حمد الموالی ما تعانی من شأنهم، و تراعی

اعظموا المسجد الجدید فابدواو اعادوا فی الشکر عنه المذاع

رحت خیر البانین و اخترت بالامس لخیر البیوت خیر البقاع

فصرت خطوه الکبیر و لاقی متعب فضل راحه و اتداع

۴- المهتدی باللّه.

کان المهتدی باللّه قد اقام فی الجوسق منذ ان بویع له الی ان قتل(۳). و بسبب الوضع المالی السی ء للدوله فقد اتبع المهتدی

۱- ری سامراء ۱/ ۱۲۳.

۲- دیوان البحتری- طبعه صادر ۱/ ۱۵۰- ۱۵۲.

۳- کتاب البلدان/ ۲۶۸.

باللّه سیاسه اقتصاد و تقشف فی جمیع نفقاته و فی النفقات العامه.

و کان بطبیعته یمقت حیاه البذخ و الترف، فخفض کثیرا من نفقات بلاطه و نفقات اهله و ولده، مقتصرا علی الضروری منها.

و لذا لم یحدث فی ایامه التی لم تتجاوز السنه، ای عمران یذکر فی سامرا.

۵- المعتمد علی اللّه:

اشاره

اقام المعتمد علی اللّه عند مبایعته بالخلافه بسر من رأی فی الجوسق و قصور الخلافه، ثم انتقل الی الجانب الغربی من المدینه فبنی قصر موصوفا بالحسن سماه المعشوق(۱). و کنا ذکرنا فی سیرته انه کان مستضعفا، فانه رغم میله الی الفنون و الآداب، و مع طول مده حکمه لم یستطع ان یضیف شیئا الی عمران سامرا الا یسیرا، و هو بناؤه قصر المعشوق. و ذلک لعدم توفر المال من جهه بسبب حرب الزنج و الثورات الداخلیه الأخری، و لسیطره اخیه الموفق علی شؤون الدوله من جهه اخری، مما حال دون ان یتمکن من ان ینفق شیئا من المال حسب مشیئته و رغباته. کما کان الموفق نفسه رجل حرب قضی اغلب ایامه فی جبهات القتال، فلم یعن بالامور العمرانیه.

و کان الاهمال العمرانی الذی اصاب سامرا بعد المتوکل علی اللّه قد حرم قصورها من العنایه بها و صیانتها و تجدیدها، فاصبحت قدیمه و قد فقدت جدتها و رونقها و لم تعد صالحه لسکنی الخلفاء.

و لهذا یلاحظ المتتبع لتاریخ سامرا خلال السنوات العشر الأخیره من حکم المعتمد علی اللّه، انه کان یتردد فی سکناه بین بغداد و سامرا. و سبق ان اشرنا الی انه اتخذ القصر الحسنی ببغداد

۱- نفس المصدر.

سکنـا له عنـد ما یکون فیها، و به کانت وفاته. علی انه اسـتطاع فی سـنه ۲۷۵ ه ان یبنی قصـرا فخمـا فی الجانب الغربی من سامرا اسماه المعشوق، و قد انتقل الیه و سکن فیه.

قصر المعشوق:

اشـار الیعقوبی الی هـذا القصـر بقوله «و لمـا ولی المعتمـد اقـام بسـر من رأی فی الجوسق و قصور الخلافـه ثم انتقل الی الجانب الغربی(۱) بسـر من رأی فبنی قصـرا موصوفا بالحسن سـماه المعشوق، فنزله فاقام به حتی اضطرته الامور فانتقل الی بغداد»(۲). و قـال عنه یاقوت الحموی «المعشوق و هو اسم لقصـر عظیم بالجانب الغربی من دجله قباله سامرا فی وسط البریه باق الی الآن(۳). لیس حوله شـی ء من العمران، یسـکنه قوم من الفلاـحین، الاـ انه عظیم مکین محکم لم یبن فی تلـک البقـاع علی کثره مـا کان هناک من القصور غیره. و بینه و بین تکریت مرحله.

عمّره المعتمـد علی اللّه»(۴). و ذکر ابـن الجـوزی فی حـوادث سـنه ۳۵۰ ه ان معز الـدوله احمـد بـن ابی شـجاع البـویهی نقض المعشوق بسر من رأی و حمل آجره لبناء داره ببغداد(۵). و جاء فی کتاب تجارب الامم ان معز الدوله قد اشتدت علته و اراد ان یترک بغداد الا ان وزیره ابو محمد المهلبی صـرفه عن رأیه واقنعه بان یبنی قصـرا فی اعالی بغداد. و لما شـرع بالبناء قلع الابواب الحدید التی علی مدینه ابی جعفر المنصور، و نقض قصور الخلافه بسر من رأی

۱- فی الاصل الشرقی.

۲- کتاب البلدان/ ۲۶۸.

۳- توفی یاقوت الحموی فی سنه ۶۲۶ ه.

۴- معجم البلدان ۵/ ۱۵۶- ۱۵۷.

۵- المنتظم ۷/ ۲.

و نقل منها الآجر لبناء قصره(۱). و يظهر انه نقض قصر المعشوق ايضا.

و كـان على بن يحيى المنجم نـديم الخلفاء مقربا من المعتمـد على اللّه فقلـده بناء المعشوق فبنى له اكثره(۲). لأنه توفى فى سنه ۲۷۵ ه قبل ان يتم بناء القصر. مما يستدل منه ان المعتمد على اللّه شيد هذا القصر فى حدود السنه المذكوره. فعهد وزيره سليمان بن وهب الى محمد بن عبد اللّه بن يحى الاشراف على اكمال بناء القصر، ثم ما لبث ان صرفه الخليفه(۳).

و مر باطلال قصـر المعشوق كل من ابن جبير و ابن بطوطه، فقال عنه ابن جبير ابو الحسن محمد بن احمد الاندلسـى المتوفى سنه ۶۱۴ ه، عنـد مروره بسـامرا «و نزلنـا مع الصـباح مـن يـوم الخميس الثـامن عشـر لصـفر على شـط دجلـه بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق .. فاقمنا بهـذا الموضع طول يومنا مستريحين، و بيننا و بين مدينه تكريت مرحله»(۴). و قال عنه ابن بطوطه ابو عبد اللّه محمـد بن عبـد الله الطنجى المتوفى سـنه ۷۹۷ ه فى رحلته من بغـداد الى الموصـل عنـد مـا مر به «فنزلنـا موضـعا على شـط دجله بالقرب من حصن يسـمى المعشوق و هو مبنى على الـدجله. و فى العـدوه الشـرقيه من هـذا الحصن مدينه سـر من رأى و تسـمى سامرا»(۵).

و كان المستشرق الفرنسى فيوله-Viollet من اوائل المحدثين الذين ابدوا اهتماما بهذا الأثر فنشـر دراسه قصيره عنه و بعضا من مخططاته فى سنه ۱۹۱۱ م، عقبه المستشرق الالمانى

۱- تجارب الامم ۲/ ۱۸۲- ۱۸۳.

۲- معجم الادباء ۵/ ۴۷۶.

۳- الوزراء/ ۲۸۴.

۴- رحله ابن جبير/ ۱۸۵.

۵- رحله ابن بطوطه ۱/ ۱۴۷.

هرزفیلد فاجری بعض التنقیبات فیه قبیل الحرب العالمیه الاولی(۱).

تقع اطلال قصر المعشوق علی الضفه الغربیه لنهر الاسحاقی فی الجانب الغربی من نهر دجله، و تسمی الیوم قصر العاشق. و کان المعتمد علی اللّه آخر خلفاء سامرا قد بناه فی اواخر عهده، قبل انتقال مقر الخلافه الی بغداد. و بنایه القصر مستطیله الشکل ذات طابقین، و قد تحول الطابق الأسفل الی سرداب لتراکم انقاض اجزاء الطابق الثانی فیه. و یبلغ طول البنایه ۱۳۱ مترا و عرضها ۹۶ مترا، و کانت محاطه بساحه مسوره، و یشاهد فی هذه الساحه بین القصر و السور آثار عده مبان فرعیه(۲). و کان یدور حول سور القصر خندق واسع یستمد میاهه من قناه جوفیه (کهریز) ینحدر الیها الماء من العیون التی فی اراضی الجزیره الغربیه فتفضی الیه، لأن موقع القصر کان مرتفعا بالنسبه الی منسوب المیاه فی نهر الاسحاقی فلم یکن بالامکان جر الماء منه الی الخندق(۳).

یعتبر قصر المعشوق من اهم القصور الأثریه المتخلفه عن العاصمه سامرا، و کان بناؤه متینا اذ ان معدل عرض جدرانه ۶۰ ر ۲ مترا، اضافه الی انه معزز بابراج ضخمه تدعمه من جوانبه المختلفه، و تحیط به مسناه من بعض جهاته لحمایته من میاه الأمطار. و ذلک ما حدا بالکتاب و البلدانیین القدماء الی ان یطلقوا علیه صفه القلاع و الحصون. و قد نشر المنقب الآثاری السید ربیع القیسی تقریرا بعنوان «الصیانه الاثریه فی قصر العاشق فی

۱- مجله سومر، العدد ۱ و ۲ من السنه ۱۹۶۷/ ۱۸۳.

۲- الآثار القدیمه العامه- سامراء/ ۷۱.

۳- ری سامراء ۱/ ۸۸.

سامراء» فی مجله سومر[1]. تضـمن وصـفا دقیقا لأعمال الصـیانه التی قامت بها مدیریه الآثار العامه للحفاظ علی البقیه الباقیه من جدران القصـر و ابراجه المتداعیه و کثیر من جدرانه الداخلیه التی استظهرت بنتیجه اعمال التنقیب. و فیما یلی ملخص بما کشف من مرافق القصـر المـذکور قـد تساعـدنا علی تصور تخطیطه و ما کان یحتوی علیه من الغرف و القاعات و الممرات و غیر ذلک من المرافق الاخری.

بنی قصـر المعشوق جمیعه بالآـجر من النوع الکبیر (الفرشـی) من قیاس ۵ ر ۱۰* ۵ ر ۱۰* ۵ ر ۲ بوصه. و من اطلالـه الباقیه فی الوقت الحاضـر یشاهد فی الجهه الشـمالیه منه بقایا جدران امکن الاهتداء بواسـطتها الی مرافق القصـر. و کانت فی القصر اواوین علی غرار الاـواوین فی قصور سـامرا الاـخری. و وجـد ان جـدار الجبهه الشـمالیه للقصـر تصاقبه من الخارج مجموعه من الفرف مسـتطیله و متوازیه و متعامده علی هذا الجدار، و ظهر ان احداها و هی الغرفه الشرقیه تکون ممرا یؤدی الی مرافق القصر العلیا، و یحتمل ان یکون هذا الممر مدخلا للقصـر من جهته الشمالیه. و قد شید هذا المدخل بالآجر و الجص بهیئه سلم منحدر علی دفق من التراب یرتفع الی مسـافه اربعه امتـار ثم ینعطف نحو الیسار، و بعـد مسافه ۱۱ مترا ینحرف مره اخری نحو الیسار مشـکلا ممرا یصل نقطه تقع فوق باب المدخل و عندها ینتهی الدفن المشـید علیه السـلم. و ظهرت دلائل معماریه تؤکد اسـتمرار هذا السلّم و انعطافه یسارا مره ثالثه فیتصل بعقد من الخشب مشکلا سقفا للقسم الأسفل، و یؤدی بعد مسافه ۱۱ مترا الی مدخل بعرض مترین یفضی الی مرافق القصر. و فی جدار المدخل عده نوافذ للاضاءه و التهویه، و کشف عن طابق اسفل تحت هذه الجبهه

۱- مجله سومر- العددان ۱ و ۲ لسنه ۱۹۶۷/ ۱۸۳- ۱۸۷.

بهیئه سرداب مشید بالآجر و الجص علی غرار الأواوین فی العمائر الاسلامیه.

و کشف فی منتصف الجبهه الشرقیه للقصر مدخل تدل معالمه البنائیه علی انه من المبانی المضافه علی هذا القسم، و عن یسار المدخل المذکور ثلاث غرف مستطیله الشکل ذات جدران سمیکه، و علی جدران هذه الجبهه میازیب عمودیه منحوته عرضها ۳۰ سم و عمقها ۲۰ سم لتصریف میاه الأمطار. و یظهر انها نحتت بعد تشیید الجدران لأنه لوحظت آثار قص الجدران، و ان هذا القص یخترق جانبا من المشاکی التی تزین ظاهر الجدران. و کان بعض هذه الجدران تزینها نقوش و کتابات.

و وجد فی الجانب الغربی من القصر منفذ بهیئه عقد یتوسط البرجین الثالث و الرابع و عرضه متران، مع آثار غرف صغیره امام المدخل تلاحق جدران القصر من هذا الجانب.

و فی الجبهه الجنوبیه من القصر وجدت بقایا اربعه ابراج.

و ظهر ان بعض جدران هذه الجبهه قد شیدت علی وجه الارض من دون اساس و ذلک لصلابه الارض التی تقوم علیها هذه الجدران.

و وجد مدخل صغیر فی هذه الجبهه علی غرار مدخل الجانب الغربی من القصر. کما وجدت عده مرافق بقرب هذا المدخل تشابه المرافق الملاصقه لمدخل القسم الغربی.

و قد اشاد البحتری بذکر هذا القصر فی قصیده مدح بها الخلیفه المعتمد علی اللّه مطلعها(۱):

أریتک الآن المع البروق ام شعل مرفضه من حریق

۱- دیوان البحتری- طبعه صادر ۱/ ۱۸۲- ۱۸۴.

الی ان یقول:

لازال معشوک یسقی الحیامن کل دانی المزن واهی الخروق

فما خلونا مذ رأیناه من فتح جدید، و زمان أنیق

أشرق نظارا الی ملتقی دجله یلقاه بوجه طلیق

و طالع الشمس علی موعدبمثل ضوء الشمس عند الشروق

لم أر کالمعشوق قصرا بدالأعین الرائین غیر المشوق

هذاک قد بر فی حسنه سبقا و هذا مسرع فی اللحوق

و قد اشار یاقوت الحموی فی معجمه الی ان المعتمد باللّه کان عمّر قصرا آخر سمی باسمه هو القصر الأحمدی، و لکنه لم یذکر موضعه و متی انشأه، مکتفیا بهذه اللمحه البسیطه، و ذکر ما قاله فیه ابن المعتز واحد الأدباء. فقد ذکر ابن المعتز هذا القصر فی شعر امتدح به المعتمد علی اللّه، منه قوله(۱):

بدر تنقل فی منازله سعد یصبحه و یطرقه

فرحت به دار الملوک فقدکادت الی لقیاه تسبقه

و الأحمدی الیه منتسب من قبل و المعشوق یعشقه

۱- معجم البلدان ۵/ ۱۵۶- ۱۵۷.

و قال بعض اهل الادب: اجتزت بسامرا فرايت على جدران القصر المعروف بالأحمدى مكتوبا(۱):

فى الأحمدى لمن يأتيه معتبرلم يبق من حسنه عين و لا أثر

غارت كواكبه و انهد جانبه و مات صاحبه و استفظع الحيز

۱- نفس المصدر ۱/ ۱۱۷.

الفصل السادس العوده الى بغداد و هجر سامرا

۱– العوده الى بغداد:

ليس هناك تاريخ معين لترك المعتمد على اللّه مدينه سامرا و العوده الى بغداد، كما لا تتضح الاسباب التى دفعته الى الانتقال.

و ان ما ورد فى المصادر الأوليه حول هذا الموضوع لا يلقى ضوء واضحا على ذلك. و لكن المتتبع لسير الحوادث خلال السنوات العشر الأخيره من حياه سامرا كعاصمه للدوله العربيه يلاحظ ان الخليفه كان فى اثنائها يتردد بين بغداد و سامرا، فيكون مقره فى سامرا احيانا و فى بغداد احيانا اخرى. و نذكر فيما يأتى بعضا من الحوادث التى وقعت خلال المده المذكوره و كانت بغداد مسرح حدوثها مع ان سامرا كانت لا تزال عاصمه الدوله و مقر الخلافه، لأن دواوين الدوله و خزائنها لازالت فيها.

و مما حدث فى سنه ۲۷۰ ه ان ابا العباس احمد بن الموفق، و كان بمعيه ابيه فى حرب الزنج، قدم بغداد و معه رأس الخبيث قائد ثوره الزنج ليراه الناس(۱). مما يدل على ان الخليفه كان

۱– الطبرى ۹/ ۶۶۳، و الكامل ۷/ ۴۰۵.

حینـذاک فی بغـداد، لأن من المعتاد ان یحمل رأس الثائر الی الخلیفه لیقرر ما یراه بشأنه، فقد یأمر بدفنه، او بتعلیقه فی محل عام او بالطواف به فی بعض اقالیم الدوله.

و لتسع بقین من جمادی الآخره سنه ۲۷۲ ه قدم ابو العباس بغداد منصرفا من وقعته مع ابن طولون بالطواحین(۱). و فی هذه السنه ورد الخبر مدینه السلام بدخول حمدان بن حمدون و هارون الشاری مدینه الموصل(۲).

و عنـد ما حبس الموفق ابنه ابا العباس فی سـنه ۲۷۵ ه شـغب اصـحاب ابی العباس و حملوا السلاح، و اضطربت بغداد، فرکب ابو احمد حتی بلغ باب الرصافه(۳).

و لأربع عشره خلت من شهر ربیع الاول من سنه ۲۷۶ ه شخص ابو احمد الموفق من مدینه السلام الی الجبل(۴).

و فی أول یوم من شعبان سنه ۲۷۷ ه قدم بغداد قائد من قواد ابن طولون فی جیش عظیم من الفرسان و الرجاله(۵). و مجی ء هذا الوفد العسکری الی بغداد یدل علی ان الخلیفه کان فیها آنذاک.

و ان وفاه الموفق فی صـفر سنه ۲۷۸ ه و دفنه بالرصافه ببغـداد(۶)، و وفاه المعتمد علی اللّه فی رجب سـنه ۲۷۹ ه ببغداد(۷)، مما یشیر الی انهما کانا قد استقرا فی بغداد.

۱- الطبری ۱۰/ ۹.

۲- الطبری ۱۰/ ۹ و الکامل ۷/ ۴۱۹.

۳- الطبری ۱۰/ ۱۵ و الکامل ۷/ ۴۳۳.

۴- الطبری ۱۰/ ۱۶.

۵- الطبری ۰۱/ ۱۸، و الکامل ۷/ ۴۳۹.

۶- الطبری ۱۰/ ۲۲، و الکامل ۷/ ۴۴۳.

۷- الطبری ۱۰/ ۲۹، و الکامل ۷/ ۴۵۵.

یقول ابن الأثیر ان المعتمد علی اللّه اول الخلفاء انتقل من سر من رأی مذ بنیت ثم لم یعد الیها احد منهم(۱).

و یؤید الخطیب البغدادی تردد المعتمد علی اللّه علی بغداد، اذ یذکر انه کان قد استنزل بوران ارمله المأمون عن قصرها المعروف بالحسنی، فاستنظرته ایاما فی تفریغه و تسلیمه. ثم رممته و عمرته و فرشته باجل الفرش، و ملأت خزائنه بما یخدم به الخلفاء، و رتبت فیه من الخدم و الجواری ما تدعو الحاجه الیه، فلما فرغت من ذلک انتقلت منه. فانتقل المعتمد الیه. و لما کانت بوران قد توفیت فی اواخر ربیع الأول من سنه ۲۷۱ ه، فان انتقال المعتمد علی اللّه الی القصر کان قبل وفاتها.(۲)

و یشیر یاقوت الحموی الی نفس الخبر المذکور فیقول: «فاتاه فرأی ما اعجبه و ارضاه و استحسنه و اشتهاه، و صار من احب البقاع الیه، و کان یتردد فیما بینه و بین سر من رأی فیقیم هناک تاره و هناک تاره اخری»(۳). و واضح من هذا ان المعتمد علی الله لم ینتقل الی بغداد بصوره نهائیه.

و قد لاحظ یاقوت ان سامرا «لم تزل کل یوم فی صلاح و زیاده و عماره منذ ایام المعتصم و الواثق الی ایام المنتصر بن المتوکل. فلما ولی المستعین و قویت شوکه الأتراک و استبدوا بالملک و التولیه و العزل، و انفسدت دوله بنی العباس، لم تزل سر من رأی فی تناقص للاختلاف الواقع فی الدوله بسبب العصبیه التی کانت بین امراء الاتراک. الی ان کان آخر من انتقل الی بغداد من الخلفاء و اقام بها و ترک سر من رأی بالکلیه المعتضد باللّه امیر المؤمنین»(۴).

۱- الکامل ۷/ ۴۵۵.

۲- تاریخ بغداد ۱/ ۹۹- ۱۰۰.

۳- معجم البلدان ۲/ ۴.

۴- نفس المصدر ۳/ ۱۷۶.

و ذکر المؤرخ زکریا بن محمد القزوینی مثل هذا، فقال «و لم تزل فی زیاده عماره من ایام المعتصم الی ایام المستعین، فعند ذلک قویت شوکت الأتراک و وقعت المخالفه فی الدوله. فلم تزل فی نقص الی زمان المعتضد باللّه فانه انتقل الی بغداد و ترک سامرا بالکلیه»(۱).

ان ما ذکرناه یؤید ان المعتمد علی اللّه کان یترد بین سامرا و بغداد، و انه لم ینتقل بصوره نهائیه الی بغداد. و لعل قیامه ببناء قصر المعشوق فی سامرا خلال سنتی ۲۷۵ و ۲۷۶ ه دلیل آخر علی انه لم یزمع الانتقال منها. الا انه عند ما تولی المعتضد باللّه الخلافه فی رجب من سنه ۲۷۹ و هو فی بغداد آثر الاستقرار بها، و نقل دواوین الدوله الیها، فعادت من جدید عاصمه للدوله العربیه.

و هکذا کانت سامرا عاصمه للدوله العربیه خلال المده من اوائل سنه ۲۲۳ ه حتی رجب سنه ۲۷۹ ه، ای طیله مده تقرب من سبع و خمسین سنه عدا المده التی انتقل بها المتوکل علی اللّه الی المتوکلیه. اما المده التی انتقل بها المتوکل علی اللّه الی دمشق فانه «لم یر فی سفرته هذه شیئا و لا نظر فی مصلحه»(۲). ای انه لم یمارس اعماله خلالها. و المده التی انتقل فیها المستعین باللّه الی بغداد و بقاؤه فیها حتی تنازله عن الخلافه و قدرها سنه واحده، فقد بقیت سامرا خلالها عاصمه للخلیفه المعتز باللّه الذی بایعه القواد الأتراک اثر انحدار المستعین باللّه الی بغداد.

۲- اسباب هجر سامرا:

و کما قامت مدینه سامرا و اتسعت خلال مده و جیزه من الزمن فقد قدر لها ان یغتالها الاهمال و یعمها الخراب بسرعه ایضا. و لیس

۱- آثار البلاد و اخبار العباد/ ۳۸۶.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

هناک اسباب واضحه لهجرها و عوده مقر الخلافه الی مدینه السلام.

الا ـ ان المتتبع یلمس اهمال الخلفاء الـذین جاءوا بعـد المتوکل علی اللّه شؤون المـدینه العمرانیه عـدا مـده قصـیره فی ایام المعتز بـاللّه. و ذلـک بسـبب انشـغال الـدوله العربیه بـالحروب و مـا اصابها جراء ذلک من انهاک و ارهاق و بخاصه من الناحیه المالیه، بقیام ثوره الزنـج التی اسـتمرت خمسه عشـر عاما، و خروج الولایات الشـرقیه بین حین و آخر علی سـلطه الخلافه. بحیث فقـدت سامرا و بخاصه قصورها جدتها و بهاءها و اصبحت لا تلیق بسکنی الخلفاء فیها. مما جعل المعتمد علی اللّه، رغم الظروف المالیه الصعبه، یبنی له قصرا فی الجانب الغربی من المدینه. و ان المعتضد باللّه الذی قضی اکثر ایامه قبل تولیه الخلافه ببغداد، رأی بعد ان بویع له ان الاقامه بالقصر الحسنی اکثر راحه و اعظم ابهه من السکن باحد قصور سامرا القدیمه.

و لا ـ ینکر ان عوده العاصـمه الی بغـداد و نقـل مختلف الـدواوین و رجالها الیها، و ما تبع ذلک من انتقال عـدد کبیر من سـکان سـامرا رعـایه لمصـالحهم، أثر تـأثیرا بالغـا فی عمران سامرا، و افرغها من سـکانها تقریبا بحیث کادت تخلو منهم تماما. کما کان لصـعوبه توفیر میـاه الشرب لسـکان الضـفه الغربیه المرتفعه من سـامرا، و هی الجـانب الأوسع و الأهم منهـا، تأثیر مهم آخر فی نزوحهم عنها.

فهجرت المـدینه التی نـافست بغـداد ردحـا من الزمن زاد علی نصف القرن، و تطرق الیهـا الاضـمحلال و الخراب. و قـد احسـن یـاقوت الحموی بقوله انهـا خربت حتی لم یبق منهـا سوی موضع المشـهد و محله بعیـده یقـال لهـا الکرخ، و اصـبح «سائر ذلک خراب یبـاب یسـتوحش النـاظر الیهـا بعـد ان لم یکن فی الأرض کلهـا احسن منهـا و لا ـ اجمـل و لا اعظم و لا آنس و لا اوسع ملکا»(۱).

۱- معجم البلدان ۳/ ۱۷۶.

۳- سامرا بعد هجرها:

و قد وصف سامرا بعد هجرها بسنين عديده بعض البلدانيين، و ذكرها بعض الرحالين الذين مروا بها. فقال عنها الاصطخرى «و هى خراب ربما يسير الرجل فى مقدار فرسخ منها لا يجد بها دارا معموره»(۱). و قال المقدسى «و الآن خربت، يسير الرجل الميلين و الثلاثه لا يرى عماره، و هى الجانب الشرقى، و فى الغربى بساتين .. فلما خربت سميت ساء من رأى»(۲). و قال ابن حوقل «و مدينه سر من رأى فى وقتنا هذا مختله و اعمالها و ضياعها مضمحله، قد تجمع اهل كل ناحيه منها فى مكان لهم به مسجد جامع و حاكم و ناظر فى أمورهم، و صاحب معونه يصرفهم فى مصالحهم.

و هواؤها و ثمار اصح من ثمار بغداد و هوائها. و لها نخيل و كروم و غلات تحمل الى مدينه السلام، و هى الآن خراب اكثرها»(۳).

و مر بها الرحاله ابن جبير فى طريقه من بغداد الى الموصل، فقال عنها «و نزلنا مع الصباح من يوم الخميس الثامن عشر من صفر على شط دجله بمقربه من حصن يعرف بالمعشوق. و على قباله هذا الموضع فى الشط الشرقى مدينه سر من رأى و هى اليوم عبره من رأى، اين معتصمها و واثقها و متوكلها؟ مدينه كبيره قد استولى عليها الخراب الا بعض جهات منها هى اليوم معموره. و قد اطنب المسعودى رحمه اللّه فى وصفها و وصف طيب هوائها و رائق حسنها، و هى كما وصف و ان لم يبق الا الأثر من محاسنها»(۴).

۱- كتاب الاقاليم/ ۴۸.

۲- احسن التقاسيم/ ۱۲۲- ۱۲۳.

۳- صوره الارض/ ۲۱۸.

۴- رحله ابن جبير/ ۱۸۵.

اما ابن بطوطه الذی توفی سنه ۷۷۹ ه ای بعد وفاه ابن جبیر ب ۱۶۵ عاما فقد مر بها ایضا و قال عنها «فنزلنا موضعا علی شط دجله بالقرب من حصن یسمی المعشوق و هو مبنی علی الدجله. و فی العدوه الشرقیه من هذا الحصن مدینه سر من رأی و تسمی ایضا سامرا .. و قد استولی الخراب علی هذه المدینه فلم یبق منها الا القلیل.

و هی معتدله الهواء رائعه الحسن علی بلائها و دروس معالمها. و فیها ایضا مشهد صاحب الزمان»(۱).

و لم یفکر احد من الخلفاء بعد المعتضد باللّه بالعوده الی سامرا.

و لکن یظهر مما ذکره ابو الحسن الهلال الصابی ان المکتفی باللّه کان کلفا بها و کان یخرج الیها للصید(۲). و یشیر الطبری فی حوادث سنه ۲۹۰ ه الی ما یدل علی ان المکتفی باللّه قد اراد الانتقال الیها.

فهو یقول «و لعشر بقین من جمادی الآخره خرج المکتفی بعد العصر عامدا سامرا مریدا البناء بها للانتقال الیها، فدخلها یوم الخمیس لخمس بقین من جمادی الآخره، ثم انصرف الی مضارب ضربت له بالجوسق، فدعا القاسم بن عبد الله و القوام بالبناء فقدروا له البناء و ما یحتاج الیه من المال للنفقه علیه، و کثروا علیه فی ذلک، و طولوا مده الفراغ مما اراد بناءه، و جعل القاسم یصرفه عن رأیه فی ذلک و یعظم امر النفقه فی ذلک و قدر مبلغ المال، فثناه عن عزمه»(۳). و قد ذکر ابن الجوزی مثل هذا فی حوادث سنه ۲۹۰ ه(۴). و قد یکون نقله عن الطبری. کما اشار الی ذلک ابن الأثیر فی حوادث السنه المذکوره(۵).

۱- رحله ابن بطوطه/ ۱/ ۱۴۷.

۲- الوزراء/ ۲۵۲.

۳- الطبری ۱۰/ ۹۸- ۹۹.

۴- المنتظم ۶/ ۳۸.

۵- الکامل ۷/ ۵۲۹.

و کتب عبد اللّه ابن المعتز الی صدیق له یمدح سر من رأی و یصف خرابها، و یذم بغداد و اهلها، و یفضل سامرا، نجتزی ء منه بعض الفقرات(۱): کتبت الیک من بلده قد انهض الدهر سکانها، و اقعد جدرانها، فشاهد الیأس فیها ینطق، و حبل الرجاء فیها یقصر، فکأن عمرها یطوی، و کأن خرابها ینشر، و قد وکلت الی الهجر نواحیها، و استحث باقیها الی فانیها. و قد تمزقت باهلها الدیار، فما یجب فیها حق جوار، فالظاعن منها ممحو الأثر، و المقیم بها علی طرف سفر، نهاره ارجاف و سروره احلام، لیس له زاد فیرحل و لا مرعی فیرتع. فحالها تصف للعیون الشکوی، و تشیر الی ذم الدنیا، بعد ما کانت بالمرأی القریب جنه الأرض و قرار الملک، تفیض بالجنود اقطارها، علیهم اردیه السیوف و غلائل الحدید، کأن رماحهم قرون الوعول، و دروعهم زبد السیول، علی خیل تأکل الأرض بحوافرها .. علی انها و ان جفیت معشوقه السکنی، و حبیبه المثوی، کوکبها یقظان، وجوها عریان، و حصاها جوهر، و نسیمها معطر، و ترابها مسک أذفر، و شرابها مری ء ..

لا کبغدادکم الوسخه السماء، الومره الهواء، جوها نار و ارضها خبار، و ماؤها حمیم، و ترابها سرجین، و حیطانها نزوز، و تشرینها تموز. فکم فی شمسها من محترق، و فی ظلها من عرق، ضیقه الدیار، قاسیه الجوار، ساطعه الدخان قلیله الضیفان.

اهلها ذئاب، و کلامهم سباب، و سائلهم محروم و مالهم مکتوم لا یجوز انفاقه و لا یحل خناقه، حشوشهم مسایل و طرقهم مزابل، و حیطانهم اخصاص و بیوتهم اقفاص، و لکل مکروه أجل، و للبقاع دول، و الدهر یسیر بالمقیم و یمزج البؤس بالنعیم. و بعد اللجاجه انتهاء، و الهم الی فرجه، و لکل سابله قرار، و باللّه استعین، و هو محمود علی کل حال:

۱- معجم البلدان ۳/ ۱۷۷- ۱۷۸.

غدت سر من را فی العناء فیا لهاقفا نبک من ذکری حبیب و منزل

و اصبح اهلوها شبیها بحالهالما نسحبتهم من جنوب و شمأل

اذا ما امروء منهم شکا سوء حاله یقولون لا تهلک اسی و تجمل

و اذا ما تتبعنا الأخبار عن سامرا بعد هجرها فاننا نجد ذکرها یتردد مقرونا باحداث بعض السنوات. فقد جاء فی حوادث السنه ۲۸۱ ه ان الأعراب دخلوا سامرا و اسروا ابن سیما(۱). و ذکر فی حوادث السنه ۲۹۶ ه عند ما خلع المقتدر و بویع عبد اللّه بن المعتز ثم عاد المقتدر، ان ابن المعتز و من بایعه من القواد حاولوا ان یسیروا الی سر من رای بمن تبعهم من الجند فیثبت أمرهم و یشتد سلطانهم، فلم یتبعهم احد(۲). و فی حوادث السنه ۳۲۰ ه ان مؤنسا انحدر من الموصل فی شوال و بلغ خبره جند بغداد فشغبوا و طلبوا ارزاقهم، ففرق المقتدر باللّه فیهم اموالا کثیره، و انفذ ابا العلاء سعید بن حمدان و صافیا البصری فی خیل الی سر من رأی، و انفذ ابا بکر بن یاقوت فی الفی فارس و معه الغلمان الی المشوق(۳). و عن وفیات السنه ۳۲۲ ه یقول ابن الأثیر «و فیها توفی خیر بن عبد اللّه النساج الصوفی من أهل سامرا»(۴). و ذکر فی حوادث سنه ۳۳۰ ه عند ما هرب ابو حسین البریدی من بغداد الی واسط و عاد الخلیفه المتقی باللّه الیها مع ابن حمدان، و کان المتقی قد سیر اهله من

۱- الطبری ۱۰/ ۳۷، و الکامل ۷/ ۴۶۸ و فیه انهم قتلوه.

۲- تجارب الامم ۱/ ۶، و الکامل ۸/ ۱۶.

۳- تجارب الامم ۱/ ۲۳۴، و الکامل ۸/ ۲۴۱.

۴- الکامل ۲۹۸.

بغـداد الى سـر من رأى، فاعـادهم. کمـا عاد من هرب اليها من الأعيان(۱). و لما نشـبت بين اصـحاب معز الدوله بعکبرا و ناصـر الدوله و من معه من الاتراک بسر من رأى فى سنه ۳۳۴ ه عبر اصحاب معز الدوله من الديلم من الجانب الشرقى من سر من رأى الى الجانب الغربى و ساروا الى تکريت فنهبوها، ثم صار بعضـهم الى سـر من رأى فنهبوها ايضـا(۲). و يـذکر ابن الأثير ان جامع سر من رأى احـترق فى سـنه ۴۰۷ ه(۳). و عنـد مـا خرج امر الخليفه القادر باللّه فى سـنه ۴۱۵ ه بصـرف ابن ابى طـالب عن نقابه الکوفه انکر الوزير المغربى ما يجرى على صـهره ابن ابى طالب من العزل، و کان عند قرداش بسر من رأى(۴). و ورد فى وفيات السنه ۴۲۵ ه وفاه ابى سـنان غريب بن محمد الملقب بسـيف الدوله فى شـهر ربيع الآخر فى کرخ سامرا، و کان قد ضـرب دراهم سماها السيفيه(۵).

و جاء فى حوادث السنه ۴۷۸ ه ان السلطان برکياروق قتل عمه تکش و غرقه فى سر من رأى(۶).

۱- تجارب الامم ۲/ ۳۰، و الکامل ۸/ ۳۸۵.

۲- تجارب الامم ۲/ ۸۹- ۹۰، و الکامل ۸/ ۴۵۳.

۳- الکامل ۹/ ۲۹۵.

۴- الکامل ۹/ ۳۳۶.

۵- الکامل ۹/ ۴۳۸.

۶- الکامل ۱۰/ ۲۳۹.

الفصل السابع دور السكنى فى سامرا

ان دور السكنى التى تم الكشف عنها فى اطلال سامرا كانت تتألف من طابق ارضى واحد بوجه عام. و جدرانها مبنيه باللبن و الجص. اما الآجر فقد استعمل فى تطبيق ارض بعض الغرف، فى عقد الطيقان. و قد شوهد فى بعض الدور نوع من الطابوق المصنوع من الجص فى بناء الطيقان و العقادات المهمه.

اما ارضيه الغرف فيبلط بالآجر و بعضها بالجص، و قليل جدا منها بلط بالرخام الابيض او الاسمر، و قطع الرخام المستعمله مربعه الشكل او مثلثه. و كانت الجدران عاده تطلى بالجبس.

و لوحظ فى بعض الدور ان القسم الأسفل من جدران غرفها كانت تكسوه قطع الرخام الى ارتفاع متر واحد تقريبا. و على جدران معظم الغرف زخارف محفوره فى الجبس بالوان جميله. اما الجدران الخارجيه فلا أثر للتزيين فيها. و شوهد فى كثير من البيوت اعمده و اساطين مصنوعه من الجص ملتصقه بالجدران، و تحتها قواعد بديعه. و لا شك ان رؤوس هذه الأعمده كانت على هيئه التيجان.

و اغلب الأعمده التى عثر عليها جصيه كلها، و قليل منها يتكون داخلها من اللبن او الطين و قد كسيت بالجص لتجميل منظرها.

و وجد فی جدران بعض الغرف روازين مزينه بالزخارف. و كانت ابواب الغرف تحاط باطار بارز من الجص بوجه عام(۱).

و يظهر ان بيوت سامرا بنيت على نسق واحد، اذ يتقدم البيت مدخل مسقف- و هو ما نسميه بالمجاز- يفضى الى باحه مكشوفه مستطيله فی آخرها قاعه رئيسه على شكل حرف"T '' مقلوب مع غرفتين صغيرتين فی الزاويتين، و تحاط القاعه بصفوف من الغرف للسكن او لاتخاذها مخازن، و السقوف جميعها خشبيه(۲).

و قد يكون فی الدار اكثر من صحن واحد، و كما اشرنا آنفا فان الغرف فی جميع البيوت المكتشفه مرتبه على نظام واحد: الغرفه الأصليه و تتألف من قسمين، الأول بمثابه الايوان و يتعامد مع القسم الثانی من وسطه و يكون عاده اعرض منه و أقل طولا. و تقوم على طرفی الايوان غرفتان صغيرتان تنفتح باب كل منهما على جناح القسم الثانی الذی يكون بمثابه رواق يمتد امام الغرفتين و يتصل بالايوان الذی يتوسطهما. و مما يلفت النظر ان هذا الترتيب ينطبق تماما على «الطراز الحيرى» الذی سبقت الاشاره اليه. فكان القسم المتوسط الشبيه بالايوان هو «الصدر» و الغرفتان اللتان على جانبيه هما «الكمان» اما القسم الذی يتعامد مع الصدر و الكمين فهو «الرواق». و قد ظهر فی بعض الدور مجازان طويلان على على طرفی الكمين و الرواق، و هما بمثابه «خزانه الكسوه» و «مستودع الشراب». كما لوحظ فی بعض الدور ان الصدر لا يتصل بالكمين مباشره، بينما كان فی دور اخرى متصلا بهما بصوره مباشره. و قد وجد فی احدى الدور المكتشفه ان الصدر كان غرفه مثمنه الشكل ذات ثلاثه ابواب، و ان بعض الغرف مقسمه الى

۱- حفريات سامراء ۱۹۳۶- ۱۹۳۹/ ۱/ ۲۵.

۲- ۲۸۷ - ۲۸۶: P. A. M. E. Creswell .

قسم داخلی و قسم خارجی بواسطه جدارین صغیرین او بسلسله من الأعمده(١).

و اظهرت التنقیبات فی الدور المکتشفه عده حمامات، و مرافق صحیه، و بالوعات منتظمه یزید عمق بعضها علی ثلاثه امتار.

و شوهد فی بعض الدور مجاری للمیاه متقنه الصنع. کما شوهد فی کثیر من هذه الدور محلات مخصصه لتربیه الحمام، یقع بعضها فی احدی زوایا الدار، و بعضها الآخر تحت الدرج. و شوهدت فی بعض الدور غرف مخصصه لذلک و قد بنیت علی جدرانها اکنان علی نظام بدیع. و کان قسم من هذه الاکنان واسعه یستدل منها انها کانت لتربیه الطیور الداجنه الکبیره کالاوز و الدجاج.

و کشف عن وجود سرادیب فی بعض دور السکنی المذکوره علی اختلاف مواقعها، و وجد فی بعضها سردابان. و السرادیب المذکوره محفوره فی الطبقه الصخریه التی تعرف بین الاهلین باسم «السن».

و کان ینزل الی هذه السرادیب بدرج منظم یتألف قسمه الاعلی من خمس قدمات، و قسمه الاسفل من ست قدمات. و یدخل النور الی السرداب عاده من طاقات مفتوحه فی سقفه، و تظهر هذه الطاقات فی ارض الدار کفوهات آبار. و حفرت فی جدران بعض السرادیب نوافد عمیاء (روازین) لوضع بعض الحاجات و الاسرجه(٢).

و من المعتاد ان یکون فی مدخل الدار دهلیز او مجاز مستطیل تقوم علی طرفیه دکتان معدتان للجلوس، و یعقب هذا الدهلیز او المجاز مجاز آخر فیه دکتان او اکثر. و مما یلفت النظر ان امثال هذه الدکات کانت لا تزال تشاهد فی دور سامراء الحالیه فی وقت القیام بالتنقیبات. و یکون مدخل الدار فی اغلب الاحیان بارزا عن جدار الدار، و علی طرفیه حنایا علی شکل محاریب، و علی طرفیها بعض

١- حفریات سامراء انف الذکر ١/ ٢٧- ٢٨.

٢- نفس المصدر/ ٣١- ٣٢.

الأعمـده، مما یکسب مـدخل الـدار جمالا. و لوحظ فی معظم الـدور المکتشـفه آثار تغییرات حصـلت فی بنائها، و فی زخارفها، اکثر من مره، کاسـتحداث باب فی احـد الجـدران، او سد باب قدیم، او تقسـیم غرفه الی قسـمین او اکثر، او ردم الأرض و تعلیه التطبیق.

او تجدید بعض الزخارف و النقوش. و ذلک ما نسمیه الیوم بالصیانه و الأدامه. و تدل هذه التغییرات علی نزعه التجدید. لقد لقد شوهـدت فی بعض الـدور مثلا، قاعه کبیره قـد قسـمت الی غرف صـغیره بجـدران بسیطه. حتی ان بعض المغاسل و المراحیض اسـتحدثت فی زاویه من زوایا غرفه غنیه بالزخارف البـدیعه، مما یـدل بشـکل واضح علی ان التغییرات کانت قد أحدثت بعد ان هجرت الدار من اصحابها الأغنیاء فتحولت الی مأوی یسکنه عدد من العائلات الفقیره(۱).

و قد وجدت بعض البیوت التی تقع علی الشارع العام، تحتوی علی صف من الدکاکین(۲). و کان تزیین البیت من الداخل سمه لهـا شأنهـا. فقـد کـانت الافاریز العالیه المزخرفه و المنقوشه توجـد فی معظم البیوت، لا سـیما فی الغرف، و هی تـدور فی جمیع جوانبها.

و کـذلک کـانت السـقوف ایضا تزین بالنقوش، کما تزخرف اطارات الابواب و النوافـذ، وجل هـذه الزخارف من الجص، و قد تفنن صانعوها فی رسمها و صنعها و زینوها احیانا بالصور(۳).

و کان من المعتاد ان یزداد عـدد الغرف فی الـدار کلما اتسـعت مساحتها، و قـد یبلغ عدد الغرف فی الدار الواحده ستین غرفه، و بها شبابیک تغطیها الواح من الزجاج المتنوع الألوان، یتراوح عرض اللوح الواحد بین العشرین و الخمسین سنتمترا(۴).

۱- حفریات سامراء آنف الذکر ۱/ ۳۲- ۳۳.

۲- Creswell ,E .M .A .P .۷۸۲ .

۳- دائره المعارف الاسلامیه ۱۱/ ۸۶.

۴- الحضاره الاسلامیه ۲/ ۱۷۲.

الفصل الثامن زخارف سامرا

مقدمه:

لا ـ شک فی ان توفر ماده الطین لصنع اللبن، و التربه الکلسیه الصالحه لتحضیر الجص لاستخدامه ملاطا و مؤنه للبناء و لطلاء الجدران و زخرفتها بالرسم او النقش او الحفر، مما ساعد علی تقدم الریازه و تطور طرز العماره فی سامرا و ازدهار الزخرفه الجصیه التی اتخذت لتزین البنایات و القصور ازدهارا کبیرا، بحیث نشأ فیها طراز خاص من هذه الزخرفه باشکال لا تعد و لا تحصی ارتبط باسمها فعرف فی تاریخ الفن المعماری بزخارف سامرا. و ان ما کشفت عنه التنقیبات من النقوش الزخرفیه فی قصور سامرا و منازلها یدل علی براعه صانعیها، و مدی تقدمهم فی هذا الفن آنذاک. و یلاحظ ان من ممیزات هذه الزخارف انها قد تعمل فی خلال البناء او بعد اتمامه، و ان القشره الجصیه التی علیها الزخارف یمکن ان ترفع بسهوله و ان تعوض بقشره جدیده تزخرف باشکال تختلف عن الأشکال السابقه. و بعد ان اتخذ القالب لصنع الزخارف المطلوبه صار عملها بهذه الطریقه رخیصا مما عمم استعمالها و اتاح للفنانین مجالا واسعا للعمل فی هذا المضمار(۱).

۱- الاثار القدیمه العامه- سامراء/ ۳۹- ۴۰.

و لا ينكر ان ثمه عوامل فنيه اخرى توفرت فى سامرا لأنها غدت مركزا جذبت اليها فنانين و صناع كثيرين من جميع انحاء المعموره، و قد استهوتهم ثروه بلاط الخلفاء و الرعايه التى كانوا ينعمون بها فى ظلهم. فقدر لهذه المدينه ان تكون البوتقه التى انصهرت فيها فنون امم مختلفه من روم و سريان و فرس و اقباط و هنود، و بزغ من ذلك فن جديد هو فن الريازه العربيه(۱). و سوف نحاول ان نترسم خطى تطور هذه الزخارف التى اتسع نطاق استخدامها فاتخذت فى الحجر و فى الخشب اضافه الى الجبس و الجص.

الزخارف الجصيه:

سبق ان اشرنا الى ان جدران الغرفه القائمه فى مدخل السرداب الصغير فى دار الخليفه قد زينت برسوم قافله من الجمال حفرت على الجبس، و ان جدران اواوين هذا السرداب نقشت عليها زخارف جصيه. و قد ازدانت جدران قصور سامرا و مساكنها بالزخارف الجصيه الجميله. و تفاوتت رسوم هذه الزخارف و اشكالها تفاوتا كبيرا، فبعضها غايه فى البساطه و الغلظه، مستقيم الخطوط، غائر العمق، و بعضها احكم زخرفا و ابدع زينه، و قد اهتم الآثاريون بذه الزخارف اهتماما خاصا، فدرسوا مصادرها و تتبعوا مراحل تطورها. و يمكن القول ان العالم الآثارى هرزفيلد اول من عنى بذلك. و قد قسم هذه الزخارف الى ثلاثه انواع بحسب تطورها الزمنى. و يظهر ان تقسيمه نال قبولا لدى العلماء الآثاريين ممن اهتموا بهذا الفن الذى ازدهر فى عهد سامرا فنسب اليها.

و النوع الأول هو النوع القديم الذى كان امتدادا للطراز الزخرفى الذى كان سائدا عند تأسيس مدينه

۱- دائره المعارف الاسلاميه ۱۱/ ۸۷.

سامرا. و يتميز هـذا النوع بعمق حفره و قرب زخارفه من الطبيعه، و هى تتكون من تفريعات العنب، و كيزان الصنوبر، و المراوح النخيليه، داخل تقسيمات هندسيه، و لها خلفيات واضحه. و مع ان الزخارف هنا تعتمد على اساليب الزخرفه الامويه، الا ان رجال الفن فى سامرا ابتكروا اشكالا جديده ذات مظهر زخرفى رائع(۱).

و يرى كريزول ان الشكل المميز لهذا الطراز هو استخدام العنب فيه، مما يشاهد فى زخارف قبه الصخره مع بعض التغيير فى عدد الاوراق المستخدمه فى الزخرفه، و اختفاء حبات العنب التى كانت تظهر فوق الورقه عند اتصالها بالساق، و اضافه عيون جاحظه بين الورقات، و املاء الأرضيه، و هذا النموذج من الزخارف يرى على باب العامه و هو من البنايات الأولى فى سامرا(۲).

و فى النوع الثانى ابتعد الفنان عن الطبيعه فى رسم زخارفه التى تتكون من اشكال و تفريعات هندسيه تحمل اوراقا نباتيه او اشكالا مختلفه من المراوح النخيليه. كما اهمل خليفيه الرسم و صارت مجرد خطوط تفصل عناصر الزخرفه. الا انه احتفظ بمميزات الطراز الأول الاخرى كعمق الحفر و احاطه الزخارف باشكال هندسيه(۳). و هذا النوع من الزخارف الجصيه لا تظهر فيه الشجره او النبته كامله، اذ اختفت سيقانها المتشابكه و اخذ كل منها يظهر مستقلا و متفرقا فى نهايته. اى ان الصفه الغالبه على هذه الزخارف انها ابتعدت عن الطبيعه، و ان التفاف السيقان و التقاؤها هو الغالب بحيث امكن املاء المربعات و المثمنات بالسيقان و البراعم(۴).

۱- العراق مهد الفن الاسلامى/ ۲۱- ۲۲، الفنون الاسلاميه/ ۹۳.

۲- ۹۸۲: Creswell ,F .M .A .P .

۳- العراق مهد الفن الاسلامى/ ۲۲، و الفنون الاسلاميه/ ۹۳.

۴- ۹۸۲: Creswell ,E .M .A .P .

اما النوع الثالث فهو احدث الطراز المذكور، و فيه تبلورت الاسس الفنيه لزخارف سامرا. فابتعد الفنان تماما عن الطبيعه و اهمل خلفيه الرسم. و اصبحت الزخرفه تقوم على خطوط متصله ببعضها بشكل لا يحتاج معه الى الزخارف الدقيقه التى كانت تملأ الفراغ بين الزخارف الكبيره، لأن الأرضيه فى هذا النوع كادت تختفى تماما(۱). و ان طريقه عملها اصبحت تعتمد على القوالب، بحيث ان الزخارف لم تعد ترسم و تحفر على الجدار مباشره، كما كان الحال فى النوعين الأول و الثانى، حينما كان الفنان يرسم الزخارف على الجدران فى المكان المطلوب زخرفته ثم يحفر الأرضيه و الخلفيات حول الرسم ليبرز العناصر الزخرفيه المطلوبه. و كان ذلك يتطلب دون ريب جهدا و مالا- فاتبعت طريقه القوالب و بخاصه فى زخرفه المساحات الواسعه من الجدران و السقوف. اذ يعمل الزخرف على قالب من الطين ثم يفخر ليكتسب صلابه، و من ثم يصب ملاط الجص او الجبس فوق القالب بعد ان يدهن كى لا يلتصق الجص بالقالب، ثم يرفع لوح الجص بعد جفافه تماسكه.

و واضح ان هذه الطريقه و فرت مالا- و وقتا و جهدا. لأن القالب يستخدم لمرات عديده فى صنع زخارف متماثله. و لكى لا تتشوه الواح الجص المزخرفه عند رفعها من قوالب فقد اتبع فى حفر القالب طريقه الحفر المائل. و اساس هذه الطريقه ان تنحت العناصر الزخرفيه نحتا مائلا، و تتقابل حوافها فى شكل زوايا منفرجه.

و قد اتبعت هذه الطريقه ايضا فى النحت على الحجاره و زخرفه الخشب. و يطلق عليها الاصطلاح المعروف بالنحت المشطوف او المائل «Beveled»

(۲). و يقول كريزول ان القالب يعمل اول الأمر من الخشب ثم تصب عليه نماذج عديده من الطين، و بعد ان

۱- العراق مهد الفن الاسلامى/ ۲۲- ۲۳، و الفنون الاسلاميه/ ۹۳.

۲- الفنون الاسلاميه/ ۹۴.

تفخر هـذه النمـاذج تصـبح هى القوالب التى تصب عليهـا الزخارف المطلوبه من الجبس، و كان اهم عامل لـذلك هو الرغبه فى سرعه انجاز الزخارف بالنظر لسعه الحركه العمرانيه(۱).

و يزعم بعض الآثـاريين ان الفنان فى سامرا اقتبس هـذه الطريقه فى الحفر من الزخارف التى رآها محفوره حفرا مائلا على بعض بعض الحلى التى كان الرقيق الاتراك بجلبونها معهم من بلادهم.

و من هؤلاـء ارنست كونل Ernest Kuhnel الـذى يرى ان «هـذا التطور الأـخير فى سامرا يعتبر ثوره زخرفيه كامله. و ابتكارا لطراز عباسـى خاص مطعم بالفن التركى، يقوم على اساس الطراز السـيتى لتصوير الحيوان فى الفن الشـعبى الطورانى، و قـد اخذ عن الخشب اصـلا، ثم اسـتعمل فى ادوات الزينه. و معروف ان الحفر المائل يمثل هجره الشعب السيتى وحده»(۲). على انه مهما كانت العوامل المؤثره و التى دفعت الى ابتكار هـذا الطراز فنحن امام اسـلوب جديـد فى الزخرفه الجصـيه غير مسـبوق، او بعباره اخرى امام فن عربى ناضج، و قد خرج من العراق، او على الأدق من سامرا الى شـرق العالم الاسلامى و غربه، محمولا على ايدى العراقيين، او على ايدى فنانين مسلمين و فدوا الى العراق لكى يتعلموا طراز الخلافه العباسيه على ايدى فنانى العراق و صناعه(۳).

ان هـذه الوحـدات الزخرفيه النباتيه من الازهار و الاوراق و الفروع و البراعم التى رسـمها الفنان العربى فى زخارف سامرا بعد ان حورها و احسن تنسيقها، و اسبغ عليها جمالها الفنى الذى تميزت به، اطلق عليها الاوربيون اسم الأرابسک خ خ Arabesque

---

۱- Creswell ,E .M .A .P :۰۹۲

۲- الفن الاسلامى/ ۳۹.

۳- العراق مهد الفن الاسلامى/ ۲۶.

و يتضح من هذه التسميه ان هذه الزخارف عربيه اصلا. و قد توسع استعمال هذه الوحدات الزخرفيه، فنقشت على سقوف القاعات و الغرف، و على ابواب الجوامع و قبابها، و على المقرنصات و الدلايات. و لم يقتصر صنعها على الجص و الجبس، بل اتخذت ايضا على الحجر و الآجر و الخشب، كما رسمت على الطابوق المزجج القاشانى الذى غلفت به قباب الجوامع.

و هذه الزخارف النباتيه التي ولدت تحت سماء سامرا و تجلت خطوتها الاولى فى الطراز الثالث من طراز الزخارف الجصيه، قد اخذت تنمو و تتقدم حتى وصلت ذروه جمالها فى بعض مبانى مدينه الموصل، لا سيما المحاريب الحجريه التى يحتفظ بها المتحف العراقى ببغداد(۱). و يحتفظ المتحف العراقى بنماذج عديده لزخارف سامرا الجصيه بمراحلها او طرزها الثلاث. فهناك لوحان من الجص من هذه الزخارف، و هما من النوع الأول، عثر على احدهما فى قصر الجص الذى بناه المعتصم باللّه فى الجانب الغربى من سامرا، و عثر على اللوح الآخر فى احد دور سامرا التى اجرى التنقيب فى اطلالها(۲). و ثلاثه الواح من الجص نقشت بزخارف هندسيه على طراز سامرا الثانى، و جزء من جدار فيه شباك مزين بالواح جصيه مزخرفه من الجانبين بنقوش هندسيه و نباتيه من الطراز المذكور(۳). و ثلاثه الواح من الجص مزخرفه بنقوش نباتيه و هندسيه، و هى من الطراز الثالث لزخارف سامرا(۴).

و محراب من الجص مزخرف بنقوش و كتابات كوفيه وجد فى احد

۱- العراق مهد الفن الاسلامى/ ۳۵.

۲- كنوز المتحف العراقى/ ۴۱۴.

۳- نفس المصدر/ ۴۱۷.

۴- نفس المصدر/ ۴۱۹.

القصور بسامرا(۱). و لوحان من الرخام نقشا بزخارف محفوره حفرا عميقا باشكال هندسيه بديعه وجدا فی سامرا(۲).

الزخارف الخشبيه:

لم تكن القطع الخشبيه التی عثر عليها فی خلال الحفريات التی اجريت فی اطلال سامرا كثيره، بسبب سرعه تلف الخشب اذا ما تعرض للعوامل الجويه او لفعل الأرضه. و لكنها رغم قلتها كانت متنوعه تنوعا كبيرا. فقد لوحظ ان بعضها سميكه و مزخرفه بطريقه الحفر او الخرط، و بعضها قليله السمک مزخرفه بطريقه النقش بالاصباغ، و قسما منها مزخرفه بطريقتی الحفر و النقش معا.

و اكثر ما عثر عليه من القطع الخشبيه حشوات للابواب، او اجزاء من زخارف سقفيه، و كانت الالوان الغالبه فی زخرفتها اللون الأحمر و الازرق و الابيض، و قد استخدم اللون الأصفر احيانا(۳). اما اشكال النقوش التی رسمت باللوان مختلفه علی الخشب فتغلب عليها الرسوم الهندسيه المؤلفه من خطوط منكسره و مثلثات متتاليه او سلسله من الدوائر، مما يؤلف زخارف معقده جميله، و قد استخدمت فی بعض النقوش عناصر نباتيه و حيوانيه(۴).

لقد ابتكر الفنان العربی فی خلال القرن الثالث، ای فی عهد سامرا، طريقه جديده فی الحفر هی طريقه الحفر المائل او المشطوف، و ابتكر اسلوبا زخرفيا يناسبها. و مع ان طريقه الحفر المائل استخدمت فی حفر الزخارف الجصيه علی نطاق واسع الا انه

۱- نفس المصدر/ ۴۱۸.

۲- نفس المصدر/ ۴۱۹.

۳- حفريات سامراء/ ۲/ ۱۴- ۱۵.

۴- نفس المصدر/ ۱۵.

يرجح ان اول ظهورها كان على الخشب(۱). و يحتفظ متحف المترو بوليان بامريكا من هذا الاسلوب الزخرفى الجديد بمصراعى باب و حشوتين قد تكونان جزء من كتفى باب او من سقف منقوش، و قد عثر عليهما فى تكريت و يرجح انهما جاءا من سامرا، و تعتبر هاتان الحشوتان من اكمل امثله الحفر على الخشب فى سامرا. اما زخارف مصراعى الباب فموزعه- حسب الطريقه التقليديه- على اقسام مستطيله و مربعه داخل اطار خال من الزخرفه، و قد استخدمت فى زخارف الباب و فى الحشوتين الفروع النباتيه و اشكال الزهريات و قد جمعت بشكل بعيد عن الطبيعه(۲). و ان الالواح الخشبيه التى عثر عليها فى اطلال احد قصور سامرا الذى اجريت فيه التنقيبات تحتوى على رسوم قوامها موضوعات نباتيه وفق اسلوب زخارف سامرا الجصيه، و هى ملونه بالالوان المشار اليها آنفا، و تحدها خطوط باللون الاسود(۳).

و فى المتحف العراقى مجموعه من قطع الخشب المزخرف من حشوات الأبواب و مصاريعها، و كلها ذات زخارف بارزه من طراز القطع المائل، وجد معظمها فى حفريات سامرا. منها لوحان من الخشب احدهما مزخرف بنقوش نباتيه دقيقه جدا، و الواح مزخرفه و ملونه. و قطعتان مزينتان بنقوش نباتيه محفوره(۴).

و قد دخل اسلوب زخرفه الخشب و نقشه الى مصر و اصبح شائعا فيها فى عهد الاماره الطولونيه. و فى المتحف الاسلامى فى

۱- الفنون الاسلاميه/ ۳۷.

۲- نفس المصدر/ ۱۱۷- ۱۱۸.

۳- نفس المصدر/ ۳۷/ ۳۸.

۴- كنوز المتحف العراقى/ ۴۱۹.

القاهره مجموعه من الأخشاب المزخرفه تعود الی العهـد المذکور، و تشـتمل علی قطع من الابواب و السـقوف و الافاریز، و قطع الاثاث المدهون بعضها بالالوان الزاهیه، کما یوجد منها بمتحف المترو بولیتان امثله اخری جمیله(۱).

و لعـل من احسن أمثله الخشب المحفور من عهـد سـامرا مما لا یزال محافظا علی شـکله الأصـلی منبر جامع القیروان الـذی جلبه الأمیر الاـغلبی ابـو ابراهیم احمـد بن محمـد من العراق(۲). و یتکـون المنبـر المـذکور من صـفوف من الحشـوات المقسـمه الی مسـتطیلات تزینهـا الزخـارف الهندسـیه المتشـابکه و النباتات المجرده و التفریعات من ورق العنب. و نجـد فی احـدی الحشوات شجره نخیل مسـتمده من شـجره الحیاه الشـرقیه، و هذه تنتهی بزوج من القرون تعلوها کیزان الصنوبر، و شکل کروی علی جانبیه مراوح نخیلیه. و یتمثـل فی هـذه الزخـارف اسـلوب سـامرا المجرد، و ذلـک فی زخارف من فروع العنب تحمل اوراقا نباتیه، فی البعـد عن الطبیعه، و کیزان صـنوبر بـدلا من عناقیـد العنب. و بعض کیزان الصـنوبر قریب من مظهره من الطبیعه، و بعضـها الآـخر ینتهی باشـکال من انصـاف المراوح النخیلیه، و هـذه تغطیهـا اوراق نبـاتیه. و تزین منـاطق اخری من تلـک الحشوات موضوعات مجرده تتکون من عـده تعبیرات مرکبه یمکن اعتبارهـا من الاصول الفنیه لبعض العناصـر الزخرفیه للاسـلوبین الثانی و الثالث من زخارف سامرا الجصیه(۳).

۱- الفنون الاسلامیه/ ۱۱۸.

۲- هو الامیر السادس من بنی الاغلب و قد امتدت امارته من سنه ۲۴۲ حتی سنه ۲۴۹ ه.

۳- الفنون الاسلامیه/ ۱۱۵- ۱۱۶.

الرسوم الحائطيه:

كان من المعتاد ان يغطى الجزء الأسفل من جدران الغرف الرئيسه فى القصور و فى كثير من البيوت بوزره من الجص او الطابوق المصقول الى ارتفاع متر واحد تقريبا، مع حشوات زخرفيه. اما بقيه الجدار فتزين بالصور و الرسوم الحائطيه.

و من اطرف هـذه الرسوم مـا عثر عليه فى جنـاح الحريم، و تضم منـاظر راقصـات و موسـيقيين، و طيورا و حيوانات، تنحصـر بين دوائر او تفريعات نباتيه(۱).

و قد كشـفت التنقيبات التى اجريت فى اطلال قصور سامرا عن رسوم حائطيه رسـمت على عديد من جدران الأبهاء و القاعات و الغرف و الحمامات، و قد ابدع صانعوها فى رسمها و تلوينها.

و كانت بعض الرسوم بالالوان المائيه تموه بالذهب، كما اشـرنا الى ذلك فى تزيينات قصـر بلكوارا و زخارفه. كما سبق ان اشرنا الى انه قد رسم على جدار احدى القاعات فى قصـر المختار الذى بناه المتوكل على اللّه صوره رهبان الكنيسه و قائد صـلاتهم. و تم العثور على بعض المسـاكن الخـاصه و فى احـد الحمامـات. و اعظم هـذه الرسوم اهميه هى التى وجـدت فى قصـر الخليفه، و بخـاصه فى قسم الحريم منه. و فى هـذه الرسـوم فروع نبـاتيه تشـغل الفراغـات، و رسـوم بشـريه، و رسوم حيوانـات(۲). و كـانت الـدرجات فى حمامـات سـامرا تزين بـالصور بـدلا من البلاط المختلف الالوان، و ذكر المسـعودى ان الناس يصورون العنقاء فى الحمامات(۳).

۱- نفس المصدر/ ۳۷.

۲- فن التصوير عند العرب/ ۴۲.

۳- الحضاره الاسلاميه ۲/ ۱۸۵.

و لعل اروع الصور التی عثر علیها سلیمه واضحه و قد احتفظت بالوانها و کانت تزین حائط احدی غرف قسم الحریم فی قصر الخلیفه. و تعد هذه الصوره مثالاـ نموذجیا لاسلوب سامرا فی الرسم المائی. و هی تمثل راقصتین کاملتی الملبس، تبدوان و کأنهما تتحرکان احداهما نحو الاخری و تمسکان بایدیهما المتقاطعتین بکأسین تصبان فیهما الخمر بشکل متزن من وعائین یظهران خلف رأسیهما. و ان الاوانی الذهبیه، و التیجان و الأحزمه، و اللآلی ء فی رأسیهما و فی آذانهما، و کذلک الألبسه الثقیله و الجذائل الطویله، کل هذه توضح بان تینک المطربتین تنتمیان الی قصر الخلیفه. و قد تجلت المهاره و الدقه و الابداع فی الرسم و فی التلوین، و جمیعها تنطق بان المصور العراقی فی عصر سامرا قد بلغ درجه عالیه من النضوج(۱).

و فی المتحف العراقی قطع جداریه من الجص علیها رسوم بالالوان المائیه بزخارف هندسیه و نباتیه و حیوانیه وجدت فی اطلال مختلفه من قصور سامرا(۲). و قطع من الخشب مصبوغه بالوان مختلفه علیها رسوم باشکال هندسیه متنوعه، وجدت فی حفائر سامرا(۳).

الزخرفه بالفسیفساء:

عثر بین انقاض بعض الغرف فی دار الخلیفه علی کمیه کبیره من الفصوص الزجاجیه: مکعبات صغیره من الزجاج الملون بینها

۱- العراق مهد الفن الاسلامی/ ۵۰، و فن التصویر عند العرب/ ۴۲.

۲- کنوز المتحف العراقی/ ۴۱۷.

۳- نفس المصدر/ ۴۱۹.

الأخضر و الأسود و الأحمر و الازرق و الذهبی، و کان البعض منها ملتصقا بقطع جصیه مما یستدل منه انها کانت تستعمل لتغطیه الجدران بزخارف من الفسیفساء. کما وجدت بین الأنقاض المذکوره کمیه من القطع الصدفیه التی تختلف عن بعضها اختلافا بینا من حیث اشکالها و ابعادها، و کان بعض هذه القطع ملتصقا بقطع جصیه بین فصوص زجاجیه منتظمه، مما یدل علی انها کانت تدخل فی ترکیبات الفسیفساء الزخرفیه لتکسبها رونقا و جمالا خاصا. و وجدت کذلک قطع زجاجیه سوداء و حمراء مختلفه الأطوال و الأشکال مما یدل علی انها کانت تتخذ لتطعیم جص الجدران و تکوین انطقه و اطارات للزخارف(۱).

و فی المتحف العراقی کسر من القاشانی الملون او من نوع الفسیفساء وجدت فی اطلال سامرا، و اکثرها من دار الخلیفه(۲).

۱- حفریات سامراء ۱۹۳۱- ۱۹۳۹، ۲/ ۱۳.

۲- کنوز المتحف العراقی/ ۴۱۴.

الباب الثانی خلفاء سامرا ۱- الخلافه و المبایعه و ولایه العهد

۲- المعتصم باللّه

۳- الواثق باللّه

۴- المتوکل علی اللّه

۵- المنتصر باللّه

۶- المستعین باللّه

۷- المعتز باللّه

۸- المهتدی باللّه

۹- المعتمد علی اللّه

الباب الثانی خلفاء سامرا

الفصل الأول الخلافه و المبایعه و ولایه العهد

۱- الخلافه:

اشاره

یتطلب فهم طبیعه عهد الخلفاء العباسیین فی سامرا، من حیث اسلوب الحکم الذی اتبع فی اداره شؤون الدوله العربیه المترامیه الأطراف. و طرق معالجه المشاکل الداخلیه و الخارجیه التی واجهتها. معرفه نظام الخلافه و اسسه التی قام علیها و العوامل المختلفه التی اثرت فی تطوره، و لذا سنحاول فیمایلی ان نوضح ذلک مختصرا.

لقد تطور نظام الحکم العربی فی العهد العباسی عما کان علیه فی عهد الأمویین. و قد حصل هذا التطور بفعل عوامل متعدده أثرت فیه، لعل اهمها الاساس الدینی الذی بنی علیه العباسیون حقهم فی الخلافه. اذ انهم ثبتوا نظام الوراثه فی الحکم، و اعتبروا قرابتهم

من رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم الأساس الشرعى لخلافتهم. و كان نهج العباسيين هذا تطورا تاريخيا طبيعيا للدوله العربيه لأنها لم تقتصر على البلاد العربيه وحدها، بل انها ضمت تحت لوانها اقواما عديده اعتنق اغلب ابنائها الدين الاسلامى و جعلوا ولاءهم له، و هو يدعو الى التوحيد بين الناس و يعتبرهم سواسيه و لا يفضل احدا على آخر الا بالتقوى. فقد جاء فى خطاب ابى العباس السفاح اول خلفاء بنى العباس، عند ما بويع بالخلافه قوله: «الحمد للّه الذى اصطفى الاسلام لنفسه و كرمه و شرفه و عظمه، و اختاره لنا و ايده بنا و جعلنا اهله و كهفه و حصته .. و خصنا برحم رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم، و انبتنا من شجرته و اشتقنا من نبعته»(۱).

كما انهم اكدوا على الأساس الدينى لحكمهم. و قد جاء فى خطبه داود بن على و هو عم السفاح قوله: «و رجع الحق الى نصابه فى اهل بيت نبيكم، اهل الرأفه بكم و الرحمه لكم و التعطف عليكم، الا و ان ذمه اللّه و ذمه رسوله و ذمه العباس لكم ان نسير فنحكم فى الخاصه و العامه منكم بكتاب اللّه و سنه رسوله»(۲). بحيث اصبحت الخلافه منصبا مقدسا يستلزم الولاء و الطاعه و النصره(۳). و انها خلافه عن صاحب الشريعه مع حراسه الدين و سياسه الدنيا(۴).

و ولايه عامه على كافه الأمه، و القيام بامورها و النهوض باعبائها(۵). فكان الخليفه رأس الدوله و مصدر السلطات كلها، و هو المرجع الأخير لشؤون الرعيه الدينيه منها و الدنيويه.

۱- خلاصه الذهب المسبوك/ ۵۴- ۵۵.

۲- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۳۵۰.

۳- الاحكام السلطانيه للماوردى/ ۸.

۴- مقدمه ابن خلدون/ ۱۰۴.

۵- مآثر الانافه ۱/ ۸.

اما الشروط التی یجب ان تتوفر فیمن یتولی الخلافه فان الماوردی یری ان الشروط المعتبره سبعه، اولها: العداله، و الثانی: العلم المؤدی الی الاجتهاد، و الثالث: سلامه الحواس، و الرابع سلامه الأعضاء، و الخامس الرأی المفضی الی سیاسه الرعیه، و السادس. الشجاعه و النجده، و السابع: النسب و هو ان یکون من قریش(۱).

و یری ابو یعلی الحنبلی انها اربعه، احدها: ان یکون قرشیا من الصمیم، و الثانی: ان یکون علی صفه من یصلح ان یکون قاضیا، و الثالث: ان یکون قیما بأمر الحرب و السیاسه و اقامه الحدود، و الرابع: ان یکون من افضلهم فی العلم و الدین: و قد روی عن الامام احمد بن حنبل ما یجیز اسقاط اعتبار العداله و العلم و الفضل(۲).

و یتفق ابو یعلی مع الماوردی فی جواز ان یسمی خلیفه من عقد له الامر، و ان یسمی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم لأنه خلفه فی امته(۳).

و قد لخص ابن خلدون الشروط المذکوره باربعه هی: العلم و العداله و الکفایه و سلامه الحواس و الأعضاء مما یؤثر فی الرأی و العمل، و اختلف فی شرط خامس و هو النسب القرشی، و اذا ما تقرر ان نصب الخلیفه واجب فهو من فروض الکفایه، و یتعین علی اهل الحل و العقد نصبه، و یجب علی الجمیع اطاعته(۴).

۱- الاحکام لسلطانیه للماوردی/ ۴.

۲- الاحکام السلطانیه لابی یعلی/ ۴.

۳- الاحکام السلطانیه/ ۱۲، و الاحکام السلطانیه للحنبلی/ ۱۱.

۴- مقدمه ابن خلدون/ ۱۰۵.

اما واجبات الخليفه فهى عشر، احدها: حفظ الدين على اصوله المستقره، و الثانى: تنفيذ الاحكام بين المتنازعين حتى تعم النصفه. و الثالث: حمايه البيضه و الذب عن الحريم، و الرابع:

اقامه الحدود لتصان محارم اللّه عن الانتهاک، و الخامس تحصين الثغور بالعده و العدد، و السادس: جهاد من عائد الاسلام بعد الدعوه حتى يسلم او يدخل فى الذمه، و السابع: جبايه الفى ء و الصدقات على ما اوجبه الشرع، و الثامن: تقدير العطايا و ما يستحق فى بيت المال من غير سرف و لا تقتير، و التاسع: استكفاء الامناء و تقليد النصحاء فيما يفوضه اليهم من الأعمال و بكل اليهم من الأموال، و العاشر: ان يباشر بنفسه مشارفه الأمور و تصفح الأحوال لينهض بسياسه الأمه. و اذا ما قام الخليفه بهذه الواجبات فقد وجب له على الأمه حقان: هما الطاعه و النصره، ما لم يتغير حاله من جرح فى عدالته او نقص فى بدته(۱).

و كان للاستعانه بالعناصر غير العربيه فى الحكم فى عهد العباسيين أثر مهم فى تطور نظام الحكم. فقد تأثر العرب بالانظمه الاداريه التى كانت قائمه فى البلاد المفتوحه، و اقتبسوا بعض التقاليد التى اضفت على الخلافه مزيدا من الهيبه و الاحترام.

ضعف الخلافه:

ادى تعاظم نفوذ الأتراک فى عهد سامرا الى اضعاف شأن الخلافه و الخلفاء. فقد بدأ نفوذ قوادهم يظهر واضحا و يتسع منذ عهد الواثق باللّه. اذ انه توسع فى تكريمهم، حتى تسنى لهم ان يستبدوا بالحكم دون الخلفاء بشكل سافر خلال المده التى امتدت بين اغتيال المتوكل على اللّه و استخلاف المعتمد على اللّه. اذ تميزت

۱- الاحكام السلطانيه للماوردى/ ۱۳- ۱۴، الاحكام السلطانيه للحنبلى/ ۱۱- ۱۲.

هذه المده باستبداد القاده الاتراک بالخلفاء، فکانوا یختارون من یریدونه للخلافه و یجبرونه علی التنازل عند ما یختلفون معه.

و الواقع ان تدخلهم فی اختیار الخلفاء بدات بوادره عند ما توفی الواثق باللّه، الذی لم یعهد لأحد بالخلافه من بعده، احتجوا بعدم لیاقه ابنه للخلافه و قالوا انه غلام امرد لا تجوز معه الصلاه(۱).

دلاله علی صغر سنه. فاختاروا اخا الواثق بالله جعفر بن المعتصم باللّه الذی لقب بالمتوکل علی اللّه. و کان اول من بایعه القائدان الترکیان وصیف و سیما الدمشقی(۲). و قد شجعهم هذا التدخل فی اختیار الخلیفه علی الاستمرار فی التدخل بشؤون الدوله طیله عهده الذی قضاه فی صراع مستمر ضد تدخلهم و محاولتهم السیطره علی السلطه، ذلک الصراع الذی انتهی باغتیاله علی ایدیهم.

و قد تکون ازاحه الوزیر القدیر محمد بن عبد الملک الزیات عن مسرح الحکم حینما قتله المتوکل علی اللّه فی مطلع استخلافه، قد افقدت الخلیفه ظهیرا علی درجه کبیره من الحنکه و الدهاء مما لم یتوفر فیمن استوزرهم بعده، بحیث یستطیعون کبح جماح اولئک القاده المتعطشین للسلطه و الثروه و الجاه.

و بعد ان استطاع القواد الاتراک اغتیال المتوکل علی اللّه استفحل نفوذهم بحیث غدوا اصحاب السلطه الفعلیه فی الدوله العربیه. و سوف نری فی فصول قادمه مراحل الصراع بین الخلفاء و هؤلاء القاده و مظاهره و ما ترتب علیه من النتائج من جراء تدخلهم فی سیاسه الدوله و فی اختیارهم الخلفاء. «فکان الخلیفه فی یدهم کالأسیر ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه و ان شاءوا

۱- الطبری ۹/ ۱۵۴.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴.

قتلوه(۱) و ذلک حسبما تملیه علیهم رغباتهم، و بما یؤمن مصالحهم. و قد استمر هذا الوضع حتی استخلف المعتمد علی الله حینما استطاع اخوه ابو احمد الموفق ایقافهم عند حدهم، و استعاده سلطه الخلافه الی حین.

۲- المبایعه و ولایه العهد:

عند ما توفی رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم انتخب المسلمون ابا بکر الصدیق دون ان یکون هناک نص بذلک اوامر من الرسول صلی اللّه علیه و سلم. و عند ما انتخبوه عاهدوه علی السمع و الطاعه بما فیه رضاء اللّه سبحانه و تعالی، و عاهدهم هو من جانبه علی ان یعمل بموجب کتاب اللّه و سنه نبیه. و کان التعاهد المتبادل بین الخلیفه و الأمه هو ما قصد به «البیعه او «المبیعه» لأنه یشبه ما یفعله البائع و المشتری عند عقد صفقه بینهما، اذ انهما یتصافحان بایدیهما دلاله علی اتمام معامله البیع. و کما ان عملیه البیع تستلزم الوفاء فان المبایعه توجب الوفاء بها. اما من الناحیه الشرعیه فان البیعه اتفاق تعاقدی بین جانبین الأول هو المرشح و یؤلف رکن الایجاب، و الآخر هو الشخص المختار و یؤلف رکن القبول. و یشترط علی من یبایع ان یظل مخلصا لأوامر اللّه، و هذا یعنی ان الحاکم اذا لم یظل متمسکا بهذه الأوامر فان لمن بایعوه الحق فی التحلل من التزاماتهم. علی ان الأثر الملزم للبیعه شخصی و یستمر مدی الحیاه، و لذا فان الجزاء الدنیوی لنکث البیعه هو القتل(۲).

۱- الفخری/ ۲۲۰.

۲- دائره المعارف الاسلامیه/ ۴۳- ۴۴.

ان البيعه على رأى ابن خلدون «هى العهد على الطاعه، كأن المبايع يعاهد اميره على ان يسلم له النظر فى امر نفسه و امور المسلمين لا ينازعه فى شى ء من ذلك، و يطيعه فيما يكلفه به من الأمر على المنشط و المكره. و كانوا اذا بايعوا الأمير و عقدوا ايديهم فى يده تأييدا للعهد، فأشبه ذلك فعل البائع و المشترى، فسمى بيعه، و صارت البيعه مصافحه بالأيدى»(۱).

و من المعتاد ان تتم مبايعه الخليفه على مرحلتين او اكثر.

و المرحله الاولى هى ما اصطلح على تسميتها «البيعه الخاصه» و فيها يشترك عدد محدود من كبار رجال الدوله و الحاشيه، ثم تعقبها «البيعه العامه» و تتم بمرحله واحده او اكثر. و قد تؤخذ البيعه احيانا بموجب عهد مكتوب، تتم المبايعه وفق ما جاء فيه. و ذلك تأكيدا لأثبات الحق الشرعى للخليفه المبايع له.

و يتضمن هذا العهد المبايعه بالخلافه، و التعهد بالطاعه و الامتثال لأوامر الخليفه و عدم عصيانه، و اليمين الكفيله بالالتزام بذلك.

كما جاء فى كتب بيعه بعض خلفاء سامرا(۲).

قد تطورت طريقه اختيار الخليفه على يد ابى بكر الصديق (رض)، اذ انه اختار من يخلفه فى الأمر عند مماته. و بذلك اصبح من حق الخليفه القائم ان يختار من يخلفه و على الأمه ان تعاهده على طاعته. و هذا ما سمى بولايه العهد. يقول الماوردى «ان انعقاد الخلافه بعهد من الخليفه السابق امر انعقد الاجماع على جوازه، و تم الاتفاق على صحته»(۳). و يقول ابن خلدون «لما كانت الامامه هى النظر فى مصالح الأمه لدينهم

۱- مقدمه ابن خلدون/ ۱۱۴.

۲- يلاحظ مثلا كتاب بيعه المنتصر بالله، الطبرى ۹/ ۲۳۷- ۲۳۹، و كتاب بيعه المعتز بالله، نفس المصدر/ ۲۸۴- ۲۸۶.

۳- الاحكام السلطانيه/ ۷.

و دنیـاهم، و الأـمین علیهم ینظر لهم ذلک فی حیاته، و تبع ذلک ان ینظر لهم بعـد مماته و یقیم لهم من یتولی امورهم کما کان هو یتولاها، و یثقون بنظره لهم فی ذلک کما وثقوا فیما قبل. و قد عرف ذلک من الشرع باجماع الامه علی جوازه و انعقاده»(۱).

و فحوی هذین القولین ان الخلیفه، و هو المسؤول عن شؤون الامه الدینیه و الدنیویه، یجوز له شرعا ان یعین من یخلفه فی منصبه بحیث یطمئن الی قیام من عهد الیه بواجبات الخلافه فی حفظ بیضه الدین و رعایه مصالح الامه. و اذا ما عین الخلیفه احدا لولایه العهد بعده، وجب علی الامه الاعتراف به و الخضوع لسلطته، و یتمثل هذا الاعتراف بمبایعته.

و اذا اراد الخلیفه ان یعهـد لاحـد من بعـده فعلیه ان یجهـد رأیه فی ألاحق بها و الاقوم بشـروطها. فاذا تعین له الاجتهاد فی واحد جاز ان ینفرد بتفویض العهـد له ان لم یکن ولـدا او والـدا. اما اذا کان ولی العهـد ولـدا او والـدا فقـد رأی بعض الفقهاء وجوب مشاوره اهل الأختیار، و اجاز البعض للخلیفه الانفراد بتفویض العهـد له. و اذ عهـد الخلیفه الی من یصـح العهـد له علی الشـروط المعتبره فیه فلیس للخلیفه المولّی عزل من عهـد الیه مـا لم یتغیر حـاله. کمـا لاـ یجوز لأهـل الاختیـار عزل من بـایعوه اذا لم یتغیر حاله. اما اذا عهـد الخلیفه الی اثنین او اکثر و رتب الخلافه فیهم، فقال من بعده فلان، فان مات فالخلیفه بعد موته فلان، فان مات فـالخلیفه بعـده فلاـن، جـاز له ذلـک و کـانت الخلاـفه متنقله الی الثلاـثه علی مـا رتبهـا. و اذا مات الخلیفه و الثلاثه احیاء کانت الخلافه بعده حسب ترتیبه. اما اذا مات الاول فی حیاه الخلیفه صارت

۱- مقدسه ابن خلدون/ ۱۱۴.

الخلافه بعده للثانی، و اذا مات الاول و الثانی فی حیاه الخلیفه فالخلافه بعده للثالث. لأنه قد استقر العهد لکل واحد من الثلاثه.

و لو مات الخلیفه و الثلاثه من اولیاء عهـده احیاء، و افضت الخلافه الی الاول منهم و اراد ان یعدل بها الی غیر الاثنین مما یختاره لها، فمن الفقهاء من منعه من ذلک الا ان یستنزل عنها مستحقها طوعا(۱).

من الواضـح ان اغلب الاحکام المشار الیها بشأن ولایه العهد نظریه بحته، لأن الخلفاء لم یکونوا یتقیدون بها الا بقدر ما یؤمن من رغباتهم و یلائم اهواءهم، اما تجربه العهد لأکثر من واحد فقد فشلت عملیا لما تثیره من خلافات و منازعات بین من عهد الیهم. و هنـاک من الخلفـاء من یتزمت بعظم المسؤولیه تجاه الأمه فلا یریـد ان یتحمل و زر من یخلفه، فلا یعهـد لأحـد من بعـده، انما یترک ذلک لاختیار الأمه بعد وفاته. فان الواثق باللّه لم یعهد لاحد من بعده لأنه لم یرد ان یتحمل المسؤولیه حیا و میتا(۲).

۱- یلاحـظ کتاب تنازل کل من المعتز و المؤیـد عن ولایه العهـد- الطبری ۹/ ۲۴۶، و ان المعتز لمـا خلع اخاه المؤیـد من ولایه عهده اخذ منه رقعه بخطه بخلع نفسه، نفس المصدر/ ۳۶۲.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

الفصل الثانی المعتصم باللّه ابو اسحاق محمد بن هارون الرشید

۱- وصیه المأمون:

عنـد مـا مرض المأمون و هو فی بلاد الروم فی سـنه ۲۱۸ ه و اشـتدت به علته احضـر ابنه العبـاس و جمعـا من القضاه و الفقهاء و القواد و الکتاب و اوصـی بحضـرتهم. و فیما یلی بعض ما جاء فی وصیته: «هذا ما اشهد علیه عبد اللّه بن هارون. و بعد ان استغفر و اسـترحم لنفسـه .. ثـم طلب الی اخیه ابی اسـحاق ان یـدنو منه، و قـال له: ادن منی و اتعـظ بمـا تری، و خـذ بسـیره اخیـک فی القرآن، و اعمل فی الخلافه اذا طوقکها اللّه عمل المرید للّه .. و لا تغل امر الرعیه، الرعیه الرعیه، العوام العوام، فان الملک بهم، و بتعهدک المسـلمین و المنفعه لهم، اللّه اللّه فیهم .. و لا ینهین الیک امر فیه صـلاح للمسـلمین و منفعه لهم الا قدمته و آثرته علی غیره عن هواک، و خذ من اقویائهم لضـعفائهم، و لا تحمل علیهم فی شـی ء، و انصف بعضـهم من بعض بالحق بینهم .. و عجل الرحله عنی و القدوم الی دار ملکک بالعراق .. و الخرمیه فاغزهم ذا حزامه و صرامه

و جلد، و اکنفه بالاموال و السلاح و الجنود من الفرسان و الرجاله، فان طالت مدتهم فتجرد لهم بمن معک من انصارک و اولیائک ..

ثم دعا به ثانیه، حین اشتد به الوجع، و قال له: یا ابا اسحاق علیک عهد اللّه و میثاقه .. لتقومن بحق اللّه فی عباده و لتؤثرن طاعته علی معصیته اذ انا انقلها من غیرک الیک .. فانظر من کنت تسمعنی اقدمه علی لسانی فاضعف له التقدمه، عبد اللّه بن طاهر ..

و اسحاق بن ابراهیم .. و عبد الوهاب علیک به من بین اهلک فقدمه علیهم .. و ابو عبد اللّه بن ابی دواد فلا یفارقک و اشرکه فی المشوره فی کل امرک .. و لا تتخذن بعدی وزیرا .. فقد علمت ما نکبنی به یحیی بن اکثم فی معامله الناس و خبث سیرته ..»(۱).

کما سبق ان نفذت کتب المأمون الی عماله فی البلدان، و کان فی اولها: من عبد اللّه المأمون امیر المؤمنین و اخیه الخلیفه من بعده ابی اسحاق بن امیر المؤمنین الرشید. و یقول الطبری ان ذلک لم یکتبه المأمون، بل کتب استنادا الی امره بعد ان افاق من غشیه اصابته فی مرضه انه اذا حدث به حدث الموت فی مرضه هذا فالخلیفه من بعده ابو اسحاق بن امیر المؤمنین الرشید، فکتب الکتب بالصیغه المذکوره(۲).

و یتضح من هذا ان المأمون عند ما احس بدنو اجله اوصی اخاه ابا اسحاق بحضور العباس بن المأمون و جمع من القواد و القضاه و الکتاب، بما یلتزم به اذا ما طوقه اللّه بالخلافه، و هو لم یعهد له بها صراحه. و یبدو ان مؤیدی ابی اسحاق تنبهوا الی ذلک فکتبوا الی العمال فی البلدان علی لسان المأمون بان الخلیفه من بعده هو اخوه ابو اسحاق. و انهم کتبوا بذلک استنادا الی امر المأمون بانه اذا ما توفی فی مرضه فالخلیفه من بعده ابو اسحاق.

۱- کامل النص فی الطبری ۸/ ۶۴۷- ۶۵۰.

۲- الطبری ۸/ ۶۴۵- ۶۴۶.

فکانت هذه الملابسات سببا فی ان مبایعه ابی اسحاق لقیت معارضه من العباس بن المأمون و مؤیدیه من القواد، مما سبب بعض المشاکل للمعتصم باللّه فیما بعد.

و من الجدیر بالذکر ان نشیر الی ان الخلیفه هارون الرشید عند ما عهد بالخلافه الی ابنائه الثلاثه، جعل للمأمون عند ما یتولی الخلافه اثبات القاسم او خلعه. فقد نص فی کتاب العهد علی «اذا افضت الخلافه الی عبد اللّه بن امیر المؤمنین فالأمر الیه فی امضاء ما جعله امیر المؤمنین من العهد للقاسم بعده او صرف ذلک عنه الی من رأی من ولده و اخوته»(۱). و بینما اعتاد الخلفاء ان یعزلوا اخوتهم من ولایه العهد استئثارا بها لأبنائهم فان المأمون نقلها من اخیه القاسم، و لکن لیس لابنه العباس، و انما لیعهد بها الی اخیه الآخر ابی اسحاق، رغم ان العباس کان مؤهلا لمنصب الخلافه بعد ابیه، فقد کان شجاعا محببا الی الجند. و لم یوضح المأمون سبب اختیاره اخیه ابی اسحاق و تفضیله علی ابنه. و یقول ابن دحیه ان المأمون نص علی خلافه المعتصم دون اولاده لرؤیا رآها من النبی صلی اللّه علیه و سلم(۲). علی اننا نری ان الروح العسکریه التی کان یتمیز بها ابو اسحاق هی التی جعلت المأمون یفضله علی ابنه، بالنظر لما کان یهدد الدوله العربیه من الأخطار، لا سیما تمرد الخرمیه التی کانت تستهدف القضاء علی الدوله، و خطر الروم الذی ما زال یهدد الثغور العربیه. اضافه الی ان ابا اسحاق کان مقربا الی اخیه المأمون، و قد ولاه الشام و مصر منذ سنه ۲۱۴ ه، و استصحبه معه فی حملته الأخیره علی بلاد الروم.

۱- نفس المصدر/ ۲۸۰- ۲۸۱.

۲- النبراس/ ۶۳.

۲- مبايعه المعتصم باللّه:

تجمع المصادر التى تذكر مبايعه ابى اسحاق بالخلافه اثر وفاه اخيه المأمون فى يوم الخميس لاثنتى عشره بقيت من شهر رجب سنه ۲۱۸ ه على ان قسما من الجند و القواد الذين كانوا فى حمله المأمون، كانوا ميالين الى مبايعه العباس دونه، و انهم طلبوا نقل الخلافه الى ابن المأمون. فقد اشار ابن قتيبه الى ذلک بقوله «فاراد الناس ان يبايعوا العباس، فأبى و سلم الى ابى اسحاق الأمر، فتوجه ابو اسحاق نحو بغداد مسرعا خوفا على نفسه من جماعه من القواد كانوا هموا به»(۱). و يقول اليعقوبى «و امتنع بعض القواد من البيعه لمكان العباس من المأمون، فخرج اليهم العباس من مضرب به فكلمهم بكلام استحمقوه فيه فشتموه و بايعوا لأبى اسحاق. و انصرف المعتصم يريد العراق»(۲). و جاء فى الطبرى ان الناس كانوا قد اشفقوا من منازعه العباس بن المأمون له فى الخلافه، و ان الجند شغبوا لما بويع له، و طلبوا العباس و نادوه باسم الخلافه، فارسل ابو اسحاق الى العباس فجاء و بايعه و اخبر الجند انه بايع عمه و سلم اليه الخلافه فسكنوا(۳). اما الملاسعودى فيذكر انه كان بين ابى اسحاق و العباس بن المأمون فى ذلک الوقت تنازع فى المجلس، ثم انقاد العباس الى بيعته(۴). و يقول مؤلف كتاب العيون و الحدائق بما يشبه ما اورده الطبرى من شغب الجند على المعتصم بالله و مناداتهم العباس باسم الخلافه فارسل اليه فجاء و بايعه و خرج الى الجند و اخبرهم بانه بايع عمه و سلم اليه الخلافه فسكتوا، و سار المعتصم باللّه الى بغداد مسرعا خوفا على نفسه من

۱- المعارف/ ۳۹۲.

۲- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۷۱.

۳- الطبرى ۸/ ۶۶۷.

۴- مروج الذهب ۴/ ۴۶.

القواد و كانوا هموا به(۱). و كذلك يقول مسكويه ان الناس شغبوا على المعتصم و طلبوا العباس و نادوا باسم الخلافه، فارسل ابو اسحاق الى العباس فاحضره. فبايعه و خرج الى الجند و قال لهم قد بايعت عمى و سلمت الخلافه اليه فسكنوا(۲). اما ابن الأثير فيقول و لما بويع له شغب الجند و نادوا باسم العباس، فارسل اليه المعتصم فاحضره فبايعه، ثم خرج الى الجند فقال لهم ما هذا الحب البارد، قد بايعت عمى فسكنوا(۳). و ينفرد ابو حنيفه الدينورى بالقول ان المأمون كان قد بايع لابنه العباس بولايه العهد من بعده، و لما مات المأمون جمع اخوه ابو اسحاق محمد بن هارون اليه وجوه القواد و الجند و دعاهم الى بيعته فبايعوه، فسار من طرسوس حتى وافى مدينه السلام، و خلع العباس بن المأمون و غلبه عليها(۴). و هو قول يدحضه ما اتفق عليه من سبقه من المؤرخين الذين اشرنا اليهم.

يستنتج مما جاء فى هذه الروايات التى تتفق فى فحواها ان العباس بن المأمون كان يطمح الى تولى الخلافه بعد ابيه، و له من يؤيده من القواد و الجند و ان هؤلاء كانوا مطمئنين الى انه سيتولاها بعد موت ابيه. و لما قيل ان المأمون قد عهد لأخيه ابى اسحاق فقد اشفقوا من قيام النزاع بين العم و ابن اخيه، و هذا ما حدث فعلا.

و يبدو ان القواد و الجند قد انقسموا الى فئتين، احداهما تناصر ابا اسحاق و تحتج بأن المأمون قد عهد اليه بالخلافه فى وصيته، و تناصر الاخرى العباس. اما لأنها كانت تراه اصلح للخلافه بالنسبه لمصالحها، او انها كانت تدعى ان المأمون قد عهد اليه بها من بعده، كما ذكر الدينورى، و لهذا اخذت تطعن بما جاء فى

۱- العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۰.

۲- تجارب الامم ۶/ ۴۷۰.

۳- الكامل ۶/ ۴۳۹.

۴- الاخبار الطوال/ ۳۳۷- ۳۳۸.

وصیه المأمون من عهد بالخلافه الی اخیه دون ابنه. و یظهر ان الموالین للمعتصم باللّه قد ارغموا العباس علی مبایعه عمه، و ان یعلن ذلک علی مؤیدیه و یطلب الیهم الاقتداء به، فبایع مؤیدوه المعتصم باللّه علی مضض و بعد مناقشه حاده مع العباس. مما جعل المعتصم باللّه یشک بولائهم و یخاف انتفاضتهم علیه، فاسرع فی العوده الی بغداد مستصحبا معه العباس کی لا ینفرد به المعارضون فیغیروا من رأیه فینقاد الی طلبهم، فیقوم النزاع بینهما ثانیه.

و یلاحظ ان الجیش یتدخل لأول مره فی امر مبایعه الخلیفه و ینقسم علی نفسه بشأنها. و کان هذا التدخل مبادره خطیره صارت لها نتائج بعیده الأثر علی الدوله العربیه. علی ان هذه الفئه التی عارضت مبایعه المعتصم باللّه، ظلت، رغم مبایعتها، تتحین الفرصه المناسبه لامتناع العباس بمبایعته و الوثوب بعمه.

عاد المعتصم باللّه الی بغداد، و یصف الخطیب البغدادی دخوله المدینه بقوله «و دخل بغداد علی بغله کمیت بسرج مکشوف، و علیه قلنسوه لاطئه و سیف بمعالیق، فأخذ علی باب الشام حتی عبر الجسر، ثم دخل من باب الرصافه(۱). و کان دخوله الیها یوم السبت مستهل شهر رمضان سنه ۲۱۸ ه(۲). و یقول الیعقوبی انه دخل بغداد و علی جنده الدیباج المذهب(۳).

و عند ما تمت البیعه للمعتصم باللّه، وقف علی بن یحیی المنجم بین یدیه و مدحه بعد ان رثی المأمون، بقوله(۴):

أخنی علی الملک المأمون کلکله عندی جنایته یا معشر الناس

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۷.

۲- الطبری ۸/ ۶۶۷، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۲.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱.

۴- معجم الادباء ۵/ ۴۶۵.

أختی علی الملک المأمون کلکله فصار رهنا لأحجار و ارماس

قد کان ینهد رکن الدین حین ثوی و یترک الناس فوضی بلا راس

حتی تدارکهم باللّه معتصم خیر الخلائف من اولاد عباس

و جعل المعتصم باللّه نقش خاتمه، علی ما جاء فی کتاب العیون و الحدائق «اللّه ثقه محمد بن الرشید و به یؤمن»(۱). و فی العقد الفرید «اللّه ثقه ابی اسحاق بن الرشید و به یؤمن»(۲). الا ان السیوطی یقول نقلا عن الصولی ان نقش خاتمه کان «الحمد للّه الذی لیس کمثله شی ء»(۳) و احسبه نقله عن المسعودی الذی یقول انه کان «الحمد للّه الذی لیس کمثله شی ء و هو خالق کل شی ء»(۴). و قد یدل تعدد نقش الخاتم علی ان المعتصم بالله کان یستبدله بین حین و آخر.

و أمر المعتصم باللّه عند مبایعته برد المقاصیر فی مساجد الجماعه(۵). مما یستدل منه انه کان یخشی الفئه التی عارضت بیعته. و قد سبق للمأمون ان امر بنزعها باعتبارها سنه احدثها معاویه بن ابی سفیان(۶).

۱- العیون و الحدائق ۳/ ۴۱۰.

۲- العقد الفرید ۵/ ۱۲۱.

۳- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۸.

۵- البدء و التاریخ ۶/ ۱۱۴.

۶- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۶۸.

۳- صفاته و سیرته:

هو ابو اسحاق محمد بن هارون الرشید، و عند ما استخلف لقب بالمعتصم باللّه و هو اول خلیفه اضیف الی لقبه اسم اللّه تعالی[(۱)]. و امه من مولدات الکوفه، و ذکر عن الفضل بن مروان انه قال ان ام المعتصم باللّه تسمی مارده و هی صفدیه الأصل و کان ابوها نشأ بالسواد[(۲)]. و کانت مارده احظی نساء الرشید لدیه، و قد اهدتها الیه زوجته زبیده ضمن عشر جوار عند ما تحقق لها انه لم یکن یتعشق المغنیه دنانیر، و انما یحب سماعها فقط[(۳)].

اما صفات المعتصم باللّه الجسمیه، فیکاد یجمع الذین و صفوه من المؤرخین علی انه کان ابیض مشربا بحمره، اصهب اللحیه طویلها، حسن العینین مربوع القامه[(۴)]. و یقول المسعودی انه لم یشب[(۵)]. و یقال انه کان شدید البدن عظیم القوه، یحمل الف رطل و یمشی بها خطوات[(۶)]. و انه حمل ذات مره بابا من حدید فیه سبعمائه و خمسون رطلا و فوقه عکام فیه مائتان و خمسون رطلا، و کان یسمی ما بین اصبعیه المقطره لشدتهما[(۷)]. و یلوی عمود الحدید حتی یصیر طوقا، و یشد علی الدینار باصبعه فیمحو کتابته[(۸)]. و یروی عن احمد بن ابی دواد،

۱- المختصر فی اخبار البشر ۴/ ۳۵، و مآثر الانافه ۱/ ۴۳ و ۴۱۷.

۲- الطبری ۹/ ۱۲۳.

۳- الأغانی ۱۸/ ۶۷.

۴- الطبری ۹/ ۱۱۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷، و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹.

۵- التنبیه و الاشراف/ ۳۰۷.

۶- العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹.

۷- العقد الفرید ۵/ ۱۲۱، و العکام هو العدل. و المقطره خشبه فیها خروق علی رجل المحبوس یقید بها.

۸- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

و کـان مقربـا جـدا من المعتصم بـاللّه انه قـال: کـان المعتصم باللّه یخرج ساعـده الی و یقول یا ابا عبـد اللّه عض ساعـدی باکثر قوتک، فاذا هو لا تعمل فیه الأسنه فضلا عن الاسنان(۱).

و وصف المعتصم باللّه بحسن السیره و استقامه الطریقه(۲).

الا انه کان کثیر اللهو مسرفا علی نفسه(۳). کما کان سدید الرأی موصوفا بالشجاعه(۴). و ما رؤی اشد تیقظا فی حرب منه، فانه لمـا ادخـل علیه مازیـار بن قـارن، و کـان شدیـد الغضب علیه، قیـل له ان لاـ یعجـل علیه فـان عنـده اموالاـ جمه، فانشـد قول ابی تمام(۵):-

ان الاسود اسود الغاب همتهایوم الکریهه فی المسلوب لا السلب

و عرف عنه کان قاسیا سریع الغضب، و اذا غضب لا یبالی من قتل و ماذا فعل(۶). الا ان استماعه الی نصح قاضی قضاته ابن ابی داود ساعـده علی تجنب کثیر من المظالم. و کان یتشدد فی سـلوک ابناء الاسـره العباسـیه، و لما بلغه ان اخاه ابا علی بن الرشـید کان یتردد علی بعض الادیره و معه القیان و یقضی ایاما فی القصف و التهتک أمر اسحاق بن ابراهیم صاحب الشرطه علی تأدیبه ایاه، و امره ان لا یرخص لأمیر من اهل بیته فی ذلک(۷).

و کان المعتصم باللّه فصیحا رغم جهله القراءه و الکتابه الا قلیلا. یقول الخطیب البغدادی انه کان یکتب کتابا ضعیفا و یقرأ

۱- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۴۷ و ۶۴.

۳- العبر ۱/ ۴۰۰.

۴- الفخری/ ۲۰۹.

۵- تذکره ابن حمدون/ ۱۰۵.

۶- الکامل ۶/ ۵۲۶ و العبر ۱/ ۴۰۲ و جاء فیه انه کانت له نفس سبعیه.

۷- الدیارات/ ۳۴- ۳۵.

قراءه ضعیفه(۱). و ذلک لأنه کان فی صغره یکره الدراسه.

و یروی ان اباه سأله یوما عن وصیف صغیر له، فأجابه بأنه مات و استراح من الکتاب، فقال الرشید: أو بلغ منک الکتاب هذا المبلغ، و اللّه لا حضرته ابدا، و وجهه الی البادیه فتعلم الفصاحه(۲). و ذکر القلقشندی ما یشبه هذا فیقول ان سبب ذلک هو ان المعتصم باللّه رأی جنازه بعض الخدم فقال: لیتنی مثل هذا حتی اتخلص من الکتاب، فقال له ابوه: و اللّه لاعذبنک بشی ء تختار علیه الموت و منعه من الکتاب(۳). و قد استفاد من البادیه فصاحه اللسان الی جانب الفروسیه، فکان اذا تکلم بلغ ما اراد و زاد علیه(۴).

و یذکر الیعقوبی بعض الامور التی کان المعتصم باللّه اول من اتخذها من الخلفاء، و اقتدی به الناس. فقد لبس الثیاب الضیقه الأکمام فضیق الناس اکمام ثیابهم، و لبس الخفاف الکبار فقلدوه بلبسها، و کان اول من لبس شاشیه مربعه فلبسها الناس ایضا تشبها به فنسبت الیه فقیل «الشاش المعتصمیه»، کما کان اول خلیفه رکب السروج المکشوفه فتشبه الناس به(۵). و یذکر المسعودی عنه ما یشبه هذا(۶). و لم یکن المعتصم باللّه یمس الطیب الا قلیلا، و کان یذهب فی ذلک الی تقویه بدنه و اعانته علی الشدائد، و اما فی حروبه فکان من دنا منه وجد رائحه صدأ

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۳.

۲- العقد الفرید ۲/ ۴۴۰، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۳.

۳- مآثر الانافه ۱/ ۲۱۸.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۷.

۵- مشاکله الناس لزمانهم/ ۳۱- ۳۲.

۶- مروج الذهب ۴/ ۳۱۹.

السلاح و الحدید من جسمه(۱). و انه کان یکره رائحه الغالیه و لا یستطیع الصبر علیها(۲).

و اشتهر المعتصم باللّه بالسخاء فی بذل المال، و کانت اعطیاته للشعراء و المغنین و فیره. و عند ما کان یستخفه الطرب فی مجالس الغناء لا تقتصرا عطیاته و خلعه علی المغنین وحدهم بل یشمل بذلک جمیع الحاضرین(۳). و دخل یوما دار خاقان عرطوج فرأی ابنه الفتح و هو صغیر فمازحه و سأله: ایهما احسن داری ام دارکم؟

فقال الفتح: یا سیدی، دارنا اذا کنت فیها احسن. فقال المعتصم باللّه: لا ـ ابرح و اللّه حتی انثر علیه مائه الف درهم، و فعل ذلک(۴).

و اهدی قفلا من الذهب فیه ألف مثقال الی الکعبه المشرفه، و قد حمله الی مکه فی سنه ۲۱۹ ه وفد مؤلف من طاهر بن عبد اللّه و محمد بن ابراهیم و ابن فرج الرخجی، و کان من الذهب الخالص، و عند ما ارادوا نزع القفل القدیم لوضع القفل الذهبی مکانه احتج حجاب الکعبه علی انتزاع القفل القدیم و أصروا علی بقائه لأنه یعود الی عهد الرسول صلی اللّه علیه و سلم، فوافق الوفد علی ان یقفل علی البیت الحرام بقفلین، القفل القدیم و القفل الذی قدموا به، الا ان الحجاب و فدوا علی الخلیفه محتجین علی رفع القفل القدیم، لأنه قفل رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم، فاقتنع بوجهه نظرهم و امر برفع القفل الذهبی الذی کان بعث به و ان یکتفی بالقفل الأول فقط، و اجاز الحجاب بأن وهبهم القفل الذهبی(۵).

۱- التاج/ ۱۵۵.

۲- رسوم دار الخلافه/ ۳۲.

۳- الاغانی ۵/ ۳۲۹.

۴- معجم الادباء ۶/ ۱۱۷.

۵- الذخائر و التحف/ ۳۶، و المعرفه و التاریخ ۱/ ۲۰۳.

و كـان المعتصم بـاللّه يبحث عن احـوال النـاس غـايه البحث و يتطلب فى الاطلاع على امورهم(۱). فقـد وقع ببغداد حريق كبير عقيب انتقـاله الى عاصـمته الجديـده سـامرا، عرف بحريق الجمـل، و لمـا بلغه الخبر اعطى احمـد بن ابى دواد خمسه الاف الف درهم و طلب اليه ان يعوض المتضـررين من النـاس عمـا اصـابهم من جراء الحريق(۲). و اسـتخرج منه احمـد بن ابى دواد لأهل الشـاش، و هى من بلـدان مـا وراء النهر، الفى الف درهم لكرى نهر انـدفن فى صـدر الاسـلام فأضـر ذلـك بـالمزارعين هنـاك، فساعـدتهم هبه المعتصم بـاللّه على احيـاء النهر(۳). و كـانت مـدينه الرمله تسـقى من آبـار نظمت فيهـا قنوات للميـاه، ينفق عليها الخلفـاء من بـاب البر و الاحسـان، فـأمر المعتصم بـاللّه ان يعتبر مـا تحتـاجه من اموال لا دامتها و ضـمان الماء للناس من النفقات العـامه، فـادخلت فى سـجل النفقـات بحيث صـارت نفقتها جاريه يقوم بها العمال سـنويا(۴). ممـا يؤمن اسـتمرار تـدفق المياه فى القنوات. كمـا كـانت بئر زمزم فى مكه المكرمه مكشوفه الأـقبه صـغيره على موضع البئر فى ركنها الـذى يلى باب الصـفا. فغيرها محمـد بـن فرج الرخجى فى سـنه ۲۲۰ ه بـأمر المعتصم بـاللّه، و انفق عليهـا مالا جزيلا، فسـقف البئر كلها بالساج المـذهب من الداخل، و جعل عليها من ظهرها الفسيفساء، و اشرع لها جناحا صغيرا جعل فيه سلاسل تحمل قناديل للاضاءه(۵).

۱- آثار الاول/ ۸۶.

۲- تفصيل الخبر فى نشوار المحاضره ۶/ ۱۸۷، و فى اخبار بطاركه كرسى الشرق لمارى بن سليمان/ ۷۷.

۳- الطبرى ۹/ ۱۲۱.

۴- مختصر البلدان/ ۱۰۲.

۵- الاعلاق النفيسه/ ۴۳، و المعرفه و التاريخ ۱/ ۲۰۴.

۴- الخليفه المثمن:

أولع قدامى المؤرخين بوصف الخليفه المعتصم باللّه بالمثمن، و ذلک لما فيه من نسبه لرقم الثمانيه، من عمره و تسلسله بين اخوانه و خلافته و عدد اولاده. و قد جمع صاحب العيون و الحدائق هذه النسب بقوله، «هو المثمن من اثنتى عشره وجهه، فهو الثامن من ولد العباس، و الثامن من الخلفاء، و كانت مده خلافته ثمان سنين و ثمانيه أشهر، و توفى و له ثمان و اربعون سنه، و ولد فى شعبان و هو الشهر الثامن، و خلف ثمانيه ذكور و ثمانى بنات، و غزا ثمانى غزوات، و خلف ثمانمائه الف دينار عينا و ثمانيه الف الف درهم ورقا(۱). و يظهر انه نسى جهه، كما ان بعض ما ذكره لا يتفق و الحقيقه، فان المعتصم باللّه لم يكن الثامن من ولد العباس، و انما السابع منهم الا انه الثامن من خلفائهم، و انه لم يخلف هذا العدد من البنين و البنات، فقد خلف من الذكور سته فقط هم: هارون و جعفر و محمد و احمد و على و العباس(۲).

و ما ذكره الطبرى و ابن الأثير فى هذا الباب لا يتعدى ما اورده صاحب العيون و الحدائق(۳). الا ان ابا المحاسن يضيف الى ذلک:

و من الخيول ثمانين الف رأس، و من الجمال ثمانين الف جمل و بغل و دابه، و ثمانين الف خيمه، و ثمانيه الآلاف عبد و قيل ثمانيه عشر الفا، و ثمانيه الاف جاريه، و عمر من القصور ثمانيه(۴).

و يضيف جلال الدين السيوطى الى ما ذكره من سبقه من المؤرخين:

و ملک ثمانى عشره و مولده ثمان و سبعون، و طالعه العقرب و هو ثامن برج، و قتل ثمانيه اعداء، و مات لثمان بقين من ربيع الأول(۵). و غير خاف ان بعض ما ذكره يجانب الواقع.

۱- العيون و الحدائق ۳/ ۴۰۹، و جاء فى التنبيه و الاشراف/ ۳۰۷، و العبر ۱/ ۴۰۱ و الفخرى/ ۲۰۹ انه خلف ثمانيه الف الف دينار.

۲- تاريخ اليعقوبى ۹/ ۱۱۹، و الكامل ۶/ ۵۲۴.

۳- الطبرى ۹/ ۱۱۹، و الكامل ۶/ ۵۲۴.

۴- النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۱، و احسبه نقل ذلک من العبر ۱/ ۴۰۱ الذى يضيف: و وقف فى خدمته ثمانيه ملوک.

۵- تاريخ للخلفاء/ ۳۳۴.

اما المسعودى فيضيف الى ما ذكره صاحب العيون و الحدائق ثمانيه فتوح عظام منها اسر بابک، و المازيار بن قارن، و اسره البوارج، و هى مراکب هنديه و الظفر برؤسائها و ابطال مقاتلتها، و اخلاؤه الزط من البطائح، و قتله جعفر بن مهرجش الکردى، هزيمته تيوفيل ملک الروم و فتح عموريه(۱). کذلک عدد له ابن دحيه ثمانيه فتوح عظام و اعتبر الفتح الثامن قتله الأفشين لما و اطأ بابک الخرمى(۲). و لکن ابن الفقيه يقول: و للمعتصم بالله ست فتوح عظام جليله هى: قتل مازيار، و اسر بابک و قتله، و فتح عموريه، و استباحه الزط حيث اجتث اصلهم، و قتله جعفر الکردى، و ما کان من شق الهند على يد عمر بن النعتل(۳).

و حتى الشعراء لم يستغنوا عن هذه الصفه فى مدحه او هجائه. فقد جاء فى احدى مدائح ابى تمام للمعتصم باللّه قوله(۴):

بالقائم الثامن المستخلف اعتدلت قواعد الملک ممتدا لها الطول

بيمن معتصم باللّه لا اودبالملک مذ ضم قطريه و لا خلل

۱- مختصر کتاب البلدان/ ۵۲- ۵۳.

۲- النبراس/ ۷۳.

۳- مختصر کتاب البلدان/ ۵۲- ۵۳.

۴- القصيده فى ديوان ابى تمام ۳/ ۵- ۲۰.

و هجاه دعبل الخزاعی منکرا علیه تسلسله بین خلفاء بنی العباس(۱) بقوله:

ملوک بنی العباس فی الکتب سبعهو لم تأتنا فی ثامن منهم الکتب

کذلک اهل الکهف فی الکهف سبعهغداه ثووا فیه و ثامنهم کلب

من الغریب حقا ان تکون للمعتصم باللّه هذه العلاقه برقم الثمانیه، بحیث انها لفتت انظار من ارخوا له او کتبوا عنه. و ان کان قسم مما ذکروه غیر دقیق و لا یخلو من المبالغه، بل یجانب الحقیقه احیانا. فان الیعقوبی و هو اقدم من ذکرنا من المؤرخین یقول ان عمره تسع و اربعون سنه، و انه خلف من الذکور سته، ذکرناهم آنفا، کما انه من المتفق علیه انه توفی لثمانی عشره لیله مضت من ربیع الأول، و ان هناک اختلافا فی سنه میلاده، مما یجعل نسبه الثمانیه الی هذه الامور غیر صحیحه. اما ما ذکروه عن ترکته من الاموال و المتاع و الجواری و العبید و الدواب فان اغلبه من باب التخمین، و لا یخلو من المبالغه. کما ان اعتبار المسعودی و ابن دحیه و ابن الفقیه ما اشاروا الیه من انتصارات المعتصم باللّه فتوحات عظام، مبالغ فیه ایضا. فاذا کان اسر بابک و القضاء علی الخرمیه، و غزو بلاد الروم و فتح عموریه، فتحین عظیمین حقا تما علی عهد المعتصم باللّه، فان الانتصارات الاخری

۱- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۵، و دیوان دعبل الخزاعی/ ۵۱- ۵۳ و فیه کامل القصیده.

التی ذکرت لاـ تعدو ان تکون مجرد اخماد حرکات تمرد داخلیه او حملات غزو اعتیادیه او لرد عدوان، مما لا یتطلب سوی حرکات عسکریه موضعیه ضیقه النطاق، محدوده النتائج، و من ثم فانها لم تکن فتوحات عظیمه.

ان الفتح العظیم فی الهند کما وصفه ابن الفقیه بانه شق الهند و ظفر بمراکبها و رؤسائها و ابطال مقاتلتها، لم یحظ باهتمام المؤرخین. اذ انهم لا یذکرون عنه الا القلیل. و یظهر مما ذکروه ان حمله من المراکب الهندیه غلبت علی جزء من ساحل الخلیج العربی الشرقی و عمان و نواحی البصره، ای انها توغلت فی الخلیج العربی حتی نواحی البصره. فوجه المعتصم باللّه القائد عمر بن الفضل الذی استطاع ان یقطع علی الحمله خط الرجعه و یأسر افرادها(۱). مما شجع الحمله العربیه علی تغزو قسما من السواحل الغربیه للهند. و لیس من الواضح ما اذا کانت الحمله المذکوره من المراکب الهندیه عسکریه منظمه تبغی الفتح و الاستیلاء، ام انها کانت تحمل عددا من المهاجرین الی السواحل المذکوره، کما سبق ان هاجرت اقوام من الزط الی جنوبی العراق، و ان کان سیر الحوادث یؤید الافتراض الثانی.

و یذکر خلیفه بن خیاط ما یدل علی ان السواحل الغربیه للهند کانت هدفا لغزوات یشنها الجیش العربی و المطوعه فی عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه. فقد جاء فی حوادث سنه (۲۲۶ ه) ان احمد بن عبد اللّه بن الحسن قد غزا بحر البصره، و عند ما عزل احمد المذکور و عین بدلا عنه احمد بن رباح ارسل ابراهیم بن هاشم لغزو البحر المشار الیه فی سنتی ۲۲۸ ه و ۲۲۹ ه، و کذلک قام بغزوه فی سنه ۲۳۰ ه و بلغ ادنی بلاد

۱- النبراس / ۷۳.

سرشت فاحرق قراها و اصاب سبیا. کما یذکر فی اخبار السنه ۲۳۱ ه ان مراکب المطوعه فی بحر البصره کسرت فی المنطقه الواقعه بین جنابه و سینیز و اصیب فیها ناس من المطوعه(۱).

و یشیر البلاذری عند بحثه فتوح السند ان حمله من الجیش العربی وصلت فی عهد الخلیفه المهدی الی الحدود الهندیه الشمالیه الغربیه، و افتتحت بعض المدن. و ان هذه الفتوحات استمرت فی عهد الخلیفه المأمون، اذ کان الفضل بن ماهان قد غلب علی بعض مدن السند و بعث الی الخلیفه بفیل، و دعا له فی مسجد جامع بناه هناک(۲). و لما مات الفضل قام ابنه مقامه فغزا المدن المجاوره. ثم غلب علیه اخوه ماهان بن الفضل و کتب الی الخلیفه المعتصم باللّه و اهدی الیه ساجا لم یر مثله عظما و طولا(۳).

و کان المأمون قد عین موسی بن یحیی علی المناطق المفتوحه فی السند، و عند ما مات استخلف ابنه عمران بن موسی، فأقره الخلیفه المعتصم باللّه علی ولایته. و قد تغلب عمران علی القیقان و اغلبهم من الزط، و بنی مدینه سماها البیضاء و اتخذه عسکرا لجنده. ثم استولی علی مدینه قندبیل، و هی مدینه جبلیه جنوبی القیقان.

و عند ما وقعت العصبیه بین النزاریه و الیمانیه مال عمران الی الیمانیه فوثب علیه عمر بن عبد العزیز الهباری و قتله غیله(۴).

۱- تاریخ خلیفه بن خیاط ۲/ ۵۱۸- ۵۲۰، و خبابه و سینیز من موانی الساحل الشرقی للخلیج العربی.

۲- فتوح البلدان/ ۴۳۲.

۳- نفس المصدر/ ۴۳۳.

۴- فتوح البلدان/ ۴۳۲.

و واضح ان ما اشرنا اليه من فتح بلاد السند لا يمكن اعتباره من الفتوحات العظيمه.

على ان من عجيب احوال المعتصم باللّه، كما يقول صاحب الذهب المسبوک، ان اباه هارون الرشيد جعل ولايه العهد فى ثلاثه من اولاده: محمد الأمين و عبد اللّه المأمون، و القاسم المؤتمن، و لم يعينه معهم، فلم يكن من نسلهم خليفه، و ساق اللّه تعالى الخلافه اليه و الى عقبه(۱). و يقال ان الرشيد حجب الخلافه عنه لكونه قليل التعلم(۲).

۵- وفاته:

تكاد المصادر تتفق على ان وفاه المعتصم باللّه كانت فى يوم الخميس لثمانى عشره مضت من ربيع الأول من سنه ۲۲۷ ه(۳).

و قد اشار الشاعر مروان بن ابى الجنوب الى ذلک بقوله:(۴)

ابو اسحاق مات ضحى فمتناو امسينا بهارون حيينا

لئن جاء الخميس بما كر هنالقد جاء الخميس بما هوينا

اما سبب وفاته فقد ذكر انه احتجم فى اول يوم من المحرم، و اعتل عندها. و يقول القفطى ان ابن ماسويه الطبيب الذى تولى

۱- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲.

۲- تاريخ الخلفاء/ ۲۹۱.

۳- الطبرى ۹/ ۱۱۰، و العيون و الحدائق ۳/ ۴۰۹، و مروج الذهب ۴/ ۶۵، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۷۸، و الكامل ۶/ ۵۲۴.

۴- الطبرى ۹/ ۱۲۰.

الاشـراف علی صـحه المعتصم باللّه بعد موت طبیبه الخاص سلمویه بن بنان، قد خالف طریقه سلمویه فی فصد المعتصم باللّه، اذ یقول: کان المعتصم قویا و کان سـلمویه یفصده فی السنه مرتین، و یسقیه عقب کل فصد دواء، فلما باشره یوحنا بن ماسویه اراد عکس ما کان یفعله سلمویه، فسقاه الدواء قبل الفصد، فلما شرب الدواء حمی دمه و حم، و ما زال جسمه ینقص حتی مات(۱).

و عند ما اشتدت علته و حضرته الوفاه جعل یقول: ذهبت الحیل لیست حیله، و قیل انه جعل یقول: أؤخذ من بین هذا الخلق(۲).

و حکی عنه انه قال: لو علمت ان عمری قصـیر ما فعلت ما فعلته، یعنی قتل العباس بن المأمون(۳). و یذکر السیوطی عده عبارات اخری رویت عن المعتصم باللّه لما احتضـر، فیقول انه قال «حتی اذا فرحوا بما أوتوا اخذناهم بغته»(۴)، و قیل انه قال: اللهم انک تعلم انی اخافک من قبلی و لاـ اخافک من قبلک، و ارجوک من قبلک و لا ارجوک من قبلی(۵). و یقول ابن الطقطقی انه لما مرض مرضته التی مات فیها نزل فی سفینه و معه زنام الزامر فجعل یمر علی قصوره و بساتینه بشاطی ء دجله، و طلب الی زنام ان یزمر له هذا اللحن:(۶)

یا منزلا لم تبل اطلاله الخ .. و قد سبق ان اشرنا الی ذلک فی فصل آخر. و کانت وفاته فی سر من رأی و بها دفن فی قصره

۱- تاریخ الحکماء/ ۱۲۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۹.

۳- العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹.

۴- سوره الانعام- الآیه: ۴۴.

۵- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۶.

۶- العخری/ ۲۱۲.

المعروف بالجوسق علی دجله. و قد صلی علیه قاضی القضاه احمد بن ابی دواد، و کان المعتصم بالله اوصاه بالصلاه علیه(۱).

و هناک اختلاف فی تاریخ مولد المعتصم باللّه، فیذکر الطبری ان مولده کان فی شعبان من سنه ۱۸۰ ه، ثم یستدرک فیقول:

و قیل فی سنه ۱۷۹ ه(۲). و یؤید کل من المسعودی و الخطیب البغدادی التاریخ الذی ذکره الطبری اولا، و یضیف المسعودی ان مولده کان فی قصر الخلد ببغداد(۳). اما السیوطی فیذکر انه قد ولد فی سنه ۱۷۸ ه(۴). و قد ترتب علی هذا الاختلاف، اختلاف فی مقدار عمره. فیقول الطبری ان عمره کان ستا و اربعین سنه و سبعه اشهر و ثمانیه عشر یوما، او سبعا و اربعین سنه و شهرین و ثمانیه عشر یوما. و یری کل الخطیب و مسکویه و مؤلف کتاب العیون و الحدائق ان عمره کان ثمانی و اربعین سنه.

اما الیعقوبی فیقول ان سنه کانت ۴۹ سنه. و یقول الذهبی انه توفی عن سبع و اربعین سنه. بینما یری الدینوری انه بلغ من العمر تسعا و ثلاثین سنه، و هو واهم و لا شک. و یری المسعودی انه مات عن ۴۸ سنه و قیل: ۴۶ سنه(۵). و کانت مده خلافته ثمانی

۱- الاخبار الطوال/ ۳۴۲.

۲- الطبری ۹/ ۱۱۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۶۴، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۲.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۳۳.

۵- الطبری ۹/ ۱۱۹، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷ و العیون و الحدائق ۳/ ۴۰۹، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۸، و العبر ۱/ ۴۰۱

سنوات و ثمانيه اشهر، و قال وزيره محمد بن عبد الملك الزيات يرثيه و يهنى ء ابنه الواثق باللّه(۱):

قد قلت اذ غيبوك و اصطفقت عليك أيد بالترب و الطين

اذهب فنعم الحفيظ كنت على الدنيا و نعم الظهير للدين

لا جبر الله امه فقدت مثلك الا بمثل هارون

۱- الطبرى ۹/ ۱۱۹. و الاخبار الطوال/ ۳۴۲، و مروج الذهب ۴/ ۶۳- ۶۴.

الفصل الثالث الواثق باللّه ابو جعفر هارون بن المعتصم باللّه

۱- مبایعته:

مات المعتصم باللّه و لم یکن قد عهد لابنه هارون بالخلافه.

الا ان هارون کان اکبر اخوته السته، و ان المعتصم باللّه لما خرج الی القاطول فی سنه ۲۲۰ ه للبحث عن موقع یبنی فیه مدینه لجنده الاتراک، استخلفه ببغداد(۱). و لما خرج فی سنه ۲۲۳ ه فی حملته علی بلاد الروم دفع خاتمه الیه و اقامه مقام نفسه و استکتب له سلیمان بن محمد بن عبد الملک الزیات(۲). و قد اعتبر بعض المؤرخین ذلک اشاره الی عهد المعتصم باللّه بالخلافه الی هارون.

و یقول السیوطی انه ولی الخلافه بعهد من ابیه(۳). و قد خلت المصادر الأولیه عن اشاره واضحه الی ذلک.

۱- الکامل ۶/ ۴۵۲.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۳۸.

۳- تاریخ الخلفاء/ ۳۴۰.

بویع هارون فی سامرا غداه وفاه ابیه فی یوم الخمیس التاسع عشر من ربیع الأول سنه ۲۲۷ ه و لقب بالواثق باللّه.

فتوجه اسحاق بن ابراهیم نائب الخلیفه ببغداد، من فوره الی بغداد فوصلها قبل طلوع الفجر، و اتخذ ما رآه ضروریا من اجراءات المبایعه، فاحضر القواد و الوجوه و اخذ علیهم البیعه للواثق باللّه(۱).

و یفهم مما جاء فی تاریخ بغداد و خلاصه الذهب المسبوک ان اسحاق بن ابراهیم کان ببغداد و جاءه نعی المعتصم باللّه فی الیوم الثانی من وفاته، ای فی یوم الجمعه، فلم یظهر النبأ، و خطب فی ذلک الیوم علی منابر بغداد للمعتصم باللّه و هو میت(۲). و فی الیوم التالی طلب اسحاق الی الامراء الهاشمیین و القواد و الاعیان الحضور الی دار الولایه، فلما اجتمعوا نعی الیهم المعتصم باللّه و اخذ علیهم البیعه لهارون الواثق باللّه، فتمت بذلک مبایعته(۳).

و نقش الواثق باللّه علی خاتمه عند ما اصبح خلیفه «اللّه ثقه الواثق»(۴). و یقال انه نقش علیه «محمد رسول اللّه)، و انه کان له ختم آخر نقش علیه «الواثق باللّه»(۵).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۹.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۶، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۳- جاء فی الطبری ۹/ ۱۲۳ انه بویع یوم الاربعاء لثمان خلون من ربیع الاول، الا انه سبق ان ذکر فی ص: ۱۱۸ ان المعتصم بالله توفی یوم الخمیس الثانی عشر من ربیع الاول.

۴- التنبیه و الاشراف/ ۳۲۳، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۵- العقد الفرید ۵/ ۱۲۲.

لقد استطاع المعتصم باللّه ان یقضی علی ثوره بابک الخرمی التی کانت قد استفحل امرها و شغلت خلفاء بغداد ما یقرب من خمسه عشر عاما، و ان یشتت شمل قبائل الزط التی عاثت فی البلاد فسادا، و ان یکسر شوکه الدوله البیزنطیه و یهدد القسطنطینیه بفتحه عموریه و کثیر من الحصون الرومیه، و یقضی علی حرکه الأفشین و المازیار الانفصالیه. و بذلک هیأ لابنه الواثق باللّه عهدا من الهدوء و الاستقرار نعمت به ارجاء الدوله العربیه طیله حکمه، سوی بعض حرکات التمرد الموضعیه. و کان من المنتظر ان یستأنف الواثق باللّه غزو بلاد الروم و یقضی علی الدوله البیزنطیه المرهقه و التی بان ضعفها عند ما هاجمها ابوه. الا انه کان بطبیعته فنانا یعشق الشعر و الموسیقی و الغناء، و یمیل الی الآداب و العلوم و المناقشه فی المجالس العلمیه و الادبیه، و یؤثر حیاه الدعه و الهدوء. فانصرف الی اللهو و الشعر و الغناء و المجالس، و ساعد علی ازدهار الحاله الاقتصادیه.

اما من الناحیه السیاسیه فقد انتهج خطه عمه المأمون فی سیاسه التسامح و اللین مع العلویین، و الدفاع عن حریه الرأی و مناصره المعتزله، الا انه فی الناحیه العسکریه اتبع سیاسه ابیه فی الاعتماد علی الجند الاتراک الذین ازداد نفوذهم علی عهده، و توسع سلطانهم و تدخلهم فی شؤون الدوله. مما کان له اثر مهم فی اضعاف الخلافه خاصه و الدوله العربیه بصوره عامه. اذ انصرف هؤلاء الی العمل علی تطمین مصالحهم و تأمین ارزاق جندهم غیر مبالین بمصلحه الخلافه و الدوله، بل انهم استغلوهما لتحقیق غایاتهم. و سنشیر الی نتائج هذه السیاسه و تأثیرها فی الفصل الخاص بالنزاع بین الخلفاء و الجند الاتراک.

و مع کل ما تقدم یمکن القول ان ایام الواثق باللّه التی دامت خمس سنوات و نصف السنه، کانت عهد سلام و هدوء لا یشوبها سوی تعسفه بأمر المحنه و امتحان الناس بخلق القرآن، و بعض الاضطرابات الداخلیه التی سرعان ما کان یقضی علیها.

۲- صفاته و سیرته:

ولد الواثق باللّه بطریق مکه(۱)، لعشر بقین من شعبان سنه ۱۹۶ ه(۲). و مما یؤید صحه تاریخ مولده هذا ان المسعودی یقول ان عمره کان یوم بویع بالخلافه احدی و ثلاثین سنه و بضعه أشهر(۳). و امه ام ولد رومیه اسمها قراطیس(۴). و قد توفیت و هی فی طریقها الی مکه فی اوائل ذی القعده من اولی سنی حکمه، و دفنت فی الکوفه فی دار داود بن عیسی(۵).

یتقارب المؤرخون فی وصف الواثق باللّه بأنه کان ابیض اللون تعلوه صفره جمیلا، قائم العین الیسری و فیها نکته بیاض. الا ان المسعودی و ابا المحاسن یقولان ان نکته البیاض فی عینیه الاثنتین.

و ینفرد صاحب الذهب المسبوک بان النکته فی عینه الیمنی. کما ینفرد المسعودی بانه کانت تعلوه حمره(۶)، بدل الصفره.

۱- الطبری ۹/ ۱۵۱ و الکامل ۷/ ۳۰.

۲- العقد الفرید ۵/ ۱۲۲، و تاریخ الخلفاء/ ۳۴۰.

۳- مروج الذهب ۴/ ۶۵.

۴- الطبری ۹/ ۱۲۳، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۳.

۵- الطبری ۹/ ۱۲۳.

۶- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵، و العبر ۱/ ۴۱۲، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴، و تاریخ الخلفاء/ ۳۴۲، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۳.

و عرف عن الواثق بالله انه كان يتشبه بعمه المأمون فی كثير من اخلاقه. و يقول ابن الطقطقی انه كان يتشبه بالمأمون فی حركاته و سكناته(۱). و يعلل صاحب خلاصه الذهب المسبوك ذلك بأن المأمون هو الذی رباه فتقبل افعاله(۲). ای انه تأثر به و اقتدی بافعاله. و يكاد يجمع من كتب عنه من المؤرخين القدامی انه كان من افاضل خلفاء بنی العباس، كثير المعروف، واسع العطاء، سهل الانقياد، محببا الی الرعيه(۳). دخل عليه مؤدبه هارون بن زياد يوما فأكرمه و اظهر من بره به ما يلفت النظر، فقيل له: من هذا يا امير المؤمنين الذی اكرمته كثيرا؟ قال: هذا اول من فتق لسانی بذكر اللّه و ادنانی من رحمه اللّه عز و جل(۴).

و كتب اليه محمد بن حماد بيتين من الشعر هما(۵):

جذبت دواعی النفس عن طلب الغنی و قلت لها عفی عن الطلب النزر

فأن أمير المؤمنين بكفه مدار رحی الارزاق دائبه تجری

فوقع الواثق باللّه: جذبك نفسك عن امتهانها دعا الی صونك بسعه فضلی عليك، فخذ ما طلبت هنيئا.

۱- الفخری/ ۲۱۵.

۲- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۴.

۳- مروج الذهب ۴/ ۳۱۹، و الفخری/ ۲۱۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۳.

۴- تاريخ بغداد ۱۴/ ۱۷.

۵- نفس المصدر.

و لعل ابرز ما اتصف به الواثق باللّه من الاخلاق الحميده انه كان واسع الحلم كثير التسامح. فلم يكن فى الخلفاء احد احلم منه و لا أصبر على اذى(۱). و هناك اخبار تدل على سعه حلمه و ميله الى التسامح. فقد كان يعجبه سماع المغنى ابى حشيشه الطنبورى، فوجد المسدود المغنى عليه من جراء ذلك. فهجاه فى بيتين من الشعر كتبهما فى رقعه كانت معه، و كان كتب على رقعه اخرى حاجه يريد ان يرفعها اليه، فأخطأ و ناوله رقعه الشعر بدلا عنها، فقرأها الواثق باللّه و كان فيها:

من المسدود فى الانف الى المسدود فى العين

انا طبل له شق فيا طبلا بشقين

فعلم انها فيه، فقال للمسدود: خلطت بين الورقتين، فهات الاخرى و خذ هذه، و احترس من مثل هذا، و لم يزد على ذلك شيئا(۲). و عند ما غضب الواثق باللّه على المغنى المذكور و نفاه الى عمان، ثم عفا عنه و كتب فى اعادته الى سامرا، نصحه بان لا يعاود ممازحه خليفه و ان اذن له، و قال له: فليس كل احد يحضره حلمه كما حضرنى فيك(۳).

و بلغ من تسامحه ان ابنه مروان بن محمد آخر الخلفاء الأمويين فى الشام، لما دخلت عليه و استعطفته امر برد اموالها

۱- الاغانى ۲۰/ ۲۹۰، و الهفوات النادره/ ۱۸.

۲- الاغانى ۲۰/ ۲۹۱، و الهفوات النادره/ ۱۸- ۱۹.

۳- الاغانى ۲۰/ ۲۹۰.

علیها و بالغ فی الاحسان الیها(۱). و کان ابن الزیات قد امر بحبس احد کبار الکتاب هو سلیمان بن وهب فی خلافه الواثق باللّه، و کان سلیما آیسا من الفرج. فوردت علیه رقعه من اخیه الحسن بن وهب تخفف من جزعه و توصیه بالصبر، فاجاب بما یدل علی التفاؤل. فوقعت الرقعتان بید الواثق باللّه، فأمر باطلاق سلیمان و قال: و اللّه لا ترکت فی حبسی من یرجو الفرج و لا سیما من خیر منی، فاطلقه علی کره من ابن الزیات(۲).

و عرف عن الواثق باللّه شده رعایته لافراد عائلته من العباسیین، و ابناء عمومته من العلویین فکان بارا بهم لا یرد طلباتهم، و یعاونهم فی حل مشاکلهم. علی ان رعایته هذه لم تقتصر علی ذوی قرباه، بل شملت رعایاه کافه. فقد کان واسع المعروف، متفقدا شؤون الرعیه(۳). یتفقد احوال الناس و لا یبخل بمساعدتهم مالیا، و العمل علی ما فیه صلاحهم. اذ کان حسن التفکیر فی صلاح الرعیه، کما یقول صاحب خلاصه الذهب المسبوک(۴). یقول الیعقوبی: فرق الواثق باللّه اموالا جمه بمکه و المدینه و سائر البلدان، و علی الهاشمیین و سائر قریش، و الناس کافه، و قسم فی بغداد قسما کبیره مره بعد اخری، علی اهل البیوتات و عامه الناس(۵).

و قال الواثق باللّه یوما لقاضی قضاته، و قد ضجر بکثره حوائجه: لقد اخلیت بیوت الاموال بطلباتک للائذین بک

۱- المستطرف ۱/ ۱۸۹.

۲- الفرج بعد الشده ۱/ ۱۸۶- ۱۸۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۶۶.

۴- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۴.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

و المتوصلين اليک. فقال: يا امير المؤمنين، نتائج شكرها متصل بک، و ذخائر اجرها مكتوب لک، و مالى من ذلک الا عشق الآلسن لخلود المدح فيک. فقال: يا ابا عبد اللّه، و اللّه لا منعتک ما يزيد فى عشقک و تقوى به منتک، و امر فاخرج اليه ثلاثون الف دينار يصرفها فى الزوار(۱).

اننا قد نستنكر بمفاهيمنا الحاليه مثل هذا الموقف من الخليفه، و هو رئيس الدوله الاعلى و المسؤول شرعا عن امور رعيته كافه، و نرى توجيه قاضى قضاته اياه من باب الاستعطاف و التوسل. الا اننا اذا اخذنا مقاييس عصر الواثق باللّه بنظر الاعتبار و علمنا ان اموال بيت المال هى صافى ايرادات الدوله بعد ان حسمت منها النفقات المحليه فى كل ولايه و اقليم بحيث لا يترتب على بيت المال من النفقات سوى نفقات الخليفه على بلاطه و حرسه و حاشيته و آل بيته، و ما ينفقه على مجالسه و ملاهيه. و لذلک فان اطلاق بعض الاموال لاسعاف المحتاجين و مساعده المعوزين انما يعتبر تبرعا من الخليفه و معونه منه.

و ان انفاقه بعض الأموال فى هذه الاغراض دليل على مدى عنايته بشؤون الامه. اذ كان باستطاعته انفاقها على ملذاته الخاصه كشراء الجوارى و تشييد القصور المترفه، و منح مادحيه من الشعراء، و امثال ذلک.

و كان الواثق باللّه اديبا فنانا مولعا بالشعر و الغناء و التلحين، متتبعا اخبار الأولين، و سنشير الى شعره و اهتمامه بالغناء عند الكلام على مجالسه العلميه و الادبيه و الغنائيه.

۱- المحاسن و المساوى ء/ ۴۳۹.

جاء فی کتاب التاج عند الکلام علی امارات الخلفاء لجلسائهم بالانصراف، ان الواثق باللّه کان اذا اراد ان یصرف جلساءه و سماره تثاءب و مس عارضیه(۱). و عند ذکر عادات الخلفاء فی الشرب و اللباس، اشار الی ان الواثق باللّه ربما ادمن علی الشرب و تابعه، غیر انه لم یکن یشرب فی لیله الجمعه و لا فی یومها(۲).

و هو بذلک یشبه اباه المعتصم باللّه، و ربما کان یقلده فی مواعید شربه. و کان الواثق باللّه اذا شرب و سکر رقد فی موضعه الذی سکر فیه، و من سکر من ندمائه ترک فی مکانه و لم یخرج(۳).

و یظهر ان الواثق باللّه کان مثل ابیه ایضا فی عنایته بلبسه، فهو لا یلبس القمیص الا لبسه واحده، الا اذا کان نادرا غریبا.

او کان معجبا به(۴). و کان شدید العنایه بالعطر و بخاصه عطر الغالیه، اذ کان یحفظها لیتقادم عهدها فیجود نوعها و تزکو رائحتها(۵).

۳- رجال الدوله فی عهد الواثق باللّه:

یذکر المسعودی فی مطلع بحثه عن خلافه الواثق باللّه خبرا یرویه عن الشاعر ابی تمام الطائی. خلاصه ما جاء فیه(۶): ان ابا تمام کان قصد سر من رأی فی اول یوم خلافه الواثق باللّه، فلقیه اعرابی قریبا منها. فاستطلع ابو تمام منه عما یعرف عن الخلیفه و عاصمته و رجال دولته البارزین و عن عسکره. فاجاب الاعرابی

۱- التاج/ ۱۲۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۵۳.

۳- العقد الفرید ۶/ ۶۰، و المستطرف ۲/ ۱۵۵.

۴- التاج/ ۱۵۴.

۵- نشوار المحاضره ۱/ ۲۸۹.

۶- مفصل الخبر فی مروج الذهب ۴/ ۶۶- ۶۸.

واصفا الواثق باللّه و رجاله كلا بما هو مشهور عنه، و ادعى بسعه معرفته بعاصمه الخلافه، و علاقته المتينه باهلها و عسكرها.

و ينتهى الخبر بشهاده الاعرابى بأن ابا تمام اشعر اهل زمانه.

و يظهر ان هذا هو بيت القصيد من الخبر.

و يلاحظ ان المسعودى يؤيد صحه ما اشتمل عليه الخبر من صفات و نعوت اسبغها الاعرابى على الخليفه و على رجال عهده الأ انه يشك فى صحه روايته. فهو يرى ان كان ما رواه ابو تمام صحيحا فان الاعرابى قد احسن الوصف، و ان كان ابو تمام هو الذى صنع الخبر و عزاه الى هذا الاعرابى فانه مقصر فى نظمه لأنه دون منزلته الأدبيه. و لما كان من الصعب، ان لم يكن من المستحيل على شخص بدوى بعيد عن حياه المدن و عن الاتصال بالخليفه و رجال دولته، ان يلم بمثل هذه التفصيلات عنهم و عن اعمالهم و عن اراء الناس فيهم. و لذلك فهو يرجح ان ابا تمام وضع هذا الخبر، فعمد الى وصف الخليفه و رجاله بطريق الروايه عن غيره، ليكون بمنأى عن غضب و نقمه من وصفهم بسوء.

لقد وصف الخليفه بأنه وثق باللّه فكفاه اشجى العاصيه، و عدل فى الرعيه، و رغب عن كل ذى جنايه. و قال عن احمد بن ابى دواد انه هضبه لا ـ ترام و جبل لا يضام، تشحذ له المدى و تنصب له الحبائل حتى اذا قبل هلك، وثب وثبه الذئب و ختل ختله الضب. و ابن ابى دواد هذا هو قاضى القضاه. و كان المأمون قد اكتشف فيه سعه العلم وحده الذكاء و نضج الرأى، و قد غدا فى عهد المعتصم باللّه الرجل الأول فى الدوله بعد الخليفه، و احتفظ بمركزه المرموق فى ايام الواثق باللّه. و يظهر الخبر انه كانت تحاك ضد ابن ابى دواد كثير من المكائد فيتغلب عليها.

و قال عن الوزير محمد بن عبد الملک الزيات انه وسع الدانی شره و وصل الی البعيد ضره، له فی کل يوم صريع لا يری فيه أثر ناب و لا مخلب. لقد کان ابن الزيات سياسيا ماهرا و اداريا قديرا، الا انه کان حقودا قاسيا لا يرحم، اذا رأی أثر نعمه علی احد سعی لازالتها و نکبه صاحبها و هذا ما يؤکده الخبر.

اما عن عمر الرخجی فقال انه ضخم نهم، استعذب الدم، ينصبه القوم ترسا للوغی. و کان الرخجی هذا من کبار الکتاب، کتب للمأمون. و تولی فی عهد الواثق باللّه ديوان النفقات، و کان نهما سی ء السيره، مما اضطر الخليفه ان يعين رقيبا علی اعماله.

و قال عنه القاضی ابن ابی دواد: ما صحب السلطان أرجل و لا اخبث من عمر بن فرج الرخجی(۱).

و وصف الفضل بن مروان بأنه رجل نبش بعد ما قبر، ليس تعد له حياه فی الأحياء، و عليه خفقه الموتی. و هو يصفه بعد خروجه من السجن ذليلا، اذ کان المعتصم باللّه قد اقصاه عن الوزاره و استصفی امواله و امر بسجنه.

و هکذا يستمر فی وصف ابی الوزير احمد بن خالد، و الأخوين سليمان و الحسن ابنی وهب، و ابراهيم بن رباح، و احمد بن الخصيب، و هم من کبار الکتاب و رؤساء الدواوين. و مهما کان الأمر فان هذا الخبر تضمن امرين مهمين، اولهما انه يعرفنا برجال الدوله البارزين فی عهد الواثق باللّه، و ثانيهما انه يصف کلا منهما بما يراه الناس فيه من صفات حسنه او سيئه، و الواقع انه، کما يقول المسعودی، قد احسن فی وصفهم.

۱- الفرج بعد الشده ۴/ ۱۷.

۴– مصادره الکتاب:

و مما له علاقه بشؤون الرعیه المبادره الاصلاحیه التی قام بها الخلیفه الواثق باللّه بمحاسبه کبار الکتاب فی الدوله و تابعیهم علی ما احرزوه من اموال لا تتناسب مقادیرها و مصادر ایرادهم المشروعه، فقد لاحظ ان اکثر المتنفذین من الموظفین کانوا یستغلون مراکزهم فی حیازه الأموال و جمع الثروات بطرق غیر مشروعه کالسرقه و الرشوه. فحاول ان یحد من تعسفهم الناس و یمنعهم من استغلال وظائفهم. و لیس من الواضح ما اذا کان الغرض من مصادره الکتاب و حبسهم اصلاح الجهاز الاداری و المالی، منع الرشوه، و ایقاف استغلال النفوذ، ام مجرد احتواء الخلیفه علی اموال الآخرین ممن اتهموا بالاستغلال. و مهما کان الأمر فان مبادره الخلیفه الی محاسبه کبار موظفیه و الضرب علی ایدی المفسدین منهم بهذه الشده لا بد و انها کان لها أثر فی اصلاح جهاز الدوله المالی و الاداری، و تخفیف و طأه موظفیه علی الرعیه.

علی انه یجب ان لا یغرب عن البال ان تکون هذه المصادره بنفس الوقت عاملا یحفز الموظفین المصادره اموالهم علی تعویضها عند ما تسنح لهم الفرصه بنفس اسالیبهم السابقه، بل و باسالیب قد قد تکون اشد منها تعسفا و جورا.

و کان السبب المباشر لغضب الواثق باللّه علی الکتاب انه سأل ندماءه ذات لیله عن سبب نکبه البرامکه. فقال احدهم ان الخلیفه هارون الرشید اشتری جاریه بمائه الف دینار. فاستکثر وزیره یحیی بن خالد هذا المبلغ و اخبر الرشید انه لا یقدر علی هذا المال، فغضب و قال لا بد منه. فارسل یحیی المبلغ بالدراهم لیستکثره الرشید. و بالفعل امر الرشید برد الجاریه، الا انه

اوعز بحفظ المـال ببيت مـال خاص به. ثم اخـذ فى البحث عن الاموال فوجـد ان البرامكه قـد فرطوا بها. و كان اعتاد ان يحضـر مجلس الرشـيد احـد النـدماء يعرف بـابى العـود، فـأمر له الخليفه يومـا بثلاـثين الـف درهم، فمـاطله يحيى. فاحتـال ابـو العود فى تحريض الرشيد عليه، و قد شاع انه قد تغير على البرامكه، فانشده ذات ليله قول عمر بن ابى ربيعه:

و عدت هند و ما كانت تعدليت هندا انجزتنا ما تعد

و استبدت مره واحدهانما العاجز من لا يستبد

فلمـا علم يحيى بـذلك حـاول ان يسترضـى ابا العود باعطائه المبلغ الـذى امر له الرشـيد به، و اضاف اليه عشـرين الف درهم من عنده. الا ان الرشيد جد فى امر البرامكه حتى أخذهم(۱).

فقال الواثق باللّه: صدق و اللّه جدى انما العاجز من لا يستبد. و اخذ فى ذكر الخيانه و ما يستحقه اصحابها. و لم يمض غير اسبوع واحـد حتى امر بحبس عـدد من الكتاب و ضـربهم، و الزمهم اموالا كثيره قارب مجموعها الفى الف دينار، سوى ما ما اخـذه من العمال بسبب عمالاتهم. و جاء فى الطبرى انه اخذ من احمد بن اسرائيل ثمانين الف دينار و امر بضربه، فضرب فيما قيل نحوا من الف سوط. و اخذ من سليمان بن وهب اربعمائه

۱- مفصل الخبر فى الطبرى ۹/ ۱۲۶- ۱۲۷، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۷- ۵۲۸، و الكامل ۷/ ۱۰- ۱۱.

الف دینار و من الحسن بن وهب اربعه عشر الف دینار، و اخذ من احمد بن الخصیب و کتابه الف الف دینار، و من ابراهیم بن رباح و کتابه مائه الف دینار، و من نجاح بن سلمه ستین الف دینار، و من ابی الوزیر مائه الف دینار و اربعین الف دینار(۱). و ذکر مثل ذلک مسکویه و ابن الأثیر، سوی ان مسکویه ذکر ان مجموع ما صودر من الحسن بن وهب و ابی الوزیر هو مائتا الف دینار، ای بزیاده سته و اربعین الف دینار. عما ذکره الطبری و ابن الأثیر(۲).

اما الیعقوبی فیقول عن هذه المصادره ان الواثق باللّه رفع الیه ان احمد بن الخصیب قد حاز اموالا عظیمه فسخط علیه و قبض امواله و اموال اخیه ابراهیم و عذبا و عذبت امهما، کما ان الواثق بالله سخط علی ابراهیم بن رباح الذی ولاه دیوان الضیاع، و امر بقبض ضیاعه و امواله(۳). و لم یذکر المبالغ التی صودرت منهم.

و قیل ان الذی دفع الواثق باللّه الی القبض علی احمد بن الخصیب و سلیمان بن وهب و مصادرتهما انه غنی ذات لیله هذا الصوت:

من الناس انسانان دینی علیهمامليئان لو شاءا لقد قضیانی

خلیلی اما ام عمرو فمنهماو اما عن الاخری فلا تسلانی

۱- الطبری ۹/ ۱۲۵.

۲- تجارب الامم ۶/ ۵۲۸، و الکامل ۷/ ۱۰.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۱.

فدعا خادما لأبیه المعتصم باللّه، و قال له: انی سمعت ابی یتمثل بهذین البیتین و ینظر الیک، فمن اللذان کان یعنی بهما؟

فاخبره الخادم ان اباه وقف علی خیانه احمد بن الخصیب و سلیمان بن وهب بمبلغ من المال، و کان یبغی الایقاع بهما. فبادر الواثق باللّه الی القبض علیهما(۱).

کما قیل ان الوزیر بن الزیات هو الذی حرض الواثق باللّه علی نکبتهما(۲). اذ کان قد صنع شعرا اوصله الیه علی انه لبعض الشعراء و فیه اتهام ابن الخصیب و ابن وهب بالخیانه فی الاموال. و جاء فیه:

و لیت اربعه امر العباد معاو کلهم حاطب فی حبل محتبل

هذا سلیمان قد ملکت راحته مشارق الأرض من سهل و من جبل

خلافه قد حواها وحده فمضت احکامه فی دماء القوم و النقل

و ابن الخصیب الذی ملکت راحته خلافه الشام و الغازین و القتل

فنیل مصر فبحر الشام قد جریابما اراد من الاموال و الحلل

۱- الاغانی ۲۰/ ۲۶۸.

۲- نفس المصدر/ ۲۶۹.

حوی سلیمان ما کان الأمین حوی من الخلافه و التبلیغ بالأمل

و احمد بن الخصیب فی امارته کالقاسم بن الرشید الجامع السیل

و فی آخر الشعر تحریض علی الفتک بهما، کما فتک هارون الرشید بالبرامکه بعد ان اساءوا استعمال سلطتهم، اذ جاء فیه:

سمیت باسم الرشید المرتضی فیه قس الامور التی تنجی من الزلل

عث فیهم ما عاثت یداه معاعلی البرامک بالتهدیم للقلل

فلما وصل الشعر الی الواثق باللّه غاظه ما جاء فیه و بلغ منه، فأمر بالقبض علیهما. و کان سلیمان بن وهب کاتب القائد الترکی ایتاخ، و ابن الخصیب کاتب القائد اشناس. و کانا هذان القائدان الترکیان قد شددا قبضتهما علی شؤون الدوله مما فسح المجال لکاتبیهما استغلال مرکزیهما فی احتواء الأموال بمختلف الأسالیب. و مما یدل علی ان الشعر المذکور من صنع ابن الزیات ان ابراهیم بن العباس الذی تصدی لهجائه و تتبع سقطاته، قال عند ما قبض علی الکاتبین المذکورین، یخاطبه(۱).

ایها ابا جعفر و للدهر کرات و عما یریب متسع

۱- الاغانی ۲۰/ ۲۷۱.

ارسلت ليثا على فرائسه و انت منها فانظر متى تقع

لكنه قوته و فيک له و قد نقضت اقواته شبع

و لما هجا على بن الجهم الوزيران ابن الزيات بقصيدته التى كان مطلعها:

لعائن الله موفرات مصبحات مهجرات

هم الواثق باللّه بالفتک بوزيره، الا ان اسحاق الموصلى الذى كان مقربا جدا من الخليفه شفع له، اذ قال للواثق باللّه: أمثل ابن الزيات على خدمته و كفايته يفعل به هذا، و ماجنى و ما خانک، و انما دلک على خونه اخذت ما اختانوه، و هذا هو ذنبه(۱). فمحا بذلک ما كان فى نفس الخليفه على وزيره.

و يظهر أن حبس الكتاب و مصادرتهم قوبلت بالرضا من الناس، فقد قال أحمد بن فنن(۲).

نزلت بالخائنين سنهسنه للناس ممتحنه

سوغت ذا النصح بغيته و ازالت دوله الخونه

و ترى اهل العفاف بهاو هم فى دوله حسنه

و قد تولى حبس الكتاب و مصادرتهم صاحب حرس الخليفه الأمير اسحاق بن يحيى(۳). و يفهم من خبر اورده بن الطقطقى ان

۱- نفس المصدر/ ۲۷۲.

۲- نفس المصدر/ ۲۷۱.

۳- الطبرى ۹/ ۱۲۵، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۵۶.

عددا منهم لبث فی السجن مطالبا بالأموال طیله عهد الواثق باللّه.

و هم ابن المدبر و سلیمان بن وهب و احمد بن اسرائیل. فلما جاءهم نبأ موت الواثق باللّه هربوا من السجن لیلا(۱). الا ان الطبری یقول ان الواثق باللّه لما امر بحبس سلیمان بن وهب و اخذه بمائتی الف دینار ادی منها مائه الف و سأل ان یؤخذ بالباقی عشرین شهرا فاجابه الخلیفه الی طلبه و امر بتخلیه سبیله ورده الی کتابه ایتاخ(۲). علما انه سبقت الاشاره الی ان سلیمان بن وهب قد اخذ منه اربعمائه الف دینار، مما یرجح انه قد صودر اکثر من مره.

و تعتبر مصادره الکتاب من مظاهر حکم الواثق باللّه البارزه، و یظهر انه اتخذها وسیله لمعاقبه الکتاب و العمال. الا انها اصبحت من بعده فی عهد اخیه المتوکل علی اللّه، مصدرا مهما من مصادر ایرادات بیت المال.

۵- وفاه الواثق باللّه:

توفی الواثق باللّه بالقصر الهارونی فی سامرا یوم الاربعاء لست لیال بقین من ذی الحجه من سنه **۲۳۲** ه. و یتفق معظم المؤرخین علی ان سبب وفاته اصابته بعله الاستسقاء، و انه عند ما اشتدت علته حفر له فی الأرض حفیر کالتنور ثم سخن بالحطب الطرفاء و صیر فیه مرارا، فوجد لذلک راحه. و طلب فی الیوم التالی زیاده

۱- الفخری/ ۲۲۵- ۲۲۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۵، و الکامل ۷/ ۲۹. و الکامل ۷/ ۲۹.

تسخینه و قعد فیه اکثر من الیوم الأول فحمی علیه، و حمل عنه فی محفه فمات علی اثر ذلک(۱).

و عند ما اشتد المرض علی الواثق باللّه، وصل خبر مرضه الی مکه قبل موسم الحج، فوجه و الیها الی سامرا بماء زمزم و خلوق من خلوق الکعبه(۲). و ذلک لاستخدامها فی غسل الخلیفه و تجهیزه عند وفاته. و کان الواثق باللّه امر قاضی القضاه احمد بن ابی دواد ان یصلی بالناس یوم الأضحی، فصلی بهم یوم العید، لأنه لم یقدر علی الحضور الی المصلی لشده علته، و قد دعا ابن ابی دواد للخلیفه فقال: اللهم اشفه مما ابتلیته(۳).

و جاء فی الطبری انه لما اعتل الواثق باللّه علته التی مات فیها أمر باحضار المنجمین فاحضروا، و کان ممن حضر الحسن بن سهل و الفضل بن اسحاق الهاشمی، و اسماعیل بن نوبخت، و محمد بن موسی الخوارزمی، و عامه من ینظر فی النجوم. فنظروا فی علته و نجمه و مولده فقالوا: یعیش دهرا طویلا، و قدروا له خمسین سنه مستقبله، فلم یلبث الا عشره ایام حتی مات(۴).

و قیل انه لما احتضر جعل یردد هذین البیتین:

الموت فیه جمیع الناس مشترک لا سوقه منهم تبقی و لا ملک

ما ضر اهل قلیل فی تفاقرهم و لیس یغنی عن الاملاک ما ملکوا

۱- الطبری ۹/ ۱۵۰، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵

۲- المعرفه و التاریخ ۱/ ۲۰۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۸۴.

۴- الطبری ۹/ ۱۵۱.

و امر بالبسط فطویت، و الصق خده بالأرض، و جعل یقول:

یا من لا یزول ملکه ارحم من زال ملکه، یکررها الی ان مات(۱).

و کان یقول فی علته: لوددت انی اقلت العثره، و انی حمال احمل علی رأسی. و قیل له فی البیعه لابنه، فقال: لا یرانی اللّه اتقلدها حیا و میتا(۲).

و حضر عند وفاته جماعه من الهاشمیین، و محمد بن عبد الملک الزیات، و احمد بن ابی دواد، و عمر بن فرج الرخجی، فلم یشعروا بموته حتی ضرب بوجهه المحنه(۳). و یقال انه لما سجی عند وفاته و شغل المجتمعون حوله بأمر بیعه خلفه، تسلل جرذ من البستان و أکل احدی عینیه(۴).

و مات الواثق باللّه و مجموع ما فی بیت المال من العین خمسه آلاف الف دینار و من الورق خمسه عشر الف الف درهم(۵).

و خلف من الاولاد الذکور خمسه هم: محمد الذی تولی الخلافه بعد المعتز باللّه و لقب بالمهتدی باللّه، و ابراهیم ابو اسحاق، و محمد ابو اسحاق، و ابو القاسم عبد الله الذی التحق بابن اللیث الصفار لما قتل اخوه المهتدی بالله، و ابو العباس احمد و کان عالما فاضلا، و من البنات اثنتان هما: العباسه و قد تزوجها المستعین باللّه، و عائشه و تزوجها المستعین باللّه ایضا لما ماتت اختها(۶).

۱- الکامل ۷/ ۲۹، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۵۵، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۳.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

۳- الکامل ۷/ ۳۰، و تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰، و نشوار المحاضره ۲/ ۷۳- ۷۴.

۴- الکامل ۷/ ۳۰، و تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰، و نشوار المحاضره ۲/ ۷۳- ۷۴.

۵- الذخائر و التحف/ ۲۱۸.

۶- العقد الفرید ۵/ ۱۲۲، و الذهب المسبوک/ ۲۲۵، و الکامل/ ۳۱، و العقد الفرید ۵/ ۱۲۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵.

و قـد اختلف المؤرخون فی عمره عنـد وفاته، اذ یـذکر الیعقوبی انه توفی و عمره اربع و ثلاثون سـنه، و یتردد المسـعودی فیذکر مره ان عمره اربع و ثلاثون سـنه، و مره اخری سبع و ثلاثون سنه و سته اشهر، و یفعل مثله الطبری و ابن الأثیر فیقولان کان عمره اثنتین و ثلاثین سـنه و قیل ستا و ثلاثین سنه، و احتسبه ابن عبد ربه ستا و ثلاثین سنه و اربعه اشهر و ایام، و اعتبره مسکویه ستا و ثلاثین سنه، و یقول ابن دحیه انه توفی و له اثنتان و اربعون سنه(۱).

و لا شک فی ان هذا الاختلاف ناشی ء عن اختلافهم فی تاریخ مولده.

و قـد سبق ان اشـرنا الی ان ابن عبـد ربه و السـیوطی یذکر ان مولده کان لعشـر بقین من شـعبان من سـنه ۱۹۶ و یؤیـد الخطیب البغدادی سنه میلاده المذکوره(۲). و اذا ما اخذنا هذا التاریخ اساسا للاحتساب کان عمره ستا و ثلاثین سنه و اربعه اشهر و ایاما، و هو ما ذکره ابن عبـد ربه. علی ان الخطیب البغـدادی یروی عن احمد بن الواثق باللّه انه قال: بلغ ابی ثمانیا و ثلاثین سـنه(۳). و قد دفن الواثق باللّه بسامرا، و کان اخوه جعفر قد صلی علیه عند دفنه(۴).

اما مده خلافته فقد اتفق المؤرخان الیعقوبی و المسـعودی، و الادیب ابن عبد ربه علی انها کانت خمس سـنوات و تسـعه اشهر و ثلاثه عشر یوما(۵). و یقرب منهم الطبری و ابن الأثیر اللذان

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳، و مروج الذهب ۴/ ۶۵، و الطبری ۹/ ۱۵۱، و النبراس/ ۷۵.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۶.

۳- نفس المصدر/ ۲۰.

۴- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۱، و العقد الفرید ۵/ ۱۲۲.

۵- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳، و مروج الذهب ۴/ ۶۵، و العقد الفرید ۵/ ۱۲۲.

یتفقـان معهم فی عـدد السـنوات و الأشـهر و یختلفـان فی عـدد الایام فاحتسـباها خمسه ایام بـدلا من ثلاثه عشـر(۱). و جـاء فی تجارب الأمم ان مـده خلافته خمس سـنوات- اما ابو المحاسن، و هو شدیـد الاهتمام باحتساب هـذه التواریـخ، فقد احتسب مده خلافته خمس سنوات و سته اشهر(۲).

و نظرا لاتفاق المؤرخین المذکورین فی تاریخ مبایعه الواثق باللّه بالخلافه و تاریخ وفاته، فقد کان من الطبیعی ان یتفقوا فی مده خلافته. و لا نـدری ما اذا کانت الفروق بین ما ذکروه نتیجه و هم او خطأ حسابی. لأن المده بین تاریخ مبایعته و تاریخ وفاته هی خمس سنوات و تسعه اشهر و خمسه ایام، و هی المده التی ذکرها الطبری و ابن الأثیر.

و کـان الواثق بـاللّه نوی اداء فریضه الحـج فی موسم السـنه ۲۳۱ ه، و اسـتعد لـذلک، و وجـه عمر بن فرج الرخجی الی اصـلاح الطریق، فاخبره ان الماء قلیل فی هذا الموسم، فلم یخرج فی تلک السنه(۳). و مرض فی السنه التالیه فی موسم الحج فعاقه ذلک عن عن الخروج، و ادرکته الوفاه فی اواخر ذی الحجه من السنه نفسها.

۱- الطبری ۹/ ۱۵۱، و الکامل ۷/ ۳۱.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۶۲.

۳- الطبری ۹/ ۱۴۰.

الفصل الرابع المتوکل علی الله ابو الفضل جعفر بن المعتصم باللّه

۱- مبایعته:

توفی الواثق بـاللّه و لم یکن قـد عهـد لأحـد بعـده بالخلافه. و کـان قـد قیل له فی البیعه لابنه، فقال: لا یرانی اللّه اتقلـدها حیا و میتا(۱). و کان ابنه محمد صغیر السن، کما ان علاقته باخیه جعفر لم تکن ودیه، و لم یکن یتوسم فیه الکفایه لمنصب الخلافه.

و یبـدو ان اختلاف امهات الاخوین کان سـبب النفره و التباغض بینهما لأن ابناء العلات- ای ابناء الرجل من نسوه شتی یختلفون و یتباغضون عاده. و قد اذل الواثق اخاه فی عهد خلافته، مما ملأ نفس جعفر حقدا علی اخیه و علی رجاله.

عند ما مات الواثق باللّه حضر رجال الدوله الی دار الخلافه، و علی راسهم الوزیر محمد بن عبد الملک الزیات، و قاضی القضاه

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳.

احمد بن ابی دواد، و ابو الوزیر احمد بن خالد، و کبار القواء الاتراک ایتاخ و وصیف و بغا الکبیر و غیرهم. فعزموا علی مبایعه محمد بن الواثق باللّه، فرأوه لا یزال صبیا صغیرا. و قد اعترض القائد وصیف بانه صغیر لا تجوز معه الصلاه(۱). فتناظر الحاضرون فیمن یولونه الخلافه، و ذکروا عده اسماء من امراء بنی العباس. ثم اتفقوا علی مبایعه جعفر اخی الواثق باللّه. فلما احضروه استقبله قاضی القضاه و البسه الطویله و عممه و قبله بین عینیه و سلم علیه بالخلافه. فبایعه الحاضرون(۲). و اول من بایعه القائدان وصیف وسیما المعروف بالدمشقی(۳).

و روی المتوکل علی اللّه نفسه کیف تمت مبایعته، قال ما خلاصته: احتجمت فی الیوم الذی توفی فیه الواثق باللّه و انا لا اعلم بوفاته، فقالت لی امی امضی الی اخیک وعده فی مرضه. فذهبت لزیارته و دخلت الدار و جلست بحیث کنت اجلس، فسمعت حرکه غیر اعتیادیه، فنظرت من ثقب الباب فرأیت محمد عبد الملک الزیات و ایتاخ و معهما محمد بن الواثق یلبسانه الرصافیه، و لما بدت کبیره علیه، قال احدهما: نعممه، ثم قال فما نفعل بجعفر، فقال محمد بن عبد الملک: نقتله بالتنور، و قال ایتاخ: بل ندعه فی الماء البارد حتی یموت و لا یبین علیه اثر القتل. فغشی علی لما سمعته من عزمهما فی امری. ثم لم یلبث ان حضر احمد بن ابی دواد فدخل و تکلم معهما کلاما لم اسمعه لما کنت فیه من خوف

۱- الطبری ۹/ ۱۵۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

۲- نفس المصدرین السابقین.

۳- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴.

و ضعف. ثم نودی علیّ فدخلت علیهم وجلا خائفا، الا ان ابن ابی دواد لقینی فقبل یدی و قادنی الی السریر و قال لی: اصعد الی المکان فقد اهلک اللّه تعالی له. فلما صعدت و جلست سلم علی بالخلافه. و سلم علی بها محمد و ایتاخ ایضا. و اخذ ابن ابی دواد علیهما البیعه لی، و ادخل القواد و الموال علی مراتبهم یسلمون و یبایعون. ثم علمت فیما بعد ان محمد بن عبد الملک و ایتاخ کانا قد اتفقا علی ما سمعته منهما، و وکلا بباب الحجره من یمنع دخول قاضی القضاه الیهما حتی یفرغا من تدبیرهما. فلما حضر القاضی هابه الموکلون بالباب ففسحوا له فدخل. فلما علم انصرافهما عن ابن الواثق باللّه لصغر سنه، تداول معهما فیمن یبایعون، و ذکروا بعض الاسماء، و لما ورد اسمی قال ابن ابی دواد لهما: اصفقا علی یدی فصفقا، ثم ارسلوا الی فکان من الأمر ما کان. و بقی ما قاله محمد بن عبد الملک و ایتاخ فی نفسی فقتلتهما بما اعتزما قتلی به، فقتلت ابن الزیات بالتنور، و ایتاخ بالماء البارد(۱).

و لقب جعفر فی الیوم التالی بالمتوکل علی اللّه. و قد اراد ابن الزیات ان یلقبه بالمنتصر، فقال ابن ابی دواد: لقد رأیت لقبا موافقا هو المتوکل علی اللّه. فوافق الخلیفه علیه و امر ان یکتب به الی مختلف الولایات(۲). و کانت نسخه الکتاب: بسم اللّه الرحمن الرحیم، أمر- ابقاک اللّه- امیر المؤمنین اطال اللّه بقاءه ان یکون الرسم الذی یجری به ذکره علی اعواد منابره و فی کتبه الی قضاته و کتابه و عماله و اصحاب دواوینه و غیرهم من سائر من تجری المکتبه بینه و بینه «من عبد الله جعفر الامام المتوکل علی الله امیر

۱- کامل الروایه فی الهفوات النادره/ ۳۶۲- ۳۶۵.

۲- الطبری ۹/ ۱۵۵، و الکامل ۷/ ۳۴.

المؤمنين» فرأيك فى العمل بذلك و اعلامى بوصول كتابى اليك موفقا ان شاء اللّه»(۱).

و هناك روايه تقول ان سبب هـذا اللقب ان المتوكل على اللّه رأى فى منامه قبل ان يستخلف كأن سكّرا ينزل عليه من السماء مكتوبا عليه «جعفر المتوكل على اللّه»، فقص ذلک على اصحابه، ففسروه بانه سينال الخلافه(۲). و اذا صح هذا الخبر فان حلم المتوكل على اللّه كان انعكاسا لما يحز فى نفسه من الحجر و الحرمان و ما يقاسيه من سوء معامله اخيه الواثق باللّه الذى يرفل فى نعمه الخلافه و قوه السلطان، مما جعله يتمنى فى قراره نفسه ان يكون خليفه مكان اخيه و له لقب الخلافه مثله. او ان يكون الخبر موضوعا اصلا للايحاء بان المتوكل على اللّه كان موعودا بهذا اللقب الذى هو جدير به.

كان عمر المتوكل على اللّه يوم بويع ستا و عشرين سنه، لأنه قد ولد بفم الصلح فى شوال من سنه ۲۰۶ ه(۳). الا ان الخطيب البغدادى يقول سمع المتوكل على اللّه يقول: ميلادى سنه ۲۰۷ ه(۴).

و عند ما تمت البيعه للمتوكل على اللّه امر للاتراک برزق اربعه اشهر، و للجند و الهاشميين ارزاق ثمانيه اشهر(۵)، و للمغاربه برزق ثلاثه اشهر فأبو ان يقبضوا فارسل اليهم من كان منكم مملوكا

۱- الطبرى ۹/ ۱۵۵، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

۲- الطبرى ۹/ ۱۵۵، و الكامل ۷/ ۳۴.

۳- الطبرى ۹/ ۱۵۵، و مروج الذهب ۴/ ۸۵ و فيه سبع و عشرون سنه، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

۴- الطبرى ۹/ ۲۳۰، و تاريخ بغداد ۷/ ۱۶۶.

۵- الطبرى ۹/ ۱۵۵، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۶.

فليمض الى القاضى احمد بن ابى دواد حتى يبيعه و من كان حرا صيرناه اسوه بالجند، فرضوا بذلك، ثم اجروا مجرى الأتراك(۱).

و نقش على خاتمه عباره «جعفر على اللّه يتوكل»(۲).

۲- صفاته و سيرته:

هو ابو الفضل جعفر بن المعتصم باللّه، و امه ام ولد خوارزميه تركيه يقال لها شجاع، و كان من سروات النساء سخاء و كرما(۳).

و يقال انها كانت خيره كثيره الرغبه فى عمل الخير و خلفت من العين خمسه الآف الف و خمسين الف دينار و من الجوهر ما قيمته الف الف دينار(۴). و قد توفيت فى المتوكليه فى ربيع الآخر من سنه ۲۴۷ ه، و صلى عليها حفيدها محمد المنتصر، و دفنت عند المسجد الجامع(۵).

اما صفاته الجسميه فقد وصف بانه كان اسمر رقيق البشره يضرب الى الصفره خفيف العارضين كبير العينين و سيما مهيبا، و كان الى القصر اقرب(۶).

و عند ما تولى المتوكل على اللّه نهى عن الجدل و المناظره و ابطل المحنه. و قد ذكرنا ما قام به فى هذا الباب بشى ء من التوسع فى

۱- الطبرى ۹/ ۱۵۵.

۲- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۴، و الذهب المسبوك/ ۲۲۵ و فيه« على الله توكلت»

۳- تاريخ بغداد ۷/ ۱۶۶.

۴- شذرات الذهب ۲/ ۱۱۷.

۵- الطبرى ۹/ ۲۳۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۱۸.

۶- الطبرى ۹/ ۲۳۰، و التنبيه و الاشراف/ ۳۱۳- ۳۱۴، و تاريخ بغداد ۷/ ۱۷۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷.

موضوع المحنه. و قد ابدى كثيرا من لين الجانب و الاهتمام بشؤون الرعيه. قال لابراهيم بن المدبر و هو احد اصحاب الدواوين: اذا خرج اليك توقيعى بما فيه مصلحه للناس و رفق للرعيه فانفذه و لا تراجعنى فيه، و اذا خرج اليك بما فيه حيف على الرعيه فراجعنى، فأن قلبى بيد الله عز و جل(۱). و قال يزيد المهلبى: قال لى المتوكل على اللّه يا مهلبى ان الخلفاء كانت تتصعب على الرعيه لتطيعها و انا الين لهم ليحبونى و يطيعونى(۲). و مر المتوكل على اللّه يوما بزرع لا يزال اخضر لم يدرك وقت حصاده، فقال: استأذننى عبيد الله بن يحيى فى استفتاح الحراج وارى الزرع اخضر، فمن اين يعطى الناس الخراج؟ فقيل له ان هذا أضر بالناس فهم يقترضون و يتسلفون و ينجلون عن اراضيهم و قد كثرت شكاياتهم. و علم ان سبب ذلك هو المطالبه بالخراج فى ابان النيروز، و نظرا لمنع العرب كبس السنين باعتباره من النسى ء الذى نهى الاسلام عنه، تقدم النيروز حتى صار يقع فى نيسان و الزرع اخضر، فطلب الى ابراهيم بن العباس ان يحسب الأيام بما يؤخر النيروز، ففعل ذلك(۳).

و يبدو ان المتوكل على اللّه اراد تغيير موعد جبايه الخراج بحيث يكون عند حصاد الزرع، الا انه قتل قبل ان يتم تدبير ذلك، و لم يحاول ان يتمه من جاء بعده من خلفاء سامرا حتى استخلف حفيده المعتضد باللّه فأمر باصلاح التقويم بما اخر موعد الجبايه و حقق ما كان حاوله جده، اذ امر فى سنه ۲۸۲ ه بالكتابه الى جميع العمال بترك افتتاح الخراج بالنيروز العجمى، و تأخير ذلك الى

۱- تذكره ابن حمدون/ ۱۰۵.

۲- تاريخ الخلفاء/ ۳۵۲.

۳- الاثار الباقيه/ ۳۲، و الخطط المقريزيه ۱/ ۲۷۵.

اليوم الحادى عشر من حزيران، و سمى ذلک بالنيروز المعتضدى(۱).

لقـد وصف المتوكل على اللّه بالكرم الزائـد الـذى يصل الى حد التبذير، حتى قيل: ما اعطى خليفه شاعرا ما اعطى المتوكل على اللّه(۲). فقد انشده على بن الجهم شعره الذى مطلعه:

هى النفس ما حمّلتها تتحمل و للدهر ايام تجور و تعدل

و فى يد المتوكل جوهرتان فأعطاه التى فى يمينه، فاطرق ابن الجهم متفكرا فى شى ء يقوله ليأخذ التى فى يساره، ففطن و قال:

مالک متفكرا، انما تفكر فيما تأخذ به الأخرى، خذها لا بورک لک فيها(۳). و لكثره ما انفقه المتوكل على اللّه ايام خلافته، قال المسعودى: «و قـد قيـل انه لم تكن النفقـات فى عصـر من الأعصـار و لا وقت من الأوقات مثلها فى ايام المتوكل على اللّه ... مع كثره الموالى و الجنـد و الشـاكريه و درور العطـاء لهم، و جليل ما كانوا يقبضون من الجوائز و الهبات»(۴). و قد انفق على اعذار ابنه المعتز سته و ثمانين الف الف درهم(۵). و وصفت ايامه بانها كانت حسنه فاخره كثيره الخير(۶). و انها «كانت احسن ايام و انضرها من استقامه الملک و شمول الناس بالأمن و العدل»(۷).

۱- الطبرى ۱۰/ ۳۹، و الكامل ۷/ ۴۶۹.

۲- تاريخ الخلفاء/ ۳۵۰.

۳- العقد الفريد ۱/ ۳۲۱.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۲۲.

۵- الديارات/ ۱۵۵.

۶- مشاكله الناس لزمانهم/ ۳۲.

۷- مروج الذهب ۴/ ۸۶.

و مما له علاقه بكثره الانفاق فى عهد المتوكل على اللّه اهتمامه بالعمران و ولعه ببناء القصور. فقد بنى ما ينوف على خمسه عشر قصرا انفق فى بنائها مبالغ طائله. و قد احدث المتوكل على اللّه بناء لم يكن الناس يعرفونه، و هو المعروف بالحيرى نسبه الى مدينه الحيره، فبنى الناس جميعا بسامرا هذا البناء. و قد تكلمنا عن الماحوزه شمالى سامرا اعظم اعماله العمرانيه و كان يسميها المتوكليه. و كنا افردنا لها فصلا خاصا بعمرانها.

و كان المتوكل على اللّه قد حاول اكثر من مره، قبل ان يؤسس مدينه المتوكليه، ان ينتقل عن سامرا الى مدينه اخرى. و لا ندرى ما اذا كان بدافع الرغبه فى التحرر من نفوذ القواد الاتراك المعارضين له، او طلبا لجو يلائم صحته، او انه كان يريد ان تكون عاصمه تنسب اليه. و لعل ما يؤيد السبب الأخير بناؤه مدينه المتوكليه و انتقاله و دواوين الدوله اليها. و كان قبل ذلك اراد الانتقال الى اصبهان بعد ان سمع عن طيب هوائها، فبعث جماعه من المهندسين لتخطيط القصور له و لخواص اصحابه، الا ان اهلها فزعوا الى وصيف القائد و سألوه التلطف فى فسخ عزمه فاقنعه بانها لا تتسع له، و اذا ما سكنها ضاق الأمر على الناس فى الميره، مما اثناه عن عزمه، فخرج الى دمشق لأنه قيل له ان هواءها مقارب لهواء اصبهان(۱).

عزم المتوكل على اللّه على المقام بدمشق لما وصف له من فضائلها و طيبها، فأمر بالبناء فيها و نقل الدواوين اليها، الا انه تركها بعد اقام فيها شهرين و بضعه ايام فعاد الى سامرا محتجا ببرد هواء دمشق

۱- الاعلاق النفيسه/ ۱۵۶.

و ثقل مائها و کثره ریاحها[۱]. و هناک رأی یقول انه ترک دمشق لأن مناوئیه من الاتراک دبروا فیها وقیعه تستهدف قتله[۲].

الی جانب هذه النواحی الایجابیه من سیره المتوکل علی اللّه و سلوکه کخلیفه هناک نواح سلبیه ضرب فیها امثله سیئه من تصرفاته. فقد اشتد علی العلویین. کما اساء الی اهل الذمه و لا سیما النصاری منهم، فحدد نوع لباسهم و رکوبهم و نهی عن الاستعانه بهم فی اعمال الدوله و دواوینها. و اوامر اخری اتخذها بشأنهم بکتاب وجهه الی الولایات لمعاملتهم بموجبه، و معاقبه من لا یلتزم بها. و من الممکن تفسیر موقف المتوکل علی اللّه من العلویین و من اهل الذمه، بعاملین اتصف بهما، اولهما تعصبه الدینی الشدید، و الآخر حسده للعلویین لما یتمتعون به و بخاصه أئمتهم، من ولاء مطلق من اعداد غفیره من الرعیه، و حسده النصاری لأنهم کانوا یعیشون حیاه مرفهه نسبیا، و منهم معظم الأطباء المشهورین و کثیر من الکتاب المتقدمین.

و قد عرف عن المتوکل علی اللّه انه متقلب المزاج یرضی و یغضب بسرعه و لا ـ تفه الأسباب. و کان یتشبه فی الغضب بخلق الجبابره[۳]. و انه حقود قاس فی غضبه، یحقد علی من یسی ء الیه، و یحسد کل ذی نعما مهما کان نوعها. و من مظاهر حقده انه امر بقتل محمد بن عبد الملک الزیات الوزیر الکف ء بعد تعذیبه، لأن ابن الزیات لم یکن یحسن استقباله عند ما کان یراجعه فی ایام اخیه الواثق باللّه. و موقف ابن الزیات هذا تجاهه ناشی ء من ان

۱- الطبری ۹/ ۲۱۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۲.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۱۵- ۱۱۶.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۱۱۵.

الخليفه الواثق بـاللّه كان لا يود اخاه، دائم الغضب عليه، و من الطبيعی ان يحـذو وزيره حـذوه و الا عرض نفسه لغضب الخليفه و نقمته. و سبق ان ذكرنا ان المتوكل على اللّه قد كان قد اضـمر الشـر لابن الزيات و للقائد ايتاخ لأنه اعتقد بانهما عارضا ترشيحه للخلافه و اتفقا على قتله.

و لم يسلم من سخط المتوكل على اللّه و غضبه قاضی القضاه احمد ابن ابی دواد صاحب الفضل الأول فی توليه الخلافه، و الذی كان شديـد العطف عليه ايام اخيه الواثق باللّه، و كثيرا ما كان يلتمس الخليفه ليحسن معامله اخيه و يرضـی عنه. فقد امر فی سـنه ۲۳۷ ه بمصادره ضـياعه، و حبس ابنه ابا الوليد محمدا مع مصادره امواله و اموال اخيه، رغم ان ابن دواد كان طريح الفراش و قد اصيب بالفالج منذ سنه ۲۳۳ ه. و ليس هناک من سبب واضح لسـخطه عليه و على اولاده. و يستبعد ان يكون السبب هو ان ابن ابی دواد من المعتزله و قـد تزعم قضـيه المحنه، لأـن سـخط المتوكل على اللّه جاء بعـد ابطال المحنه ببضـعه سـنوات. مما يجعلنا نميل الى انه كان يحسـده لما صار اليه من مكانه مرموقه فی الـدوله، و انه كان موضع ثقه ابيه المعتصم باللّه و اخيه الواثق باللّه و احترامهما، كما انه نال بمواقفه النبيله احترام الناس و تقديرهم.

و امر المتوكل على اللّه بمصادره عـدد من الوزراء و كبار الكتاب، و يبـدو ان الـدافع الرئيس لذلک هو رغبته فی احتواء اموالهم لسد نفقاته الواسعه(۱).

و لعل ضخامه اموال رجال الدوله و كتابها و كثره املاكهم و تعدد

۱- الطبری ۹/ ۲۱۶، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۳.

ضیاعهم وسعه انفاقهم، ممالفت نظر المتوکل علی اللّه بانها جمعت بطرق غیر مشروعه فاراد عقوبتهم بمصادرتها منهم بحجج مختلفه.

و لم یکن احد ممن سلف من خلفاء بنی العباس قد اظهر فی مجلسه العبث و الهزل، و المضاحک، حتی جاء المتوکل علی اللّه فکان اول خلیفه أظهر ذلک، حتی ذاعت هذه الامور فی الناس و جروا فیها(۱). فکان یجمع السماجه- و هم الممثلون الهزلیون- بین یدیه فیحاکون حرکات بعض الناس و یمثلونهم فی اصواتهم، و یأتون بحرکات مضحکه عنهم تؤنسه(۲). فکان السابق الی ذلک و المحدث له فاتبعه فیه اغلب خواصه و اکثر رعیته(۳).

۳- ولایه العهد:

لعل ما حدث اثر وفاه الواثق باللّه من خلاف حول اختیار خلیفه له، لأنه لم یعهد لأحد من بعده، قد دفع المتوکل علی اللّه الی ان ینظم ولایه العهد فی حیاته. فعقد فی سنه ۲۳۵ ه البیعه لثلاثه من ابنائه هم محمد و سماه المنتصر، و ابو عبد اللّه- و یختلف فی اسمه فیقال محمد او الزبیر او طلحه- و لقبه المعتز، و ابراهیم و لقبه المؤید. و عقد لکل منهم لوائین احدهما اسود و هو لواء ولایه العهد و الآخر ابیض و هو لواء العمل. و ضم الی کل واحد منهم عددا من الولایات، فاقطع المنتصر افریقیه و المغرب و جمیع الثغور و بعض الولایات الشرقیه. و اقطع المعتز خراسان و طبرستان و الری و ارمینیه و اذربیجان. اما المؤید فقد اقطعه جند دمشق و جند فلسطین. کما جعل لکل منهما کاتبا خاصا، فجعل احمد بن

۱- مشاکله الناس لزمانهم/ ۳۲.

۲- الدیارات/ ۳۹.

۳- مروج الذهب ۴/ ۸۶.

الخصیب کاتبا للمنتصر، و احمد بن اسرائیل کاتبا للمعتز، و محمد بن علی المعروف کاتبا للمؤید(۱). و احضر المتوکل علی اللّه القضاه و وجوه الناس من البلدان الی سامرا لبیعه ولاه العهد، و بعث خواصه الی الأمصار لیأخذوا البیعه لهم، و وزع الجوائز، و اعطی الجند ارزاق عشره اشهر(۲). و کتب بولایه العهد کتابا مفصلا باربع نسخ وقعها الشهود بحضرته و امر ان تحفظ نسخه منها فی خزانته، و عند کل واحد من اولیاء العهد نسخه(۳).

سار المتوکل علی اللّه فی امر ولایه العهد علی نهج جده هارون الرشید الذی عهد لأبنائه الأمین و المأمون و المؤتمن بکتاب موثق اودعه فی البیت الحرام سنه ۱۸۶ ه و جعلهم متعاقبین فی تولی الخلافه(۴). و لم یتعظ بما نشب من الخلاف بین الأمین و المأمون و ما ترتب علیه من نتائج خطیره و کیف ان المأمون عهد بالخلافه من بعده لأخیه ابی اسحاق دون القاسم المؤتمن الذی نص علیه عهد الرشید. کما یلاحظ ان کتاب المتوکل علی اللّه تجاهل بقیه ابنائه، و کان فیهم طلحه الملقب بالموفق الذی اثبتت الحوادث فیما بعد انه اکفأ اولاده و اقدرهم.

۴- مؤامره قتله:

انتهت حیاه المتوکل علی اللّه بعد حکم دام خمسه عشر عاما، و هو اول خلیفه یقتل فی سامرا. و یمکن حصر الأسباب التی ادت

۱- الطبری ۹/ ۱۷۵- ۱۷۶، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۷، و الکامل ۷/ ۴۹- ۵۰.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۸۶.

۳- نص الکتاب فی الطبری ۹/ ۱۷۶- ۱۸۰.

۴- الطبری ۸/ ۲۷۸، و مروج الذهب ۳/ ۳۶۴، و الکامل ۶/ ۱۷۳.

الی قتله بسببین رئیسین اولهما سوء علاقته بابنه الکبیر و ولی عهده محمد المنتصر، و ثانیهما سیاسته تجاه الاتراک المتغلبین علی شؤون الدوله.

کنا ذکرنا ان المتوکل علی اللّه عقد فی سنه ۲۳۵ ه لثلاثه من بنیه و هم محمد المنتصر و المعتز و المؤید. و رغم انه قدم المنتصر علی اخویه فی ولایه العهد فانه کان اکثر میلا الی المعتز بتأثیر امه قبیحه التی کان المتوکل علی اللّه یفضلها علی نسائه، و عند ما وزع امارات ولایات الدوله و اقالیمها خص المعتز بالمهمه منها. ثم اضاف الیه فی سنه ۲۴۰ ه خزن الاموال فی جمیع الولایات و دور الضرب اسمه علی الدراهم(۱). فکان ذلک من حمله ما آثار حفیظه المنتصر علی ابیه. و اخذ المتوکل علی الله ینتقص من شأن المنتصر و یعبث به و یأمر بصفعه، و قال له مره لقد سمیتک المنتصر فسماک الناس لحمقک المنتظر، ثم صرت الآن المستعجل.

و جاهر فی احد مجالسه بخلعه من ولایه العهد. و یقال انه عزم علی ان یفتک به، و یقتل وصیفا و بغا(۲).

اما علاقه المتوکل علی اللّه بقاده الاتراک فقد کانت مشوبه بالحذر و عدم الثقه. لأنهم قد صارت الیهم ریاسه معظم المراکز الحیویه فی الدوله(۳). فأن ایتاخ بقی فی عهده محتفظا بمراتبه فی الجیش و اداره الاموال و البرید و الحجابه و شؤون دار

۱- الطبری ۹/ ۱۷۶، و الکامل ۷/ ۵۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۵، و الکامل ۷/ ۹۷ و ۱۰۴.

۳- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳. بدلا من الجیش، و یظهر انه الاصح، لان الطبری سبق ان قال فی ص:

الخلافه(۱). و لـذلک فان ایعاز المتوکل علی اللّه بقتله فی سـنه ۲۳۵ ه و محاوله الفتک بوصـیف و بغا، یدل علی عزمه اضـعاف شأنهم و سـلطانهم. الا ان هذه السیاسه جعلت القواد ینقمون علیه، و اخذوا یستغلون سوء علاقته بابنه المنتصر، و یحرضون الأخیر علی الفتک بابیه و تولی الخلافه مکانه، و سبق لهم ان قرروا قتله عند ما انتقل الی دمشق(۲).

و کان بغا الصـغیر قـد اسـتوحش من المتوکل علی اللّه و مال الی المنتصـر الـذی کان یعمل علی اجتـذاب القواد الاتراک الیه و استمالتهم، فلا یبعد المتوکل علی الله احدا منهم الا و استماله الیه، و کان اوتامش غلام الواثق باللّه یعاونه فی ذلک(۳).

و هکذا کان المتوکل علی اللّه و الموالون له و علی رأسـهم الوزیر عبد الله بن یحی، و الفتح بن خاقان، یسـعون للفتک بالمنتصر و وصـیف و بغـا و غیرهما من قاده الاتراک. کما واعـد المنتصـر القواد الاتراک و علی رأسـهم وصـیف علی قتل الخلیفه. فکان السـبق لتـدبیر الاـتراک. و کـان السـبب المباشـر لقتله انه کـان امر بـانتزاع ضـیاع وصـیف باصـبهان و الجبل و اقطاعها للفتـح بن خاقان(۴). فلما بلغ ذلک وصـیفا ثارت ثائرته و اسـتعجل جماعته فی التخلص من الخلیفه. فهیأ بغا الصـغیر باغر الترکی و آخرین من

۱- الطبری ۹/ ۱۶۷، و الکامل ۷/ ۴۳، و تجـارب الامم ۶/ ۵۴۲ و فیه الحبس ۱۶۶، و کـان من اراد المعتصم و الواثـق قتله، فعند ایتاخ یقتل و بیده یحبس.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۱۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۲۱.

۴- الطبری ۹/ ۲۲۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۴.

الجند الاتراک ممن یثق بهم، فاقتحموا مجلس المتوکل علی اللّه و قتلوه، و قتلوا معه الفتح بن خاقان.

و حمل بغا الصغیر الخبر الی المنتصر الذی ارسل الی وصیف ان الفتح بن خاقان قد قتل ابی فقتلته، و امره ان یذیع ذلک فی اصحابه. و حضر القواد الموالون للمنتصر و اصحابهم و بایعوه بالخلافه. و عند ما حضر الناس من القواد و الکتاب و الوجوه و الجند صباح الیوم التالی الی الجعفریه للبیعه العامه، قرأ علیهم احمد بن الخصیب کتابا یخبر فیه عن المنتصر ان الفتح بن خاقان قتل المتوکل علی اللّه فقتله به، فبایع الحاضرون(۱).

و یقال ان خبر التآمر علی المتوکل علی اللّه کان قد بلغ مسامع عبید الله بن یحیی فشاور الفتح بن خاقان فی احاطه الخلیفه بما یدبر له، و اتفقا علی کتمان الأمر عنه لما رأیا من سروره فی ذلک الیوم و کرها ان ینغصا علیه سروره، و انهما واثقان بانه لا یستطیع احد ان یتجاسر علی مثل هذا العمل(۲). الا ان مما یضعف هذا القول ان سیر الوقائع یدل علی انهما لم یکونا یعلمان شیئا عن المؤامره، اذ لو علما بها لاتخذا من وسائل الحیطه ما یستلزم لحمایه مجلس الخلیفه و تشدید حراسته و افشال المؤامره.

و یروی ان المتوکل علی اللّه رأی قبیل وفاته حلما تشاءم منه، اذ رأی کان دابه تکلمه، فسأل جلساءه عن تفسیره ففسره له احدهم بشی ء آخر، ثم قال لبعض من حضر: لقد حان رحیله،

۱- الطبری ۹/ ۲۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۶.

لقوله تعالى «و اذا وقع القول عليهم اخرجنا لهم دابه من الأرض تكلمهم»(۱).

و هنـاک شبه اتفاق فى اليوم الـذى قتل فيه و هو ليله الاربعاء لأربع خلون من شوال، و قيل ليله الخميس(۲). اما مده خلافته فقد كانت اربع عشره سنه و عشره اشهر و بضعه ايام(۳). و يقال انه لم يكن المتوكل على الله يوما اشد سـرورا منه فى اليوم الذى قتل فيه، فلقد اصبح فى هذا اليوم نشيطا فرحا مسرورا، و قال:

كأنى اجد حركه الدم، فاحتجم فى ذلک اليوم، و احضـر الندماء و الملهين، فاشـتد سروره و كثر فرحه(۴). و عند دفنه لف هو و الفتح بن خاقان فى بساط و دفنا بدمائهما من غير تغسيل فى قبر واحد(۵). و كان دفنه فى قصره المعروف بالجعفرى(۶).

۱- شذرات الذهب ۲/ ۱۱۶. و الآيه رقم(۸۲) من سوره النمل.

۲- الطبرى ۹/ ۲۳۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۱۸، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۲، و الكامل ۷/ ۱۰۰.

۳- الطبرى ۹/ ۲۳۰، و مروج الذهب ۴/ ۸۵، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۲، و الكامل ۷/ ۱۰۰.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۲۱.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۳۲۴.

۶- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۲.

الفصل الخامس المنتصر باللّه ابو جعفر محمد بن جعفر المتوكل على اللّه

۱- مبايعته:

سبق ان ذكرنا ان الخليفه المتوكل على اللّه كان قد عقد البيعه بولايه العهد لثلاثه من بنيه، اولهم محمد و سماه المنتصر، و اقطعه اجزاء معينه من المملكه. كما اشرنا الى انه غضب عليه مؤخرا للاسباب التى ذكرناها، بحيث اخذ المتوكل على الله يجاهر ببغضه لابنه المنتصر، و قد اشهد جماعه الحاضرين فى مجلسه على خلعه من ولايه العهد(۱). مما دفع المنتصر الى الاتفاق مع عدد من قاده الاتراك الناقمين على ابيه، على العمل للفتک به و التخلص منه. و عند ما اتم المتامرون قتل المتوكل على اللّه خرجوا الى المنتصر باللّه و سلموا عليه بالخلافه. و بادروا الى اخذ البيعه من الحاضرين الآخرين.

۱- الطبرى ۹/ ۲۲۵.

و قد تمت بیعه المنتصر باللّه علی دفعتین، الاولی فی لیله الاربعاء- لیله مقتل ابیه- و الثانیه فی صباح الیوم التالی لأربع خلون من شوال و قیل لثلاث خلون منه(۱). و کان قد بایعه لیله الاربعاء القواد و غیرهم من المتآمرین حالما تم القضاء علی المتوکل علی الله، و منهم بغلون و باغر و هارون بن صوارتکین و بغا الشرابی و واجن و عدد من اولاد وصیف، و هم الذین تولوا عملیه اقتحام مجلس الخلیفه و الاجهاز علیه، و کذلک وصیف و اصحابه الذین حضروا بعد نجاح العملیه، کما حضر المعتز و المؤید، و اخبرا بان اباهما شرق بکأس شربه و مات لساعته، فبایعا اخاهما المنتصر(۲). و کانت هذه المبایعه الخاصه للمنتصر.

اما فی بیعه صباح الاربعاء، و هی البیعه العامه، فقد حضر الی الجعفری القواد و الکتاب و الوجوه و الجند و غیرهم. فقرأ علیهم احمد بن الخصیب الذی اتخذه المنتصر وزیرا، کتابا یخبر فیه عن المنتصر باللّه ان الفتح بن خاقان قتل اباه المتوکل علی اللّه فقتله به، فبایع الحاضرون. و کان عبید اللّه بن یحیی بن خاقان وزیر المتوکل علی الله من المبایعین فی هذا الیوم. و لما شاع الخبر غداه الیوم التالی فی اهل سامرا بمقتل المتوکل علی الله، ظهرت بعض الأصوات المعارضه لمبایعه المنتصر بالله. فقد تجمع قسم من الجند و الناس بباب العامه و ازدحموا محتجین و مستنکرین مما اضطر الخلیفه الجدید ان یوعز الی فریق من الجند فتولوا دفع الناس و تفریق جمعهم بعد ان قتل منهم بضعه انفار(۳). و کان

۱- الطبری ۹/ ۲۳۴، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۹.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۷- ۲۲۸ و ۲۳۶، و الکامل ۷/ ۱۰۳- ۱۰۴.

۳- الطبری ۹/ ۲۳۹، و الکامل ۷/ ۱۰۵.

قد عرض جمع من الجند على الوزير عبيد الله بن يحيى ان يثوروا بالمنتصر باللّه و يقتلوه و اتباعه، فرفض ذلك لأنه رأى ان البيعه قد تمت و لا سيما و ان المعتز قد بايع اخاه(۱).

و بالنظر لهذه الظروف التى احاطت ببيعه المنتصر باللّه فقد اراد مؤيدوه اثبات حقه الشرعى فى الخلافه بموجب عهد مكتوب تمت المبايعه وفق ما جاء فيه. و فيما يلى اهم ما جاء فى كتاب البيعه التى اخذت له(۲):

بسم اللّه الرحمن الرحيم. تبايعون عبد اللّه المنتصر باللّه امير المؤمنين بيعه طوع و اعتقاد و رضا و رغبه باخلاص .. على ان محمدا الامام المنتصر باللّه عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و مناصحته و الوفاء بحقه و عقده .. و على السمع له .. و الوقوف عند كل ما يأمر به .. و على انكم اولياء اوليائه و اعداء اعدائه من خاص و عام .. و تتمسكون ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و على ان لا تسعوا فى نقض شى ء مما اكده اللّه عليكم .. و على ان لا تبدلوا و لا يرجع منكم راجع عن نيته .. اذ كان الذين يبايعون منكم امير المؤمنين انما يبايعون اللّه .. عليكم بذلك ربما أكدت هذه البيعه فى اعناقكم ... ان تسمعوا ما اخذ عليكم فى هذه البيعه و لا تبدلوا، و ان تطيعوا و لا تعصوا .. و ان تنمسكوا بما عاهدتم عليه .. لا يقبل اللّه منكم فى هذه البيعه الا الوفاء بها ... فمن نكث منكم .. فكل ما يملكه كل واحد ممن خان فى ذلك بشى ء نقض عهده من مال او عقار او سائمه او زرع او ضرع صدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه الى ثلاثين سنه

۱- الطبرى ۹/ ۲۲۹، تجارب الامم ۶/ ۲۵۷.

۲- نص كتاب البيعه فى الطبرى ۹/ ۲۳۷- ۲۳۹.

من ذكر او انثى احرارا لوجه اللّه، و نساؤه فى يوم يلزمه الحنث و من يتزوجه بعدهن الى ثلاثين سنه طوالق البته .. و عليه المشى الى بيت اللّه الحرام ثلاثين حجه، لا يقبل اللّه منه الا الوفاء بها، و هو برى ء من اللّه و رسوله، و اللّه و رسوله بريئان منه .. و الله عليكم بذلك شهيد و كفى بالله شهيدا:

و بعد ان تمت البيعه للمنتصر بالله امر باعطاء الجند ارزاق عشره اشهر(۱).

۲- صفاته و سيرته:

اسمه محمد و كنيته ابو جعفر و قيل ابو عبد الله و قيل ابو العباس(۲). و لقبه ابوه المنتصر بالله حينما عقد له البيعه بولايه العهد. و امه ام ولد روميه اسمها حبشيه، و كانت تحبه كثيرا، و قد حزنت عليه حزنا شديدا لما مات و طلبت ان يبنى له قبر ظاهر مشهود. و يقال انه اول خليفه عباسى عرف قبره(۳).

اى انه اول من بنى له قبر مشهود من خلفاء سامرا.

اقام المنتصر بالله بعد توليه الخلافه بالجعفريه ثم تحول عنها بعد عشره ايام، بعياله و قواده و جنده الى سامرا(۴). و سنأتى على تفصيل ذلك فى الفصل الخاص بتأسيس مدينه الجعفريه.

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۳.

۲- تاريخ بغداد ۲/ ۱۱۹، و الكامل ۷/ ۱۱۴، و فيه اسمه احمد، و يرجح ان ذلك خطأ مطبعى.

۳- الطبرى ۹/ ۳۵۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و تاريخ بغداد ۲/ ۱۲۱.

۴- الطبرى ۹/ ۲۳۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۰، و فيه انه تحول بعد سبعه ايام.

اما وصف المنتصر باللّه فتتفق المصادر على انه كان اسمر حسن الوجه، قصير القامه جسيما، عظيم البطن، ضخم الهامه، أعين اقنى، و على عينه اليمنى اثر اصابه من وقعه فى صغره(۱).

و قد وصف المسعودى اخلاقه وصفا دقيقا شاملا بقوله «و كان المنتصر واسع الاحتمال، راسخ العقل، كثير المعروف، راغبا فى الخير، سخيا، اديبا، عفيفا. و كان يأخذ نفسه بمكارم الاخلاق، و كثره الانصاف، و حسن المعاشره، بما لم يسبقه خليفه الى مثله»(۲). و قيل عنه انه كان الى جانب ذلك فاتكا سفاكا للدم(۳). و مع ان المسعودى يتفق بوصفه اخلاق المنتصر باللّه مع من وصفها من المؤرخين الا انه يتهمه بالبخل فيقول «كان ذا شهامه و معرفه و امساك للمال، و حفظ له حتى انكر الناس عليه شده البخل و شده المنع»(۴). و مما يؤيد هذا ما رواه الطبرى عن بنان بن عمرو المغنى و كان من اخص الناس بالمنتصر باللّه، و هو خليفه، ان يهبنى ثوب ديباج، فقال لى: أو خير لك من الثوب الديباج؟ قلت ما هو؟ قال: تتمارض حتى اعودك، فانه سيهدى لك اكثر من الثوب الديباج. الا انه مات فى تلك السنه و لم يصل شى ء الى بنان(۵). لا شك فى ان هذ الخبر ينطوى على شى ء من خله الامساك فى المنتصر باللّه، اذ لم تجد

۱- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۴، و تاريخ بغداد ۲/ ۱۱۹- ۱۲۰، و الكامل ۷/ ۱۱۵، و الذهب المسبوك/ ۲۲۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۴- ۱۳۵.

۳- الكامل ۷/ ۱۱۶.

۴- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۴.

۵- الطبرى ۹/ ۲۵۵.

نفسه بثوب دیباج لاقرب المغنین له، و حاول ان یعوضه بما یهـدیه الیه الآخرون عند مرضه. و قد یکون اراد بهذا ان یظهر اکرامه له بعیادته عند مرضه و ان یجعل الآخرین یکرمونه ایضا، و هذا ما یتفق مع اخلاق المنتصر باللّه و صفاته.

الاـ انه یقابـل هـذا ان المسـعودی نفسه یروی خبرین یـدلان علی کرم المنتصـر بالله فقـد روی عن علی بن یحیی المنجم، و کان ندیما لعدد من الخلفاء، انه احب ان یشتری ضیعه مجاوره لضیعته و لم یزل یبذل جهده لدی مالکها حتی اجابه الی بیعها.

الاـ انه لم یکن یملـک قیمتها حینـذاک، مما اقلقه من ان تفوته فرصه تحقیق امنیته. و عنـد ما حضـر مجلس المنتصـر باللّه لاحظ الخلیفه ما ظهر علی ندیمه من قلق و انشغال بال. فلما علم منه السبب استفسر عن قیمه الضیعه و ما مقدار ما یعوزه لشرائها.

فلما عاد ابن المنجم الی بیته رأی ان الخلیفه کان قد ارسل المبلغ الذی یعینه علی شـراء الضـیعه، و یقول انه لما بکر الی المنتصر باللّه فی الیوم التالی لم یذکر عن الأمر شیئا(۱).

و روی ایضا ان المنتصر باللّه لما کان امیرا، بعث احـد رجاله و اسـمه سـعید بن محمد الصـغیر الی مصـر فی بعض اموره. فعشـق سعیـد جـاریه التقی بهـا هناک الا انه عجز عن شـرائها. فلما علم المنتصـر باللّه بشـده ولعه بها کتب الی عامل مصـر فی ابتیاعها و حملها الی سامرا، دون ان یعلم سعید بشی ء من ذلک. فلما وصلت الجاریه اهداها الیه(۲). یستدل من هذین الخبرین ان المنتصر باللّه لم یکن بخیلا شدید المنع، بل انه کان مدبرا غیر

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۳۷- ۱۳۸.

۲- نفس المصدر/ ۱۴۱- ۱۴۲.

مسرف، و ان کرمه من النوع الذی لا یرید صاحبه ان یتفاخر به.

و لعل اعطیاته الی المغنین و مادحیه من الشعراء تدل علی جوده و کرمه. و کان من نتیجه تدبیره فی الانفاق انه عند ما توفی کان فی بیت المال الف الف دینار، ففرق المستعین بالله الجمیع فی الجند(۱).

لقد اشتهر عن المنتصر باللّه انه کان عادلا منصفا بحیث مالت الیه قلوب الناس من الخاصه و العامه، مع شده تهیبها منه(۲).

و من اقواله الداله علی سماحته و علو همته، ما رواه وزیره احمد بن الخصیب انه قال حین عفا عن الشاری الثائر: ان لذه العفو اعذب من لذه التشفی، و اقبح افعال المقتدر الانتقام(۳). و من اقواله ایضا: و اللّه ما عز ذو باطل و لو طلع القمر من جبینه، و لا ذل ذو حق و لو صفق العالم علیه(۴). و من مظاهر انصاف المنتصر باللّه انه صالح اخوته و اخواته علی ترکه ابیه من الفرش و الرقیق و الدواب بمبلغ اربعه و عشرین الف الف درهم، و انه اشهد علیهم بذلک(۵).

کان المنتصر بالله قد نقش علی خاتمه عند ما بویع بالخلافه «محمد باللّه ینتصر»(۶). و یظهر مما جاء فی العقد الفرید ان

۱- النجوم الزاهره ۲/ ۳۲۸، و الذخائر و التحف/ ۲۲۰ و فیه الف الف درهم.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۷، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۷.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۷۷، و البصائر و الذخائر ۲/ ۵۲۷ و جاء فیه کما یلی: لذه العفو احبب من لذه التشفی یلحقها الندم.

۴- الکامل ۷/ ۱۱۶، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۰، و فیه: و لو اطبق بدلا من و لو اصفق. و الذهب المسبوک/ ۲۷۷ و فیه: ما ذل ذو حق و ان اطبق الناس علیه و ما عز ذو باطل و لو طلع القمر بین عینیه.

۵- الذخائر و التحف/ ۲۲۰.

۶- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۴.

خاتمين آخرين، نقش على احـدهما «يؤتى الحـذر من مأمنه» و على الآخر «انا من آل محمد، و اللّه ولى محمد»(۱). و قد يكون اتخـذ الخاتم الأخير ليـدل على ولائه لآل البيت و حبه للعلويين و عطفه عليهم. على ان الخطيب البغـدادى يـذكر ان نقش خاتمه كان «محمد رسول اللّه» و ان له ختما آخر نقش عليه «المنتصر باللّه»(۲).

۳- ولايه العهد:

بعـد ان اسـتتب الامر للمنتصـر باللّه اخـذ الوزير احمـد بن الخصـيب يحـذر القواد الذين تآمروا على اغتيال المتوكل على اللّه من انتقام ابنائه الآخرين اذا ما تولى احدهم الخلافه، و لا سـيما المعتز ولى العهد و المؤيد الذى كان يليه فى ولايه العهد. مما جعلهم يتوجسون خيفه منهما، و يرون ان سـلامتهم و امنهم رهينان بابعادهما عن تولى الخلافه. و قد سـبق ان ذكرنا ان المتوكل على الله قد اخذ العهد لاولاده الثلاثه بكتب كتبها و شـروط اشتراطها، و خصص لكل منهم جزء من اقاليم الدوله، و جعل محمد المنتصر ولى عهـده و بعـده المعتز ثم يليه المؤيـد. و اخـذت البيعه بهـذا على الناس. و لذا عمل ابن الخصـيب و القواد الاتراك على خلع الاـخوين من ولايه العهـد ليأمنوا انتقامهما لأبيهما، و الحوا على المنتصـر باللّه فى الأمر و زينوا له ان يولى ابنه عبـد الوهاب العهد من بعده.

۱- العقد الفريد ۵/ ۱۲۳.

۲- تاريخ بغداد ۲/ ۱۲۰.

و كـان المنتصـر بـاللّه، رغم تظـاهره بحب اخويه و التودد لهمـا، يحقـد عليهمـا لأن اباه كان يحسن معاملتهما و يفضـلهما عليه و بخاصه المعتز، و لـذلك فقـد اسـتجاب للطلب. و امر بالطلب الى اخويه ان يخلعا نفسـيهما من ولايه العهـد. فوافق المؤيد و تردد المعتز غاضـبا، الا ان اخاه اسـتطاع ان يقنعه حينما وضعه امام امر لا مفر منه، اذ قال له «هذا الامر قتل اباك فليته لا يقتلك، اخلعه ويلك، فواللّه لئن كان فى سابق علم اللّه ان تلى لتلين»(۱).

فاجـاب بـالموافقه ايضـا. و كتب كل منهما كتابا يخلع فيه نفسه من ولايه العهـد و يحل الناس منها، بموجب صـيغه املاها عليهما كاتب الخليفه.

و لمـا دخـل الاـخوان على اخيهما الخليفه ليعلماه بموافقتهما على التنازل عن ولايه العهـد رحب بهما و اظهر لهما انه قام بـذلك حرصـا على حياتهمـا و ليس طمعا فى نقل ولايه العهـد الى ابنه، اذ قال «أترياني خلعتكما طمعا فى ان اعيش حتى يكبر ولـدى و ابـايع له، و اللّه مـا طمعت فى ذلـك سـاعه قـط، و اذا لم يكن فى ذلـك طمع، فواللّه لاـن يليها بنو ابى احب الى من ان يليها بنو عمى، و لكن هؤلاـء- و اومـأ الى سـائر الموالى ممن هو قـائم و قاعـد- الحوا علىّ فى خلعكما، فخفت ان لم افعل ان يعترضـكما بعضـهم بحديـده، فيأتى عليكما. فما ترياني صانعا، أقتله؟ فواللّه ما تفى دماؤهم كلهم بدم بعضـكم، فكانت اجابتهم الى ما سألوا اسهل علىّ»(۲).

۱- الطبرى ۹/ ۲۴۵.

۲- الطبرى ۹/ ۲۴۵- ۲۴۶.

و عند ما حضرا للتنازل، كان اعوان المنتصر باللّه قد احضروا الامراء من بنى هاشم، و كبار القواد، و رؤوساء الدواوين، و القضاه، و صاحب الشرطه، و وجوه الحرس و غيرهم، ليشهدوا خلع المعتز و المؤيد نفسيهما. و كانت صيغه الكتاب بالتنازل الذى املى عليهما هى(۱) «بسم اللّه الرحمن الرحيم: ان امير المؤمنين المتوكل على اللّه رضى اللّه عنه قلدنى هذا الأمر و بايع لى و انا صغير من غير ارادتى و محبتى، فلما فهمت امورى علمت أنى لا ـ اقوم بما قلدنى، و لا اصلح لخلافه المسلمين. فمن كانت بيعتى فى عنقه فهو من نقضها فى حلّ، و قد احللتكم منها، و ابرأتكم من ايمانكم، و لا عهد لى فى رقابكم، و انتم براء من ذلك».

و قرأ الرقاع الوزير احمد بن الخصيب. ثم قام كل واحد منهما و قال للحاضرين: هذه رقعتى، و هذا قولى، فأشهدوا علىّ، و قد ابرأتكم من ايمانكم و حللتكم منها(۲).

و أمر الخليفه ان يكتب الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعلمه بتنازل اخويه عن ولايه العهد التى عقدها ابوهما لهما من بعده، و امره ان يكتب بذلك الى جميع العمال و يوعز اليهم بالعمل بموجبه، و هو كتاب مطول جاء فيه(۳) «اما بعد ..

و قد علمت ما حضرت من رفع ابى عبد اللّه و ابراهيم ابنى امير المؤمنين المتوكل على الله الى امير المؤمنين رقعتين بخطوطهما، يذكران ان فيهما ... انهما قد خلعا انفسهما من ولايه العهد و خرجا منها، و جعلا كل من لهما عليه بيعه و يمين ... فى حل

۱- نفس المصدر/ ۲۴۶.

۲- نفس المصدر/ ۲۴۶- ۲۴۷.

۳- نفس المصدر/ ۲۴۷- ۲۵۰.

وسعه من بیعتهم و ایمانهم، لیخلفوهما کما خلعا انفسهما ..

و یسألان امیر المؤمنین ان یظهر ما فعلاه و ینشره .. و ان امیر المؤمنین وقف علی صدقهما فیما ذکرا و رفعا .. و رأی امیر المؤمنین ان یجمع فی اجابتهما الی نشر ما فعلاه و اظهاره .. و أمر أمیر المؤمنین بانشاء الکتب بذلک الی جمیع العمال لیتقدموا فی العمل بحسب ما فیها، و یخلعوا ابا عبد اللّه و ابراهیم من ولایه العهد .. فاعلم ذلک و اکتب الی عمالک بنسخه کتاب أمیر المؤمنین هذا الیک و اوعز الیهم فی العمل علی حسبه».

و من الواضح ان عهد التنازل و کتاب الخلیفه قد أعدا بصیغه شملت تنازلهما عن ولایه العهد و ما کان ترتب لهما من حقوق و امتیازات بموجبها. و قد صیغا بلغه متینه واضحه لا تخلو من تکرار و تأکید النقاط المهمه، و تتضمن من المواثیق ما یؤمن الغایه منها. کما تضمن الکتاب تأکیدا علی سلطه الخلیفه المطلقه. و بتنازل ابنی المتوکل علی الله عن حقوقهما فی ولایه العهد حقق القواد الاتراک مکسبا جدیدا فی السیطره علی شؤون الخلافه. و کما استطاعوا التخلص من المتوکل علی الله استطاعوا ازاحه من لا یرغبون به من ابنائه عن ولایه العهد. و بذلک ضمنوا سیطرتهم علی تعیین الخلیفه الذی سیعقب المنتصر باللّه عند وفاته.

۴- وفاه المنتصر باللّه:

هناک عده روایات قیلت عن سبب وفاه الخلیفه المنتصر باللّه، یستنتج منها ان وفاته لم تکن طبیعیه. فقد قال بعضهم انه

اصابته الذبحه فی حلقه(۱). و قیل ان علته کانت من ورم فی معدته ثم تصعد الی فؤاده فمات(۲). و قال آخرون انه وجد حراره فدعا ببعض من یتطبب له و امره بفصده، ففصده بمبضع مسموم فکانت فیه منیته(۳). و ذکر انه وجد عله فی رأسه فقطر طبیبه ابن الطیفوری دهنا فی اذنه فورم رأسه، و عوجل فمات(۴). کما ذکر سبب آخر لموته هو ان المنتصر باللّه ضربته الریح، فقد لعب کره الصولجان و انصرف من المیدان و هو عرق فدخل الحمام، و لما خرج منه نام فی البادهنج فضربه الهواء و رکبته حمی عالیه. و لما عاتبه وزیره ابن الخصیب علی ذلک، اجابه بالا یخاف علیه من الموت، لأنه رأی فی منامه امس من اخبره بأنه سیعیش خمسا و عشرین سنه، و ذلک یعنی انه سیبقی فی الخلافه هذه المده(۵). و یبدو انه فسر حلمه کما کان یحلو له و یتمناه.

غیر ان الطبری یذکر هذا الحلم بشکل آخر خلاصته ان المنتصر باللّه رأی فی منامه أنه صعد درجا حتی انتهی الی خمس و عشرین مرقاه منه، فقیل له: قف فهذا آخر عمرک(۶).

علی ان روایه موته بالسم یؤکدها اکثر من ذکروا اسباب وفاته من المؤرخین(۷). و هم یعزون ذلک الی القواد الاتراک

۱- الطبری ۹/ ۲۵۱، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۰، و تاریخ الاسلام ۱/ ۱۰۹ و فیه انه مات بالخوانیق.

۲- نفس المصادر.

۳- نفس المصادر.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و الکامل ۷/ ۱۱۴.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۳۳. و البادهنج هو المنفذ الذی یدخل منه الهواء الی الغرفه.

۶- الطبری ۹/ ۲۵۳.

۷- الطبری ۹/ ۲۵۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۰، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱، و الکامل ۷/ ۱۱۵.

الذین اخذوا یتوجسون منه. و یظهر ان المنتصر باللّه اخذ یشعر بالندم و تأنیب الضمیر لمساهمته فی مؤامره قتل ابیه. لا سیما و ان الأمر انتشر بین الناس عامتهم و خاصتهم بأنه قاتل ابیه، و ان مده حیاته لا تطول اکثر من سته اشهر بعد ابیه، و هی المده التی عاشها شیرویه الفارسی قاتل ابیه. و هناک قصه تروی عن بساط کان مفروشا فی احد الأروقه فی القصر، و علیه صوره فرس علیه راکب و علی رأسه تاج، و حول الصوره کتابه بالفارسیه، لفتت نظر المنتصر باللّه، فترجمت له. فاذا هی صوره شیرویه قاتل ابیه ابرویز الملک و انه عاش بعده سته اشهر، فلما سمع ذلک تغیر وجهه و قام من مجلسه(۱). و یظهر من روایه المسعودی للخبر ان البساط المذکور کان تحت المتوکل علی اللّه لیله اغتیاله، و علیه آثار من الدماء(۲). و لعل ذلک کان مبعث تشاؤم المنتصر باللّه و تغیر وجهه.

لا شک فی ان الشعور بالذنب او الندم هو ضریبه الجریمه.

و کلما اعتقد المجرم بعظم جرمه و فداحه ما ارتکبه من اثم ازداد هذا الشعور، فیعیش صاحبه فی جو خانق من الخوف و القلق، مما یسبب له آلاما نفسیه مبرحه، و توترا عصبیا مستمرا. و قد کثرت نتیجه لوضع المنتصر باللّه النفسی احلامه التی کانت انعکاسا لشعوره بالأثم و ندمه علی فعلته. و کان لهذا الوضع النفسی السی ء الذی صار الیه المنتصر باللّه رد فعل شدید تمثل بحنقه الزائد علی القواد الاتراک و بخاصه اولئک الذین قتلوا اباه.

۱- تفصیل قصه البساط فی: مروج الذهب ۴/ ۱۳۰- ۱۳۱، و نشوار المحاضره ۵/ ۱۸۳- ۱۸۴ و فیه ان صاحب الصوره هو شیرویه بن کسری هرمز.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۱.

فلما شعر اولئک القواد بتغیر شعور المنتصر باللّه تجاهم اخذوا یتحینون الفرصه للتنکیل به و التخلص منه قبل ان یبیدهم.

فجعلوا لخادم له ثلاثین الف دینار علی ان یحتال فی سمه، و جعلوا لأبن طیفور الطبیب الذی کان یشرف علی شؤون الخلیفه الصحیه، جمله من المال للغرض نفسه(۱). فاتفق الطبیب و الخادم علی ان یدسوا له السم فی کمثراه ناضجه قدمت للمنتصر باللّه، اذ کان یحب الکمثری و یکثر من اکلها اذا قدمت له مع الفاکهه.

فلما اکلها وجد حراره فعالجه ابن طیفور بالحجامه و الفصد، و کانت الاتهما مسمومه فکان فی ذلک موته(۲). و یقال ان ابن طیفور القی المبضع المسموم بین مباضعه الاخری، ثم انه بعد مده وجد حراره فدعا تلمیذا له لیفصده، فنظر فی المباضع فلم یجد أحد من ذلک المبضع و لا اجود، ففصده به فمات(۳).

و یرجح ان فی هذا الخبر مبالغه لأن المبضع المسموم قد نفذ سمه باستخدامه فی المره الاولی، و قد یکون هذا القسم من روایه سم المنتصر باللّه بالفصد، قد اضیف بغرض التأکید علی ان المبضع الذی استخدم فی فصده کان مسموما.

ان تعدد الاسباب التی ذکرت لموت المنتصر باللّه، یبدو و کأنها اشیعت للتغطیه علی سبب موته الحقیقی. و هو ان الطبیب المتوطیء مع القواد الأتراک قد سمه بالسم المعروف آنذاک و هو الزرنیخ. و کان قد استغل اصابته بالبرد الشدید- و ربما کان

۱- الطبری ۹/ ۲۵۲- ۲۵۳، و فوات الوفیات ۲/ ۳۷۲، و تاریخ الاسلام ۱/ ۱۰۹. و فی المصدرین الاخیرین ان الاتراک جعلوا للطبیب ثلاثین الف دینار.

۲- الطبری ۹/ ۲۵۳، و الکامل ۷/ ۱۱۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۱۹.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۰- ۵۶۱، و الکامل ۷/ ۱۱۴.

قد اصیب بذات الرئه- و بقاءه فی الفراش قرابه عشره ایام، فاخذ یعطیه جرعات منه یومیا مع الدواء الذی کان یسقیه ایاه.

و لما قارب جسم المنتصر باللّه ان یستوفی من کمیه الزرنیخ ما یکفی لقتله اظهر الطبیب ان ما وضعه من السم فی الکمثری سیؤدی الی موته.

اما تاریخ وفاته فتکاد تتفق المصادر علی انه توفی یوم الأحد لخمس خلون من ربیع الآخر سنه ۲۴۸ ه(۱). و کانت وفاته بالقصر المحدث بسامرا(۲). و یقال انه لما حضرته الوفاه قال:(۳)

فما فرحت نفسی بدنیا أخذتهاو لکن الی الرب الکریم أصیر

و جاء ذلک فی فوات الوفیات کما یأتی:(۴).

فما متعت نفسی بدنیا احبتهاو لکن الی الرب الکریم اصیر

و ما کان ما قدمته رأی فلتهو لکن بفتیاها اشار مشیر

و هو یشیر بهذا الی ندمه و طلبه المغفره، و الی الفتوی التی حصل علیها من بعض الفقهاء عند ما استفتاهم فی قتل ابیه من غیر

۱- الطبری ۹/ ۲۵۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۴۴، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱، و الکامل ۷/ ۱۱۴ و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۳ و فیه انه توفی یوم السبت لاربع خلون من ربیع الآخر.

۲- الطبری ۹/ ۲۵۴.

۳- نفس المصدر/ ۲۵۱.

۴- فوات الوفیات ۲/ ۳۷۳.

ان يسميه، و حكى عنه امورا قبيحه(۱). لم تفصح عنها المصادر التى اطلعنا عليها.

و قد اختلف المؤرخون فى مقدار عمر المنتصر باللّه عند وفاته. فان كلا من الطبرى و اليعقوبى و الخطيب البغدادى و مسكويه و المسعودى و ابن الأثير يرون انه توفى و عمره خمس و عشرون سنه و سته اشهر(۲). الا ان الطبرى و الخطيب البغدادى يستدركان و يقولان: بل كان عمره اربعا و عشرين سنه(۳). كما ان المسعودى يذكر فى كتابه التنبيه و الاشراف انه توفى و عمره ثمان و عشرون سنه(۴). و يقول ابن عبد ربه ان عمره كان ستا و عشرون سنه الا ثلاثه اشهر(۵). اما الذهبى فيرى انه توفى و عمره ست و عشرون سنه(۶).

و يعود سبب الاختلاف فى مقدار عمر المنتصر باللّه الى عدم التثبت من تاريخ ميلاده. فان الخطيب يقول ان مولده كان فى ربيع الآخر من سنه ۲۲۲ ه(۷). بينما يرى ابن عبد ربه انه ولد فى ربيع الاول من السنه المذكوره(۸). اما صاحب خلاصه الذهب المسبوك فيقول انه ولد فى سنه ۲۲۴ ه(۹).

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱.

۲- الطبرى ۹/ ۲۵۳، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۳، و تاريخ بغداد ۲/ ۱۱۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۹، و الكامل ۷/ ۱۱۵.

۳- الطبرى ۹/ ۲۵۳، و تاريخ بغداد ۲/ ۱۲۰.

۴- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۴.

۵- العقد الفريد ۵/ ۱۲۳.

۶- العبر ۱/ ۴۵۳.

۷- تاريخ بغداد ۲/ ۱۱۹.

۸- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۷.

۹- العقد الفريد ۵/ ۱۲۳.

و رزق المنتصر باللّه من الولد عليا و عبد الوهاب و عبد اللّه و احمد(۱). و كانت مده خلافته سته اشهر(۲). و قد صلى عليه عند دفنه احمد بن محمد بن المعتصم باللّه الذى تولى الخلافه بعده و لقب بالمستعين باللّه. و دفن بسامرا بقبر ظاهر مشهود كما سبق ان اشرنا(۳) و كانت ولادته بسامرا كذلك(۴).

۵- المنتصر باللّه و الاحلام:

مما يلفت النظر فى مده خلافه المنتصر باللّه كثره الأحلام التى رآها هو بنفسه و رواها لحاشيته و المقربين اليه، و التى رآها اشخاص آخرون، و بعضهم مما كانت له علاقه بهم. و كلها تدور حول عمره و مده خلافته. اذ بالاضافه الى الحلم الذى سبق ان ذكرناه، فان المنتصر باللّه انتبه ذات يوم من نومه و هو يبكى و ينتحب. فسأله نديمه و صاحبه عبد اللّه بن البازيار عما يبكيه، فقال: رأيت فى نومى كأن المتوكل على الله قد جاءنى و قال لى و يلك يا محمد قتلتنى و ظلمتنى و غبنتنى فى خلافتى، و الله لا تمتعت بها الا اياما يسيره، ثم مصيرك الى النار. فانتبهت مذعورا لا املك عينى و لا جزعى. فقال له ابن البازيار مخففا عنه: هذه رؤيا و هى تصدق و تكذب، بل يعمرك الله و يسرك، ادع بالنبيذ و خذ فى اللهو و لا تعبأ بها(۵).

۱- العقد الفريد ۵/ ۱۲۳.

۲- الطبرى ۹/ ۲۵۳- ۲۵۴، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۲۹ و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱.

۳- الطبرى ۹/ ۲۵۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و تجارب الامم ۶/ ۵۶۱، و الكامل ۷/ ۱۱.

۴- الطبرى ۹/ ۲۵۳، و الكامل ۷/ ۱۱۵، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۲۷.

۵- الطبرى ۹/ ۲۵۲، و الكامل ۷/ ۱۱۵.

و ذکر عن احمد بن صالح صاحب المصلى انه قال: کان لابى مؤذن فرآه بعض اهلنا فى المنام کأنه أذن أذانا لبعض الصلوات، ثم دنا من بيت فيه المنتصر باللّه فنادى يا محمد ان ربک لبالمرصاد(۱). و قال عبد الملک بن سليمان بن ابى جعفر: رأيت فى منامى المتوکل على الله و الفتح بن خاقان و قد احاطت بهما نار، و قد جاء المنتصر باللّه فاستأذن عليهما، فمنع من الوصول اليهما، ثم اقبل المتوکل على الله علىّ فقال لى يا عبد الملک قل لمحمد بالکأس الذى سقيتنا تشرب، فلما اصبحت غدوت على المنتصر بالله فوجوته محموما، فواظبت على عيادته فمات من ذلک المرض، و سمعته يقول فى مرضه عجلنا فعوجلنا(۲).

و کان وزير المنتصر احمد بن الخصيب غضب على احد عماله و قرر ان يصادره، فعلم ابن ذلک العامل ما ازمع عليه الوزير، فاراد ان يخبر اباه بذلک ليتخذ الحيطه. فزاره بعض کتاب الديوان و جلس عنده. يقول ابن العامل: و شغلت عن جليسى فاتکأ على الوساده و غفا، ثم انتبه مرعوبا و قال انه رأى رؤيا عجيبه، فقد رأى الوزير ابن الخصيب واقفا يقول: يموت الخليفه المنتصر باللّه الى ثلاثه ايام. فقلت له: ان الخليفه فى الميدان يلعب بالصولجان و هذه الرؤيا ضرب من الأوهام. فما استتما کلامهما حتى دخل عليهما داخل يقول: ان الخليفه انصرف من الميدان و هو عرق فدخل الحمام و نام فى البادهنج فضربه الهواء، و رکبته حمى هائله(۳).

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۴.

۳- نفس المصدر/ ۱۳۳.

و يقال ان احد الكتاب رأى فى المنام فى الليله التى استخلف فيها المنتصر باللّه كأن قائلا يقول(۱):

هذا الامام المنتصرو الملك الحادى عشر

فأمره اذا أمركالسيف ما لاقى بتر

و طرفه اذا نظركالدهر فى خير و شر

لاـ غرابه فى حدوث الأحلام التى أشرنا اليها اذا ما نظرنا اليها على ضوء علم النفس الحديث. فأن الأفكار و الذكريات المؤلمه التى لاـ يقوى الانسان على تحملها، اما لتألمه منها او لنفرته عنها، تتجمع بتأثير قوه نفسيه خفيه فى غياهب لا شعوره، و ذلك ما يدعى بالكبت. و ان بعض الرغبات و الأمانى التى يعلل الفرد بها نفسه و يتمناها فى يقظته، ثم يكبتها لسبب ما، فان الأحلام تتولى غالبا تحقيقها بالتعبير عنها بشكل صريح مكشوف، او بصوره رمزيه مقنعه تحتاج الى التفسير و التأويل. و هناك نوع من الاحلام ينبى ء عن حوادث مقبله. و تقوم مثل هذه الاحلام على توقع الشخص لا شعوريا بحدوث امر معين، فيظهر له فى الحلم ما توقعه.

اما مجتمع سامرا الذى هزته حادثه اشتراك المنتصر باللّه فى مؤامره اغتيال ابيه، و توليه الخلافه بعده، ثم شيوع قصه البساط و صوره الملك قاتل ابيه و موته بعده بسته اشهر، فقد شغلته هذه الأفكار. يقول الطبرى «و لم ازل اسمع الناس حين

۱- نفس المصدر/ ۱۳۷.

افضت الیه الخلافه من لدن ولی الی ان مات یقولون: انما مده حیاته سته اشهر، مده شیرویه: بن کسری قاتل ابیه، مستفیضا ذلک علی السن العامه و الخاصه»(۱). بحیث کان الناس یلهجون بذلک فی مجالسهم و هم یتوقعون او یتمنون للمنتصر باللّه ما اصاب شیرویه من قصر عمره و عدم تمتعه بالملک بعد ابیه، فکانوا یترقبون موته قریبا.

و بالنظر لفداحه الجرم الذی ارتکبه المنتصر باللّه بحق ابیه، فان الناس کانوا یعتقدون ان اللّه تعالی له بالمرصاد، و ان مصیره سیکون الی النار. فکانت الاحلام التی رآها بعضهم هی انعکاسات لهذه الخواطر و الافکار و التمنیات التی یحاولون جهدهم ان یکبتوها خوفا من السلطه.

۱- الطبری ۹/ ۲۵۲.

الفصل السادس المستعين باللّه ابو العباس احمد بن محمد بن المعتصم باللّه

۱- مبايعته:

بعـد ان ارغم المنتصـر بالله اخويه على التنازل عن ولايه العهـد حاول القواد الاتراك ان يقنعوه بان يعهد الى ابنه عبد الوهاب. الا انه لم تتـح له الفرصه ليعهـد الى احـد من بعـده اذ ادركته المنيه بعـد فـتره وجيزه من تنـازل اخويه(۱). و عند وفاه المنتصـر باللّه اجتمع كبار القواد الاتراك: بغا الكبير و بغا الصـغير و اوتامش و عـدد من رجال الـدوله و على رأسـهم احمد بن الخصـيب وزير الخليفه المتوفى، فى القصـر الهـارونى لاختيـار خليفه. فاسـتحلف القواد الحاضـرون من الاـتراك و المغـاربه على ان يرضوا بمن يرضى به بغا الكبير و بغا

۱- تنازل المعتز و المؤيد لسبع بقين من صفر سنه ۲۴۸، و مات المنتصر لاربع خلون من ربيع الآخر- اى بعد اربعين يوما. الطبرى ۹/ ۲۴۶ و ۲۵۱ على التوالى.

الصغیر و اوتامش(۱). و کان ذلک بتدبیر من الوزیر لتأمین استمرار السلطه بید قتله المتوکل علی اللّه. و قد حرص هؤلاء علی ان لا ـ یتولی الخلافه احد ابنائه. فاشار احمد بن الخصیب علی القواد الثلاثه بان یبایعوا ابا العباس احمد بن محمد بن المعتصم باللّه(۲). فلما حضر لیبایعوه، قال: استعین باللّه، فلقب بعد مبایعته بالمستعین بالله(۳). و قد برروا اختیاره بانهم حرصوا علی ان لا تخرج الخلافه من ولد مولاهم المعتصم بالله(۴). و کانت تلک هی البیعه الخاصه للمستعین باللّه.

و لما حضر المستعین باللّه صباح الیوم التالی دار العامه، و قد لبس زی الخلافه لمبایعته البیعه العامه، حضر القواد و کثیر من بنی العباس و الطالبیین و غیرهم. و یظهر ان اختیار ابی العباس لقی معارضه من بعض القواد فحرضوا عددا من الجند و الفرسان فجاءوا الی الدار لیبدوا معارضتهم و تبعهم کثیر من العامه، فشهروا السلاح و نادوا بمبایعه المعتز بالله، فشد علیهم المغاربه و الاشروسنیه الذین بایعوا المستعین بالله، و تمکنوا بواسطه بغا الصغیر و جماعته من الأتراک من القضاء علی هذه الحرکه التی استمرت ثلاثه ایام و وقع فیها قتلی من الطرفین. و کان الموالون للمستعین بالله قد اخذوا له البیعه ممن حضروا الدار فی ذلک الیوم(۵). و یقول

۱- الطبری ۹/ ۲۵۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۵۶، و تاریخ الیعقوبی ۸/ ۴۹۴ و النبراس/ ۸۶ و جاء فیه ان احمد هو ابن محمد المعتصم بالله، و هو و اهم فی ذلک.

۳- تاریخ بغداد ۵/ ۸۴، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۸.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۶.

۵- نفس المصدر/ ۲۵۷.

الیعقوبی «و فرق المستعین فی الناس اموالا کثیره، و استقامت اموره»(۱).

۲- صفاته و سیرته:

ولد المستعین باللّه یوم الثلاثاء السابع من رجب سنه ۲۲۱ ه(۲)، و امه جاریه صقلبیه اسمها مخارق(۳). و کان المستعین باللّه اطلق یدها و لم یمنعها من شی ء تریده، فکانت شدیده الاسراف، تحتجز أکثر الاموال التی تحمل الی بیت المال، و قد وجد فی خزائنها عند ما خلع الاتراک ابنها ما قیمته الف الف دینار(۴).

و عاشت بعد قتل ابنها مده.

اما صفات المستعین باللّه الجسمیه فقد کان ربعه خفیف العارضین، حسن الوجه، و بوجهه أثر جدری، یلثغ فی السین نحو التاء(۵).

و یضیف المسعودی انه کان مسمنا اسود اللحیه(۶). اما عن سلوکه و سیاسته فقد تفاوتت فیهما اراء المؤرخین، اذ وصفه المسعودی بانه کان شدید الخوف علی نفسه فاداه خوفه و قله أمنه الی الهرب من دار ملکه فادیرت الأمور عنه(۷). الا انه قال عنه فی مکان آخر انه کان حسن المعرفه بأیام الناس و اخبارهم لهجا باخبار الماضین(۸).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۴.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۸، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۴۴، و تاریخ بغداد ۵/ ۸۴.

۴- الذخائر و التحف/ ۲۳۸.

۵- تاریخ بغداد ۵/ ۸۵، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۶، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۸، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۸.

۶- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۵.

۷- نفس المصدر.

۸- مروج الذهب ۴/ ۱۵۶.

و بینما یصفه ابن الطقطقی بانه کان مستضعفا فی رأیه و عقله و تدبیر،، و کانت ایامه کثیره الفتن، و دولته شدیده الاضطراب، و لم یکن فیه من الخصال المحموده سوی انه کان کریما و هویا(۱)، یقول عنه الاربلی انه کان سدید الرأی حسن التدبیر(۲). و یقول السیوطی انه کان خیرا فاضلا، ادیبا بلیغا، و هو اول من احدث لبس الاکمام الواسعه فجعل عرضها نحو ثلاثه أشبار، و صغر القلانس و کانت قبله طوالا(۳). و یقول عنه الذهبی انه کان مسرفا فی تبدیر الخزائن و الذخائر(۴). و جاء عنه فی فوات الوفیات انه کان خاملا یرتزق بالنسخ، فلما جاءته الخلافه من حیث لا یحتسب قال:

جاء لطف اللّه بالأمر الذی لا ارتجیه فعلی ان اقضی حق الله فیه

و یروی اعداءه البیت الثانی: ان اقضی حق الشرب فیه(۵).

یمکن ان یستنتج مما قاله المؤرخون بشأنه انه کان ضعیفا خائر العزم، مستسلما سهل القیاد. فقد استوزر اول امره احمد بن الخصیب، الا ان انقیاده للقواد الاتراک اضطره الی ان یستوزر القائد الترکی اوتامش، و هو ابن اخت بغا الکبیر. و کان المتولی لامور اوتامش کاتبه شجاع بن القاسم الذی یقول عنه الحصری «انه امی لا یقرأ و لا یکتب و لا یفهم، و انما علم علامات یکتبها فی

۱- الفخری.

۲- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۹.

۳- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹.

۴- شذرات الذهب ۲/ ۱۲۶.

۵- فوات الوفیات ۱/ ۱۲۶.

التوقیع»(۱). و یظهر ان اوتـامش کـان جشـعا لاـ یهمه من الوزاره غیر احتواء الاـموال «فعمـد الی مـا فی بیوت الاموال من الاموال فأکتسحها»(۲).

و کان من اول اعمال المسـتعین باللّه بعد ان تمت له الخلافه انه ابتاع فی جمادی الأولی سنه ۲۴۸ ه من المعتز و المؤید جمیع ما کـان لهمـا من الـدور و القصور و الضـیاع و الفرش و الاـمتعه و غیر ذلـک بعشـرین الف دینار، و اشـهد علیهما بـذلک القضاه و الشـهود العـدول، و یقـال ان قیمه مـا ابتاعه من المعتز عشـره الاف الف دینار، و من ابراهیم المؤیـد ثلاثه الاف الف دینار(۳). و کأنه بهذا قد صادرهما بطریقه مشروعه بشرائها بذلک الثمن البخس. ثم حبسهما فی الجوسق و وکل بهما.

و عقد المستعین باللّه فی سنه ۲۴۹ ه لأبنه العباس علی مکه و المدینه المنوره و البصـره و الکوفه، و عزم علی ان یعهد الیه بولایه العهد، و لکنه اخر ذلک لصـغر سـنه. فقال الشاعر ابو علی البصـیر قصـیده یسـتعجله البیعه بولایه العهد لابنه رغم صـغر سنه یقول فیها(۴):

بک اللّه احاط الدین و انتاش اهله من الموقف الدحض الذی مثله یردی

فول ابنک العباس عهدک انه له موضع، و اکتب الی الناس بالعهد

۱- جمع الجواهر/ ۱۷۲- ۱۷۳.

۲- الطبری ۹/ ۲۶۳.

۳- نفس المصدر/ ۲۵۹.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۵۴.

فان خلفته السن فالعقل بالغ به رتبه الشيخ الموفق للرشد

و قد كان يحيى اوتى العلم قبله صبيا، و عيسى كلم الناس فى المهد

و عنـد مـا اشـتد الخلاف بين المستعين بـاللّه و بعض قواد الاتراک، و انقسم القواد المـذكورون على انفسـهم انحاز الخليفه الى وصيف و بغا و انحدر معهما الى مدينه السلام و ليس له معهما امر و لا نهى(۱). و فى مدينه السلام اسلم امره الى اميرها محمد بن عبد اللّه الذى وقف الى جانبه فى محاربه جيش سامرا، و لكنه ما لبث ان تخلى عنه و فرض عليه ان يخلع نفسه من الخلافه(۲). و قد شرحنا ذلک فى الفصل الخاص بالحرب بين سامرا و بغداد.

۳- قتله:

لقد اتينا على تفصيلات الخلاف الذى نسب بين المستعين باللّه و بعض القواد الاتراک مما اضطره الى الانحدار الى بغداد، ثم مبايعه القواد فى سامرا للمعتز بالله، مما ترتب عليه وجود خليفتين فى آن واحد، و قيام الحرب بينهما، و انتهائها بخلع المستعين باللّه نفسه من الخلافه و مبايعته للمعتز بالله، و ذلک فى الفصل الخاص بالنزاع بين خلفاء سامرا و الاتراک.

۱- نفس المصدر/ ۱۴۵.

۲- الطبرى ۹/ ۳۴۴.

کـان المسـتعین باللّه نقل اثر تنازله عن الخلافه الی قصـر الحسن بن سـهل بالمحرم(۱)، مع عیـاله و ولـده و جواریه. و وکل بهم سعیـد بن رجـاء الحضـاری فی اصـحابه. و منع من الخروج الی مکه حسـبما کـان قـد اشترط عنـد مـا خلع نفسه. فاختار ان ینزل البصـره فلم یسمح له کذلک. فأحدر الی واسط فاقام هناک بضعه اشهر محبوسا و قد وکل به القائد الترکی احمد بن طولون. الا ان القواد الاتراک الذین کانوا بایعوا المعتز باللّه خافوا ان یسـتمیل المستعین باللّه بعض القواد و الجند فیکید لهم و للمعتز بالله، و قـد افصـحوا عن مخـاوفهم لام المعتز بالله فاضـطربت خوفا علی ابنها، فاتفقت معهم علی وجوب التخلص من الخلیفه المخلوع. و لمـا تقرر قتله کتب المعتز باللّه الی محمـد بن عبـد اللّه یأمره بتسـلیم المسـتعین الی سـیما الخادم، فکتب محمـد الی الموکلین به بواسط بتسـلیمه الی سـیما. فاخرجه احمد بن طولون الی القاطول و سـلمه الی سـعید بن صالح، المعروف بسـعید الحاجب، الذی کلف بقتله، و احتز رأسه. و هناک عـده روایات عن الطرق التی اتبعت فی قتله. اذ یقال انه ادخله منزله و عـذبه حتی مات(۲). و یقال ان سـعید رکب مع المستعین باللّه فی زورق و معه عده حتی حاذی به فم دجیل فشد فی رجله حجرا و القاه فی الماء ۲۸. و ذکر ان سـعیدا کلف به رجلاـ من الاـتراک یقتله، فسـأله المسـتعین باللّه ان یمهله حتی یصـلی رکعتین، و کانت علیه جبه، فسأل سعید الترکی الموکل بقتله ان یأخذها منه قبل قتله،

۱- الطبری ۹/ ۳۴۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۳- ۱۶۴ و فیه انه احدر الی دار الحسن بن وهب ببغداد.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۳، و تاریخ بغداد ۵/ ۸۵، و الکامل ۷/ ۱۷۳، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۵.

ففعل ذلک، فلما سجد فی الرکعه الثانیه قتله و اخذ رأسه(۱).

و ذکر الطبری الی جانب الروایات المذکوره روایات اخری(۲).

و انفرد صاحب خلاصه الذهب المسبوک بالقول بان الذی قتله هو بغا و حمل رأسه الی الخلیفه المعتز بالله(۳).

و جی ء بالرأس الی المعتز بالله، و کان یلعب الشطرنج مع بعض اصحابه، فقیل له: هذا رأس المخلوع، فقال ضعوه هناک. و بعد ان فرغ من لعبه دعا به فنظر الیه ثم امر بدفنه. و امر لقاتله سعید الحاجب بخمسین الف درهم و ولاه معونه البصره(۴). و هناک روایه اخری عن عرض رأس المستعین باللّه علی المعتز باللّه فی مجلس غنائه(۵).

کان المستعین بالله قد قتل فی الثالث من شوال سنه ۲۵۲ ه(۶). و قد اختلف فی عمره، فیقول المسعودی انه خمس و ثلاثون سنه، و یقول الخطیب البغدادی انه اربع و عشرون سنه(۷). و یلاحظ التفاوت الکبیر بینهما. اما السیوطی فیذکر ان عمره کان احدی و ثلاثین سنه، و یقول الابلی انه مات عن ثلاثین سنه(۸). الا انه لما کان الطبری و ابن الأثیر و السیوطی یتفقون علی انه کان فی الثامنه

۱- الطبری ۹/ ۳۶۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۵.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۳- ۳۶۴.

۳- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۹.

۴- الطبری ۹/ ۳۶۴، و الکامل ۷/ ۱۷۳.

۵- الدیارات/ ۱۷۰.

۶- الطبری ۹/ ۳۶۳، و مروج الذهب ۴/ ۱۴۴.

۷- مروج الذهب ۴/ ۱۴۴، و تاریخ بغداد ۵/ ۸۵.

۸- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۹.

و العشرين عند ما بويع بالخلافه(۱)، و ان مده خلافته ثلاث سنوات و تسعه اشهر فان عمره يكون فی حدود احدی و ثلاثين سنه. و هذا يتفق مع سنه مولده فی ۲۲۱ ه التی سبقت الاشاره اليها. و كانت المده بين خلعه و قتله تسعه اشهر كان معتقلا فيها(۲).

۱- الطبری ۹/ ۲۵۶، و الكامل ۷/ ۱۱۷، و تاريخ الخلفاء/ ۳۵۸.

۲- شذرات الذهب ۲/ ۱۲۵.

الفصل السابع المعتز باللّه ابو عبد اللّه المعتز باللّه بن جعفر المتوكل علی اللّه

۱- مبایعته:

عنـد مـا عـاد القواد الا تراک الـذین ذهبوا الی بغـداد لمقـابله المسـتعین بـاللّه و اقناعه بالعوده الی سامرا، و قـد یئسوا من عودته، حرضوا اصحابهم علی خلعه من الخلافه، و اجمعوا علی مبایعه المعتز بن المتوکل علی اللّه بدلا عنه. و کان المستعین باللّه عند ما انحدر الی بغداد قد حبس المعتز و اخاه المؤید فی الجوسق و اوکل بهما رجلا من الاتراک مع عدد من الاعوان(۱). فاخرجوهما و بایعوا المعتز بالله و عینوا المؤیـد ولیا للعهـد من بعـده، و قـد اختلفت المصادر فی تاریـخ مبایعته، الا انها لا تتعدی عن النصـف الأول من المحرم سنه ۲۵۱ ه(۲). فأمر المعتز باللّه للجند برزق عشره اشهر،

۱- الطبری ۹/ ۲۸۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۲۵۱، الاربعاء لاحـدی عشـره لیله خلت من المحرم، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۲: الاربعاء لثلاث عشره خلت من المحرم، و النبراس/ ۸۸: یوم السبت لست خلون من المحرم.

فلم يتوفر المـال الكـافى لـذلك، فـاعطوا ارزاق شـهرين فقط. و من الجـدير بالـذكر ان المسـتعين باللّه كان خلف فى بيت المال بسامرا نحوا من خمسـمائه الف دينار، و كان فى بيت مال امه ما قيمته الف الف دينار، و فى بيت مال ابنه العباس ما قيمته ستمائه الف دينار(۱).

و قـد اخذت البيعه للمعتز باللّه كتابه، و فيما يلى خلاصـتها(۲): «بسم الله الرحمن الرحيم، تبـايعون عبـد الله الامام المعتز باللّه امير المؤمنين بيعه طوع و اعتقاد .. لا مكرهين و لا مجبرين بل مقرين عالمين بما فى هذه البيعه و تأكيدها من تقوى اللّه و ايثار طاعته .. على ان ابا عبد الله المعتز باللّه عبد الله و خليفته المفترض عليكم طاعته و نصحيته ..

فى السر و العلانيه .. متمسكين ببيعته بوفاء العقد و ذمه العهد ..

و بولايه عهـد المسـلمين لابراهيم المؤيـد باللّه اخى امير المؤمنين، و على الا تسـعوا فى نقض شـى ء مما اكد عليكم .. و على الا تبـدلوا و لاـ تغيروا، و لاـ يرجع منكم راجع عن بيعته .. فمن نكث منكم ممـا بايع امير المؤمنين و ولى عهـد المسـلمين .. فكل ما يملـك من مـال و عقـار او سائمه او زرع او ضـرع صـدقه على المساكين .. و كل مملوك يملكه اليوم و الى ثلاثين سـنه ذكر و انثى، احرار لوجه اللّه، و نساؤه يوم يلزمه فيه الحنث و من يتزوج بعـدهن الى ثلاثين سـنه طوالق طلاق الحرج، لا يقبل اللّه منه الا الوفاء بها .. و اللّه عليكم بذلك شهيد».

۱- الطبرى ۹/ ۲۸۴، و الكامل ۷/ ۱۴۳.

۲- نص كتاب البيعه فى الطبرى ۹/ ۲۸۴- ۲۸۶.

و مما يدعو الى الاستغراب ان القواد الاتراک الذين تأمروا على المتوكل على اللّه اختاروا المعتز بالله للخلافه و عينوا اخاه المؤيد لولايه العهد، بعد ان كانوا استبعدوا اولاد المتوكل على اللّه عند ما اختاروا المستعين باللّه بعد وفاه المنتصر باللّه. و قد يكون سبب ذلك انهم شعروا بانهم اقوى من الخليفه الذى اختاروه و بوسعهم التخلص منه متى ما ارادوا ذلك.

و ركب المعتز باللّه من غد ذلک اليوم الى دار العامه فاخذت له البيعه العامه على الناس، و خلع على اخيه المؤيد، و عقد له عقدين اسود و ابيض، فكان الأسود لولايه العهد بعده، و الأبيض لولايه الحرمين. و بعث الكتب بذلک الى سائر الأمصار(۱). و عند ما خلع المستعين باللّه نفسه من الخلافه لثلاث خلون من المحرم سنه ۲۵۲ ه و بايع للمعتز باللّه(۲)، استقرت الخلافه للأخير فى جميع ارجاء الدوله العربيه.

۲- صفاته و سيرته:

تقاربت المصادر التاريخيه التى وصفت المعتز باللّه فى انه كان جميل الوجه لم ير فى الخلفاء مثله جمالا، ابيض مشربا بحمره، اسود الشعر كثيفه، ادعج العينين، و كان حسن الجسم طويل القامه(۳). و يقول عنه المسعودى انه كان يؤثر الملذات و يعدم

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۶۲- ۱۶۳.

۲- الطبرى ۹/ ۳۴۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۳.

۳- الطبرى ۹/ ۳۹۰، و التنبيه و الاشراف/ ۳۱۶، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

الرأی و تدبره امه قبیحه، و قد غلب علی امره، و قهر سلطانه، و کانت الکتب تخرج باسم صالح من وصیف کأنه مرسوم بالوزاره لقلبته علی الأمور(۱). و یری ابن الطقطقی ان المعتز باللّه لم یکن بسیرته و عقله بأس، الا ان الاتراک کانوا قد استولوا، منذ قتل المتوکل علی اللّه، علی المملکه، و استضعفوا الخلفاء، فکان الخلیفه فی یدهم کالاسیر ان شاءوا ابقوه و ان شاءوا خلعوه و ان شاءوا قتلوه(۲). الا ان ابن دحیه یقول عنه انه کان فیه ادب و کفایه و لکن ذلک لم ینفعه لأدبار امره و لقرب قرناء السوء منه(۳).

و وصف المعتز باللّه بانه کان سمح الأخلاق، واسع الصدر، له ادب و فهم، و کان یقول شعرا صالحا، و هو اول خلیفه احدث الرکوب بعلیه الذهب، و کان الخلفاء قبله یرکبون بالحلیه الخفیفه من الفضه(۴). و قد جعل نقش خاتمه «المعتز باللّه» کما یقول المسعودی، و «محمد رسول اللّه» کما جاء فی خلاصه الذهب المسبوک(۵). و یظهر مما یذکره الخطیب البغدادی انه کان له ختمان، احدهما کما ذکر المسعودی و الآخر کما جاء فی خلاصه الذهب المسبوک(۶).

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۶- ۳۱۷.

۲- الفخری/ ۲۲۰.

۳- النبراس/ ۸۸.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۸۰، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹.

۵- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۷، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

۶- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۴.

ولد المعتز باللّه فی یوم الخمیس السادس عشر من ربیع الاول سنه ۲۳۲ ه(۱). و کان مولده بسامرا(۲). و امه قبیحه و هی ام ولد رومیه(۳)، و کانت الزوجه المفضله عند المتوکل علی اللّه. و قد اختلف فی اسمه، فقد ورد فی المعارف و فی مروج الذهب «الزبیر» و جاء فی الکامل و النبراس «الزبیر و یقال طلحه»(۴).

۳- خلع المؤید من ولایه العهد:

نص عهد بیعه المعتز باللّه علی ان تکون ولایه العهد من بعده لأخیه ابراهیم المؤید. و کان ذلک احیاء للعهد الذی وضعه المتوکل علی اللّه. و کانت العلاقه بین الاخوین ودیه، و استمرت کذلک حتی بلغ المعتز باللّه ان عامل ارمینیه العلاء بن احمد بعث الی المؤید بخمسه الاف دینار، فحاذر من اتصال اخیه ببعض القواد و العمال، و العمل ضده. فبعث الی اخویه المؤید و ابی احمد طلحه- و هما شقیقان لأم و اب- فحبسهما فی الجوسق، و قید المؤید و وضعه فی حجره ضیقه(۵). ثم علم ان جماعه من القواد الاتراک یریدون اخراجه من السجن، و رغم عدم تحققه من ذلک، فقد امر بضربه.

۱- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۲، و تاریخ الخلفاء/ ۳۵۹، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰ و فیه انه ولد فی سنه ۲۳۳ ه.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۱.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۶۶.

۴- المعارف/ ۳۹۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۶، و الکامل ۷/ ۴۹، و النبراس/ ۸۸.

۵- الطبری ۹/ ۳۶۱.

و اخذت منه رقعه بخطه يخلع نفسه من ولايه العهد(۱). ثم ما لبث المؤيد ان مات فى الحبس.

خشى المعتز بـالله ان يتهم بقتـل اخيه، فـدعا بلقضـاه و الفقهاء و الشـهود فأخرج اليهم ابراهيم المؤيـد ميتا لا أثر به و لا جرح، و حمله الى امه اسحاق على حمار و حمل معه كفن و حنوط، و امر بدفنه.

و يقال سـبب موته انه ادرج فى لحاف مسموم و شد طرفاه حتى مات فيه(۲). كما يقال انه اقعـد فى حجر من ثلج و نضدت عليه حجره التلج فماد بردا(۳). و يظهر ان موت المؤيـد لم يكن طبيعيا، و قـد مات باحـدى وسائل التعـذيب المعروفه آنذاك بعد ان قرر المعتز بالله التخلص منه.

و قال الشاعر مروان بن ابى الجنوب قصيده فى مدح المعتز و امر المؤيد، جاء فيها(۴):

انت الذى يمسك الدنيا اذا اضطربت يا ممسك الدين و الدنيا اذا اضطربا

ما كنت اول رأس خانه ذنب و الرأس كنت و كان الناكث الذنبا

لو كان تم له ما كان دبره لأصبح الملك و الاسلام قد ذهبا

۱- الطبرى ۹/ ۳۶۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۷۶.

۲- الطبرى ۹/ ۳۶۲، و مروج الذهب ۴/ ۱۷۶.

۳- الطبرى ۹/ ۳۶۲.

۴- الطبرى ۹/ ۳۶۴- ۳۶۵.

اراد يهلک دنيانا و يعطبهاو قد اراد هلاک الدين و العطبا

لما اراد و ثوبا من سفاهته امسى عليه امام العدل قد وثبا

لقد رماک بسهم لم يصبک به و من رماک عليه سهمه انقلبا

لقد رعيت له ما کان من سبب فما رعى لک احسانا و لا سببا

و کنت اکثر برا من ابيه به و لم تکن بأخ فى البر، کنت أبا

و کان قرب سرير الملک مجلسه فقد تباعد منه بعد ما اقتربا

و ذل بعد تماديه و نخوته کالحوت اصبح عنه الماء قد نضبا

و قد فسخت عن الأعناق بيعته فلا خطيب له يدعوا اذا اختطبا

أمست قطيعه ابراهيم قد قطعت حبل الصفاء و حبل الود فانقضبا

و يستنتج مما جاء فى هذه الأبيات ان المؤيد حاول الوثوب باخيه المعتز باللّه، رغم انه کان برا به، و قد احسن اليه و قربه حتى صار موضع احترام الجميع. الا انه تجاهل ذلک و تنکر له، و اخذ

یعمل ضد اخیه. هذا اذا لم یکن الشاعر قد حابی الخلیفه و قال ما یرضیه.

۴- خلع المعتز باللّه و قتله:

لم یلبث القواد الاتراک ان اختلفوا مع المعتز باللّه، لا سیما عند ما عجز عن تدبیر الاموال لهم و لارزاق جندهم، فقرروا خلعه و التخلص منه. و قد ذکرنا هذا بشی ء من التفصیل فی البحث الخاص بالخلفاء و القواد الاتراک. فقبضوا علیه و اجبروه علی ان یخلع نفسه من الخلافه. و کانوا اتفقوا علی ان یبایعوا محمد بن الواثق باللّه الا ان محمدا امتنع عن قبول البیعه له ما لم یخلع المعتز باللّه نفسه امامه، فاحضر المعتز باللّه فتنازل امام محمد و تمت البیعه للخلیفه الجدید الذی لقب بالمهتدی باللّه.

و قد حبس المعتز باللّه، و کان القواد الاتراک قرروا قتله.

فقتل فی محبسه بعد بضعه ایام(۱). و هناک عده روایات عن کیفیه قتله. فیقال انه منع عنه الطعام و الشراب ثلاثه ایام، ثم ادخلوه سردابا و جصصوه علیه فاصبح میتا(۲). و یقال انهم ادخلوه الی الحمام حتی عاین الموت و هو یطلب الماء فیمنع عنه، ثم اعطوه ماء مثلجا فشربه و سقط میتا(۳). و یقال انه ادخل الحمام فاغلق علیه حتی مات(۴). و کانت وفاته فی الثانی من شعبان

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۷۸، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۴.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰، و الکامل ۷/ ۱۹۶، و تاریخ ابن خلدون ۲/ ۵۰۴.

۳- العبر ۲/ ۹.

۴- النبراس/ ۸۸.

سنه ۲۵۵ ه(۱). و لما مات اشهدوا علی موته بنی هاشم و القواد بانه صحیح لا اثر فیه. فدفن مع المنتصر باللّه فی ناحیه قصر الصوامع(۲). ای انه دفن فی قبر ظاهر مشهود کقبر المنتصر باللّه و فی نفس المکان.

و کان مده خلافته من یوم بویع له بسامرا الی ان خلع اربع سنین و سته اشهر و ثلاثه و عشرین یوما ۲۹. اما مدتها منذ ان تمت بیعته ببغداد فکانت ثلاث سنوات و سبعه اشهر(۳). و کان عمره عند وفاته اربعا و عشرین سنه(۴).

۱- تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۶، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۴ و فیه انه توفی لثلاث بقین من رجب.

۲- الطبری ۹/ ۳۹۰، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۵- ۱۲۶، و جاء فیه: و یقال انه دفن بموضع یقال له السمیدع.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۶۶ و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۴، و النبراس/ ۸۸، و تاریخ بغداد ۲/ ۱۲۶، و فیه تنقص المده ثلاثه ایام.

۴- الطبری ۹/ ۳۹۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۶، و الکامل ۷/ ۱۹۶.

الفصل الثامن المهتدی باللّه محمد بن الواثق باللّه

۱- مبایعته:

بعد ان قرر الاتراک خلع المعتز باللّه اجتمعت کلمتهم علی ان لیس فی اولاد الخلفاء افضل و لا اعقل من محمد بن الواثق باللّه(۱).

کانوا عند ما حبسوا المعتز باللّه بعثوا الی مدینه السلام لاحضار محمد، و کان المعتز باللّه قد نفاه الیها و اعتقله فیها. و یقال ان سبب نفیه انه کان یکثر التردد علی المعتز باللّه و کان هذا یستمع الی اقواله فی امور کثیره، و فیما یمضیه و یبدیه. و کان کثیرا ما یعارض قبیحه ام المعتز باللّه فیما تأمر و تنهی، فضاقت به ذرعا و لم تزل بابنها حتی امر باحداره الی مدینه السلام علی کره منه(۲) فلما جی ء به الی سامرا عرض علیه الاتراک ان یبایعوه بالخلافه فابی حتی خلع المعتز باللّه نفسه امامه و اعترف بعجزه عن القیام بمهام

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۵.

۲- المحاسن و المساوی ء/ ۵۳۹.

الخلافه، ثم بایعه، فتبعه القواد الاتراک و الحاضرون و سمی المهتدی باللّه. و کان ذلک فی یوم الاربعاء للیله بقیت من رجب سنه ۲۵۵ ه(۱).

و عند ما ورد کتاب المهتدی باللّه الی مدینه السلام بالبیعه له هاج من فیها من الجند و خرج معهم العامه و هجموا علی دار سلیمان بن عبد الله صاحب الشرطه، و هتفوا باسم ابی احمد الموفق بن المتوکل علی اللّه الذی کان حینذاک منفیا فی مدینه السلام، و نادوا بالبیعه له. فحدثت بالمدینه فتنه قتل فیها کثیرون، و غرق فی دجله قوم و جرح آخرون. و یقول الطبری «حتی وجه الی اهل بغداد بمال رضوا و وقعت بیعته الخاصه ببغداد للمهتدی یوم الخمیس لسبع لیال خلون من شعبان، و دعی له یوم الجمعه لثمان خلون منه»(۲).

و مدحه الشاعر البحتری مشیدا بورعه و عدله بقصیده منها:(۳)

بارک اللّه للخلیفه فی الملک الذی حازه له المقدار

رتبه من خلافه اللّه قد طالت بها رقبه له و انتظار

طلبته فقرا الیه، و ما کان به ساعه الیها افتقار

۱- الطبری ۹/ ۳۹۱ و مروج الذهب ۴/ ۱۸۲ و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۵ و فیه

۲- الطبری ۹/ ۳۹۳. ان بیعته کانت قبل ذلک بیوم واحد. و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۸.

۳- القصیده فی دیوان البحتری ۲/ ۸۵۲- ۸۵۶.

أخذ الاولياء اذ بايعوه بيدى مخبت عليه الوقار

و تجلى للناظرين أبى فيه عن جانب القبيح ازورار

و ارتنا السجاد سيماطويل الليل فى وجهه لها آثار

ولديه تحت السكينه و الأخبات سطو على العدا و اقتدار

زاد فى بهجه الخلافه نورافهو شمس للناس، و هى نهار

و اجار الدنيا من الخوف و الحيف،فهل يشكر المجير المجار

۲- صفاته و سيرته:

ولد المهتدى باللّه بالقاطول فى سنه ۲۱۸ ه و قيل ۲۱۹ ه و نشأ بسامرا(۱). و كان عمره عند ما بويع له سبعا و ثلاثين سنه، و قيل تسعا و ثلاثين(۲). و امه ام ولد روميه يقال لها قرب(۳). و قد توفيت قبل ان يبايع له. و كان قد تزوجها المستعين باللّه، و لما قتل صير المعتز باللّه مع الحرم فى قصر الرصافه. و قال المهتدى يوما لجماعه من القواد الاتراك: اما انا ليس لى ام احتاج لها الى غله عشره الاف الف دينار فى كل سنه لجواريها و خدمها و المتصلين بها، و ما اريد لنفسى و ولدى الا القوت(۴). و هو يعرض بهذا بام المستعين بالله

۱- تاريخ بغداد ۳/ ۳۴۸، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۳۱.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۸۲.

۳- الطبرى ۹/ ۳۹۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۸۲، و تاريخ الخلفاء/ ۳۶۱ و يسميها ورده.

۴- الطبرى ۹/ ۳۹۶.

و أم المعتز بالله اللتين عرفتا باحتواء الاموال و الاسراف فی الانفاق و الامعان فی حیاه الترف.

اتفق الطبری و المسعودی علی وصف المهتدی باللّه بانه کان رحب الجبهه اجلح، جهم الوجه، اشهل عظیم البطن، عریض المنکبین، قصیر القامه، طویل اللحیه(۱). و یقول الخطیب البغدادی انه کان اسمر رقیقا، حسن اللحیه، اشیب، حسن العینین(۲).

و قد اختلف المهتدی عن اسلافه من خلفاء بنی العباس فی سلوکه و سیاسته فی الحکم. اذ کان، کما یقول الخطیب البغدادی، من احسن الخلفاء مذهبا و اجلهم طریقه، و اظهرهم و رعا، و اکثرهم عباده(۳). و یضیف السیوطی انه کان عادلا قویا فی امر اللّه، و بطلا شجاعا، و لم یزل صائما منذ ان ولی الخلافه الی ان قتل(۴).

و کان یحاول ان یکون فی بنی العباس مثل عمر بن عبد العزیز فی بنی امیه، و کان یقول انه غار علی بنی هاشم فاخذ نفسه بهذه السیره. و قد وجد له سفط فیه جبه صوف و کساء، و کان یلبس ذلک فی اللیل و یصلی فیه(۵).

امر المهتدی باللّه باخراج القیان و المغنین من حاضره الخلافه سامرا و نفیهم الی بغداد، و امر بقتل السباع التی کانت بدار

۱- نفس المصدر/ ۴۶۹، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸.

۲- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۸.

۳- نفس المصدر، و الکامل ۷/ ۲۳۳.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۱.

۵- تاریخ بغداد ۳/ ۳۵۰، و الکامل ۷/ ۲۳۴، و خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۰.

الخلافه و طرد الكلاب(۱). و اطرح الملاهی، و حرم الغناء و الشراب(۲). و امر ان يحد شارب الخمر كائنا من كان. فابغضه الجند و اهل الفساد بسبب ذلك(۳). و مع الموظفين و العمال عن الظلم و التعدی(۴). و ذكر المسعودی اجراءات اخرى اتخذها المهتدی بالله تقشفا و ورعا، فقد قلل من اللباس و الفرش و المطعم و المشرب. و امر باخراج آنيه الذهب و الفضه من الخزائن فكسرت و ضربت دنانير و دراهم، و عمد الى الصور التى كانت فى المجالس فمحيت، و ذبح الكباش التى كان يناطح بها بين يدی الخلفاء، و الديوك، و قتل السباع المحبوسه، و رفع بسط الديباج و كل فرش لم ترد الشريعه باباحته، و كانت الخلفاء قبله تنفق على موائدها فى كل يوم عشره الاف درهم، فازال ذلك و جعل لمائدته و سائر مؤونته فى كل يوم مائه درهم(۵).

و كان المهتدی باللّه رد المظالم و جلس للعامه يستمع الى شكاواهم و يفصل بينهم(۶). و بنى قبه لها اربعه ابواب سماها قبه المظالم، و كان اذا جلس فيها للنظر فى المظالم امر بان توضع مواقد الفحم فى الاروقه عند اشتداد البرد، و اذ دخل المتظلم أمر بان يدفأ و يجلس ليسكن روعه و يثوب اليه عقله و يتذكر حجته، ثم يدنيه

۱- الطبری ۹/ ۴۰۶، و الكامل ۷/ ۲۰۳.

۲- الطبری ۹/ ۴۰۶، و الكامل ۷/ ۲۳۵، و الفخری/ ۲۲۳، و خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۳۰.

۳- خلاصه الذهب المسبوك.

۴- الكامل ۷/ ۲۳۴، و الفخری/ ۲۲۳.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۸۹- ۱۹۰.

۶- الطبری ۹/ ۴۰۶، و الكامل ۷/ ۲۰۳.

و یسمع منه(۱). و کان هو آخر من جلس لرد المظالم من خلفاء بنی العباس(۲). کما کان شدید الاشراف علی امور الدواوین و شؤون الخراج، و یحاسب کتاب الدواوین بنفسه(۳).

ان تقلیص نفقـات دار الخلافه عامه، و نفقات الخلیفه بصوره خاصه، و تشدیـد الرقابه علی دواوین الـدوله و امور الجبایه، کانت اهم ما قام به المهتـدی باللّه، فی مـده حکمه القصـیره. و یبدو انه کان یهدف الی اصـلاح النظام المالی الذی کان قائما آنذاک، بتنظیم جبایه الایرادات، و اوجه الانفاق. الا انه لم یستطع ان یحقق من ذلک سوی شی ء یسیر لسوء الجهاز الاداری من جهه و لا نشغاله فی الصراع الذی نشب بینه و بین القواد الأتراک، من جهه اخری.

لقد کان لتزمت المهتدی باللّه رد فعل سـی ء علیه، فقد ثقلت و طأته علی الناس عامه و خاصه، فاسـتطالوا خلافته، و سئموا ایامه، و عملوا الحیله علیه حتی قتلوه(۴). و یعزو صاحب خلاصه الذهب المسبوک اتفاق الامراء الاتراک علی محاربته و خلعه لما کان نهاهم عن جمیع المنکرات، و منعهم عن تعاطی المحرمات(۵). و مع ما فی هذا القول من المغالاه فهو لا یخلو من الحقیقه. و قد قال له احـد القواد الاتراک فی احدی مناقشاته معهم: أترید ان تحمل الناس علی سـیره عظیمه لم یعرفوها؟ قال: ارید ان احملهم علی سیره الرسول صلی الله علیه و سلم و اهل بیته و الخلفاء الراشدین، فقال

۱- المحاسن و المساوی ء/ ۵۴۰.

۲- الاحکام السلطانیه/ ۶۴.

۳- تاریخ بغداد ۳/ ۳۵۰.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۸۳.

۵- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۲.

له: ان الرسول صلی الله علیه و سلم کان مع قوم قد زهدوا فی الدنیا و رغبوا فی الآخره، و انت انما رجالک ما بین ترکی و خزری و فرغانی و مغربی، و غیر ذلک من انواع الأعاجم لا یعلمون ما یجب علیهم من أمر آخرتهم، و انما غرضهم ما استعجلوه من هذه الدنیا، فکیف تحملهم علی ما ذکرت(۱)؟ و شبیه بهذا ما یقوله المسعودی من ان المهتدی باللّه «صاحب اقواما لا تجوز عندهم اخلاق الدین و لا یریدون الا امر الدنیا»(۲). و الواقع ان المهتدی بالله لم یجد له ناصرا عند ما اصطدم بمخالفیه من الاتراک.

و یعزو ابن دحیه ما واجه المهتدی بالله من المصاعب الی الرجال الذین تولوا شؤون الدوله علی عهده، فیقول: و لم یوفق فی الوزیر و الحاجب و القاضی، لأن وزیره جعفر بن محمود الاسکافی، و حاجبه صالح بن وصیف، و قاضیه الحسن بن محمد بن ابی الشوارب، یحبون الدنیا و یشرئبون الیها، فکانوا اعانه علی سفک دمه(۳).

۳- خلعه و قتله:

تروی المصادر عده روایات عن اسباب الخلاف الذی نشب بین الخلیفه المهتدی باللّه و بین القواد الأتراک. و مهما اختلفت تلک الروایات فانها تتفق فی ان السبب الرئیس هو الشک القائم بین الخلیفه و کبار القواد مما ادی الی صراع شدید بین الجانبین انتهی

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۸۳.

۲- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸.

۳- النبراس/ ۸۹.

بالقضاء على خلافه المهتـدى باللّه و حياته. فقد ضاق الخليفه المتزمت ذرعا بتسـلط اولئك القاده على شؤون الدوله و استئثارهم بمواردها و اموالها، و حاول ان يسـتغل نقمه الجند على قوادهم و شكاواهم منهم، و بعض الخلافات القائمه بين القواد انفسهم، و يعمل للقضاء على بعضهم لأضعاف شوكتهم بصوره عامه. الا ان عمله فى هذا كانت تنقصه الحكمه و التدبير، و كانت محاولاته مكشوفا. فلما ادرك الاتراك نيه المهتـدى باللّه نحوهم و عزمه على فل جمعهم و اضـعاف شأنهم، و حـدوا كلمتهم فقضوا على احـد زملاـئهم هو القائـد صالـح بن وصـيف الـذى كـان يظاهر الخليفه، و من ثم هاجموا الخليفه نفسه. فقصـدوا دار الخلافه فى منتصف شـهر رجب سـنه ۲۵۶ ه، و انضـم اليهم الجنـد الاـتراك الـذين كـانوا اعلنـوا ولاـءهم للخليفه، فبقى معه عـدد قليـل من مناصريه، فجرح و اضطر الى الهرب من الدار، ثم يلبث ان استسلم لاعدائه، فحبسوه فى الجوسق.

اجتمع القواد الاتراك و طلبوا اليه ان يخلع نفسه من الخلافه فأبى. الا انهم اختاروا احمـد بن المتوكل على اللّه و بايعوه بالخلافه، و لقب بالمعتمـد على اللّه. ثم اخرجوا المهتـدى بـالله من حبسه ميتـا و ادعوا بـأنه مـات متأثرا بجراحه. و يقال انه لما ابى ان يخلع نفسه خلعوا اصابع يديه و رجليه من كفيه و قدميه حتى و رمتا و عذبوه فمات(۱). و يروى المسعودى انهم طعنوه بالخناجر و كان اول من جرحه ابن عم لبايكبـاك طعنه فى اوداجه و انكب عليه فـالتقم الجرح و الـدم يفور منه، و اقبـل يمص الـدم حتى ارتوى منه، و كان هذا

۱- الطبرى ۹/ ۴۶۸.

الترکی سکرانا، فلما ترکه کان المهتدی باللّه قد مات(۱). و یؤید ابن دحیه انه قتل بخنجر(۲). و یروی انهم داسوا خصیته فمات(۳). و یظهر من روایه الیعقوبی انه یؤید موته من جراحه اذ یقول «فحملوه علی دوابه و جراحاته تنطف دما، فدعوه الی ان یخلع نفسه فأبی، و مات بعد یومین(۴).

و یظهر ان طائفه من الاتراک ندموا علی قتلهم المهتدی بالله، فداروا به ینوحون و یبکون علیه لما تبین لهم من نسکه و زهده(۵).

کان عمر المهتدی باللّه عند وفاته ثمانیه و ثلاثین عاما حسبما ذکره الطبری، الا ان الخطیب البغدادی و الاربلی یقولان انه مات عن سبعه و ثلاثین عاما و اربعه اشهر و عشره ایام. اما المسعودی فیقول انه کان له من العمر اربعون عاما(۶). و اذ ما کان تاریخ میلاده الذی سبق ان ذکرناه صحیحا فان ما ذکره الخطیب البغدادی و الاربلی هو العمر الصحیح للمهتدی باللّه.

اما مده خلافته فقد بلغت احدی عشر شهرا و سبعه عشر یوما او ثمانیه عشر، کما یقول الیعقوبی و المسعودی و الخطیب.

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۸۶.

۲- النبراس/ ۸۹.

۳- الکامل ۷/ ۲۳۰.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۶.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۸۶.

۶- الطبری ۹/ ۴۶۹، و تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۸، و خلاصه الذهب المسبوک/

البغدادی(۱). غیر ان الطبری یزید علی ذلک بضعه ایام(۲).

و نظرا لثبوت تاریخ مبایعته بالخلافه و یوم وفاته، فان المده التی ذکر الیعقوبی و المسعودی و الخطیب اقرب الی الصواب.

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۶، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸، و تاریخ بغداد ۲۳۲، و التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸. ۳/ ۳۵۱.

۲- الطبری ۹/ ۴۶۹.

الفصل التاسع المعتمد علی اللّه ابو العباس احمد بن المتوکل علی اللّه

۱– مبایعته:

لم یستطع القواد الاتراک ان یرغموا الخلیفه المهتدی بالله علی، ان یخلع نفسه من الخلافه رغم الاسالیب القاسیه التی اتبعوها معه، فمات و هو الخلیفه الشرعی. الا انهم کانوا قد اخرجوا احمد بن المتوکل علی الله من حبسه فی الجوسق و بایعوه، و لقب بالمعتمد علی الله. و یظهر انهم بعد ان خاضوا صراعا عنیفا مع المهتدی بالله حتی تخلصوا منه، حرصوا علی ان یختاروا للخلافه من یتوسمون فیه ضعف الشخصیه و سهوله الانقیاد، لیکون طوع ارادتهم. فاختاروا احمد بن المتوکل علی اللّه رغم انهم اخذوا علی انفسهم الا یفسحوا المجال لأحد من ولد المتوکل علی الله ان یصل الی منصب الخلافه.

و قد بویع المعتمد علی الله فی یوم الثلاثاء لاربع عشر بقیت من رجب سنه ۲۵۶ ه(۱) و کان عمره خمسا و عشرین سنه(۲). و کان قد ولد فی سنه ۲۲۹ ه(۳) و اذا صح تاریخ مولده هذا فان عمره یجب ان یکون قریبا من سبع و عشرین سنه. و کان احمد المعتمد علی اللّه یسمی ابن فتیان نسبه الی امه، و هی ام ولد رومیه اسمها فتیان(۴).

۲- صفاته و سیرته:

تفاوت المؤرخون فی ذکر اوصاف المعتمد علی الله. و یقول المسعودی انه کان حسن الجسم، کبیر العینین، طویلا- جسیما، طویل اللحیه، عظیم الهامه(۵). و یقول الاربلی انه کان اسمر رشیقا خفیف اللحیه(۶). و یضیف الذهبی علی ذلک انه کان مدور الوجه، ملیح العینین، صغیر اللحیه و قد اسرع الیه الشیب(۷).

اما ما ورد عن اخلاقه و سلوکه فان المسعودی یقول انه کان مشغوفا بالطرب، و الغالب علیه المعاقره و محبه انواع اللهو، و انه اهمل امور الرعیه و تشاغل بلهوه و لذاته حتی اشفی الملک علی

۱- الطبری ۹/ ۴۷۴، و المعارف/ ۳۹۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۹۸.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۹۸.

۳- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۳، و تاریخ الخلفاء ۳۶۳.

۴- المعارف/ ۳۹۱، و الطبری ۹/ ۴۷۴، و تاریخ بغداد ۴/ ۶۱، و مروج الذهب ۴/ ۱۹۸ و یقول انها کوفیه.

۵- التنبیه و الاشراف/ ۳۲۰.

۶- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۳۳.

۷- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۳.

الذهاب(۱). و یؤیده فی ذلک مؤرخون آخرون. اذ یقول التنوخی عنه انه مع سماحه اخلاقه و کثره جوده و سخائه کان شدید العربده علی ندمائه اذا سکر، و لا یکاد یسلم له من العربده مجلس الا فی الأقل(۲). و یقول الذهبی انه کان منهمکا علی اللهو و اللذات، یسکر و یعربد(۳). و یقول السیوطی انه انهمک فی اللهو و اللذات و اشتغل عن الرعیه فکرهه الناس و احبوا اخاه طلحه(۴). علی انه من جهه اخری کان حلیما لطیفا، من الرأفه و الرحمه علی غایه(۵). و انه کان من اسمح آل العباس، و کان یمثل بینه و بین المستعین باللّه و یقال: ما ولی اسمح منهما، کما کان جید التدبیر، فهما بالامور، فلما قوض امره و غلب علی رأیه، نقصت حاله عند الناس(۶). و یقال انه کان یحب الاطراء و المدیح، فاذا عمل جمیلا اکثر من ذکره و تبجح به و ان کان صغیرا(۷).

و قد اشرنا فی الفصل الخاص بمجالس الخلفاء الی بعض مظاهر اسرافه، مما جعل اخاه الموفق یمنع عنه المال لحاجه الدوله الی الاموال لتوفیر نفقات الحروب الداخلیه، لا سیما حرب الزنج التی اضطرتها علی الاقتراض من التجار(۸).

۱- مروج الذهب ۴/ ۲۲۰ و التنبیه و الاشراف/ ۲۱۸.

۲- الفرج بعد الشده ۲/ ۲۴۳.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۴.

۴- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۳.

۵- تاریخ الخلفاء ۲/ ۱۷۴.

۶- الدیارات/ ۱۰۲.

۷- الفرج بعد الشده ۲/ ۲۴۸.

۸- تاریخ بغداد ۳/ ۲۰۶، و نشوار المحاضره.

۳- استئثار الموفق بالسلطه:

كانت خلافه المعتمد على اللّه عجيبه الوضع، كما يقول ابن الطقطقى، فقد كان هو و اخوه طلحه الملقب بالموفق كالشريكين فى الخلافه، للمعتمد على اللّه الخطبه و السكه و التسميه بامره المؤمنين، و لأخيه طلحه الأمر و النهى و قود الجيش و محاربه الاعداء و مرابطه الثغور و ترتيب الوزاره و الامراء(۱). و يقول المسعودى ان اخاه ابا احمد الموفق قد غلب على امره و تدبير ملكه و سياسه سلطانه، و صيره كالمحجور عليه، لا امر له و لا نهى، و ان الموفق قام بذلك احسن قيام رغم ما كان يلقى من اعتراض الاتراك و شغبهم و سوء طاعتهم(۲). و كذلك يقول ابن الأثير ان المعتمد على اللّه كان فى خلافته محكوما عليه، قد تحكم فيه اخوه ابو احمد الموفق و ضيق عليه(۳).

و مما يلفت النظر ان ابا جعفر الطبرى و احمد بن واضح اليعقوبى، و هما من قدامى المؤرخين و قد عاصرا احداث عهد سامرا، لم يشيرا الى تسلط الموفق على شؤون الخلافه فى عهد اخيه المعتمد على اللّه، و لم يذكرا شيئا عن ذلك. و يعتبر المسعودى اقدم من اشار الى تلك العلاقه بين الخليفه و اخيه، من المؤرخين.

ان من يدقق سيره المعتمد على الله و اعماله طيله مده خلافته التى قاربت ربع قرن يستنتج انه كان احد اثنين: اما انه كان يزهد

۱- الفخرى/ ۲۲۶- ۲۲۷.

۲- التنبيه و الاشراف/ ۳۱۸- ۳۱۹ و مروج الذهب ۴/ ۲۱۱.

۳- الكامل ۷/ ۴۵۵.

السلطه بطبیعته، و یمیل الی اللهو و الملذات، و قد أمن جانب اخیه فترک له کل سلطاتها لیمارسها فی تسییر شؤون الدوله، بحیث غدا المعتمد علی اللّه محجورا علیه، فلم یستطع مجابهه اخیه، فاضطر الی ان ینفس عن قهره و غلبته بالانصراف الی اللهو و الاغراق فی الملذات. الا ان ممارسه المعتمد علی اللّه سلطاته کخلیفه بین حین و آخر، کتعیین الوزراء و الولاه و القضاه، و توجیه بعض الامور، و قیاده بعض الحملات العسکریه، و الاهتمام بالقضاء علی الثورات، و تشیید قصر المعشوق و غیره، یجعلنا نمیل الی الرأی الأول.

و الواقع ان المعتمد علی الله کان یمارس سلطانه فی تعیین الوزراء و الولاه و القواد منذ تولیه الخلافه. فقد استوزر عبید الله بن یحیی عند ما افضت الیه الخلافه(۱). و لما مات عبید الله استوزر الحسن بن مجلد(۲). ثم عزله و استوزر سلیمان بن وهب(۳).

و قلد القائد الترکی اماجور ولایه دمشق و اعمالها فی سنه ۲۵۶ ه(۴). و لما ظهر علی بن زید بالکوفه وجه القائد کیجور الی محاربته(۵). و وجه القائد موسی بن بغا، و هو کبیر القواد الاتراک، الی الری لحرب الحسن بن زید الطالبی(۶). و سیر فی سنه ۲۵۷ ه احمد المولد الی البصره لحرب صاحب الزنج(۷). و عقد

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۷، و مروج الذهب ۴/ ۱۹۹.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۹۹.

۳- الفخری/ ۲۲۸.

۴- الکامل ۷/ ۲۳۸.

۵- نفس المصدر/ ۲۳۹.

۶- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۴۰.

۷- الطبری ۹/ ۴۸۸، و الکامل ۷/ ۲۴۶.

فی سنه ۲۵۸ ه لأخیه الموفق علی عـدد من الولایات و خلع علیه، و علی مفلـح القائد، و سـیرهما الی حرب الزنج(۱). ثم اتبعهما بالقائد موسی بن بغا فی السنه التالیه(۲). و عین فی سنه ۲۶۰ ه اساتکین من کبار قواد الاتراک والیا علی الموصل(۳). و عین فی السنه التالیه محمد بن عمر بن علی الطائی والیا علی اذربیجان(۴). کما انه خرج فی سنه ۲۶۲ ه علی رأس الجیش لحرب یعقوب بن اللیث الصفار لما أصر علی القدوم بجیشه الی سامرا(۵).

یستدل مما ذکرنا ان الموفق لم یبعد اخاه عن ممارسه سلطاته الا بعد عده سـنوات من تولیه الخلافه. و ذلک بعد ان اظهر کفایه عسـکریه و سیاسـیه فی حربه صاحب الزنج، و فی رده ابن الصفار عن العراق، مما اکسبه محبه الناس و احترام القواد. و اذا کانت الحوادث الجسام، او ما نسـمیه بالازمات، تظهر قابلیات الرجال و تکشف عن معادنهم، فقـد اظهر الموفق فی الحروب التی قادها مهـاره و حزمـا. اضـافه الی مـا کان یتمتع به من خلق هادی ء رصـین، و صـفات انسانیه. اذ کان شدیـد الرعایه لجنـده و بخاصـه الجرحی منهم، و یتفقد ابناء الشـهداء، و کانت رعایته تشـمل جرحی الأعداء ایضـا(۶). و بذلک اسـتطاع ان یفرض احترامه علی القواد و الولاه،

۱- الطبری ۹/ ۴۹۰، و الکامل ۷/ ۲۵۹.

۲- الکامل ۷/ ۲۵۹.

۳- نفس المصدر/ ۲۶۹.

۴- نفس المصدر/ ۲۸۸.

۵- الطبری ۹/ ۵۱۶، و مروج الذهب ۴/ ۲۰۰، و الکامل ۷/ ۲۹۰.

۶- الطبری ۹/ ۶۰۳ و ۶۰۸، و الکامل ۷/ ۳۶۵- ۳۶۶.

و رجال الدوله فی سامرا. مما اتاح له ان یفرض سلطاته علی الخلیفه نفسه بحیث لم یترک له بعد سنه ۲۶۸ ه من الخلافه غیر اسمها، و لم یعد ینفذ له توقیع لا فی قلیل و لا فی کثیر. و غدا الحکم کله للموفق، و الاموال تجبی الیه، مما اضجر المعتمد علی اللّه بحیث انه حاول الهرب و الالتجاء الی احمد بن طولون فی مصر، فاعید الی سامرا مرغما.

و مما یؤید ما ذهبنا الیه ما ذکره ابن دحیه من ان ایام المعتمد علی اللّه کانت مضطربه الاحوال مختله التدبیر، کثیره العزل و التولیه بتدبیر الموالی و غلبتهم علیه(۱). ای ان اضطراب احواله و اختلال ادارته فی اول امره کان بسبب تأثیر القواد الاتراک علیه.

و یستنتج مما اورده الحصری ان امر المعتمد علی الله کان، قبل تمکن الموفق، فی ید القواد الاتراک(۲). و الواقع انه اضطر بعد ما بویع بالخلافه ان یصافح کبیر قوادهم موسی بن بغا، فعند ما کان موسی یخرج من سامرا کان المعتمد علی الله یشیعه(۳). کما انه ولاه قیاده الجیش الذی وجهه لقتال صاحب الزنج فی سنه ۲۵۹ ه و شیعه بنفسه و خلع علیه(۴). و لما عهد بولایه العهد لابنه جعفر ضم الیه موسی بن بغا فآل الیه حکم الولایات التی جعلت لجعفر، نیابه عنه(۵). فقد ادرک المعتمد علی اللّه ان بقاءه رهین برضاء القواد الاتراک، و لا بد من مصانعتهم و تلبیه طلباتهم، کی یضمن

۱- النبراس/ ۸۹.

۲- جمع الجواهر/ ۱۵۸.

۳- الطبری ۹/ ۴۷۴.

۴- نفس المصدر/ ۵۰۴.

۵- الطبری ۹/ ۵۱۴.

ولاءهم و عدم و ثوبهم به. و لما لمس فی اخیه الموفق قوه شخصیته و قدرته علی السیطره حاول ان یضمن بواسطته سلامته و بقاءه علی عرش الخلافه. الا ان طموح الموفق و ضعف شخصیه المعتمد علی اللّه، جعلت الموفق یسیطر علی کل شی ء. و مما زاد فی نفوذ الموفق انغماس المعتمد علی اللّه فی اللهو و الملذات، فغلبه علی امره و تدبیر ملکه و سیاسه سلطانه. فقام بالملک احسن قیام و قمع من قرب من الاعداء و استصلح من نأی منهم(۱). و قد خطب للموفق علی المنابر، و کان یقال بالخطبه: اللهم اصلح الأمیر الناصر لدین اللّه ابا احمد الموفق ولی عهد المسلمین اخا امیر المؤمنین(۲).

و علی هذا نستطیع ان نقول ان تصرفات المعتمد علی اللّه و موقفه من الأحداث یدلان علی انه لم یکن ینقصه الذکاء او الکفایه، الا انه کما یبرر، کان ضعیف الشخصیه خاملا، و فیه میل شدید الی اللهو و التمتع و الابتعاد عن تحمل المسؤولیه. و هذا یفسر لنا التناقض الواضح فی سیرته کخلیفه له السلطه العلیا فی الدوله، فقد وصف بالسخاء و الکرم علی حاشیته و ندمائه، و بحبه مجالس اللهو و الطرب و عدم انقطاعه عنها. الا انه بنفس الوقت یتذمر من انه لا یملک التصرف بامور الدوله او حتی باموره الخاصه.

۴- ولایه العهد:

قرر المعتمد علی اللّه فی خلال النصف الاول من شوال سنه ۲۶۱ ه ان ینظم امر ولایه العهد بالخلافه من بعده بین ابنه جعفر، و اخیه ابی احمد الموفق طلحه. فولی ابنه العهد بعده و سماه

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۸، و الدیارات/ ۱۰۱- ۱۰۲.

۲- النبراس/ ۸۹- ۹۰.

المفوض، و ولاه المغرب و افريقيه و عددا آخر من الولايات، و ضم اليه القائد موسى بن بغا. و ولى اخاه العهد بعد جعفر، و ولاه المشرق و ولايات اخرى و ضم اليه القائد مسرور البلخى. و عقد لكل منهما لواءين اسود و ابيض. و اشترط ان حدث به حدث الموت و جعفر لم يكمل للأمر، ان يكون الأمر لأبى احمد ثم لجعفر.

و اخذت البيعه بذلك على الناس(۱). و بعث بنسخه من كتاب العهد مع القاضى الحسن بن محمد بن ابى الشوارب ليعلقه فى الكعبه(۲). و ذلک توثيقا للعهد و ضمانا بعدم الخروج على ما جاء فى الكتاب المذكور.

و لما مات الموفق فى شهر صفر سنه ۲۷۸ ه بايع القواد و الغلمان ابنه ابا العباس احمد بولايه العهد بعد المفوض، و لقب بالمعتضد بالله، فاخرج ابو العباس العطاء للجند، و خطب يوم الجمعه التالى للمعتمد على الله ثم للمفوض ثم لأبى العباس المعتضد(۳). و فى السنه التاليه خلع جعفر و بويع للمعتضد بولايه العهد بعد المعتمد على اللّه. و هناک روايتان عن كيفيه خلع الأول و مبايعه الثانى. الراويه الاولى هى التى يذكرها الطبرى اذ يقول ان جعفر المفوض خلع من ولايه العهد فى اواخر المحرم سنه ۲۷۹ ه و بويع للمعتضد، و انشئت عن المعتضد كتب الى العمال و الولاه بأن أمير المؤمنين قد ولاه العهد و جعل اليه ما كان الموفق يليه من الأمر و النهى و الولايه و العزل، و خطب يوم الجمعه للمعتضد بولايه العهد(۴). و يفهم من هذا ان المعتضد هو الذى

۱- الطبرى ۹/ ۵۱۴، و الكامل ۷/ ۲۷۷- ۲۷۸.

۲- الطبرى ۹/ ۵۱۴.

۳- الطبرى ۱۰/ ۲۲، و الكامل ۷/ ۴۴۴، و المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۵۵

۴- الطبرى ۱۰/ ۲۸.

خلع جعفر المفوض من ولایه العهد و الزم المعتمد علی اللّه بان یعهد بها الیه.(۱) و هذا ما یؤید ذلک الذهبی ایضا بقوله «ان المعتمد علی الله نقض ما کان لناصر دین الله الموفق لولده احمد، فاستبد بالأمر و استخف بعمه و لم یرجع الیه فی شی ء .. و متی لم تخلع ابنک جعفرا من الخلافه طائعا، خلعته کارها، فخلع المعتمد ابنه و جعل العهد لابن اخیه احمد المذکور»(۲). ای ان المعتمد علی اللّه فعل ذلک مکرها.

اما الروایه الثانیه، فیذکر ابن الاثیر ان المعتمد علی اللّه جلس فی المحرم سنه ۲۷۹ ه للقواد و القضاه و وجوه الناس و اعلمهم انه خلع ابنه المفوض الی اللّه جعفرا من ولایه العهد و جعلها للمعتضد باللّه ابی العباس احمد بن الموفق، و شهدوا علی المفوض أنه تبرأ من العهد و اسقط اسمه من السکه و الخطبه و الطراز، و خطب للمعتضد، و کان ذلک یوما مشهودا، فقال یحیی بن علی یهنی ء المعتضد(۳):

لیهنک عقد انت فیه المقدم حباک به رب بفضلک اعلم

فان کنت قد اصبحت و الی عهدنافانت غدا فینا الامام المعظم

و لا زال من ولاک فینا مبلغامناه، و من عاداک یشجی و یرغم

۱- مروج الذهب ۴/ ۲۲۹.

۲- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۳.

۳- الکامل ۷/ ۴۵۲.

و کان عمود الدین فیه تأودفعاد بهذا العهد و هو مقوم

و اصبح وجه الملک جذلان ضاحکایضی ء لنا منه الذی کان یظلم

فدونک فاشدد عقد ما قد حویته فانک دون الناس فینا المحکم

و یؤید ابو الفداء روایه ابن الأثیر اذ یقول: و فی سنه ۲۷۹ ه خلع المعتمد ابنه جعفر المفوض من ولایه العهد و جعل ابن اخیه الموفق ولی العهد بعده(۱). الا ان السیوطی یأخذ موقفا وسطا بین الروایتین المذکورتین، فیقول: و فی اوائل سنه ۲۷۹ ه ضعف امر المعتمد علی اللّه جدا لتمکن ابی العباس احمد بن الموفق من الامور و طاعه الجیش له، فجلس مجلس عاما و اشهد فیه علی نفسه انه خلع ولده المفوض من ولایه العهد و بایع لأبی العباس و لقبه المعتضد(۲).

۵- وفاه المعتمد علی اللّه:

تکاد تجمع المصادر علی ان المعتمد علی اللّه توفی لیله الاثنین لاحدی عشره بقیت من رجب سنه ۲۷۹ ه(۳). و کان سبب وفاته انه شرب علی الشط فی القصر الحسنی شرابا کثیرا و تعشی فأکثر

۱- المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۵۵.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۳۶۷.

۳- الطبری ۱۰/ ۲۹، و مروج الذهب ۴/ ۲۲۹، و الکامل ۷/ ۴۵۵، و الذهب المسبوک/ ۲۳۴، و فیه انه توفی لیله الاثنین الخامس عشر من رجب.

من الأكـل، فمات ليلا(۱). و ذكر المسـعودى تفصـيلات عن موته جـاء فيهـا انه تناول مع اثنين من نـدمائه رؤوس حملان، فتهرأ احدهم فى الليل، و مات الآخر قبل الصـباح، اما المعتمد على اللّه فاصـبح ميتا. ثم يقول: و ذكر ان سـبب وفاته انه سـقى نوعا من السم فى الشـراب الـذى كـانوا يشـربونه يقال له البيش، يحمل من بلاد الهنـد و جبال الترك و التبت. و جاء فيه ايضا ان القاضـى اسـماعيل بن حماد أدخل على المعتضـد و سـلم عليه بالخلافه، و حضـر معه الشـهود العدول، و اشـرفوا على المعتمد على اللّه، و معهم غلام المعتضد يقول: هل ترون به بأس او اثر، لقد مات فجأه، و قتلته مداومته لشـرب النبيذ. فنظروا اليه فاذا ليس به من أثر. و حمل الى سامرا فدفن فيها(۲).

و يشبه هذا ما ذكره الذهبى من ان المعتمد على اللّه قد سم فى رؤوس جداء اكلها، ثم يستدرك و يقول انه نام فغم فى بساط، و قيل سم فى كأس الشراب(۳).

و اورد ابن دحيه اسـبابا اخرى قيلت فى موت المعتمـد على اللّه اضافه الى السم. قيل انه رمى فى رصاص مذاب فمات، و قيل انه مات فى حفره من ريش مشى عليها فسقط فيها فمات غما(۴) و روى السيوطى ان المعتمد على اللّه مات فجاءه، و قيل انه سم، و قيل بل نام فغم فى بساط(۵). و وردت فى كتاب «مختصر كتاب

۱- الطبرى ۱۰/ ۲۹، و الكامل ۷/ ۴۵۵، و المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۵۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۲۲۹- ۲۳۰.

۳- شذرات الذهب ۲/ ۱۷۳.

۴- النبراس/ ۹۰.

۵- تاريخ الخلفاء/ ۳۶۷.

البلدان» اشاره يفهم منها انه قتل، اذ يقول «و كان المعتضد باللّه كتب الى عمرو بن الليث الصفار و امره بمواقعه رافع لما بلغه من ميل رافع الى محمد بن زيد و انكاره قتل المعتمد و جلوس المعتضد»(۱). اى ان رافعا يتهم المعتضد بقتل المعتمد ليجلس مكانه.

و يبدو ان السبب الذى ذكره الطبرى و نقله عنه من جاء بعد من المؤرخين، و هو الشرب الكثير و الأكل الكثير قد اودى بحياه المعتمد على اللّه و نديميه. و هناك احتمال بان الطعام الذى اكلوا منه قد تسرب اليه الفساد فتسموا به فماتوا. اما ما اورده الآخرون عن قتله بالسم بوضعه فى الطعام او فى الشراب، او قتله بالوسائل التى ذكرت فأمر يشكك فى صحته. لأن المعتمد على اللّه كان ضعيفا يسير طوع اراده اخيه الموفق الذى غلب على اموره، و لما توفى حل ابنه احمد مكانه و اصبح وليا للعهد و لم يتغير موقف المعتمد على اللّه منه اذ بقى مستسلما، منصرفا الى حياته التى اعتادها، بحيث كان المعتضد الخليفه الفعلى، فلم يكن و الحاله هذه ما يستدعى التخلص منه و اللجوء الى قتله.

و هناك اختلاف فى عمر المعتمد على اللّه عند وفاته. فقد قيل انه توفى عن ثمان و اربعين سنه(۲). و قيل ان عمره كان خمسين سنه(۳). او خمسين سنه و سته اشهر(۴). و اذا ما اعتبرنا ان

۱- مختصر كتاب البلدان/ ۳۱۲.

۲- مروج للذهب ۴/ ۱۹۸.

۳- خلاصه الذهب المسبوك/ ۲۳۴، و النبراس/ ۹۰، و العبر ۲/ ۶۱.

۴- الكامل ۷/ ۴۵۵، و المختصر فى اخبار البشر ۲/ ۵۶، و تاريخ الخلفاء/ ۳۶۷.

مولده کان فی سنه **۲۲۹** ه کما سبق ان اشرنا، فان عمره **لا** یمکن ان یکون اقل من خمسین سنه.

و یکاد یجمع المؤرخون علی ان مده خلافه المعتمد علی اللّه کانت ثلاثا و عشرین سنه. الا ان ابن الاثیر یضیف علی ذلک سته اشهر. بینما یعتبرها الطبری ثلاثا و عشرین سنه و سته ایام، و تبعه فی ذلک الاربلی. و لما کان تاریخ مبایعه المعتمد علی الله و تاریخ وفاته معروفین، فان ما ذکره الطبری اقرب الی الصواب.

الباب الثالث مؤسسات الدوله العربيه فی عهد سامرا

اشاره

۱- وزراء سامرا

۲- الکتاب

۳- القضاء فی عهد سامرا

الفصل الأول وزراء سامرا

اشاره

سنعرض فيما يلى ملخصا بسيره من تولى منصب الوزاره فى خلفاء سامرا، ممن كان لهم دور بارز فى اداره شؤون البلاد، و نتعرف من خلال سيرهم على علاقاتهم بالخلفاء و اساليبهم فى الاداره، و ما تركوه من آثار فى حياه الدوله العربيه خلال عملهم.

۱- الفضل بن مروان:

عند ما وصل المعتصم باللّه الى بغداد و تمت مبايعته بالخلافه استوزر كاتبه ابا العباس الفضل بن مروان بن ما سرخس، و هو نصرانى الأصل من اهل البردان(۱). على الرغم من ان اخاه المأمون كان قد اوصاه بالا يتخذ وزيرا لأن تجربته فى استيزار يحيى بن اكثم لم تكن مرضيه له. الا ان منصب الوزير بما طرأ عليه من ظروف فى عهد خلفاء بنى العباس الذين سبقوا المعتصم باللّه كان قد استقر و ثبت، و اصبح من اركان الدوله العربيه. و لهذا فقد عهد المعتصم بالله به الى كاتبه الذى كان يعتمد عليه كثيرا.

۱- وفيات الاعيان ۳/ ۲۱۳.

كـان الفضـل فى اول امره يكتب ليحيى الجرمقـانى كـاتب المعتصم باللّه عنـد ما كان اميرا، فلما مات الجرمقانى حل محله. و قد اعجب المعتصم بالله به و استصـحبه معه الى الشام و مصـر، فاحتوى على كثير من الاموال، و لما صـحب ابو اسـحاق اخاه الخليفه المـأمون فى حملته الاـخيره على بلاـد الروم، عاد الفضل الى بغـداد. و كان يتولى تـدبير امور ابى اسـحاق نيابه عنه و يكتب على لسانه بما يريد.

و عنـد مـا بلغه خبر موت المـأمون و مبـايعه المعتصم بـاللّه بالخلاـفه، و خلاـف بعض القواد عليه و منـاداتهم بخلاـفه العبـاس بن المأمون، قام بدور بارز فى اخذ البيعه للمعتصم باللّه ببغداد، و ضبط الامور فيها. و لما قدم المعتصم بالله عرف له فضله و جهوده، فاسـتوزره و خلع عليه، و اسـلم مقاليد الامور اليه. و قد استطاع الفضل ان يحل من قلب الخليفه المحل الذى لم يصل اليه احد، و تمكن منه و اسـتقل بالأمور. فغلب على امره حتى لم يبق للمعتصم بالله معه يد(۱). حتى قيـل ان المعتصم باللّه صار خليفه و صار الفضـل بن مروان صاحب الخلافه و صارت الـدواوين كلها تحت يـديه(۲). الاـ ان الفضل كان قليل العلم، ضـحل المعرفه، رغم جوده كتابته.

و يصـفه ابن الطقطقى بأنه كان عاميا لا علم عنـده و لا معرفه، و كان ردى ء السـيره جهولا بالامور(۳). و يقول ابن الاـثير عنه انه كان شرس الاخلاق، ضيق العطف، كريه اللقاء بخيلا(۴). و لكنه كان، كما يظهر حسن المعرفه بخدمه الخلفاء(۵).

۱- مآثر الانافه ۱/ ۲۲۰.

۲- الطبرى ۹/ ۱۹.

۳- الفخرى/ ۲۱۲.

۴- الكامل ۶/ ۴۵۴.

۵- الفهرست/ ۱۹۰، و وفيات الاعيان ۳/ ۲۱۳، و شذرات الذهب/ ۲/ ۱۲۲

لقد استغل الفضل بن مروان ثقه المعتصم باللّه به و اعتماده علیه. و یروی التنوخی خبرا فیه دلاله علی تسلط الکتاب و استغلالهم نفوذهم فی حیازه الأموال. فعندما ندب الخلیفه المآمون اخاه ابا اسحاق الی مصر لقمع الثوره التی قامت فیها سنه (۲۱۴ ه) استصحب معه کاتبه الفضل بن مروان. و قد اشخص الفضل معه احد کتابه هو ابن عبدون الانباری لیساعده فی عمله. و یقول ابن عبدون انه کسب فی لیله واحده مائه الف دینار. و ذلک ان القتل لما استشری فی اهل مصر تقدم عدد کبیر من رؤساء البلد الی الفضل یسألونه الآمان لهم، فخول کاتبه ان یجیبهم الی ما التمسوا. فکتب هذا فی الامان لمائه رجل منهم. فبعث بعضهم الیه مبالغ من المال بحیث اجتمع له فی تلک اللیله ذلک المبلغ(۱). لا شک فی ان المبلغ الذی احتجزه الکاتب الصغیر لنفسه جزء مما حصل علیه ابن مروان نفسه. و کان من واجب ابی اسحاق، و هو قائد الحمله لاخماد الثوره، ان یصدر عفوا عاما بعد قضائه علی رؤوس الفتنه، فیعید الأمن و الأطمئنان الی نفوس الناس، و لا یترک مجالا لهذا الکاتب و امثاله فی استغلالهم. الا ان استحواذ کاتبه الفضل بن مروان علیه جعله یترک الأمر لتدبیره مما اتاح له فرصه الانتهاب.

و قد بلغ من جشع الفضل انه اخذ یسرق الخلیفه. فکان یخالفه فی بعض ما یأمر به من المنح و الاعطیات. فکان المعتصم باللّه یأمره باعطاء المغنی و الملهی، فلا ینفذ الفضل ذلک(۲). و اخذ یحجب ما کان یحتاج الیه من الاموال فی مهام اموره. فقال ابراهیم الهفتی للمعتصم باللّه، و هو احد جلسائه المقربین الیه: مالک من الخلافه

۱- الفرج بعد الشده ۳/ ۸۶ و کامل القصه ۸۲- ۸۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۹.

الاـ الاـسم، و الله ما يجاوز امرک اذنيک(۱). و کـان المعتصم بـالله امر له بمبلغ من المال فلم يعطه الفضل شـيئا. و ذکر القاضـی احمـد بن ابی دواد انه کثيرا مـا رأی المعتصم بـالله يطلب الی الفضـل ان يحمـل اليه مبلغـا من المـال، فيرد بعـدم توفره، او بعـدم استطاعته توفيره. فنصـح الفضـل الاـ يرد الخليفه و لا يمتنع عن اجابه طلباته من المال جهـد امکانه، و حتی فی حاله عـدم وجود المال حقيقه، فعليه الا يرد الخليفه باجوبه غليظه، بل يعلله بأن سـيعمل علی توفيره له. الا ان الفضل امعن فی نهجه، مما اثقل علی المعتصم باللّه(۲).

و اثار غضـبه عليه. ففرض اول الأمر رقابه ماليه عليه، فعين احمـد بن عمار لتدقيق النفقات الخاصه، و عين نصـر بن منصور ليدقق اعماله فی الخراج و فی الاعمال الاخری. و کان نصـر يتولی آنـذاک ديوان الخاتم و النفقات و الأزقه(۳). و امر الفضل بان يرفع اليه تقريرا عما وصله من الاموال و اوجه انفاقها.

و لمـا فرغ الفضـل بـن مروان فی اعـداد الحسـاب لـم ينـاظره فيه المعتصم بـاللّه، بـل امر بحبسه. ثم نفـاه الی قريه السن فی طريق الموصل. و قيل انه حبسه خمسه اشهر ثم اطلقه و الزمه بيته(۴).

و ذلک بعـد ان صادر امواله و اموال اهل بيته. کما بطش بجماعه من اصـحابه و استصـفی اموالهم، و قد تولی المصادره اسـحاق بن ابراهيم نائب الخليفه ببغداد و صاحب شـرطته(۵). و يقال انه اخـذ من بيته الف الف دينار، و اخـذ اثاثا و فرشا و آنيه قـدرت قيمتها

۱- العيون و الحدائق ۳/ ۳۸۴.

۲- الطبری ۹۰/ ۲۱.

۳- معجم الادباء ۵/ ۳۱۸- ۳۱۹.

۴- شذرات الذهب ۲/ ۱۲۲.

۵- تاريخ اليعقوبی ۲/ ۴۷۲.

بالف الف دینار کـذلک(۱). و یقول مؤلف کتـاب «العیون و الحـدائق فی اخبـار الحقائق» انه اخـذ منه من الاموال ما لا یحصـی حتی ان المعتصم بالله قال: ما کنت اعلم ان فی الـدنیا من له مثل هـذا المال(۲). و هناک من یقول انه اخذ منه عشـره الاف الف دینار(۳).

و قـال المعتصم بـاللّه لمـا قبض علی الفضـل بن مروان انه عصـی اللّه فی طاعتی فسلطتی علیه(۴). ان ذلـک دلیل علی اسـتغلال الفضل و بطشه بالناس. و بلغ من تذمر الناس و شـکواهم منه انه جلس یوما لقضاء اشـغال الناس، فرفعت الیه قصص العامه، فرأی فی جملتها رقعه کتب علیها(۵):

تفرعنت یا فضل بن مروان فقبلک کان الفضل و الفضل و الفضل

ثلاثه املاک مضوا لسبیلهم ابادتهم الأقیاد و الحبس و القتل

و انک قد اصبحت فی الناس ظالماستودی کما اودی الثلاثه من قبل

۱- وفیات الاعیان ۳/ ۲۱۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۲.

۲- العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۴.

۳- العبر ۱/ ۳۷۹.

۴- وفیات الاعیان ۳/ ۲۱۴.

۵- نفس المصدر/ ۲۱۳، و یریـد بالفضول الثلاثه: الفضل بن یحیی البرمکی، و الفضل بن سـهل، و الفضل بن الربیع. و الفخری/ ۲۱۲ و قد اقتصـر علی البیتین الاولیین، و جاء عجز البیت الثانی: ابادهم التقیید و الاسـر و القتل. و یقول ان هذه الابیات للهیثم بن فراس السامی. و معجم الادباء ۲/ ۱۲۶ و عجز البیت الثانی فیه: ابادهم الموت المشتت و القتل.

و روی صاحب الهفوات النادره هذا الخبر علی الشکل التالی:

تظلم اعرابی الی الفضل بن مروان من بعض عماله، فصرف وجهه عنه و انتهره، فوقف متحیرا واجما، ثم قال: أ یأستنی من عدلک فاسمع منی واصغ ما بدا لک، ثم انشده الأبیات المذکوره، مع تغییر فی بعض الالفاظ. فتغیر وجه الفضل و امتقع لونه و بان غضبه و غیظه، و تصبر، و لم یرد علی الاعرابی، و لا امر بانصافه، و لم یکن بین ذلک و بین القبض علیه الا ایام یسیره(۱).

و قال الفضل عن اسباب مصادرته: ما فی الارض اجهل من وزیر یطلب الخلیفه منه مالا و هو فی ولایته فیعطیه ایاه، فانه یطمعه فی نعمته، و انما یدفع النکبه مده ثم تحدث و قد ذهب المال.

فمن ذلک ان المعتصم باللّه لما خرج لغزو الروم، و انا وزیره، استخلفنی علی سر من رأی، فلما عاد طمع فی فقال لی: قد وردت و المال نزر و الجیش مستحق فاحتل لی مائه الف دینار من مالک و جاهک، ففعلت. فلما مضی شهر طلب منی علی هذا السبیل خمسین الف دینار، ففعلت. فطلب منی فی الدفعه الثالثه بمثل هذا الوجه ثلاثین الف دینار، فوعدته بها و دافعته ایاما ثم حماتها الیه. فبلغنی انه قال لأبنه هارون: هذا النبطی ابن النبطیه اخذ مالی جمله، و هو ذا یتصدق علی تفاریق(۲).

و قد شمت الناس بالفضل بن مروان لما نکب، و قال فیه بعضهم(۳):

۱- الهفوات النادره/ ۲۵۶- ۲۵۷.

۲- نشوار المحاضره ۸/ ۴۸.

۳- الکامل ۶/ ۴۵۴.

لیبک علی الفضل بن مروان نفسه فلیس له باک من الناس یعرف

لقد صحب الدنیا منوعا لخیرهاو فارقها و هو الظلوم المعنف

الی النار فلیذهب و من کان مثله علی أی شی ء فاتنا منه نأسف

و من المأثور عن الفضل بن مروان انه کان یقول: لا تتعرض لعدوک و هو مقبل فأن اقباله یعینه علیک، و لا تتعرض له و هو مدبر فان ادباره یکفیک امره(۱). و قد عفی عنه الخلیفه المعتصم باللّه بعد مده و اطلق سراحه من الحبس. فخدم جماعه من الخلفاء بعده حتی مات فی سنه (۲۵۰ ه) فی ایام المستعین باللّه، و قد جاوز التسعین سنه من عمره. و للفضل کتاب جمع فیه من الاخبار التی علم بها، و المشاهد التی رآها، سماه «دیوان الرسائل»(۲).

و لم یحفظ لنا المؤرخون من اعماله و اخباره الا النزر الیسیر.

منها ان الخلیفه المهدی بن المنصور کان قد امر بأن یجعل یوم الخمیس عطله لموظفی الدیوان یستریحون فیه و ینظرون فی امورهم، و یوم الجمعه للصلاه، ای الی ان ولی الفضل بن مروان الوزاره للمعتصم باللّه فازال ذلک و الزم الموظفین بالدوام یوم الخمیس(۳).

۱- وفیات الاعیان ۳/ ۲۱۴.

۲- الفهرست/ ۱۹۰.

۳- الوزراء و الکتاب/ ۱۶۶.

و عند ما قبض علی الفضل اشار البحتری الی ذلک ببضعه ابیات وجهها الیه(۱):

لا تعجبن فما للدهر من عجب و لا من اللّه من حصن و لا هرب

یا فضل لا تجز عن مما رمیت به من خاصم الدهر جاثاه علی الرکب

کم من کریم نشا فی بیت مملکهأتاک مکتئبا بالهم و الکرب

اولیته منک اذلالا و منقصهو خاب منک و من ذی العرش لم یخب

ما تشتفی فعله ابکیت ناظرهاحتی تراک علی عود من الغرب

و ظاهر من هـذه الابیات ان الشاعر یبکت الفضل و یلومه علی سوء معاملته الناس، و ان ما اصابه انما کان نتیجه افعاله، فلا داعی لأن یتعجب مما آل الیه مصیره.

و لما قبض المعتصم بالله علی الفضل، قعد للعامه فوجد قصته فیها(۲):

یا فضل لا تجزعن مما بلیت به من خاصم الدهر جاثاه علی الرکب

۱- دیوان البحتری ۱/ ۳۵۸.

۲- محاضرات الادباء ۱/ ۸۶.

خنت الامام و هذا الخلق قاطبهو جرت حتی اتی المقدار فی الکتب

جمعت شتی و قد ادیتها جملالأنت اخسر من حماله الحطب

و کان الشاعر الهجاء دعبل الخزاعی قد نصح الفضل بن مروان و حذره من مغبه اعماله بابیات من الشعر طریفه هی(۱):

نصحت فأخلصت النصیحه للفضل و قلت فسیر المقاله فی الفضل

الا ان فی الفضل بن سهل لعبرهان اعتبر الفضل بن مروان بالفضل

و فی ابن الربیع الفضل للفضل زاجراذا ازدجر الفضل بن مروان بالفضل

و للفضل فی الفضل بن یحی مواعظاذا اتعظ الفضل بن مروان بالفضل

اذا ذکروا یوما و قد صرت رابعاذکرت بقدر السعی منک الی الفضل

فابق جمیلا من حیث تفز به و لا تدع الاحسان و الاخذ بالفضل

۱- دیوان دعبل الخزاعی/ ۱۷۰- ۱۷۱.

فانک قد اصبحت للملک قیماو صرت مکان الفضل و الفضل و الفضل

و لم أر ابیاتا من الشعر قبلهاجمیع قوافیها علی الفضل و الفضل

و لیس لها عیب اذا هی أنشدت سوی ان نصحی الفضل کان من الفضل

فبعث الیه الفضل بدنانیر و قال له: قد قبلت نصحک، فأکفنی خیرک و شرک. و ابیات دعبل علی بسطاتها و طرافتها لا تخلو من الانتقاد و التعریض، الی جانب ما تضمنته من النصح و التحذیر.

قد ادرک الفضل ما قصد الیه الشاعر الهجاء.

و قد اصبحت نکبه الفضل بن مروان مما یضرب به المثل، فقد قال احد الشعراء(۱):

یکفیک من غیر الایام ما صنعت حوادث الدهر بالفضل بن مروان

۲- محمد بن عبد الملک الزیات::

لما غضب الخلیفه المعتصم بالله علی کاتبه و وزیره الفضل بن مروان و أمر بمصادرته و حبسه، استوزر احمد بن عمار البصری.

و کان ابن عمار هذا رجلا موسرا من اهل المزار- و هی قصبه میسان بین البصره و واسط(۲)- و کان طحانا، فانتقل الی البصره

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۲.

۲- معجم البلدان ۵/ ۸۸.

و اشتری بها املاکا فکثر ماله، ثم انتقل الی بغداد فاتسع حاله.

و قالوا انه کان یخرج من الصدقه فی کل یوم مائه دینار(۱).

و عند ما کان الفضل بن مروان فی خدمه المعتصم بالله کان یصف له بن عمار بالامانه، فلما طرد الفضل استوزر الخلیفه ابن عمار لأمانته(۲). و قیل ان لم یکن وزیرا بل کان کاتبا خاصا للمعتصم بالله عند ما غضب علی الفضل بن مروان صیر مکانه محمد بن عبد الملک الزیات(۳).

و یظهر ان المعتصم بالله استخدم احمد بن عمار لما عرفه من امانته وسعه حاله لکی یأمن استغلاله منصبه فی ارهاق الناس و احتواء الاموال، کما فعل ابن مروان. الا ان احمد بن عمار کان جاهلا باعمال الوزاره و مهامها. و فیه قال بعض شعراء عصره(۴):

سبحان ربی الخالق الباری صرت وزیرا یا ابن عمار

و کنت طحانا علی بغلهبغیر دکان و لا دار

کفرت بالمقدار ان لم تکن قد جزت فی ذا کل مقدار

۱- الفخری/ ۲۱۳.

۲- نفس المصدر. (۳۲) التنبیه و الاشراف/ ۳۰۸.

۳- الطبری ۹/ ۲۰ و ۲۲، و العیون و الحدائق ۳/ ۳۸۴، و تاریخ ابن

۴- الفخری/ ۲۱۳. خلدون ۳/ ۵۴۸ و العبر ۱/ ۳۷۹.

و قد لبث فی الوزاره مده یسیره ثم اعفی منها.

فأستأذن الخلیفه بان یسمح له بالخروج الی الحج و المجاوره، فأذن له المعتصم بالله و وصله بعشره الاف دینار. و دفع الیه عشرین الف دینار لیصرفها فی اهل الحرمین من الهاشمیین و القرشیین و الأنصار. فقال: و اذا تقدم غیرهم ممن یستحق فماذا اعطیهم؟

فاعطاه خمسه الاف اخری. و حج ابن عمار و فرق المال کله مع العشره الاف التی کانت له، و جاور سنه ثم انصرف. فکان الناس هناک یضربون المثل بذلک العام، و یقولون ما رأینا مثل عام ابن عمار(۱).

اشرنا آنفا الی ان المعتصم بالله اعجب بسعه اطلاع محمد بن عبد الملک الزیات و وفره معلوماته فاتخذه وزیرا بدلا من ابن عمار.

الا ان روایه صاحب الهفوات النادره، ان صحت، تدحض ذلک و ترجح احتمال ان ابن عمار هو الذی رشح صاحبه و صدیقه ابن الزیات للخلیفه لیولیه الوزاره، لما یعرفه عنه من غزاره العلم، و الأمانه. و کان جد محمد بن عبد الملک الزیات ابان بن حمزه قرویا من اهل جیل و هی قریه من اعمال بغداد تحت المدائن(۲).

و کان یجلب الزیت الی بغداد، فنسب الیه و لقب بالزیات. و یظهر ان اباه عند ما انتقل الی بغداد عمل فی التجاره فصار من اغنیاء التجار، بحیث ان ابراهیم بن المهدی عند ما بایعه اهل بغداد بالخلافه و احتاج الی المال اقترض من عدد من التجار، کان عبد الملک الزیات احدهم.

۱- ثمار القلوب/ ۲۰۴.

۲- معجم البلدان ۲/ ۲۰۲. و یقول ابو الفرج ان اسم القریه جبل و هی مقابله لقریه دسکره غربی بغداد. الاغانی ۲۳/ ۴۶.

نشأ محمد ببغداد و انصرف الی طلب العلم و المعرفه فاصبح ادیبا اریبا، عالما، فی النحو، بلیغا فی اللغه. حتی ان ابا عثمان المازنی لما قدم بغداد فی ایام المعتصم بالله، کان اذا اختلف جلساؤه فیما یقع فیه الشک من علم النحو، یقول لهم علیکم بمحمد فاعرفوا جوابه. و کانت اجوبه محمد مصیبه دائما یرتضیها ابو عثمان(۱). و قد وصفه ابن الطقطقی بحده الذکاء و انه «برع فی کل شیء حتی صار نادره وقته عقلا و فهما و ذکاء و کتابه و شعرا و خبره بأداب الریاسه و قواعد الملوک»(۲). و قال عنه الخطیب البغدادی انه کان ادیبا فاضلا عالما بالنحو و اللغه(۳). و قال عنه ابن خلکان مثل ذلک و اضاف انه کان من اهل الأدب الظاهر و الفضل الباهر(۴). و یروی انه لما تولی الوزاره اشترط الا یلبس القباء، و ان یلبس الدراعه و یتقلد علیها سیفا بحمائل، فأجیب الی طلبه(۵).

لقد نهض ابن الزیات باعباء الوزاره علی احسن وجه بحیث حاز ثقه الخلیفه و رضاه. و یقول ابن الطقطقی انه نهض بالوزاره نهوضا لم یکن لمن تقدمه من اضرابه، الا انه یقول ایضا انه کان جبارا متکبرا، فظا غلیظ القلب، خشن الجانب، مبغضا الی الخلق(۶). لقد کان ابن الزیات فی الواقع وزیرا حازما و اداریا

۱- تاریخ بغداد ۲/ ۳۴۲، و وفیات الاعیان ۴/ ۱۸۲.

۲- الفخری/ ۲۱۳.

۳- تاریخ بغداد ۲/ ۳۴۲.

۴- وفیات الاعیان ۴/ ۱۸۲.

۵- الاغانی ۲۳/ ۵۲.

۶- الفخری/ ۲۱۳.

قدیرا. عرف بالشده و الصرامه. و قد اناط به المعتصم بالله مسؤولیه جمیع ما بناه فی سر من رأی فی کلا جانبیها الشرقی و الغربی(۱). و بلغ من قوه نفوذه انه کان یعقد للولاه، فقد عقد لاسحاق بن ابی خمیصته علی الیمامه و البحرین و طریق مکه ممایلی البصره، فی دار الخلافه. و لم یذکر ان احدا من الوزراء قام بذلک غیره(۲). و قد وصفه کاتبه احمد ابن اسرائیل بقوله: کان ابن الزیات قلیل الخیر، لا یرعی ذماما و لا یوجب حرمه، و لا یحب ان یصطنع احدا(۳). و روی ابو الفرج بعض الاخبار الداله علی لؤم ابن الزیات و حقده و حسده. فقد مر ذات یوم بدار ابراهیم بن فرأی فیه قبه مشیده، فساءه ان یری مظاهر الجاه و الثراء علیه، فقال:

اما القباب فقد اراها شیدت و عسی امور بعد ذاک تکون

عبد عرت منه خلائق جهله اذ راح من الثراء و هو سمین

فما کانت الا ایام حتی اوقع بابن رباح و نکبه(۴). و من مظاهر لؤمه ایضا انه کان له جار، فلما بلغ ابن الزیات ما بلغ، شخص الیه ذلک الجار یطلب اقاله عثرته. فقال: قد علمت حالک، فانصرف وعد الی فی غد. فولی الرجل، فلما صار غیر بعید منه

۱- الطبری ۹/ ۲۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۰.

۳- الفرج بعد الشده ۳/ ۲۷۵.

۴- الاغانی ۲۳/ ۷۲.

دعـا به و قـال له: و اللّه مالک عنـدی شـی ء. ثم اقبل علی بعض من کان بین یـدیه فقال: انما رددته و آیسـته بخلا علیه بفسـحه الأمل بقیه یومه(١). و ذلک منتهی اللؤم و البخل علی الآخرین و بخاصه ذوی الحاجه منهم.

ی انه مع رغم قسوه ابن الزیات و حقـده و صـرامته، فقد کان لا یخلو من العدل و الانصاف فی معامله الآخرین احیانا. فقد جلس یوما للمظالم فتقـدم الیه رجل ادعی بأنه مظلوم و ان الوزیر نفسه قـد ظلمه. فسأله عن امره، فأوضح له ان وکیله قد اغتصب ضـیعه له، و هو لا یزال یدفع خراجها لئلا یفقد ملکیتها، بحیث اصبح(٢) وکیل الوزیر یأخذ غلتها، و یؤدی صاحبها خراجها، و ان ما لم یسـمع فی الظلم مثله. فسأله لما تأخر فی شـکواه، فأجاب بأن خوفه من سـطوته و قوه حجته منعه من التقـدم بالشـکوی. فقال ابن الزیات:

ان ذلـک یحتـاج الی بینه و شـهود و اشـیاء. قـال الرجـل: أیؤمننی الوزیر من غضـبه حتی اجیب؟ قـال: قـد امنتک. قال: البینه هم الشـهود و اذا شـهدوا فلیس یحتاج معهم الی شـی ء، و ما قولک و اشیاء الا للتعجیز. فضحک محمد(٣) قال: صـدقت. ثم وقع له برد ضیعته، و ان یطلق له کر حنطه و کر شعیر و مائه دینار یستعین بها علی عماره ضیعته، و صیره من اصحابه(۴).

نسـتدل من هـذا الخبر علی عنت الحکـام و سوء تصـرف وکلاـئهم فی اغتصـاب اموال الآـخرین، او التمتع بغلاتهـا و خیراتهـا، و حرمان

١- جمع الجواهر فی الملح و النوادر/ ٣٠٠.

٢- الاغانی ٢٣/ ۴٧- ۴٨، و الهفوات النادره/ ٣٨٩- ٣٩٠.

٣- العقد الفرید ٣/ ٢١٣.

۴- عیون الانباء/ ٢٨۴.

اصحابها الشرعيين من ذلک. و اذا ما انصف ابن الزيات احد هؤلاء المغتصبه اموالهم لأنه تجرأ فاشتکى منه اليه، فان هناک عديد من امثاله ممن لا تصل شکواهم الى مسؤول.

يقول ابن عبد ربه ان محمد بن عبد الملک کان يأنس باهل البلاده و يستوحش من اهل الذکاء. فسئل عن ذلک، فقال: مؤونه التحفظ شديده(۱). و هذا يلقى ضوءا على جانب من شخصيته، هو رغبته فى التميز على الآخرين، و ذلک لا يتاح له الا اذا کانوا دونه کفايه و ذکاء. کما ان ذلک يعفيه من التحفظ فى اقواله و افعاله امامهم لأنهم لا يملکون قدره الاعتراض عليه او مناقشته، و انهم لا ينتبهون الى ما يهدف اليه من بعض اعماله و تصرفاته.

کان ابن الزيات مولعا بالآداب و العلوم الى جانب کفايته الاداريه و السياسيه. و قد شجع نقل الکتب اليونانيه الى العربيه و قد انفق على ذلک مبالغ کبيره. يقول ابن ابى اصيبعه ان عطاءه للنقله و النساخ يقارب الفى دينار فى کل شهر، و ان بعض الکتب نقلت باسمه، و قام بذلک کبار الأطباء و المترجمين مثل يوحنا بن ماسويه و سلمويه بن بنان و اسرائيل بن زکريا الطيفورى(۲).

و ذکر صاحب الفهرست ان حنين بن اسحاق نقل لمحمد بن عبد الملک الزيات الى العربى کتاب الصوت و هو اربع مقالات(۳). و يمکن ان نستنتج مما کان ينفقه على المترجمين و ما کان يهديه اليه بعض المؤلفين انه کانت له بسامرا خزانه کتب کبيره تضم مجلدات من الکتب الموضوعه و المترجمه فى مختلف الفنون و العلوم.

۱- الفهرست/ ۴۱۸.

۲- معجم الادباء ۶/ ۷۵.

۳- نفس المصدر/ ۸۵- ۸۶.

کما کان ابن الزیات یرعی الادباء و الشعراء. و کان عمرو بن بحر الجاحظ کبیر ادباء عصره ملازما له مختصا به. و قد انحرف بسببه عن قاضی القضاه احمد بن ابی دواد، للخصومه التی کانت بین ابن الزیات و ابن ابی دواد. و قد اهدی الجاحظ کتابه «الحیوان» الی ابن الزیات فمنحه خمسه الاف دینار(۱). و قال الجاحظ: اردت الخروج الی محمد بن عبد الملک ففکرت شی ء اهدیه الیه فلم اجد اشرف من کتاب سیبویه، و قلت له اردت ان اهدیک شیئا ففکرت فاذا کل شی ء عندک، فلم أر اشرف من هذا الکتاب و قد اشتریته من میراث القراء. قال: و اللّه ما اهدیت الی شیئا احب الی منه(۲).

لقد جمع ابن الزیات بین النثر و الشعر، فکان شاعرا مجیدا لا یقاس به احد من الکتاب. قال الصولی: کنا نقول لم یل الوزاره اشعر من أحمد بن یوسف حتی ولی محمد بن عبد الملک فکان اشعر منه(۳). و من رقیق شعره قوله:

سماعا یا عباد اللّه منی و کفوا عن ملاحظه الملاح

فأن الحب آخره المنایاو اوله بهیج بالمزاح

و قالوا: دع مراقبه الثریاو نم فاللیل مسود الجناح

۱- الاوراق/ ۲۰۶.

۲- لاغانی ۲۳/ ۴۶- ۴۷.

۳- دیوان البحتری ۱/ ۶۳۲- ۶۳۸.

فقلت: و هل افاق القلب حتی افرق بين ليلی و الصباح

و قد افرد ابو الفرج فصلا فی كتابه لابن الزيات باعتباره اديبا شاعرا و روی له عددا من المقاطع الشعريه(۱).

و مدح ابن الزيات عدد من شعراء عصره و علی رأسهم البحتری، فقد مدحه بقصيده يصف فيها بلاغته و عزمه و كفايته، جاء فيها(۲):

فی نظام من البلاغه ماشک امرؤ انه نظام فريد

و معان لو فضلتها القوافی هجنت شعر جرول و لبيد

حزن مستعمل الكلام اختياراو تجنبن ظلمه التعقيد

و ركبن اللفظ القريب فادركن به غايه المراد البعيد

و اری الناس مجمعين علی فضلک من بين سيد و مسود

عرف العالمون فضلک بالعلم و قال الجهال بالتقليد

۱- ديوان ابی تمام ۱/ ۲۳۹- ۲۵۹.

۲- نشوار المحاضره ۸/ ۹۱.

صارم العزم حاضر الحزم ساری الفکر ثبت المقام صلب العود

دق فهما وجل حلما فأرضی اللّه فینا و الواثق بن الرشید

قد تلقیت کل یوم جدیدیا ابا جعفر بمجد جدید

و اذ استطرفت سیاده قوم بنت بالسؤدد الطریف التلید

و مدحه ابو تمام الطائی بقصیده منها(۱):

و عاذل هاج باللؤم مأربه باتت علیها هموم النفس تصطخب

لما اطال ارتجال العذل قلت له الحزم یثنی خطوب الدهر لا الخطب

لم یجتمع قط فی مصر و لا طرف محمد بن ابی مروان و النوب

لی من ابی جعفر آخیه سبب ان تبق یطلب الی معروفی السبب

صحت فیما یتماری من تأملهامن فرط نائله فی انها نسب

لن یکرم الظفر المعطی و ان اخذت به الرغائب حتی یکرم الطلب

۱- الاغانی ۲۳/ ۴۶.

ردء الخلافه فی الجلی اذا نزلت و قیم الملک لا الوانی و لا النصب

القی الیک عری الأمر الامام فقدشد العتاج من السلطان و الکرب

یعشو الیک وضوء الرأی قائده خلیفه انما آراؤه شهب

و قد بقی محمد بن عبد الملک الزیات محتفظا بمرکزه فی الوزاره طیله ایام الخلیفه المعتصم باللّه، و فی ایام ابنه الواثق باللّه و بعض ایام المتوکل علی اللّه. و قال الفضل بن مروان: لا نعلم وزیرا وزر وزاره واحده بلا حرف لثلاثه خلفاء منسقین غیر محمد بن عبد الملک(۱). و یؤید ابو الفرج ذلک بقوله: انه وزر ثلاث دفعات و هو اول من تولی ذلک(۲).

و کان من اول اعمال الواثق باللّه عند ما تولی الخلافه انه اتخذ وزیر ابیه وزیرا له، لما کان یتوسمه فیه من الدرایه و الکفایه، و عمق المعرفه وسعه الاطلاع، رغم انه کان ینقم علیه امورا کثیره قاساها منه عند ما کان امیرا. بحیث انه قال یوما لخادمه: قد تم علیّ من هذا الکلب کل مکروه، فاذا افضت الی الخلافه فقتلنی ان لم اقتله(۳). و یقول ابن الطقطقی ان الواثق کتب بخطه کتابا و حلف فیه لیقتلن ابن الزیات(۴). الا انه عند ما آلت الیه الخلافه

۱- نشوار المحاضره ۸/ ۱۹.

۲- الفخری/ ۲۱۴.

۳- نفس المصدر، و نشوار المحاضره ۸/ ۱۷- ۱۹.

۴- وفیات الاعیان ۴/ ۱۸۶.

و حضـر الدار جميع الكتاب، لم يرق له ما كتبوه عن موت ابيه و توليه الخلافه، فاضطر ان يطلب الى ابن الزيات ان يكتب ذلک. فكتب كتابا نال استحسان الواثق باللّه بحيث امر بتحرير الكتب الى جميع الجهات بموجبه(۱). و اقره فى الوزاره لأنه لم يجد من يقوم مقـامه من حيث درايته و حسن سياسـته الى سـعه اطلاعه و معرفته بتـدبير الأمور. و فوض اليه ملكه و صار لا يصـدر الا عن رأيه. و يروى انه قـال ان عن المـال و الفـديه عن اليمين عوض، و ليس عن الملـك و ابن الزيات عوض(۲). و انه قـال: و اللّه ما يمنعنى من الوفـاء بيمينى الا النفاسه على ان يخلو الملک من امثاله(۳). و لذلک فانه لم يسـتوزر غيره طيله حياته. على الرغم من ان ابن الزيات كان كما يقول اليعقوبى بشى ء من التحامل عليه: شديد القسوه، قليل الرحمه، جبّاها للناس، كثير الاستخفاف بهم، و لا معروف عنده(۴).

و عند ما بويع للمتوكل على الله بالخلافه اسـتمر محمد بن عبد الملک الزيات فى الوزاره، الا ان المتوكل على الله كان يعقد عليه بعض الامور. و قـد سـبق ان اشـرنا الى ما كان يحمله من حقد على ابن الزيات و القائد التركى ايتاخ. لانهما كانا عارضا ترشـيحه للخلافه و اقترحا قتله للتخلص منه. اضافه الى ان ابن الزيات كان يسـى ء معاملته فى عهد اخيه الواثق بالله. لذا كان من المتوقع ان يتخلص الخليفه من ابن الزيات الا انه تمهل قليلا قبل ان يقـدم على ذلک. و يقول ابو الفرج انه «خشـى ان نكبه عاجلا ان يسـتتر اسبابه فتفوته بغيته فيه، فاستوزره و خلع عليه. و جعل ابن ابى

۱- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ۳۰۳- ۳۰۴.

۲- و فيات الاعيبان ۴/ ۱۸۶.

۳- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ۳۰۳- ۳۰۴.

۴- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۴.

دواد يغريه به و يجد لـذلك عنده موقعا و اسـتماعا»(۱). حتى اذا كان يوم الاربعاء لسبع خلون من صـفر من سـنه (۲۳۳ ه) عزم المتوكل على الله على الفتك به. فأمر كبير قواده و حاجبه ايتاخ ان يقبض على ابن الزيات و يعذبه. فقبض عليه و اودعه السجن.

و وجه اثنين من وجوه اصحابه هما يزيد بن عبد الله الحلوانى و هرثمه شارباميان الى داره و اخذا جميع ما فيه(۲).

و كـان الخليفه قـد وجه راشـدا المغربى الى بغـداد لقبض ما لأبن الزيات فيها من الاموال، و امر ابا الوزير احمـد بن خالـد بقبض ضيـاعه و ضـياع اهل بيته حيثما كانت. و اجبر ابن الزيات على ان يوكل العباس بن احمـد كاتب القائـد عجيف بن عنبسه ببيع ما يملكه. فكانت قيمه ما قبض له تسعين الف دينار، و قيل مائه الف دينار(۳).

و قيـد ابن الزيـات فى سـجنه بـأمر الخليفه، فامتنع عن الطعام، و كان شديـد الجزع كثير البكاء قليل الكلام. و كان ابن الزيات قد اتخـذ للمصـادرين و المغضوب عليهم تنورا من الخشب فيه مسـامير اطرافهـا الى داخل التنور، يعـذبهم فيه. فأمر المتوكل على الله بادخاله فى ذلك التنور فبقى فيه اياما فمات(۴). و هناك اختلاف فى سـبب موته، فقد قيل انه ضرب فمات و هو يضرب، و قيل انه مات بغير

۱- الاغانى ۲۳/ ۷۲- ۷۳.

۲- الطبرى ۹/ ۱۵۸.

۳- نفس المصدر/ ۱۵۸ و ۱۶۱ و الاغانى ۲۳/ ۷۴.

۴- نفس المصدر/ ۱۵۹، و الكامل ۷/ ۳۷، و مروج الذهب ۴/ ۸۸ و فيه كان التنور من الحديـد، و كـذلك جاء فى الاغانى ۲۳/ ۷۴.

ضرب، و یفهم مما ذکره مسکویه انه مات من جراء تعذیبه فی التنور(۱).

و یقول المسعودی ان ابن الزیات لما ادخل التنور طلب دواه و بطاقه فکتب الی الخلیفه:

هی السبیل فمن یوم الی یوم کأنه ما تریک العین فی النوم

لا تجزعن رویدا انها دول دنیا تنقل من قوم الی قوم

الا ان المتوکل علی الله لم یطلع علی الرقعه فی یومها، فلما کان الغد قرأها فأمر باخراجه، فوجد میتا(۲). و ذکر عن احد حراسه انه سمعه قبل موته یقول لنفسه: یا محمد لم تقنعک النعمه و الدواب الفره و الدار النظیفه و الکسوه الفاخره و انت فی عافیه، حتی طلبت الوزاره، ذق ما عملت بنفسک، ثم سکت عن ذلک، و کان لا یزید علی التشهد و ذکر اللّه، و کانت وفاته فی یوم الخمیس لاحدی عشره لیله بقیت من ربیع الأول سنه ۲۳۳ ه(۳) بعد ان لبث فی الوزاره اربعه عشر عاما و بضعه اشهر. و یقول ابو الفرج ان المتوکل علی الله «ندم علی قتله و لم یجد منه عوضا» و کان یقول لأحمد بن ابی دواد «اطمعتنی فی باطل، و حملتنی علی امر لم اجد منه عوضا»(۴).

۱- الطبری ۹/ ۱۵۹، و الکامل ۷/ ۳۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۹.
۲- مروج الذهب ۴/ ۸۸.
۳- الطبری ۹/ ۱۶۰، و الکامل ۷/ ۳۸.
۴- الاغانی ۲۳/ ۷۳.

و قد رثاه صدیقه و اقرب الناس الیه الحسن بن وهب بشعر کان یتنصل منه خوفا علی حیاته، جاء فیه(۱):

یکاد القلب من جزع یطیراذا ما قیل قد قتل الوزیر

أمیر المؤمنین هدمت رکناعلیه رحاکم کانت تدور

سیبلی الملک من جزع علیه و یخرب حین تضطرب الامور

فمهلا یا بنی العباس مهلافقد کویت بنعلکم الصدور

الی کم تنکبون الناس ظلمالکم فی کل ملحمه عقیر

جزیتم ناصرا لکم المنایاو لیس کذلکم یجزی النصیر

۳- احمد بن خالد:

ابو الوزیر، من کتاب الـدوله العربیه. و لما عزم المعتصم بالله علی بناء مـدینه سامرا کلف وزیره محمـد بن عبـد الملک الزیات و اثنین من الکتاب لشراء الارض التی قرر انشاء المدینه علیها،

۱- نفس المصدر/ ۷۴.

كان احدهما احمد بن خالد(۱). و يقول الطبرى ان المعتصم بالله بعث احمد بن خالد الى ناحيه موقع سامرا ليشترى له ارضا يبنى فيها مدينه، و امره ان يأخذ معه مائه الف دينار ليدفع قيمه ما يشتريه فقال احمد انه سيأخذ خمسه الاف دينار و كلما احتاج الى زياده بعث الى الخليفه يستزيده، فاتى الموضع و اشترى ما كلفه به الخليفه(۲).

و ولى احمد بن خالد للخليفه المعتصم باللّه خراج مصر فى سنه (۲۲۶ ه) حينما قدم اليها يحمل معه كتاب ولايه القضاء لمحمد بن ابى الليث(۳). و يظهر انه عاد الى الكتابه فى ديوان الخلافه، اذ كان من جمله الكتاب الذين صادرهم الواثق بالله سنه (۲۲۹ ه) فاخذ منه صلحا، اى دون ان يأمر بضربه، مائه و اربعين الف دينار(۴). و عند وفاه الواثق بالله كان احمد بن خالد من الحاضرين فى قصر الخلافه مع الوزير ابن الزيات و قاضى القضاه ابن ابى دواد و كبار القواد الاتراك، و شارك فى اختيار المتوكل على الله للخلافه(۵).

و عند ما كان المتوكل على الله مغضوبا عليه من اخيه الواثق بالله، و يلقى عنتا من الوزير ابن الزيات و من عمر بن فرج الرخجى صاحب ديوان النفقات، كان ابو الوزير و هو زمام على عمر المذكور آنذاك يواسيه و يحسن معاملته(۶). مما كان له أثر حسن فى نفس المتوكل على اللّه، فاخذ عند استخلافه يعتمد عليه فى اداء بعض المهام. اذ وجهه لقبض ضياع ابن الزيات عند ما

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۷- ۲۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۱۷.

۳- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۴۴۹.

۴- الطبرى ۹/ ۱۲۵، و الكامل ۷/ ۱۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۲۸ و فيه انه اخذ منه مائتى الف دينار.

۵- الطبرى ۹/ ۱۵۴، و الكامل ۷/ ۳۳، و تجارب الامم ۶/ ۵۳۵.

۶- الطبرى ۹/ ۱۵۷.

سخط علیه، کما اشرنا آنفا. ثم اناط به مهام الوزاره من غیر ان یسمیه بها. الا انه سرعان ما غضب علیه و امر فی ذی الحجه من السنه نفسها بمحاسبته و مصادرته، و اخذ منه ستین الف دینار، و بدرا من الدراهم و الحلی، و من متاع مصر و بضائعها اثنین و ستین سفطا، و اثنین و ثلاثین غلاما، و فرشا کثیره(۱). ثم ما لبث ان رضی عنه ثانیه، فولاه خراج مصر فی سنه (۲۳۸ ه) شریکا لعنبسه بن اسحاق الضبی(۲).

۴- محمد بن الفضل الجرجرائی:

ابو جعفر، کان یکتب للفضل بن مروان، و هو من جرجرایا من اعمال النهروان الأسفل بین بغداد و واسط(۳). و کان شیخا ظریفا حسن الأدب. عالما بالغناء مشتهرا به(۴). استکتبه الخلیفه المتوکل علی الله بعد ان صرف ابا الوزیر احمد بن خالد من عمله فی (۲۳۳ ه)(۵). الا انه اضطر بعد مده الی عزله بعد ان کثرت السعایات به، و قال: قد ضجرت بالمشایخ ارید حدثا استوزره(۶).

و لما قتل القائد الترکی اوتامش المتسلط علی الوزاره فی عهد الخلیفه المستعین باللّه، فی سنه (۲۴۹ ه) و اشتد الخلاف بین الخلیفه

۱- الطبری ۹/ ۱۶۲، و الکامل ۷/ ۲۹، و الفخری/ ۲۱۶.

۲- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۲۰۰.

۳- معجم البلدان ۲/ ۱۲۳.

۴- الفخری/ ۲۱۶.

۵- کتاب الطبری ۹/ ۲۶۲.

۶- الفخری/ ۲۱۶.

و الاتراک، اتخذ الخلیفه محمد بن الفضل الجرجرائی وزیرا(۱).

الا انه لم یلبث ان توفی السنه التالیه(۲).

۵- عبید اللّه بن یحی بن خاقان:

کان المتوکل علی اللّه قد صرف محمد بن الفضل الجرجرائی من الوزاره فی سنه (۲۳۶ ه) و استکتب عبید اللّه بن یحیی بن خاقان.

و کان اول معرفه المتوکل علی الله به، ان عبید الله کان قد لازم الفضل بن مروان، و هو یتقلد دیوان الضیاع، و یعاونه فی الامور الکتابیه. و صادف ان اهل ارمینیه طلبوا من الفضل ان یمضی لهم مقاطعه فی بلادهم فرفض رغم الحاحهم و لجوئهم الی کثیر من اصحابه. فلجآوا الی عبید الله بن یحیی فخاطب الفضل فی امرهم بما جعله یستجیب لطلبهم. فحمل القوم الی عبید الله خمسه الاف دینار فردها و قال ما کنت لآخذ علی معروف ثمنا. فلما خرجوا الی ارمینیه حملوا الیه فرش بیت ارمنی جمیلا جدا ببساط عظیم و مصلیات و اتخاخ و مخاد و ستور، و کتبوا علیه اسمه و کنیته.

و کان المتوکل علی اللّه حینذاک قد وکل بالطرق و امر الا یدخل شی ء من الامتعه الا ان یعرض علیه. فلما عرضت علیه الهدیه المذکوره استحسنها و سأل عن عبید اللّه و علاقته باهل ارمینیه، و لما اطلع علی خبره معهم امر بتسلیم الفرش الیه، و قال هذا فتی یدل فعله علی کبر همته(۳). و لما صرف المتوکل علی اللّه محمد بن الفضل الجرجرائی عن الوزاره لم یعین وزیرا و امر اصحاب الدواوین ان یعرضوا علیه اعمالهم، و جعل التوقیع للقائد الترکی وصیف. ثم احتاج الی کاتب یکون بین یدیه فأمر ان یطلب له حدث

۱- الطبری ۹/ ۲۶۴، و الکامل ۷/ ۱۴۴، و الفخری/ ۲۲۰.

۲- الکامل ۷/ ۱۳۵.

۳- نشوار المحاضره ۸/ ۵۱- ۵۳.

من اولاد الکتاب، فسموا له جماعه کان فیهم عبید الله بن یحیی.

فلما ذکر اسمه تذکر المتوکل علی اللّه حدیث الفرش الارمنی، فاختاره للکتابه(۱).

و لم تزل منزله عبید الله تتقدم لدی الخلیفه حتی امر ان یخلع علیه و ان لا یعرض احد من اصحاب الدواین علیه شیئا، و ان یرفعوا اعمالهم الی عبید الله لیتولی عرضها علیه. و اجری علیه فی کل شهر عشره الاف درهم. و قوی امر عبید اللّه فحذف اسم القائد وصیف من التوقیع و اثبت اسمه. ثم امر له الخلیفه برزق الوزاره، ثم خوطب بها(۲). و لشده اعتماد المتوکل علی اللّه علی عبید الله قلده کتابه ابنیه المعتز و المؤید و ضم الیهما بضعه عشر الف رجل و جعل تدبیرهم الی عبید الله ایضا، فصار وزیرا امیرا(۳).

و قد ضم الیه توقیع دیوان العامه فی سنه (۲۴۵ ه) فاستخلف ابن عمه یحیی بن عبد الرحمن بن خاقان(۴).

کان عبید اللّه من خیره الکتاب، حسن الخط و له معرفه بالحساب و الاستیفاء، و رغم انه کان فی تصرفاته بعض التخلیط الا ان کرم نفسه و حسن اخلاقه، و نزاهته و عفته، غطت علی عیوبه(۵). و قد اعجب به المتوکل علی اللّه فرفعه و اعلی مرتبته و ولاه و امره ان یکتب: مولی امیر المؤمنین، و ان یأمر کتاب الدواوین ان یوقعوا باسمه. فاستعفاه یحیی من ذلک. الا انه اخذ یولی العمال علی الخراج و الضیاع و البرید و المعادن، و یعین القضاه فی جمیع انحاء الدوله. و قد سلک فی اعماله سیره حسنه

۱- نفس المصدر/ ۸۳.

۲- نفس المصدر.

۳- نشوار المحاضره ۸/ ۱۵- ۱۶.

۴- الطبری ۹/ ۲۱۷.

۵- الفخری/ ۲۱۶.

جعلته محمودا عند الناس(۱). و من تعففه ان صاحب مصر حمل اليه مائتى الف دينار و ثلاثين سفطا من الثياب المصريه، فلما احضرت بين يديه، قال لوكيل صاحب مصر: لا و اللّه لا اقبلها و لا اثقل عليه بذلك، ثم فتح الأسفاط و اخذ منها منديلا لطيفا وضعه تحت فخذه، و امر بالمال فحمل الى خزانه الديوان(۲).

و قد وصفه ابو العيناء الأديب الشاعر للمتوكل على اللّه لما سأله عنه، بقوله: العبد لله و لك منقسم بين طاعته و خدمتك، يؤثر رضاك على كل فائده، و ما عادل بصلاح رعيتك كل لذه(۳).

و عند ما عزم المتوكل على اللّه بناء مدينه المتوكليه (الجعفريه) حاول نجاح بن سلمه، و كان على ديوان التوقيع و التتبع على العمال، أن يتقرب الى الخليفه بتحريضه على مصادره اموال عبيد اللّه بن يحيى و عدد من رؤوساء الدواوين، فعرض عليه ان يسمى له قوما يدفعهم اليه حتى يستخرج منهم اربعين الف الف درهم تساعده فى نفقه بناء المدينه الجديده. فطلب اليه الخليفه ان يذكر اسماءهم. فرفع اليه نجاح رقعه يذكر فيها موسى بن عبد الملك صاحب ديوان الخراج، و الحسن بن مخلد صاحب ديوان التوقيع. و خليفته عيسى بن فرخانشاه، و عبيد اللّه بن يحيى و اخويه عبد اللّه و زكريا، و آخرين غيرهم، نحوا من عشرين رجلا. فلما علم عبيد اللّه بذلك عمل على انقاذ الجماعه و تسفيه اقتراح نجاح لدى الخليفه. فأقنع نجاحا بان يعتذر للخليفه عما تقدم به، و كان عبيد اللّه اخذ بنفس الوقت رقعه من موسى و الحسن يتعهدان فيها باستخراج اموال نجاح بن سلمه اذا سلمه الخليفه اليهما، و ضمنا

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۸- ۴۸۹.

۲- الفخرى/ ۲۱۶.

۳- الديارات/ ۹۰.

تحصیل الفی الف دینار منه. فاقتنع المتوکل علی اللّه باقتراح وزیره، و دفع نجاحا الی غریمیه. فاخذاه و اولاده فاقروا بنحو مائه و اربعین الف دینار، سوی الغلات و الغروس و الضیاع و غیر ذلک. ثم امروا بضرب نجاح حتی مات. فأقر ابناؤه بعد الضرب بسبعین الف دینار اخری سوی مالهما من الاملاک فأخذت جمیعها منهم. کما اخذ بسببه قوم بسامرا و ببغداد و بمکه و بناحیه السواد فحبسوا و صودروا(۱).

کان عبید اللّه موالیا للمتوکل حریصا علی ارضائه. فلما رآه یبعد ابنه محمدا المنتصر و ینتقصه شایعه فی ذلک، و بدلا من ان یقرب بین الخلیفه و ولی عهده و یعمل علی ازاله ما بینهما من اسباب التباعد و الجفاء انتهج سیاسه تزید فی سخط ولی العهد علی ابیه. فعند ما عزم المتوکل علی اللّه علی الصلاه آخر جمعه فی رمضان سنه (۲۴۷ ه) و اراد الرکوب للذهاب الی المسجد الجامع، قال له عبید اللّه و الفتح بن خاقان ان الناس اجتمعوا و کثروا، من بنی العباس و غیرهم، و اکثرهم متظلم و طالب حاجه، و قد یزعجون امیر المؤمنین و هو یشکو ضیق الصدر و وعکه، و اقترحا علیه ان یعهد لأحد ولاه العهد بالصلاه بالناس. فأمر المتوکل علی اللّه ابنه المنتصر بالصلاه. فلما نهض المنتصر لیرکب للصلاه، قالا للخلیفه ان یأمر ابا عبد اللّه المعتز لیشرفه بذلک و قد ولد له ولد قبل ذلک بیوم. فأمر المعتز فذهب و صلی بالناس، مما اغضب المنتصر(۲).

و لما حل عید الفطر امر المتوکل علی اللّه ان یصلی المنتصر بالناس، قالا له ان الناس یتطلعون الی رؤیه الخلیفه، و لا نآمن ان هو لم یحضر الصلاه ان یرجف الناس بعلته و یتکلمون بامره.

۱- الطبری ۹/ ۲۱۴- ۲۱۷، و الکامل ۷/ ۸۸- ۸۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۴.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۲- ۲۲۳.

فأمر بالتهيؤ للصلاه و خرج و صلى بالناس(۱). فزاد ذلک فی غضب المنتصر و سخطه على ابیه و رجاله.

و عند ما قتل المتوکل على اللّه اجتمع الى عبید الله جند الفرقه التی کانت تحت امرته و یتراوح عددهم بین خمسه الاف و عشره الاف، و قالوا له: انما کنت تصطنعنا لهذا الیوم فأمرنا بامرک وأ أذن لنا نمل على القوم میله نقتل المنتصر و من معه من الاتراک و غیرهم. فأبى ذلک و قال: لیس فی هذا حیله و المعتز فی ایدیهم(۲). و کان یمیل الى المعتز فخاف ان هو تحرک ضد المنتصر و اتباعه ان یقتلوا المعتز. و یقول ابن الطقطقی ان الجند کانوا یحبون عبید اللّه بن یحیی لحسن سیرته فیهم فلما قتل المتوکل على اللّه خاف عبید الله على نفسه، فاجتمع الجند على بابه و قالوا له: انت احسنت الینا و اقل ما یجب علینا ان نحرسک فی مثل هذه الفتنه، و لازموا بابه و حفظوه(۳).

و لما بویع المنتصر اللّه بالخلافه بایعه عبید اللّه بن یحیی و انصرف. و استوزر الخلیفه الجدید احمد بن الخصیب احد کبار الکتاب. و ظل عبید اللّه بعیدا عن الوزاره فی عهد الخلیفه المستعین باللّه الذی لم یکن یرتاح الیه، فاغتنم فرصه خروجه الى الحج فبعث خلفه احد رجاله و امره بنفیه الى برقه(۴). و عند ما اضطر المستعین بالله على ترک سامرا و الالتجاء الى بغداد و تفویض امره الى نائبه فیها محمد بن طاهر بن عبد الله الذی وقف الى جانبه فی اول نزاعه مع الاتراک، لعب عبید الله بن یحیی دورا فی تغییر موقف ابن طاهر من المستعین بالله، و قد قال له مره: ان هذا الذی

۱- الطبری ۹/ ۲۲۳، و الکامل ۷/ ۹۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۹، و الکامل ۷/ ۹۹- ۱۰۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷.

۳- الفخری/ ۲۱۷.

۴- الطبری ۹/ ۲۵۸، و الکامل ۷/ ۱۱۹، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۵ و فیه انه نفاه الى مکه و قبل وصوله الیها بعث خلفه من نفاه الى برقه.

تنصره و تجد فی امره من اشد الناس نفاقا، و اخبثهم دینا، و الله لقد امر وصیفا و بغا بقتلک فاستعظما ذلک .. و لم یفعلاه. حتی صرفه عما کان علیه من الرأی فی نصره المستعین باللّه. فقال محمد ابن طاهر: اخزی اللّه هذا لا یصلح لدین و لا دنیا(۱).

و عند ما تولی المعتمد علی الله الخلافه فی رجب سنه (۲۵۶ ه) استوزر عبد اللّه بن یحیی(۲). و قد عرف عنه انه کان خبیرا باحوال الرعیه و کفوءأ بعمله ضابطا للاموال. و لما دخل یعقوب ابن اللیث الصفار مدینه نیسابور و قبض علی امیرها محمد بن طاهر و اهل بیته، و ارسل رسله الی الخلیفه یعلمه بذلک، قال الموفق و الوزیر عبید الله بن یحیی للرسل، ان امیر المؤمنین لا یقر یعقوب علی ما فعل و انه یأمره بالانصراف بالذی ولاه ایاه، فانه ان فعل کان من الاولیاء، و الا لم یکن له الا ما للمخالفین(۳).

و عند ما اشتد خلاف یعقوب بن اللیث الصفار علی الخلافه، و اظهر ما کان یخفیه من مطالعه، و توجه بجیشه نحو سامرا فی سنه (۲۶۲ ه) خرج المعتمد علی اللّه علی رأس جیشه الذی قاده اخوه الموفق، و نزل بالسیب، کان الی جانبه وزیره عبید اللّه بن یحیی(۴).

و فی سنه (۲۶۳ ه) مات عبید الله بن یحیی، اذ سقط عن دابته فی میدان کره الصولجان من صدمه خادم له یقال له رشیق.

و ذلک فی یوم الجمعه لعشر خلون من ذی القعده، فسال الدم من منخره و اذنه. و مات بعد سقوطه بثلاث ساعات، فصلی علیه ابو احمد الموفق و مشی فی جنازته(۵).

۱- الطبری ۹/ ۳۴۲.

۲- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۳۵.

۳- الطبری ۹/ ۵۵۷، و الکامل ۷/ ۲۶۲.

۴- الطبری ۹/ ۵۱۷.

۵- الطبری ۹/ ۵۳۲، و المنتظم ۵/ ۴۵.

۶- احمد بن الخصيب:

كان احمـد بن الخصـيب كاتبا للقائـد التركى اشـناس الـذى كان يتولى اعمال الجزيره و الشامات و مصـر و المغرب، و كان ابن الخصيب هو المـدبر لشؤونه. و قد استصـحبه اشـناس فى حمله المعتصم بالله على بلاد الروم فى سـنه (۲۲۳ ه) و كلفه مع القـائد محمـد بن يوسف الثغرى بـالتحقيق مع احمـد الخليـل فاخبرهمـا بما يعرفه عن مؤامره العباس بن المأمون و المشتركين بها و على الأخص الحارث السمرقندى داعيه العباس، مما ساعد على القضاء على المؤامره و هى فى مهدها(۱).

و كـان ابن الخصـيب احـد الكتـاب الـذين صـادرهم الخليفه الواثق بالله، و اخـذ منه و من كتابه و من اخيه ما مجموعه الف الف دينار(۲). و يقول اليعقوبى انه انتزعت منه و من اخيه الأموال بعد تعذيبهما و تعذيب امهما(۳).

و لما بويع للمنتصـر باللّه بالخلافه ابعـد عبيـد الله بن يحيى بن خاقان وزير ابيه عن الوزاره و جعل كاتبه احمد بن الخصـيب وزيرا له. الا انه لم يكن موفقا فى هذا الاختيار. اذ كان ابن الخصيب تنقصه الكفايه فى الاداره، و لا يعرف شيئا عن شؤون الدوله. و مع مروءته كانت فيه حده وطيش(۴). و قد وصفه المسعودى بأنه قليل الخير كثير الشر شديد الجهل(۵). و لذلك

۱- الطبرى ۹/ ۱۷۵.

۲- نفس المصدر/ ۱۲۵، و الكامل ۷/ ۱۰.

۳- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۱.

۴- الفخرى/ ۲۱۷، و الهفوات النادره/ ۲۶۱.

۵- مروج الذهب ۴/ ۱۳۵.

ساءت الاحوال على عهده، كما ساءت سمعته بين الناس و كان كثيرا ما يرفس المتظلمين اليه و ذوى الحاجات اذا ازدحموا عليه، و قد يبصق عليهم و يشتم اعراضهم. فقد عرض له مره رجل من ارباب الحوائج و الح عليه حتى ضايقه و ضغط رجله فى الركاب، فاحتد عليه ابن الخصيب و اخرج رجله من الركاب و ركله فى صدره، فقال احمد بن ابى طاهر(۱):

قل للخليفه يا ابن عم محمداشكل وزيرك انه محلول

فلسانه للشتم فى اعراضناو الرجل منه فى الصدور تجول

كم طالب لظلامه او حاجهمتعرض لكلامه مركول

و قد اعتبر ابن عبد ربه ركل الوزير احد المتظلمين من سوء الأدب(۲). و اورد صاحب «الهفوات النادره» قصصا تدل على جهل ابن الخصيب المطبق، و حمقه الزائد و ضعف لغته و قله ادبه و تسرعه فى الأحكام(۳). و قال فيه ابو العيناء: لو تأمل احمد اخلاقه فاجتنبها لاستغنى عن الاداب يطلبها، و ذمه برساله وضعها على السنه الرؤساء و القواد و الكتاب، يصف كل منهم مساوى ء احمد بن الخصيب(۴). و قال عنه احد الشعراء عند ما اشتهرت

۱- الهفوات النادره/ ۲۶۱.

۲- العقد الفريد ۴/ ۱۰.

۳- الهفوات النادره/ ۲۶۱- ۲۶۶.

۴- جمع الجواهر فى الملح و النوادر/ ۲۰۷ و ۲۱۰.

حادثه رکله احد المتظلمین، یحرض الخلیفه علیه و یتهمه بحیازه الأموال(۱):

قل للخلیفه یا ابن عم محمداشکل وزیرک انه رکال

اشکله عن رکل کل الرجال و ان تردمالا فعند وزیرک الاموال

و اعتبره ابن الجوزی من الحمقی المغفلین، و روی عنه قصه تدل علی جهله و قله معرفته بالعربیه. فقد قرأ ابن رباح بحضره المنتصر کتاب الصدقات، و قال: فی کل ثلاثین بقره تبیع. فقال الخلیفه: ما هو التبیع؟ فاجاب ابن الخصیب: البقره و زوجها(۲). و قد ادخل ابن عبد ربه احمد بن الخصیب فی قائمه من ادخلوا انفسهم فی الکتابه و لم یستحقوها، و انما لطخوا انفسهم بالکتابه و ما دانوها(۳). و مما یؤید ضحاله ابن الخصیب اللغویه انه نظر یوما الی احد الکتاب، و کان فدما- ای غایظا سمینا- مضطرب الخلق، طویل العثفون، فقال: لأن یکون هذا فنطاس مرکب اشبه من ان یکون کاتبا(۴).

و مع هذه الصفات السیئه التی کان علیها احمد بن الخصیب، فقد طالت مده خدمته للخلفاء. و یرجح انه مع مساوئه المذکوره

۱- الهفوات النادره/ ۲۶۱، و الفخری/ ۲۱۸، و ذکر البیت الثانی کالآتی: قد نال من اعراضنا بلسانه و لرجله عند الصدور مجال

۲- اخبار الحمقی و المغفلین/ ۲۳۲.

۳- العقد الفرید/ ۱۷۰۴- ۱۷۱.

۴- نفس المصدر/ ۱۷۲.

و نواحی الضعف الاخری فیه، کان خدوما لهم لا یخرج عن اوامرهم و نواهیهم. و قد فسر ابن الخصیب نفسه سبب اتصال خدمته للخلفاء بانه لم تکن فی حیاته لذه فی بناء و لا فرش و لا غلمان و لا جوار و لا مفاخره بمروءه، و انما کانت لذته فی العماره و التوفیر مما جعلهم یستخدمونه(۱). علی انه یبدو انه کان الی جانب ذلک داهیه یجید حبک المؤامرات. فقد لعب دورا بارزا فی مبایعه المنتصر باللّه اثر مقتل ابیه(۲). و لما نشب الخلاف بینه و بین القائد وصیف، استطاع ان یحرض الخلیفه علیه و یقنعه بابعاده عن حاضره الخلافه، و خوفه منه، فارسله فی حمله لغزو بلاد الروم(۳). و تولی ابن الخصیب کتابه الکتاب الذی وجهه الخلیفه الی عامله فی بغداد یطلب الیه ان یحث الناس علی الخروج للجهاد فی سبیل اللّه و أن یوافوا عسکر و صیف فی ثغر ملطیه(۴).

کما استطاع ان یقنع القواد الذین تآمروا علی قتل المتوکل علی اللّه بارغام المنتصر باللّه علی خلع اخویه المعتز و المؤید من ولایه العهد، و قد أخذ ابن الخصیب رقاعهما بالتنازل و تولی قراءتها علی الذین حضروا للشهاده علی تنازلهما(۵).

استمر ابن الخصیب فی منصب الوزاره طیله ایام المنتصر باللّه، اذ لم یستطع الخلیفه ان یستبدله، و لعل قصر مده خلافته لم یتح له فرصه کافیه لذلک.

۱- نشوار المحاضره ۸/ ۴۹- ۵۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۳۵.

۳- نفس المصدر/ ۲۴۰.

۴- الطبری ۹/ ۲۴۱- ۲۴۳ و الکامل ۷/ ۱۱۱- ۱۱۲.

۵- الطبری ۹/ ۲۴۴- ۲۴۶، و الکامل ۷/ ۱۱۲- ۱۱۴.

و قـد لعب احمد بن الخصـيب دورا رئيسا فی اختيار الخليفه المسـتعين باللّه بعد موت المنتصـر بالله، فاسـتكتبه الخليفه الجديد، و عهـد بامور الوزاره الی القائد اوتامش. و رغم خروج ابن الخصـيب من الوزاره فقد ظل الی جانب الخليفه يسـتمتع بنفوذ كبير. و لما اراد الاتراک ان يقتلوا اخوی المنتصر باللّه، المعتز و المؤيد، عند ما شغب الغوغاء و الشاكريه فی اوائل عهد المستعين باللّه، و كانا محبوسـين فی الجوسق بحراسه بغا الصـغير، منعهم ابن الخصيب من ذلک و اقنعهم بان لا علاقه لهما بالذين شغبوا، فابقوهما محبوسين(۱).

علی ان الاتراک ما لبثوا ان غضـبوا علی ابن الخصيب فی جمادی الأولی من سنه (۲۴۸ ه) فاستصفی الخليفه امواله و اموال ولده، و امر بنفيه الی اقريطش(۲)، و بقی مده فی منفاه ثم عاد الی سامرا، و قد توفی فی سنه (۲۶۵ ه).(۳).

۷- احمد بن اسرائيل:

ابو جعفر الانباری، كان من حـذاق الكتاب فی سامرا، و كان الخليفه الواثق باللّه قد اتهمه مع آخرين من الكتاب بخيانه الواجب، فأمر بحبسه و الزمه تأديه ما خانه من الاموال. و دفعه الی صاحب الحرس يحيی بن معاذ و امره بضربه كل يوم عشره

۱- الطبری ۹/ ۲۵۹، و الكامل ۷/ ۱۱۹.

۲- نفس المصدرين السابقين.

۳- العبر ۲/ ۲۹- ۳۰.

اسواط. و يقال انه ضربه نحوا من الف سوط، و استخرج منه ثمانين الف دينار(۱).

و قد استخلفه عبيد الله بن يحيى بن خاقان على ديوان الخراج، و كان ابن اسرائيل يتولى يومئذ الكتابه للامير المعتز بن المتوكل على اللّه(۲). و ظل محتفظا بعمله فى الديوان حتى ايام المستعين بالله، و قد التحق به لما انحدر الى بغداد اثر خلافه مع بعض قواد الاتراک فى سنه (۲۵۱ ه). و بعثه الخليفه فى وفد يحمل كتابا الى القائد الحسين بن اسماعيل عند ما هزم و جيشه امام جيش سامرا فى جمادى الآخره من السنه المذكوره، يلومه فيه على ضعفه و تخاذله(۳).

و يظهر ان ابن اسرائيل كان مقربا من المستعين بالله، فاراد مؤيدوا المعتز باللّه ان يفرقوا بينهما باثاره شكوک الخليفه فى ولائه. فكلفوا رجلا يقف بباب الخليفه و يدعو للمعتز بالله بالنصر و التأييد. و لما قبض عليه ادعى بان احمد بن اسرائيل امره بذلک. فغضب الخليفه عليه، الا انه ما لبثت الحقيقه ان ظهرت و عرف امر الرجل(۴). على ان ابن اسرائيل ادرک ضعف مركز المستعين بالله و تزايد قوه المعتز بالله فانضم الى الجانب الذى كان يسعى للصلح مع الموفق قائد جيش المعتز بالله، و خرج الى معسكر الموفق مع عدد من رجال المستعين باللّه باذن من محمد بن عبد الله بن طاهر امير بغداد حينذاک لمناظره ابى احمد الموفق فى الصلح بين

۱- الطبرى ۹/ ۱۲۵.

۲- الطبرى ۹/ ۲۱۷.

۳- الطبرى ۹/ ۳۲۴.

۴- الفرج بعد الشده ۴/ ۱۲۵.

الطرفين(۱). كما ايـد ابن اسـرائيل عبيـد اللّه بن يحيى فى صـرف محمد بن عبد الله عن نصـره المسـتعين باللّه، و السـعى لايقاف القتال بين المعتز باللّه و المستعين باللّه، و السعى للصلح(۲). ثم صار الى المعتز باللّه فى سامرا فولاه البريد و وعده بالوزاره ان تم له النصر(۳).

و لما رأى المسـتعين باللّه ضـعف امره و خـذلان ناصـريه اجاب الى خلع نفسه من الخلافه و بايع للمعتز باللّه. فانتهت الحرب بين سامرا و بغـداد، و اسـتقر الأمر للمعتز باللّه. فكافأ المعتز باللّه ابن اسـرائيل على انتصاره له و خذلانه المسـتعين باللّه بأن اسـتوزره و خلع عليه و وضع تاجا على رأسه(۴).

و كان القائـدان التركيان وصـيف و بغا اللذان التحقا بالمسـتعين باللّه، لما رأيا ان الخلافه انتهت الى المعتز بالله، قررا المصـير اليه فى سامرا، فوجه وصـيف اخته سـعاد الى المؤيد ليكلم اخاه المعتز باللّه بالعفو عنه، و كان الموفق قد كلم المعتز بالله فى امر العفو عن بغا ايضا. فكتب الخليفه اليهما بالرضا عنهما. فتوجها الى سامرا.

و يبدو ان المعتز بالله لم يكن راغبا فى مجيئهما الى سامرا لأنه كتب الى امير بغداد محمد بن عبد اللّه ان يمنعهما من الخروج من بغداد(۵). و لما علم احمد بن اسرائيل بوصول القائدين المذكورين الى بغداد بكر فى زيارتهما قبل ان يحضرا دار

۱- الطبرى ۹/ ۳۳۶.

۲- نفس المصدر/ ۳۴۱- ۳۴۲.

۳- نفس المصدر/ ۳۴۴.

۴- نفس المصدر/ ۳۴۹.

۵- نفس المصدر/ ۳۵۵.

الخلافه(۱). و لعله کـان یهـدف من زیـارته الـترحب بهمـا لیکسب، تأییـدهما له، بعـد ان علم انهمـا اعیـدا الی سـابق مراتبهمـا و اعمالهما. و لما اشـتد الخلاف بین الخلیفه و القائـد بغا، وقف احمد بن اسـرائیل الی جانب الخلیفه و صـحبه الی کرخ سامرا لیلا للالتجاء الی القائد بایکباک و من معه ممن کانوا ضد بغا.

و کان بغا قـد غامر بالخروج علی الخلیفه فانتهی امره بالقتل و جی ء برأسه الی المعتز بالله. فبعث الخلیفه من ساعته الی احمد بن اسرائیل، و بعض رجال دولته، یبلغهم بذلک(۲).

و بـالنظر لازدیاد الجنـد الأتراک و ازدیاد نفقاتهم فقـد عجز الوزیر ابن اسـرائیل عن تأمین الأموال اللازمه لهم، فاسـتغل الاتراک تـأخر ارزاقهم فهـاجموه. و قـد تزعم حرکه تـذمرهم القائـد صالـح بن وصـیف، فقابـل الخلیفه بحضـور الوزیر و قـال له: یـا امیر المؤمنین لیس للاتراک عطاء، و لا فی بیت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائیل و اصحابه باموال الدنیا. فرد علیه احمد بن اسرائیل و اتهمه بالعصـیان. فأمر صالـح اتباعه فقبضوا علی الوزیر و اثنین من کبار الکتاب من مؤیـدیه هما الحسن بن مخلـد، و هو کاتب قبیحه ام المعتز باللّه، و ابو نوح عیسـی بن ابراهیم، و کان کاتب الفتـح بن خاقان، و قیـدوهم و اثقلوهم بالحدیـد. و رفض صالح طلب الخلیفه و امه باطلاق سـراح احمد ابن اسـرائیل. و لما لم یحصل الاتراک علی شـی ء من المال منهم، وجه صالح فی قبض ضیاعهم و دورهـم، و ضیاع ذویهم و اموالهم(۳).

۱- نفس المصدر/ ۳۵۶.

۲- الطبری ۹/ ۳۷۹- ۳۸۰.

۳- نفس المصدر/ ۳۸۷- ۳۸۸.

و عند ما تفاقم الخلاف بين الخليفه و الاتراك خلعوه و قتلوه، و بايعوا لمحمد بن الواثق بالله بالخلافه و لقب بالمهتدى بالله.

و استمر صالح و اتباعه فى التشديد على الوزير و الكتاب حتى يوم الخميس لثلاث بقين من رمضان سنه (۲۵۵ ه) فأخرج ابن اسرائيل الى باب العامه و ضرب خمسمائه سوط، ثم حمل على بغل من بغال السقائين منكس الرأس مكشوف الظهر، و حين وصلوا به خشبه بابك مات. فقال الخليفه لما بلغه ذلك اما عقوبه الا السوط و القتل، اما يكفى الحبس(۱). و قد اختلف فيمن امر بضربه، فان الطبرى يقول ان صالح بن وصيف و كل بضربه حماد ابن محمد بن حماد بن دنقش، و يتفق معه ابن الأثير بان صالحا هو الذى امر بضربه(۲). بينما يقول المسعودى ان المهتدى باللّه لما افضت اليه الخلافه اخرج احمد بن اسرائيل الى باب العامه بسامرا فضرب خمسمائه سوط فمات، و ذلك لامور كانت قد استحق عند المهتدى فيما يجب فى حكم الشريعه ان يفعل ذلك(۳).

كان احمد بن اسرائيل يعيد النظر، مرضيا فى عمله، و قد حاز ثقه الخلفاء الذين خدمهم و تقديرهم. و قد عرف بقوه حفظه و حده ذهنه، و قالوا انه كان يحفظ وجوه المال جميعها دخلا و خرجا. و ضاعت مره حسبه من الديوان فأوردها من خاطره، فلما وجدت كانت كما قال من غير زياده او نقيصه(۴).

۱- نفس المصدر/ ۳۹۸.

۲- نفس المصدر/ ۳۹۷- ۳۹۸، الكامل ۷/ ۲۰۱.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۸۷.

۴- الفخرى/ ۲۲۲.

و ذکر الصابی خبرا یؤید ذلک، فقد کان یلقی علی الکتاب الطویل نظره سریعه فیستوعب ما فیه، و یأمر بما یجاب به(۱).

۸- سلیمان بن وهب:

ابو ایوب سلیمان بن وهب بن سعید من بیت کتابه و انشاء، حزم اجداده عددا من الخلفاء الأمویین فی الشام، و بعض الخلفاء العباسیین فی بغداد. و کان ابوه وهب بن سعید کاتبا للفضل بن سهل وزیر المأمون، ثم کتب بعده للحسن بن سهل الذی قلده بعض الولایات فابدی کفایه فی الاداره(۲).

عمل سلیمان فی الکتابه فی سن مبکره. فقد کتب للمأمون و هو ابن اربع عشره سنه، و کتب لایتاخ ثم لأشناس، و هما من کبار القواد الأتراک(۳). و یقول ابن الطقطقی انه من قریه واسط، و اصل اهله نصاری اسلموا و خدموا فی الدواوین، و یعتبر سلیمان من کبار الکتاب و ذوی الرأی منهم(۴). ثم کتب سلیمان للخلیفه المعتصم باللّه، و قد بعثه لیحصی ما فی دار الأفشین عند ما حبسه(۵). و لما حبس الواثق باللّه الکتاب و الزمهم اموالا، امر بحبس سلیمان بن وهب، و کان حینذاک یکتب لایتاخ، و الزمه بمائتی الف درهم- و قیل دینار- فقید و البس مدرعه من مدارع الملاحین، فأدی مائه الف درهم و سأل ان یؤخذ

۱- الوزراء/ ۲۱۳.

۲- وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۵.

۳- نفس المصدر.

۴- الفخری/ ۲۲۳.

۵- الطبری ۹/ ۱۱۴.

بالباقی فی عشرین شهرا، فاجابه الخلیفه الی ذلک و اخلی سبیله ورده الی کتابه ایتاخ(۱). و یقال ان سلیمان بن وهب بلغه ان الواثق باللّه نظر الی احمد بن الخصیب الکاتب فأنشد:

من الناس انسانان دینی علیهماملیّان لو شاءا لقد قضیانی

خلیلی اما ام عمرو فانهاو اما عن الاخری فلا تسلانی

فقال: انا للّه، احمد بن الخصیب ام عمرو، و اما الاخری فانا. فنکبهما الخلیفه بعد ایام(۲). و من شعر سلیمان لما سجنه الواثق باللّه قوله(۳):

نوائب الدهر ادبتنی و انما یوعظ الأریب

قد ذقت حلوا و ذقت مراکذاک عیش الفتی ضروب

ما مر بؤس و لا نعیم الا ولی فیها نصیب

۱- نفس المصدر/ ۱۲۸، و سبق ان ذکر فی ص: ۱۲۵ انه اخذ منه اربعمائه الف دینار و کذا جاء فی تجارب الامم ۶/ ۵۲۷، و فی الکامل ۷/ ۱۰.

۲- وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۷.

۳- الأغانی ۲۳- ۱۴۸.

و لما امر المتوكل على اللّه اسحاق بن ابراهيم بالقبض على ايتاخ و حبسه فى سنه (۲۳۵ ه) حبس اسحاق كاتبيه ايضا، و كان احدهما سليمان بن وهب(۱). الا ان المتوكل على اللّه رضى عنه بعد ذلك فولاه ديوان الخراج(۲). ثم تولى الكتابه للقائد موسى بن بغا. و عند ما عاد معه الى سامرا من الجبل فى سنه (۲۵۵ ه) استوزره المهتدى باللّه و لقب بالوزير(۳).

و يلاحظ ان سليمان بن وهب لم يبد كفايه فى معالجه الخلاف الذى نشب بين الخليفه و القواد الاتراك. و كان بحكم علاقته بموسى بن بغا يميل الى جانب القواد المذكورين. و قد قتل المهتدى باللّه و سليمان لا يزال وزيره.

كان المعتمد على الله قد استوزر الحسن بن مخلد اثر وفاه عبيد اللّه بن يحيى، و كانت علاقه الحسن بالقائد موسى بن بغا سيئه، فلما قدم موسى الى سامرا فى اوائل ذى الحجه سنه (۲۶۳ ه) اختفى الحسن. فاستوزر المعتمد على اللّه مكانه سليمان ابن وهب، و ولى ابنه عبيد اللّه بن سليمان كتابه ابنه جعفر المفوض(۴). الا ان الخليفه سخط عليه فى السنه التاليه فحبسه و قيده و انتهب داره و دارى ابنيه وهب و ابراهيم، و اعاد استيزار الحسن بن مخلد، و ذلك فى اواخر ذى القعده من سنه (۲۶۴ ه)(۵). و يقول التنوخى ان المعتمد على اللّه طلب من

۱- الطبرى ۹/ ۱۶۹، و الكامل ۷/ ۴۶.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۲۰۳ و ۵۰۸.

۳- الاغانى ۲۳/ ۱۴۳.

۴- الطبرى ۹/ ۵۳۲، و الكامل ۷/ ۳۱۰.

۵- الطبرى ۹/ ۵۴۰، و الكامل ۷/ ۳۱۶.

وزیره سلیمان مالا لنفقته علی ان لا یعلم الجند بذلک، فدافعه سلیمان، فقبض علیه و قال له: قد تقلدت منذ ایام المعتز الی الآن اعمالا متوالیه منها الوزاره للمهتدی و ما نکبت و ما صودرت، و ارید منک خمسمائه الف دینار(۱).

الا ـ ان الموفق جاء الی سامرا و اطلق سلیمان من الحبس، و هرب الحسن بن مخلد فکتب الموفق فی قبض امواله(۲). الا انه سرعان ما أمر الموفق بحبس سلیمان ثانیه و حبس معه ابنه عبید الله، و وکل بحفظ داریهما، و قبض ضیاعهما و اموالهما و اموال ذویهما و ضیاعهم، ثم صولحا علی مبلغ قدره تسعمائه الف دینار، فصیرا فی موضع یصل الیهما فیه من أحبّا(۳). و یظهر ان سبب قبض الموفق علی سلیمان و ابنه عبید اللّه، ان المعتمد علی اللّه لما قبض علی سلیمان ذهب ابنه الی الموفق یلتمسه فی انقاذ ابیه فوعده بذلک، الا انه الح بطلبه، فاعتذر الموفق، فقال له سلیمان: تخرج بمن معک فتنتزعه قسرا، فقال الموفق: ان هذا یحتاج الی مال و رجال، فقال عبید اللّه: علیّ ذلک. و قال عبد الله ان الموفق اخذ یدافعنی بعد ان رآنی بصوره من یملک المال و طاعه الرجال فی قتال خلیفه، فراوغنی و بعث بصاعد بن مخلد الی المعتمد علی اللّه یشیر علیه باطلاق ابی فاطلقه. و لما عاد صاعد شرع الموفق فی القبض علی سلیمان و ابنه عبید اللّه(۴).

۱- نشوار المحاضره ۸/ ۹۶.

۲- الطبری ۹/ ۵۴۱.

۳- الطبری ۹/ ۵۴۳- ۵۴۴، و الکامل ۷/ ۳۲۷.

۴- نشوار المحاضره ۸/ ۹۷.

و قیل ان الموفق نکب سلیمان بن وهب و ابنه عبید اللّه لکثره اموالهما فقال ابن الرومی، و کان حاضرا(۱)

ألم تر أن المال یتلف ربه اذا جم آتیه و سد طریقه

و من جاور الماء الغزیر فجمه و سد مغیض الماء فهو غریقه

و لبث سلیمان فی حبس الموفق الی ان ادرکته منیته، فی یوم الثلاثاء لاثنتی عشره بقیت من صفر من سنه (۲۷۲ ه)(۲). و قد مدحه عدد من الشعراء. فمن محاسن قول ابی تمام فیه من قصیده قالها فی مدحه(۳):

کل شعب کنتم فیه آل وهب فهو شعبی و شعب کل ادیب

ان قلبی لکم لکالکبد الحری، و قلبی لغیرکم کالقلوب

و قال البحتری فی مدحه(۴).

کأن اراءه و الحزم یتبعهاتریه کل خفی و هو اعلان

۱- الاغانی ۲۳/ ۱۵۳.

۲- الطبری ۱۰/ ۹ و الکامل ۷/ ۴۱۰، و وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۶ و فیه قیل سنه ۲۷۱.

۳- وفیات الاعیان ۲/ ۱۴۶.

۴- نفس المصدر.

ما غاب عن عينيه فالقلب يكلؤه و ان تنم عينه فالقلب يقظان

و لما مات سليمان رثاه البحترى بقصيده منها(۱):

هذا سليمان بن وهب بعد ماطالت مساعيه النجوم سموكا

و تنصف الدنيا يدبر امرهاسبعين حولا قد تممن دكيكا

أغرت به الاقدار بغت ملمهما كان رس حديثها مأفوكا

فكأنما خضد الحمام بيومه غصنا بمنغرق الرياح نهيكا

۱- ديوان البحترى ۳/ ۱۵۷۹، السموك: الارتفاع، الدكيك: التام، رس الحديث: طرف منه، مأفول: مكذوب منخرق الرياح: مهبها.

الفصل الثانی الکتّاب

یعتبر الکتـاب اعوان الوزراء، فقـد کـان لکـل وزیر کاتب او اکثر لمعاونته فی عمله. کما کان لرجال الـدوله و کبار القواد و ولاه الأقالیم کتاب یستعینون بهم و قد تدرج بعض الکتاب الی منصب الوزاره. و کان هؤلاء الکتاب یمتازون بالثقافه العامه و الاطلاع الواسع علی معارف عصرهم، بحیث انهم کانوا یمثلون صفوه المثقفین، و هم الذین یقومون بشؤون دواوین الدوله.

و من الواضـح ان مـا یجب ان یتقنه الکـاتب و یلم به من المعـارف، یختلف باختلاـف عمله. فـان کـان کاتب خراج علیه ان یلم بالحسـاب و المساحه و الخراج و الفنون و الرتوق، و ان کان کاتب خراج علیه ان یلم بالحساب و المساحه و الخراج، و الفتوق و الرتوق، و ان کـان کـاتب احکام علیه ان یکون عالما بالحلال و الحرام و الاحتجاج و الاجماع و الأصول و الفروع، ای ان یکون متفقهـا فی الـدین، امـا اذا کـان کـاتب معونه فـانه یحتـاج الی ان یکون عالمـا بالقصـاص و الحـدود و الجراحات. و علی کاتب الجیش ان یکون عالما بحلی الرجال و شیات الدواب و مداراه الأولیاء- أی

الاتراک لأن غالبيه الجيش منهم- و على معرفه بالنسب و الحساب.

و يحتاج كاتب الرسائل ان يكون عالما بالصدور و الفصول و الاطاله و الايجاز و ان يكون بلغيا حسن الخط بالنظر لطبيعه عمله(۱).

ان الكاتب بصوره عامه و مهما كان عمله، يجب ان يكون اديبا ذا اطلاع واسع فى مختلف العلوم و الفنون المعروفه حينذاك.

اى ان يكون موسوعيا، بحيث يستطيع تحرير مختلف انواع الرسائل الرسميه، مما يتطلب منه مقدره فائقه فى اللغه من نحو و صرف و بلاغه و بيان، و ملما بالامور الفقهيه، و يحفظ كثيرا من الآيات القرآنيه الكريمه و الاحاديث النبويه الشريفه. كما يحفظ انماطا مختلفه من الشعر و الامثال. و قد شرح النويرى ما كان يحتاج اليه الكاتب من المعارف نلخصه بما يأتى(۲):

۱- حفظ كتاب اللّه تعالى و مداومه قراءته، و ملازمه درسه، و تدبير معانيه. ذاكرا له فى كل ما يرد عليه من الوقائع التى يحتاج فيها الى الاستشهاد به.

۲- الاستكثار من حفظ الاحاديث النبويه، و النظر فى معانيها وفقه ما لا بد من معرفته من احكامها. ليحتج بها فى مكان الحجه، و يستدل بموضع الدليل.

۳- قراءه ما يتفق له من كتب النحو التى يحصل بها المقصود من معرفته العربيه، و قراءه ما يتهيأ له من مختصرات اللغه، و حفظ خطب البلغاء.

۱- الفرج بعد الشده ۳/ ۳۰۹.

۲- نهايه الأرب ۷/ ۳۰- ۳۴.

۴- النظر فی ایام العرب و وقائعهم و حروبهم، و تسمیه الایام التی کانت بینهم، و ما جری فی ذلک من الاشعار، لما فی ذلک من العلم بما یستشهد به من واقعه او یوم مشهور.

۵- النظر فی التواریخ و معرفه اخبار الدول، لما فی ذلک من الاطلاع علی سیر الملوک و سیاساتهم و وقائعهم و مکائدهم و حروبهم، و ما اتفق لهم من التجارب.

۶- حفظ اشعار العرب و مطالعه شروحها و استکشاف غوامضها، و التوفر علی ما اختاره العلماء منها، کالحماسه و المفضلیات و الأصمعیات، بما یساعد علی الاستشهاد و وضعه فی مکانه.

۷- النظر فی رسائل المتقدمین و فی کتب الامثال الوارده عن العرب نظما و نثرا.

۸- النظر فی الأحکام السلطانیه.

و ینسب الی عبد الحمید بن یحیی الکاتب کتابا موجها الی طائفه الکتاب(۱). تضمن بیان اهمیتهم فی المجتمع، و الصفات التی یجب ان یتحلو بها، و ما یحتوجون الیه من انواع المعارف «فقد جاء فیه عن اهمیتهم و الحاجه الیهم «حفظکم اللّه یا اهل هذه الصناعه ..

فان اللّه عز و جل جعل الناس بعد الأنبیاء و المرسلین .. فجعلکم معشر الکتاب فی اشرفها صناعه، اهل الأدب و المروءه .. بکم ینتظم الملک، و تستقیم للملوک امورهم، و بتدبیرکم و سیاستکم

۱- نص الکتاب فی« الوزراء و الکتاب/ ۷۳- ۷۹، و فی مقدمه ابن خلدون مع اختلاف کثیر ۱۳۵- ۱۳۶».

يصلح اللّه سلطانهم و تعمر بلادهم. يحتاج اليكم الملك فى عظيم ملكه، و الوالى فى القدر السنى و الدنى من ولايته، لا يستغنى عنكم منهم احد، و لا يوجد كاف الا منكم. فموقعكم منهم موقع اسماعهم التى بها يسمعون، و ابصارهم التى بها يبصرون، و السنتهم التى بها ينطقون و ايديهم التى بها يبطشون»(۱).

اما عن الصفات التى يتحلى بها الكاتب فقد قال: «فان الكاتب يحتاج من نفسه، و يحتاج منه صاحبه الذى يثق به فى مهمات اموره، الى ان يكون حليما فى موضع الحلم، مقداما فى موضع الاقدام، و محجما فى موضع الاحجام، لينا فى موضع اللين، شديدا فى موضع الشده. مؤثرا للعفاف و العدل و الانصاف، كتوما للاسرار، وفيا عند الشدائد. عالما بما يأتى و يذر و يضع الامور فى مواضعها. فقد نظر فى كل صنف من صنوف العلم فاحكمه، فان لم يحكمه شدا منه شدوا(۲)، يكتفى به. يكاد يعرف بغريزه عقله و حسن ادبه و فضل تجربته ما يرد عليه قبل وروده، و عاقبه ما يصدر عنه قبل صدوره، فيعد لكل امر عدته و يهى ء لكل امر اهبته»(۳).

و اما ما يحتاج اليه الكاتب من المعارف، فقد جاء فيه:

«فنافسوا، معشر الكتاب، فى صنوف العلم و الأدب، و تفقهوا فى الدين. و ابدأوا بعلم كتاب اللّه عز و جل، و الفرائض، ثم العربيه فانها ثقاف السنتكم، و اجيدوا الخط فانه حليه كتبكم، و ارووا

۱- الوزراء و الكتاب/ ۷۴.

۲- شدا بمعنى أخذ.

۳- الوزراء و الكتاب/ ۷۴- ۷۵.

الاشعار و اعرفوا غريبها و معانيها، و ايام العرب و العجم و احاديثها. و سيرها، فان ذلك معين لكم على ما تسمون اليه يهممكم. و لا يضعفن نظركم فى الحساب فانه قوام كتاب الخراج منكم. و ارغبوا بانفسكم عن المطامع سنيها و دنيها، و مساوى ء الأمور و محاقرها، فانها مذله للرقاب مفسده للكتاب»(۱).

و يرى ابن المدبر(۲) ان الكاتب المستحق اسم الكتابه هو «من اذا حاول صنعه كتاب سالت على قلمه عيون الكلام من ينابيعها، و ظهرت من معادنها، و بدرت من مواطنها، من غير استكراه و لا اغتصاب»(۳). و لكى يكون الكاتب بليغا فصيحا عليه ان يتصفح من رسائل المتقدمين ما يعتمد عليه، و من رسائل المتأخرين ما يرجع اليه، لتلقيح ذهنه و استخراج بلاغته. بالاضافه الى الاستعانه بنوادر كلام الناس و بالاشعار و الأخبار و السير(۴). و هو يرى أن على الكاتب ان يخاطب كلا على قدر ابهته و جلالته، فيجعل طبقات كلامه على ثمانيه اقسام: اربعه منها للطبقه العلويه، و اربعه دونها. و الطبقه العلويه هى الخلافه التى اعلى اللّٰه شأنها عن مساواتها باحد من ابناء الدنيا فى التعظيم و التوقير و المخاطبه و الترسل. و الطبقه الثانيه الوزراء و الكتاب الذين يخاطبون الخلفاء بعقولهم و السنتهم، و يرتقون الفتوق بارائهم، و الثالثه

۱- الوزراء و الكتاب/ ۷۵.

۲- ابراهيم بن المدبر من مشاهير كتاب القرن الثالث و قد ولى رئاسه عدد من الدواوين فى عهد خلفاء سامرا، و له:« الرساله العذراء» فى ثقافه الكاتب و صفاته وزيه، و ادوات الكتابه و معرفته بها، و ما قيل فى الكتابه.

۳- الرساله العذراء/ ۳۶.

۴- نفس المصدر/ ۷.

امراء ثغورهم و قواد جیوشهم، و الرابعه القضاه فانهم و ان کان لهم تواضع العلماء و حلیه الفضلاء فمعهم ابهه السلطه و هیبه الامراء(۱). اما الطبقات الاخری التی هی دون الطبقات آنفه الذکر فهی: الأولی الملوک الذین اوجبت نعمهم تعظیمهم فی الکتب، و الثانیه الوزراء و کتابهم و اتباعهم الذین بهم تقرع ابوابهم، و الثالثه العلماء الذین یجب توقیرهم فی الکتب لشرف العلم و علو درجه اهله. و الرابعه لأهل القدر و الجلاله و الظرف و العلم و الأدب، فانهم یضطرونک بحده اذهانهم و شده تمییزهم و انتقادهم، الی الاستقصاء عن نفسک فی مکاتبتهم(۲).

کما یوصی ابن المدبر الکاتب بالاهتمام بصدد کتابه، و ینصحه باختیار الألفاظ و المعارف بما یناسب الموضوع الذی یکتب فیه، و یبین له انسب الأوقات للکتابه، فیقول: «و لیکن فی صدر کتابک دلیل واضح علی مرادک، و افتتاح کلامک شاهد علی مقصدک .. و لا تطیلن صدر کلامک اطاله تخرجه من حده، و لا تقصر به عن حقه»(۳). «و اذا حاولت صنعه رساله او انشاء کتاب فزن اللفظه قبل ان تخرجها بمیزان التصریف اذا عرضت ... وادر الالفاظ فی اماکنها، و اعرضها علی معانیها، و قلبها علی جمیع وجوهها حتی تقع موقعها»(۴). «و ارتصد لکتابک فراغ قلبک و ساعه نشاطک، فتجد ما یمتنع علیک بالکد و التکلف. لأن سماحه النفس بمکنونها وجود الاذهان بمخزوناتها،

۱- نفس المصدر/ ۱۰.

۲- نفس المصدر/ ۱۱.

۳- نفس المصدر/ ۲۲.

۴- نفس المصدر/ ۲۹.

انما هو مع الشهوه المفرطه فی الشی ء، و المحبه الغالبه فیه، و الغضب الباعث فیه ذلک»(۱).

و بالنظر لأهمیه الکتاب و الحاجه الیهم فقد کونوا طبقه لها زیها الخاص، و اشترطوا مواصفات معینه فیمن ینتسب الیها.

فقد اشترطوا فی صفات الکاتب «طول القامه، و صفر الهامه، و خفه اللهازم، و کثافه اللحیه، و صدق الحس، و لطف المذهب، و حلاوه الشمائل، و ملاحه الزی»(۲). حتی قال احدهم لابنائه:

تزیوا بزی الکتاب فان فیهم ادب الملوک و تواضع السوقه(۳).

و یری النویری ان من کمال صفات الکاتب ان یکون بهی الملبس، نظیف المجلس، ظاهر المروءه، عطر الرائحه، دقیق الذهن، صادق الحس، و حسن البیان، رقیق حواشی اللسان، حلو الاشاره، ملیح الاستعاره(۴).

۱- الرساله العذراء/ ۳۰.

۲- نفس المصدر/ ۸.

۳- نفس المصدر/ ۹ و عیون الاخبار ۱/ ۴۶.

۴- نهایه الارب ۷/ ۱۲.

الفصل الثالث القضاء فی عهد سامرا

۱- مقدمه:

یعتبر القضـاء من المنـاصب الـدینیه الرئیسه فی الاسـلام، لاـنه منصب الفصـل بین النـاس فی الخصومات حسـما للتـداعی و قطعا للتنازع، و ذلک بموجب الشریعه المستنده الی الکتاب و السنه(۱).

و قد تطور هذا المنصب و اسـتقرت اسـسه فی العهود التی سـبقت انتقال عاصـمه الدوله العربیه الی سامرا من حیث الشروط التی یجب توفرها فیمن یتولاه، و الصـلاحیات التی یمارسـها، و الواجبات التی علیه ان یلتزم بها، و علاقته بالدوله. و قد اسهب الفقهاء فی بیـان ذلـک، و منهم القاضـی ابـو الحسن المـاوردی و القاضـی ابو یعلی الحنبلی. فقـد عقـد کـل منهمـا فی کتـابه «الأحکـام السلطانیه» بابا خاصا بالقضاء و احکامه، و تناول کل منهما الموضوع من الناحیتین الفقهیه و الاداریه.

۱- مقدمه ابن خلدون/ ۱۲۰.

و هنـاک شـروط معینه یجب ان تتوفر فیمن یعین للقضـاء، و اهمهـا: الاسـلام، و الحریه، و کمـال العقل، و سـلامه الحواس، و ان یکون اهلا للاجتهاد فیما یجوز له ان یقضی بین الناس(۱).

و اهم واجبـات القاضـی ان یسوی فی الحکم بین القوی و الضـعیف، و ان یعـدل فی احکـامه فلا یتبع هواه فی تقصـیر المحق او ممالاه المبطل(۲). و قد اتسـعت سـلطات القاضی فی خلال العهد العباسی الأول، فبعد ان کان ینظر فی القضایا المدنیه و الجنائیه اصـبح ینظر فی قضایـا اخری تتعلق بالحقوق العامه کالنظر فی شؤون الاوقاف و التصـرف بمواردها، و تنفیـذ الوصایا، و النظر فی اموال المحجور علیهم من المجـانین و الیتـامی و اهـل السـفه، و تزویـج الأیـامی عنـد فقـد الأولیـاء، و اقامه الحـدود الـدینیه علی مستحقیها. و قد تضاف الیه احیانا الشرطه او المظالم او الحسبه او دار الضرب او بیت المال(۳).

و یعتبر الخلیفه ابو جعفر المنصور اول من عیّن القضـاه فی الأمصار، و کان تعیینهم قبل ذلک یتم محلیا من قبل الولاه(۴). و کان القاضـی یعین مشافهه او بالعهد کتابه. و کان عهد التعیین یتضـمن تحدید منطقه عمل القاضی، و تعیین القضایا التی ینظر فیها. و قد اورد قدامه بن جعفر نسـخه من عهد تولیه احد القضاه، و هو یتضمن توجیهات الخلیفه له حول عمله بما یؤمن العدل و تطبیق احکام الشریعه، و توجیهات اخری(۵).

۱- الاحکام السلطانیه للماوردی/ ۵۴.

۲- نفس المصدر/ ۵۹.

۳- مقدمه ابن خلدون/ ۱۲۱.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۳۸۹.

۵- الخراج و صناعه الکتابه/ ۳۹- ۴۰.

و كان الخلفاء عند تعيين القضاه فى الولايات يتوخون الأنسجام بين الوالى و القاضى المعين، و ذلك ضمانا لعدم قيام النزاع بين السلطتين التنفيذيه و القضائيه.

و يعاون القاضى فى اداء مهمته اضافه الى الشهود و الى من يقوم بالتحرى عن عدالتهم و عدم ارتكابهم ما يمنع من قبول شهاداتهم، عدد من الموظفين يؤلفون معه ديوان القضاء. فكان هناك كاتب الاحكام الذى يجب ان يكون عارفا بعلوم الشريعه و حدودها و له خبره بالاقرار و الانكار، و دربه باحكام الوكالات و الشهود و طبقاتهم(۱). و كاتب آخر يتولى عرض الدعاوى و الخصومات، و خازن يقوم بخزن اوراق القاضى و احضارها عند الطلب، و عدد من الحرس و الأعوان يتولون حمايه مجلس القضاء و تنفيذ الأحكام(۲).

و كان اللباس الرسمى للقاضى الطيلسان الاسود و العمامه السوداء(۳). اما رواتب القضاه فقد كانت زهيده اول الأمر، فقد عين الخليفه المهدى المفضل بن فضاله قاضيا على مصر و اجرى عليه ثلاثين دينارا فى كل شهر(۴). ثم زيدت رواتبهم فبلغت فى ايام المتوكل على اللّه لبعض القضاه مائه و ثمانيه و ستين دينارا فى كل شهر(۵).

۱- سلوك المالك/ ۱۵۹- ۱۶۰.

۲- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۵۷۴.

۳- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۵۲۲.

۴- نفس المصدر/ ۳۷۷.

۵- نفس المصدر/ ۵۰۷.

۲– قاضی القضاه:

اشاره

انشی ء فی العهد العباسی الاول منصب قاضی القضاه، ای رئیس القضاه، و کان یقیم فی حاضره الخلافه لیکون علی مقربه من الخلیفه الذی لا یستطیع الاستغناء عنه فی الامور و القضایا الفقهیه و الشرعیه. و کان قاضی القضاه یولی من یراه لمنصب القضاء فی الأمصار و الأقالیم ممن تتوفر فیهم شروط القضاء و صفاته، بعد ان یستحصل موافقه الخلیفه علی ذلک. و یعتبر ابو یوسف یعقوب ابن ابراهیم صاحب کتاب الخراج و قاضی هارون الرشید اول من اشغل هذا المنصب فی الدوله العربیه فی عهد العباسیین ببغداد.

اما فی عهد سامرا فقد تولی هذا المنصب سته من کبار الفقهاء هم علی التوالی: احمد بن ابی دواد، و یحیی بن اکثم التمیمی، و جعفر بن عبد الواحد الهاشمی، و جعفر البرجمی، و الحسن بن ابی الشوارب، و علی بن ابی الشوارب، و فی الصفحات التالیه تعریف موجز بکل منهم.

احمد بن ابی دواد:

ابو عبد الله احمد بن ابی دواد بن جریر بن مالک الأیادی.

اصله من قنسرین بین حلب و معره النعمان. و یقال ان اسم ابی دواد الفرج، الا ان المأمون کان سأل احمد عن اسم ابیه فاجاب هو اسمه، و یؤید الخطیب البغدادی ان کنیته اسمه(۱). ولد

۱– تاریخ بغداد ۴/ ۱۴۱– ۱۴۲.

بالبصره و فیها نشأ، و نبغ فی الفقه و علم الکلام. و هو احد القضاه المشهورین من المعتزله، و رأس محنه القول بخلق القرآن.

تلک الحرکه التی شغلت الخلافه العباسیه و العالم الاسلامی علی عهد المأمون و المعتصم بالله و الواثق باللّه و قسم من عهد المتوکل علی اللّه. اذ حمل المعتصم باللّه و ابنه الواثق من بعده الفقهاء و القضاه علی الامتحان بذلک. کان ابن ابی دواد واسع الاطلاع علی اخبار العرب و انسابهم، فصیح المنطق قوی الحجه. قال ابو العیناء:

ما رأیت رئیسا افصح قط و لا انطق من ابن ابی دواد(۱). و هو اول من افتتح الکلام مع الخلفاء، اذ کانوا لا یبدأهم احد حتی یبدأوه(۲). و له شعر جید، و من شعره قوله(۳):

ما انت بالسبب الضعیف و انمانجح الامور بقوه الأسباب

فالیوم حاجتنا الیک فانمایدعی الطبیب لشده الأوصاب

اتصل ابن ابی دواد باربعه من خلفاء بنی العباس: المأمون و المعتصم باللّه و ابنیه الواثق باللّه و المتوکل علی اللّه. و کان مقربا الیهم محترما لدیهم ما خلا فتره قصیره فی اواخر ایامه علی عهد المتوکل علی اللّه. اتصل اول امره بالخلیفه المأمون، قدمه الیه قاضیه یحیی بن اکثم، فاعجب به، حتی انه قال عنه: اذا استجلس

۱- تاریخ بغداد ۴/ ۱۴۲، و وفیات الاعیان ۱/ ۶۳.

۲- وفیات الاعیان ۱/ ۶۳.

۳- الفهرست/ ۲۵۴، و تاریخ بغداد ۴/ ۱۴۳.

الناس فاضلا فمثل احمد(۱). و قد حاز ثقته فرکن الیه. و عند ما اوصـی الی اخیه ابی اسحاق جاء فی وصیته «و ابو عبد الله احمد ابن ابی دواد لا یفارقک و اشرکه فی المشوره فی کل امرک»(۲).

و لمـا اسـتخلف المعتصم بـالله جعل ابن ابی دواد قاضـی القضاه و مسـتشاره الخاص، و لم یکن یخرج عن رأیه. قال الحسـین بن الضـحاک الشـاعر لبعض المتکلمین: ان ابن ابی دواد عنـدنا لا یحسن اللغه و عنـدکم لا یحسن الکلام و عنـد الفقهاء لا یحسـن الفقه، و لکن عنـد المعتصم باللّه یعرف هذا کله(۳). و مع ما فی هـذا القول من التجنی و المبالغه بانکار معرفه ابن ابی دواد شـیئا ممـا ذکره ابن الضـحاک، فان تقـدیر المعتصم باللّه له امر طبیعی اذا ما قورن علمه و معرفته بالفقه و علم الکلام بجهل المعتصـم اللّه الـذی کان امیا رغم فصاحته(۴). و الواقع ان وجوده الی جـانب الخلیفه عـدل من مزاجه وحـد من قسوته. لأن المعتصم باللّه کان متسرعا عجولا، فاذا اسرع الیه الغضب هدأه ابن ابی دواد و اراه وجه التوءده و الأناه، فلا یسعه الا ان یسیر فی سبیلهما. فصار لأحمد من الداله علیه و سـمو المرکز لدیه، ما یسـتعین به علی الخیر و الصـلاح. فکانت له معه مواقف جلیله حاسـمه معتمدا فیها علی ثقته به و تأییده ایاه فی کل ما یقول و یفعل.

و من هذه المواقف انقاذه ابی دلف القاسم بن عیسی العجلی عند ما حاول القائد الترکی الأفشین اغتیاله(۵). اذ ذهب ابن ابی

۱- وفیات الاعیان ۱/ ۶۴.

۲- الطبری ۸/ ۶۴۹.

۳- وفیات الاعیان ۱/ ۶۶ و الفرج بعد الشده ۲/ ۶۶- ۷۵.

۴- العقد الفرید ۲/ ۴۴۰، و تاریخ الخلفاء/ ۳۳۴.

۵- وفیات الاعیان ۱/ ۶۴- ۶۵.

دواد الی دار الافشین و استنقد ابا دلف باسم الخلیفه الذی اقره علی فعله، و عنف الأفشین فیما کان عزم علیه. و یظهر ان الأفشین کـان یمهـد للوثوب بان یتخلص من القواد العرب الموالین للخلافه العباسیه، و لا ریب ان هـذا ما دفع ابن ابی دواد الی انقاذ ابی دلف و اقرار المعتصم باللّه مبادرته.

و عنـد مـا غضب الخلیفه علی محمـد بن الجهم و امر بضـرب عنقه، انقـذه ابن ابی دواد بمـا ارضـی المعتصم بـاللّه ساعه غضبه، بحیث امر بحبس ابن الجهم حتی یحقق معه(۱). و لما قرر المعتصم باللّه معاقبه القائد خالد بن یزید الشیبانی لجأ هذا الی ابن ابی دواد لیشـفع له عنـد الخلیفه، فکلمه فلم یجبه. و لما جلس الخلیفه لمعاقبه خالد حضـر ابن ابی دواد المجلس و جلس دون مکانه المعتاد، و وقف من الخلیفه موقفا جعله یرضـی عن خالد و یخلع علیه و یکرمه. فلما خرج خالد و علیه الخلع، و کان بعض اتباعه فی الخارج یتوقعون الأیقاع به، صاح احدهم: الحمد للّه خلاصک یا سـید العرب. فقال خالد: اسـکت، سید العرب و اللّه ابن ابی دواد(۲).

و فی ثنایا مصادر التاریخ العربی بعض الأخبار مما یستدل منها علی شده احترام المعتصم بالله قاضی قضاته ابن ابی دواد.

فقد جاء فی تاریخ بغداد ان احمد بن ابی دواد قال: عند ما کنا بعموریه قال لی المعتصم بالله ما تقول یا ابا عبد الله فی البسر؟

فقلت: یا امیر المؤمنین نحن ببلاد الروم و البسر بالعراق. قال

۱- نفس المصدر.

۲- وفیات الاعیان ۱/ ۷۰- ۷۱، و الفرج بعد الشده ۲/ ۶۰- ۶۲.

قد وجهت الی مدینه السلام فجاءونی بکباستین، و قد علمت انک تشتهیه. ثم قال یا ایتاخ هات احدی الکباستین. فجاء بکباسه بسر، فمد المعتصم باللّه ذراعه و قبض علیها بیده، و قال: کل بحیاتی علیک من یدی. فقلت: جعلنی اللّه فداک یا امیر المؤمنین، بل تضعها فآکل کما ارید: لا و اللّه الا من یدی. فواللّه ما زال حاسرا ذراعه و مادا یده و انا اجتنی من العذق(۱). و قال ابن ابی دواد انه رکب یوما مع المعتصم باللّه فانتهوا الی واد لا یعرف غور مائه، فقال الخلیفه لرحال ابن ابی دواد: مکانک حتی اتقدم فاعرف غور الماء و اطلب قلته و اتبع انت سیری. و تقدم رجل فدخل الوادی و جعل یطلب قله الماء، و تبعه المعتصم باللّه فمره ینحرف عن یمینه و اخری عن شماله و تاره یمضی لسننه، و نحن نتبع اثره حتی قطعنا الوادی(۲).

لقد کان ابن ابی دواد یمثل الروح العربیه الأصیله فی الکرم و الأیثار و النخوه، تلک الروح التی ساعدت العرب علی الاحتفاظ بمقامهم فی الدوله فی عهد العباسیین، رغم سیطره الجند الاتراک و سلطان قوادهم. کما کان کریما جوادا، حتی قیل انه لم یر فی ابناء جنسه اکرم و لا انبل و لا اسخی(۳). و رآه اعرابی فقال: صفته شافیه للقلوب، و نصحیته جالبه للمنافع(۴).

و کان ابن ابی دواد یعزف عن مجالس اللهو و یکره سماع الموسیقی و الغناء. یروی عنه انه قال: کنت اعیب الغناء و انکر

۱- تاریخ بغداد ۳/ ۳۴۵.

۲- نفس المصدر.

۳- الفهرست/ ۲۵۴.

۴- البصائر و الذخائر ۱/ ۱۳۳.

امر الطرب علی الناس و ما یستفز الناس منه و یغلب علی عقولهم، و اناظر المعتصم باللّه فی ذلک. حتی کان یوم خرج فیه المعتصم باللّه الی الشماسیه فی حراقه یشرب، و وجه فی طلبی فصرت الیه.

فلما قربت منه سمعت غناء حیرنی و شغلنی عن کل شی ء، فسقط سوطی من یدی، فالتفت الی غلامی اطلب منه سوطه، فقال لی:

قد سقط منی لصوت سمعته فشغلنی عن کل شی ء، فاذا قصته قصتی. فلما دخلت علی المعتصم باللّه اخبرته بالأمر، فضحک و قال: هذا عمی ابراهیم بن المهدی کان یغنینی:

ان هذا الطویل من آل حفص نشر المجد بعد ما کان ماتا

فان ثبت مما کنت تناظرنا علیه فی ذم الغناء، سألته ان یعیده. ففعلت و امره باعاده غنائه. فبلغ بی الطرب حدا کبیرا بحیث رجعت عن رأی فی الغناء منذ ذلک الیوم(۱).

و قد عرف احمد بن ابی دواد بحبه الأدب و رعایه الادباء و الشعراء و اغداقه علیهم، و اعاله بعضهم بحیث انهم افتقدوه عند موته. و کان الجاحظ ملازما محمد بن عبد الملک الزیات خاصا به، و منحرفا عن ابن ابی دواد للخصومه التی کانت بین الأثنین. فلما قتل ابن الزیات جی ء بالجاحظ مقیدا الی قاضی القضاه فانبه و عاتبه، الا انه سرعان ما عفا عنه و اطلق سراحه(۲). فنال الجاحظ بعد ذلک حظوه لدیه عند ما اهدی الیه کتابه «البیان

۱- الآغانی ۱۰/ ۱۰۶- ۱۰۷.

۲- معجم الادباء ۶/ ۵۸- ۵۹، و الفرج بعد الشده ۱/ ۳۶۱.

و التبین» فاعطاه خمسه الاف دینار. و لعل من المناسب ان ننقل نص کلمه الاهداء التی صدر بها الجاحظ الکتاب. یقوم امام الادباء: «حفظک اللّه و ابقاک و امتع بک، و جعل ما بینی و بینک من ود موصولا أبد الدهر. فقد عرفتک صدیقا لا یشوب صداقته زیف من شوائب الدنیا. و عرفتک علی تقادم العهد و تطاول الزمان، أخا ثابت الاخاء، وثیق النفس، لیس کمن یدور بخلته بین الناس ملتمسا بها الغنم و باغیا بها النفع. فکان ذلک، ایدک اللّه، مما اکبرک فی عینی و اعظمک فی نفسی. و بسطنی ان اقدم الیک هذا الکتاب الخالد، لتری فیه، و لتعلم ایها السمی الکریم، أنی احفظ لک فی نفسی مثل ما تحفظ لی من وفاء، و اطوی لک صدری مثل ما تطوی من ولاء»(۱).

کما مدحه ببضعه ابیات من الشعر بمناسبات مختلفه، منها قوله(۲):

و عویص من الامور بهیم غامض الشخص مظلم مستور

قد تسهلت ما توعر منه بلسان یزینه التحبیر

مثل وشی البرود هلهله النسج و عند الحجاج در نثیر

حسن الصمت و المقاطع امانطق القوم و الحدیث یدور

۱- البیان و التبین ۱/ ۳.

۲- نفس المصدر/ ۲۲۳، و معجم الادباء ۶/ ۵۹- ۶۰، مع تغییر طفیف.

ثم من يعد لحظه تورث اليسر و عرض مهذب موفور

و مدح بعض الشعراء القاضی بن ابی دواد، و علی رأسهم ابو تمام الطائی الذی امتدحه بقصائد عدیده فی مناسبات مختلفه قال فی احدی قصائده فی مدحه(۱):

یا ابا عبد الله أوریت زندافی یدی کان دائم الاصلاد

انت جبت الظلام عن سبل الآمال اذ ضل کل هاد و حاد

کادت المکرمات تنهد لو لاأنها أیدت بحی ایاد

و قال فی قصیده اخری یمدحه بها(۲):

لقد انست مساوی ء کل دهرمحاسن احمد بن ابی دواد

متی تحلل به تحلل جنابارضیعا للسواری و الغوادی

توشح نعمه الأیام فیه و تقسم فیه ارزاق العباد

و ما اشتبهت طریق المجد الاهداک لقبله المعروف هاد

۱- القصیده فی دیوان ابی تمام ۱/ ۳۵۶- ۳۶۸.

۲- القصیده فی دیوان ابی تمام ۱/ ۳۶۹- ۳۸۲.

و ما سافرت فی الآفاق الاو من جدواک راحلتی و زادی

و عند ما ولی احمد ابن ابی دواد دیوان المظالم مدحه ابو تمام بقصیده انطوی قسم منها علی بعض الحکم، و مطلعها(۱).

ألم یأن بأن تروی الظماء الحوائم و أن ینظم الشمل المشتت ناظم

و یقول فیها:

ینال الفتی من عیشه و هو جاهل و یکدی الفتی فی دهر و هو عالم

و لو کانت الارزاق تجری علی الحجاهلکن اذن من جهلهن البهائم

الی ان یقول:

الی احمد المحمود رامت بنا السری نواعب فی عرض الفلا و رواسم

الی سالم الاخلاق من کل عائب و لیس مال علی الجود سالم

له من ایاد قمه المجد حیثماسمت و لها منه البنا و الدعائم

۱- القصیده فی دیوان ابی تمام ۳/ ۱۷۶- ۱۸۳.

ثم ينتهى بقوله:

اذا انت لم تحفظه لم يك بدعهو لا عجبا أن ضيعته الأعاجم

فقد هز عطفيه القريض توقعالعدلك مذ صارت اليك المظالم

و لو لا خلال سنها الشعر ما درى بغاه الندى من اين توتى المكارم

كما مدح الشاعر ابو حفصه مروان بن ابى الجنوب ابن ابى دواد بقوله(۱):

لقد حازت نزار كل مجدو مكرمه على رغم الاعادى

فقل للفاخرين على نزارو منهم خندف و بنو اياد

رسول اللّه و الخلفاء مناو منا احمد ابن ابى دواد

و ليس كمثلهم فى غير قومى بموجود الى يوم التنادى

و لما اصابته العله البارده- الفالج و عجز عن الكلام قال ابن ابى الجنوب فيه(۲):

۱- وفيات الاعيان ۱/ ۶۹.

۲- تاريخ بغداد ۴/ ۱۵۰.

لسان احمد سيف مسه طبع من عله، فجلاها عنه جاليها

ماضر احمد باقى عله درست و اللّه يذهب عنه رسم باقيها

موسى بن عمران لم ينقص نبوته ضعف اللسان به قد كان يمضيها

قد كان موسى على علات منطقه رسائل اللّه تأتيه يؤديها

و قـد هجا ابن ابى دواد شـعراء آخرون، و على رأسـهم البحترى الذى كان ينقم عليه انه رأس المحنه بالقول بخلق القرآن، و لذا فقد هجاه و هجا كتابه بعده قصائد. فقد قال يهجوه(۱):

يا احمد بن ابى دوادو الحادثات بكل ناد

ماذا رأيت اذا انتسبت الى اياد فى اياد

و هجاه بقصـيده اخرى عند ما رفع المتوكل على اللّه المحنه، باعتبار ان ابن ابى دواد هو المسؤول عن قيامها، و سنأتى على بعض ابياتها فيما بعد.

و هجا الشاعر هفان المهزمى ابن ابى دواد عند ما سمع مدح مروان بن ابى الجنوب فيه، فقال يعارضه(۲):

۱- ديوان البحترى.

۲- وفيات الاعيان ۱/ ۷۰، و تاريخ بغداد ۴/ ۱۴۳.

فقل للفاخرين على نزارو هم فى الأرض سادات العباد

رسول اللّه و الخلفاء مناو نبرأ من دعى بنى اياد

و ما منا اياد ان اقرت بدعوه احمد بن ابى دواد

فلما بلغت هذه الأبيات ابن ابى دواد قال: ما بلغ منى احد ما بلغ هذا الغلام المهزمى، لو لا انى اكره ان انبه عليه لعاقبته عقابا لم يعاقب احد بمثله جاء الى منقبه لى فنقضها عروه عروه.

كما هجاه ابو الحجاج الأعرابى بقوله(۱):

نكست الدين يا ابن ابى دوادفأصبح من اطاعک فى ارتداد

زعمت كلام ربک كان خلقاأمالک عند ربک من معاد؟

كلام اللّه انزله بعلم و أنزله على خير العباد

و من امسى ببابک مستضيفاكمن حل الفلاه بغير زاد

۱- نشوار المحاضره ۵/ ۲۲۰، و تاريخ بغداد ۴/ ۱۵۳ و فيه« اظرفت» فى اول البيت الاخير.

لقد أطرفت یا ابن ابی دوادبقولک اننی رجل ایادی

و من الشعراء المشهورین الذین هجوا ابن ابی دواد الشاعر الهجاء دعبل الخزاعی. فقد کان ابن ابی دواد یطعن بالشاعر المذکور بحضره المأمون و المعتصم باللّه و یسبه تقربا الیهما لأنهما یبغضانه لطول لسانه. فلما تزوج ابن ابی دواد بامرأتین من قبیله عجل فی سنه واحده قال دعبل یهجوه بابیات مقذعه، منها(۱):

غصبت عجلا علی فرجین فی سنهافسدتهم ما اصلحت من نسبک

و لو خطبت الی طوق و اسرته فزوجوک لما زادوک فی حسبک

ان کان قوم اراد اللّه خزیهم فزوجوک ارتغابا منک فی ذهبک

فذاک یوجب ان النبع تجمعه الی خلافک فی العیدان او غربک

و لو سکت و لم تخطب الی عرب کما نبست الذی تطویه من سببک

عد البیوت التی ترضی بخطبتهاتجد فزاره العکلی من عربک

۱- دیوان دعبل/ ۶۹، و الاغانی ۲/ ۱۳۴- ۱۳۵.

و لما ولى الواثق بالله الخلافه ابقى ابن ابى دواد على قضاء القضاه، و قد حسنت حاله لديه، و بقى على ما كان عليه من سعه النفوذ و التأثير على الخليفه. و كان اليه تعيين القضاه، فلم يعيّن الا من كان من القائلين بخلق القرآن.

و قد استمر الواثق باللّه فى مناحره المعتزله بتأثير ابن ابى دواد، بل لقد تطرف و اشتد فى محاربه اهل السنه، حتى انه قتل الفقيه احمد بن نصر الخزاعى لأنه لم يستجب الى دعوته بالقول بخلق القرآن. و كان ابن ابى دواد هو الذى تولى محاكمته بحضره الخليفه مع عدد آخر من الفقهاء، و قد فصلنا ذلك فى الفصل الخاص بالمحنه.

كان الواثق باللّه شديد الاعجاب باحمد بن ابى دواد، و يستشيره فى معظم اموره و يعمل بمشورته. و قد امره ان يصلى بالناس فى يوم عيد، و كان عليلا فلما انصرف من الصلاه، قال له: يا ابا عبد اللّه كيف كان عيدكم؟ قال: كنا فى نهار لا شمس فيه. فضحك الواثق بالله و قال: يا ابا عبد الله انا مؤيد بك(۱).

قال احمد بن ابى دواد: دخلت يوما على الواثق بالله، فقال لى: ما زال قوم فى ثلبك و نقصك. فقلت: يا امير المؤمنين «لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَ الَّذِی تَوَلَّی کِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذابٌ عَظِیمٌ»(۲) و اللّه ولى جزائه، و عقاب امير المؤمنين من ورائه، و ما ذل من كنت ناصره، و لا ضاع من كنت حافظه فماذا قلت لهم؟

قال: قلت.

۱- تاريخ بغداد ۱۴/ ۱۸.

۲- الآيه(۱۱) من سوره النور.

و سعی الی بعیب عزه نسوهجعل الأله خدودهن نعالها

و قال الواثق یوما لابن ابی دواد، و قد ضجر من کثره حوائجه: ان بیوت الأموال خلت بطلباتک للائذین بک و المتوسلین الیک. فقال: یا امیر المؤمنین، نتائج شکرها متصله بک، و ذخائر اجرها مکتوبه لک، و مالی من ذلک الاعشق الأنس بحلو المدح فیک. فقال: یا ابا عبد الله لا منعناک ما یزید فی عشقک و یقوی همتک، فتناولنا بما احببت(۱).

و لما توفی الواثق باللّه حضر ابن ابی دواد ساعه وفاته فاغمضه و اصلح من شأنه، و صلی علیه و انزله قبره(۲). و حضر مع بقیه رجال الدوله و القواد الاجتماع الذی عقد فی دار الخلافه لاختیار خلیفه للواثق باللّه. و قد أبعد ابنه لصغر سنه، فشارک فی اختیار اخی الواثق باللّه جعفر بن المعتصم بالله، و هو الذی البسه الطویله و عممه و سلم علیه بالخلافه، و اقترح ان یلقب بالمتوکل علی الله.(۳).

و کان ابن ابی دواد یحسن معامله جعفر فی عهد اخیه الواثق باللّه الذی کان یجفوه و یحنق علیه. و قد کلمه ابن ابی دواد فی ذلک و اقسم علیه بحق ابیه المعتصم باللّه ان یرضی عنه، فرضی الواثق باللّه عن اخیه. فلما استخلف جعفر ابقاه علی رئاسه القضاء. الا ان ابن ابی دواد اصیب بالفالج فی جمادی الآخره سنه (۲۳۳ ه) و رغم ذلک ابقاه الخلیفه فی منصبه حتی اواخر شهر

۱- تاریخ بغداد ۴/ ۱۴۶.

۲- الطبری ۹/ ۱۵۰- ۱۵۱.

۳- الطبری ۹/ ۱۵۴- ۱۵۵، و الکامل ۷/ ۳۴.

صفر من سنه (۲۳۷ ه) فغضب علیه و عزله من رئاسه القضاء و امر بالقبض علی ضیاعه و املاکه، و حبس ابنه ابا الولید و سائر اولاده. فحمل ابو الولید الی المتوکل علی اللّه مائه و عشرین الف دینار و جواهر قیمتها عشرون الف دینار، ثم صولح بعد ذلک علی سته عشر الف الف درهم، و اشهد الخلیفه علیهم جمیعا ببیع املاکهم(۱). و یظهر مما ذکره ابن وکیع القاضی ان احمد ابن ابی دواد کان یمیل الی الامویین(۲). الا ان هذا القول لا یمکن الاعتداد به لأن خدمه ابن ابی دواد الطویله برهنت علی اخلاصه لبنی العباس، و لم یکن هناک سبب واضح لغضب الخلیفه علیه سوی طبیعه المتوکل علی اللّه المتقلب المزاج، و حسده ذوی النعمه و المکانه من رجاله، مما سیأتی ذکره فی فصول قادمه.

توفی احمد بن ابی دواد فی المحرم من سنه (۲۴۰ ه)(۳) و نقل عنه انه قال: ولدت سنه ستین و مائه(۴) و هذا یتفق مع ما جاء فی کتاب العبر من انه مات و له ثمانون سنه(۵). و عند ما شیعت جنازته وقف ببابه جماعه من الشعراء، فقالوا: یدفن من کان علی ساقه الکرم و تاریخ الأدب و لا یتکلم فیه، فقال احدهم(۶):

الیوم مات نظام الفهم و اللسن و مات من کان یستعدی علی الزمن

۱- الطبری ۹/ ۱۸۹، و الکامل ۷/ ۵۹.

۲- اخبار القضاه ۳/ ۲۹۸.

۳- الطبری ۹/ ۱۹۷، و الکامل ۷/ ۷۵.

۴- وفیات الاعیان ۱/ ۷۳.

۵- العبر ۱/ ۴۳۱.

۶- وفیات الاعیان ۱/ ۷۴.

و اظلمت سبل الآداب اذ حجبت شمس المکارم فی غیم من الکفن

و تقدم آخر فقال:

ترک المنابر و السریر تواضعاو له منابر لو یشا و سریر

و لغیره یجبی الخراج و انماتجبی الیه محامد و اجور

و قال ثالث:

و لیس فتیق المسک ریح حنوطه و لکنه ذاک الثناء المخلف

و لیس صریر النعش ما تسمعونه و لکنها اصلاب قوم تقصف

یحی بن اکثم التمیمی:

ابو محمد، یتصل نسبه باکثم بن صیفی التمیمی حکیم العرب المشهور. بدت علیه علائم النباهه فی سن مبکره، فقد جلس لسماع الحدیث علی عبد اللّه بن المبارک، و هو صغیر السن، فاحتفل ابوه بهذه المناسبه فصنع طعاما و دعا الناس متفاخرا بابنه(۱).

و عبد اللّه بن المبارک من علماء العرب فی خراسان، و من قبیله بنی تمیم کذلک. و قد جمع الحدیث و الفقه و اللغه و قضی عمره فی

۱- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۲.

الاسفار حاجا و مجاهدا و تاجرا، توفی سنه (۱۸۱ ه) فی هیت علی الفرات منصرفا من غزو الروم(۱).

لقد نشأ یحیی عالما بالفقه بصیرا بالاحکام، و کان عالما بالقرآن و الحدیث و اللغه، متکلما، فاذا جادل رجلا اتاه من جمیع الابواب حتی یفحمه، فاذا وجده یحفظ الحدیث سأله عن الفقه، و اذا رآه یحفظ الفقه سأله عن النحو، فاذا رآه ملما به سأله عن الکلام، حتی یقطعه و یخجله، و یعزو الخطیب البغدادی ذلک الی شده حسده(۲). و لکنه علی ایه حال دلیل علی سعه علمه و تعدد معارفه.

و کان یحیی مع فقهه وسعه علمه من ادهی الناس و اخبرهم، حاضر البدیهه، سریع الجواب. و قد تولی قضاء البصره و سنه احدی و عشرون سنه، فاستصغره شیوخها فامتحنوه، فقالوا، کم سن القاضی؟ قال: سن عتاب بن اسید حین ولاه رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم علی مکه، فجعل جوابه احتجاجا(۳). و لقیه مره رجل، و هو یومئذ قاضی القضاه، فقال له اصلح اللّه القاضی، کم آکل؟ قال: فوق الجوع و دون الشبع، فقال: فکم اضحک؟ قال:

حتی یسفر وجهک و لا یعلو صوتک، قال: فکم ابکی؟ قال: لا تمل البکاء من خشیه اللّه تعالی، قال: کم اخفی من عملی؟ قال: ما استطعت، قال: فکم أظهر منه؟ قال: ما یقتدی بک البر و یؤمن علیک قول الناس(۴).

۱- الاعلام ۴/ ۲۵۶.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۵، و وفیات الاعیان ۵/ ۲۰۲.

۳- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۸، و وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۹ بروایه اخری.

۴- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰۰.

و قـد اتهم یحیی بن اکثم ببعض الهنات التی اشـیعت عنه و هو منها بری ء. و مما یؤید انها نسـبت الیه بهتانا انه ذکر للامام احمد ابن حنبل عنه و ما یرمیه بعض الناس به، فعجب من ذلک و انکره انکارا شدیـدا(۱). و کتب الخلیفه المتوکل علی اللّه الی الامام احمـد یسأل عن رجلین احـدهما یحیی بن اکثم، فکتب الیه: امـا فلاـن فلا و لا کرامه، و اما یحیی بن اکثم فقـد ولی القضاء فما طعن علیه احد(۲). و لما قـدم احمـد بن المعـذل و هو من فقهاء المالکیه علی المتوکل علی اللّه، ذکر یحیی بن اکثم فی مجلس الخلیفه، فقال بعض الحاضـرین: ذاک صاحب غلمان، فستر ابن المعذل وجهه، و قال: سبحانک هذا بهتان عظیم(۳). و یقول ابن وکیع القاضـی کـان یحیی کثیر المزاح لاـ یـدع الهزل فی مجلسه، و له طرائف فی الهزل(۴). و روی عن احـد العلمـاء قوله: کان یحیی بن اکثم لا یـدع العبث و النظر، فاما ما وراء ذلک فلا، و اللحمد للّه(۵). و مما یؤید ما ذکره ابن وکیع ان احد البلغاء سـئل عن یحیی بن اکثم و احمـد بن ابی دواد، أیهمـا انبـل؟ فقـال: کـان احمـد یجـد مع جـاریته و ابنته، و یحیی یهزل مع خصـمه و عدوه(۶). و لعل میل یحیی الی الهزل و أنسه بالناس و ممازحتهم سببت له تلک السمعه المشینه.

و لا ینکر ان من یکون فی منزلته العلمیه و الاجتماعیه لا یخلو ممن یحسده و یروج ما یسی ء الی سمعته و ینتقص من منزلته.

۱- وفیات الاعیان ۵/ ۲۰۱.

۲- اخبار القضاه ۲/ ۱۶۱.

۳- اخبار القضاه ۲/ ۱۶۵.

۴- اخبار القضاه ۲/ ۱۶۶.

۵- نفس المصدر ۲/ ۱۶۴.

۶- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۸، و وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۸.

لقد اتصل یحیی بن اکثم بالخلیفه المأمون لما کان فی مرو، و خرج معه فی بعض غزواته الی بلاد الروم. و بعثه المأمون فی سنه (۲۱۶ ه) فی حمله الی بلاد الروم فغزا و عاد ظافرا(۱). و قد اعجب المأمون بسعه علم یحیی بالفقه و الحدیث، و غزاره ادبه، و سرعه جوابه، و قوه حجته، فقربه الیه و نادمه، فغلب علیه یحیی بحیث لم یتقدمه عنده احد من الناس(۲). و کان اذا صحب المأمون فی سفر رکب معه بمنطقه و قباء و سیق بمعالیق، و اذا کان الموسم شتاء رکب فی اقبیه الخز و قلانس السمور و السروج المکشوفه(۳).

و استصحبه المأمون الی مصر فی سنه (۲۱۷ ه) و کانت مصر بلا قاض، فأمره الخلیفه ان یجلس فی المجلس للقضاء، فجلس و قضی بین الناس لمده قصیره(۴). و یقول ابن خلکان انه حکم ثلاثه ایام(۵).

و قلده المأمون منصب قاضی القضاه و اوکل الیه تدبیر اهل مملکته، فکان وزراء الخلیفه لا یعملون شیئا الا بعد مطالعه یحیی ابن اکثم(۶). الا انه لم یلبث ان سخط علیه عند ما کان فی مصر، و یبدو ان للحسد و الوشایات دورا فی ذلک. یقول الیعقوبی ان یحیی کان قد وشی بالمعتصم الی المأمون و قال له: بلغنی انه یحاول الخلع. و کان المأمون قد وجه ابا اسحاق الی مصر عند ما استفحلت الثوره فیها فی سنه (۲۱۴ ه) فبعث الیه یأمره بالقدوم. و لما

۱- الاعلام ۴/ ۲۵۶.

۲- وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۲۲.

۴- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۴۴۱- ۴۴۲ و ۵۸۶.

۵- وفیات الاعیان ۵/ ۲۱۱.

۶- تاریخ بغداد ۱۴/ ۱۹۷- ۱۹۸، و وفیات الاعیان ۵/ ۱۹۸، و العبر ۱/ ۴۳۹.

ذهب المأمون الی مصر فی اوائل سنه (۲۱۷ ه) وشـی محمـد بن ابی العباس و احمـد ابن دواد بیحیی بن اکثم الی المأمون تقربا الی ابی اسحاق، فسخط علیه المأمون و امر بنفیه من عسکره و نزع السواد عنه- دلیل اقصائه من منصبه- و اخراجه الی بغداد و امره ان لا یخرج من منزله(۱).

و یستنتج مما جاء فی وصیه المأمون الی اخیه ابی اسحاق عن یحیی بن اکثم انه اتهمه بخبث السیره و الخیانه، اذ قال: «و لا تتخذن بعدی وزیرا تلقی الیه شیئا، فقد علمت ما نکبنی به یحیی بن اکثم فی معامله الناس و خبث سیرته حتی ابان اللّه ذلک منه فی صحه منی، فصرت الی مفارقته، قالیا له غیر راض بما صنع فی اموال اللّه و صدقاته، لاجزاه اللّه عن الاسلام خیرا»(۲).

و قد ابعده المعتصم باللّه لما ولی الخلافه، عملا بوصیه اخیه.

و قد یکون لسبق و شایه یحیی عند المأمون تأثیر فی ابعاده عن مناصب الدوله. فبقی بعیدا عن القضاء طیله عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه. لأن الواثق باللّه کان شدید التأثر بعمه المأمون و یحاول ان یقتدی به فی کل اموره، فلم یستخدم یحیی طیله حکمه لأن عمه لم یکن راضیا عنه.

و عند ما غضب المتوکل علی اللّه علی قاضی القضاه احمد بن ابی دواد و عزله عن عمله فی سنه ۲۳۷ ه رضی عن یحیی بن اکثم، و کان مقیما ببغداد، فأشخصه الی سر من رأی و ولاه منصب قاضی القضاه و اضاف الیه رد المظالم(۳). و یقول الخطیب البغدادی ان

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۶۵- ۴۶۶.

۲- الطبری ۸/ ۶۴۹.

۳- الطبری ۹/ ۱۸۸، و مروج الذهب ۴/ ۹۶.

الخلیفه خلع علیه خمس خلع(۱). و قد استفتح یحیی عمله بأن ولی حیان بن بشر القضاء علی الجانب الشرقی من بغداد و سوار ابن عبد اللّه العنبری قضاء الجانب الغربی منها، و کلاهما اعور، فقال الجماز الشاعر(۲):

رأیت من الکبائر قاضیین هما احدوثه فی الخافقین

هما اقتسما العمی نصفین قداکما اقتسما قضاء الجانبین

و تحسب منهما من هز رأسالینظر فی مواریث و دین

کأنک قد وضعت علیه دنافتحت بزاله من فرد عین

هما فأل الزمان بهلک یحیی اذ افتتح القضاء باعورین

الا ان المتوکل علی اللّه سخط علی یحیی بن اکثم فی سنه (۲۴۰ ه) فعزله عن القضاء، و امر بمصادره امواله و املاکه، و أعید الی بغداد و الزم منزله. فقبض ما کان له ببغداد و مبلغه خمسه و سبعون الف دینار، و من اسطوانه فی داره الفا دینار، و اربعه آلاف جریب فی البصره(۳).

۱- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰۱.

۲- الطبری ۹/ ۱۸۹.

۳- الطبری ۹/ ۱۹۷- ۱۹۸، و الکامل ۷/ ۷۴، و العبر ۱/ ۴۲۹ و فیه انه اخذ منه مائه الف دینار.

و خرج یحیی الی الحج فی سنه (۲۴۲ ه) و حمل اخته معه، و عزم علی ان یجاور و ینقطع للعباده. و یقول ابن وکیع ان المتوکل علی اللّه نفاه الی مکه(۱). و اتصل بیحیی ان الخلیفه قد رضی عنه فبدأ له فی المجاوره، و رجع یرید العراق، حتی اذا صار الی الربذه وافته المنیه فی یوم الجمعه منتصف ذی الحجه من السنه نفسها، و قیل فی مطلع السنه التالیه، و عمره ثلاث و ثمانون سنه و دفن هناک(۲).

جعفر بن عبد الواحد الهاشمی:

هو جعفر بن عبد الواحد بن سلیمان بن علی، هاشمی من البیت العباسی. کان فقیها حافظا للحدیث، لسنا بلیغا، و قد وصف بأنه رجل تصلح له الخلافه من ولد العباس لما یتمتع به من سکینه و وقار(۳). ولاه المتوکل علی اللّه منصب قاضی القضاه بسامرا فی صفر سنه (۲۴۰ ه) بعد عزل یحیی بن اکثم(۴).

و عند ما تم الاتفاق علی المفاداه مع الروم فی شوال سنه (۲۴۱ ه) طلب جعفر بن عبد الواحد ان یؤذن له فی حضور عملیه الفداء، و ان یستخلف رجلا یقوم مقامه فی اثناء غیابه، فوافق الخلیفه المتوکل علی اللّه و امر له بمائه و خمسین الف درهم معونه، و ارزاق ستین الف. فاستخلف جعفر الحسن بن ابی الشوارب، و لحق بشنیف الخادم المکلف بالفداء، و حضر معه عملیه المفاداه(۵).

۱- اخبار القضاه ۳/ ۳۰۳.

۲- تاریخ بغداد ۱۴/ ۲۰۳، و وفیات الاعیان ۵/ ۲۱۲.

۳- تاریخ بغداد ۷/ ۱۷۴.

۴- الطبری ۹/ ۱۹۸، و المنتظم ۵/ ۱۱.

۵- الطبری ۹/ ۲۰۲- ۲۰۳، و الکامل ۷/ ۷۷.

و لما آلت الخلافه الی المنتصر باللّه استمر جعفر بن عبد الواحد فی منصبه. و عند ما خلع المعتز و المؤید نفسیهما من ولایه العهد فی صفر سنه (۲۴۸ ه) بناء علی طلب اخیهما الخلیفه المنتصر باللّه، حضر قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد للشهاده علی ذلک مع کبار القواد و بنی هاشم و اصحاب الدواوین(۱).

و عند ما بویع للمستعین باللّه بالخلافه ابقی جعفر بن عبد الواحد قاضیا علی القضاه حتی ربیع الأول من سنه (۲۵۰ ه) حینما تمرد الشاکریه فبعث به الخلیفه الیهم لیستمع الی شکاواهم و یدعوهم الی الطاعه. و یظهر انه فشل فی ذلک، مما جعل القائد و صیفا یزعم بانه افسدهم. فغضب علیه الخلیفه و عزله من منصبه و امر بنفیه الی البصره(۲). و یظهر انه عفی عنه و عاد الی سامرا عند ما بویع فیها للمعتز باللّه. فقد استعان به الخلیفه المذکور لیصلح بین الجند من الاتراک و المغاربه عند ما استولی المغاربه علی الجوسق و بیت المال، فاستطاع جعفر ان یصلح ذات البین بینهما، فاصطلحا علی الا یحدثا شیئا(۳).

و لما قتل المهتدی و اشهد علی وفاته، صلی علیه جعفر بن عبد الواحد(۴). و قد توفی جعفر فی سنه (۲۵۸ ه)، و یظهر مما ذکره الخطیب البغدادی و ابو المحاسن انه کان قاضیا علی الثغور عند وفاته(۵).

۱- الطبری ۹/ ۲۴۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۷۶، و الکامل ۷/ ۱۳۴.

۳- الطبری ۹/ ۳۶۹.

۴- الطبری ۹/ ۴۶۲، و الکامل ۷/ ۲۳۳.

۵- الطبری ۹/ ۳۷۱.

جعفر البرجمی:

جعفر بن محمد بن عمار البرجمی، من اهل الکوفه من قبیله تمیم. کان یتولی قضاء الکوفه عند ما ولی منصب قاضی القضاه بسامرا، بعد ما عزل جعفر بن عبد الواحد(۱). و کان قد تولی قضاء سامرا فی سنه (۲۳۵ ه)، و تولی بعد ذلک قضاء واسط.

و کان البرجمی صلبا فی القضاء لا یسمح لأحد بالتدخل فی احکامه. و یقال ان صاحب البرید اراد ان یحضر مجلس قضائه، فقال له: من انت؟ قال: بعث بی لأجلس معک. فقال: انت متصفح وجوه حرم المسلمین، و ختم القمطر و قام. فبلغ الخلیفه ذلک فارسل الیه و ولاه قضاء القضاه(۲). و بقی البرجمی فی منصبه حتی مات فی اوائل شهر رمضان سنه (۲۵۰ ه)(۳)، ای بعد سته اشهر تقریبا من تولیه منصب قاضی القضاه.

و کان الشاعر ابو السری احمد بن بدیل قد هجاه، ثم عاد فمدحه، و مما قاله فی مدحه(۴):

سأشکر جعفرا و اقول فیه مقاله صادق فیما یقول

جبلت علی العفاف و کل فضل و جل الناس خیرهم القلیل

۱- الطبری ۹/ ۲۶۵ و ۲۷۶، و الکامل ۷/ ۱۲۴.

۲- اخبار القضاه ۳/ ۱۹۴.

۳- الطبری ۹/ ۲۷۶، و الکامل ۷/ ۱۳۵.

۴- اخبار القضاه ۳/ ۱۹۶.

و ولیت القضاء فخیر وال علی الأحکام لیس له عدول

و سرت کسیره العمرین حتی انار الحق و اتضح السبیل

الحسن بن محمد بن ابی الشوارب:

الاموی البصری. ولی القضاء فی عهد المتوکل علی اللّه، و هو فتی حدث السن عند ما استخلفه قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتز باللّه تولیه قاض للقضاه جعفر بن عبد الواحد. و اراد المعتز باللّه تولیه قاض للقضاه فطلب الی مؤدبه محمد بن عمران الضبی ان یسمی له عددا من الفقهاء فسمی له ثمانیه، کان فیهم الخلنجی، و الخصاف. الا ان حاشیه الخلیفه اتهموهم بانهم من اصحاب احمد بن ابی دواد و انهم قدریه جهمیه، ای انهم من اهل الاعتزال. فأمر المعتز باللّه باخراجهم الی بغداد، و ولی الحسن بن محمد بن عبد الملک بن ابی الشوارب المنصب المذکور، و ذلک فی سنه (۲۵۲ ه)(۱).

ولد الحسن بالبصره و نشأ فیها، و ابوه محمد بن عبد الملک الاموی البصری من نسل خالد بن اسید، و هو اخو عتاب بن اسید الذی ولاه رسول اللّه صلی الله علیه و سلم علی مکه. و کان محمد ابن عبد الملک من محدثی البصره و فقهائها. و قد اشخصه المتوکل علی اللّه الی سامرا لیحدث فیها، عند ما نهی عن القول بخلق القرآن. و عند ما ورد کتاب الحسن علی ابیه یعلمه بتولیه القضاء، کتب ابوه الیه: وصل کتابک بتولیتک القضاء، و حاشا لوجهک

۱- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۰، و المنتظم ۵/ ۲۷.

الحسن باحسن من النار(۱). ای انه یوصیه بالتمسک بالعدل فی احکامه لئلا یعرض نفسه لعذاب الآخره.

کـان الحسن من المروه و السـخاء و الکرم علی حانه لم یر علیها حاکم قط(۲). و کان الخلیفه المعتز باللّه یمتـدحه کثیرا و یقول: ما رأیت أفضل منه، و لا احسن وفاء، ما حدثنی قط فکذبنی، و لا ائتمنته قط علی شـی ء من سر او غیره فخاننی علیه، و انی لأراه یستوحش من ذکر القبیح و یحسن الثناء(۳). و لم یزل الحسن یتقلد عمله طیله ایام المعتز باللّه. و لما خلع المعتز باللّه من الخلافه فی اواخر رجب سنه (۲۵۵ ه) حضر الحسن للشهاده علی خلعه، فطلب الیه القائد صالح بن وصیف ان یکتب کتاب الخلع فاعتذر، فکتبه احد الکتاب الحاضرین. و حاول الحسن ان یؤمن سلامه الخلیفه المخلوع و ذویه. فأخذ الشهاده علی صالح بن وصیف بأن للمعتز و لاخته و امه و ابنه الأمان قبل ان یشهد علی خلعه(۴).

و لمـا تولی المهتـدی بـالله الخلافه أقر الحسن بن ابی الشوارب علی عمله فی القضـاء، الا انه بعـد مـده قصـیره حبسه و ولی عبد الرحمن بن نائل البصری قضاء سامرا. و یظهر مما ذکره ابن وکیع القاضی ان الخلیفه امر بحبس الحسن لاعتقاده بأن له علاقه بما اتهم به حماد بن اسحاق و اخاه القاضی اسماعیل بن اسحاق(۵).

۱- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۰.

۲- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۰.

۳- نفس المصدر.

۴- الطبری ۹/ ۳۹۰، و الکامل ۷/ ۱۹۶.

۵- الطبری ۹/ ۴۳۷، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۱.

و قد اعید الحسن بن ابی الشوارب الی منصبه لما تولی الخلافه المعتمد علی اللّه. و عند ما عین الخلیفه ابنه جعفرا ولیا للعهد فی شوال سنه (۲۶۱ ه) و سماه المفوض الی اللّه، و عین اخاه ابا احمد الموفق ولیا للعهد بعد جعفر، و اخذت البیعه بذلک علی الناس، و فرقت نسخ کتاب العهد فی الأمصار، بعث المعتمد علی اللّه نسخه من الکتاب المذکور مع الحسن لیعلقها فی الکعبه. فخرج الحسن الی الحج، فوافته المنیه بعد ما ادی فریضه الحج(۱). الا ان الخطیب البغدادی یقول انه توفی بمدینه السلام لثمان عشره خلت من ذی الحجه سنه ۲۶۱ ه، و یشارکه فی ذلک ابن الجوزی(۲).

و احسبه انه نقل ذلک عنه. و یقول ابن الاثیر انه توفی فی شهر رمضان من السنه المذکوره(۳). ای قبل ان یدرک موسم الحج.

علی بن محمد بن ابی الشوارب:

هو اخو قاضی القضاه الحسن بن محمد بن ابی الشوارب.

نشأ فی بیت علم وفقه، فسمع الحدیث علی محدثی عهده، و رواه.

و کان رجلا صالحا، ثقه امینا، لا مطعن علیه فی شی ء، و قد حمل الناس عنه حدیثا کثیرا(۴).

و لما توفی قاضی القضاه الحسن بن ابی الشوارب وجّه الخلیفه المعتمد علی اللّه وزیره عبید اللّه بن یحیی الی علی بن محمد بن ابی الشوارب فعزاه بأخیه و هنأه بالقضاء، فأمتنع علی عن قبول ذلک.

۱- الطبری ۹/ ۵۱۵.

۲- تاریخ بغداد ۷/ ۴۱۷، و المنتظم ۵/ ۲۷.

۳- الکامل ۷/ ۲۸۹.

۴- تاریخ بغداد ۱۲/ ۶۰.

الا ان عبید الله لم یبرح علیا حتی قبل المنصب، فتقلد قضاء القضاه فی سامرا، و مکث بهذا المنصب حتی وفاته(۱).

بقی علی فی منصبه حتی ایام المعتضد علی اللّه، و قد أخذ برأیه فی وجوب رد الفاضل من سهام المواریث علی ذوی الأرحام، و امر بالکتاب الی جمیع النواحی بردها(۲).

توفی علی بن ابی الشوارب فی عهد المعتضد باللّه، و کانت وفاته لسبع خلون من شوال سنه (۲۸۳ ه)، و هو بمدینه السلام، فحمل الی سامرا من یومه فی تابوت و دفن فیها(۳).

۳- قضاه مدینه السلام:

اشاره

عند ما نقلت عاصمه الدوله العربیه الی سامرا ظلت مدینه السلام بغداد تحتفظ بمرکزها المهم فی النواحی المختلفه، و بخاصه النواحی العلمیه و الاداریه. فکان و الیها یعتبر نائبا للخلیفه او خلیفه عنه. و لقضائها منزله لا تقل عن منزله قضاء العاصمه. و لذا رأینا من المناسب ان نستعرض سیره اولئک الذین تولوا قضاءها فی عهد سامرا.

محمد بن سماعه:

ابو عبد اللّه محمد بن سماعه بن عبید الله التمیمی، من رجال الحدیث و رواته الثقات، حتی قیل: لو کان اصحاب الحدیث

۱- المصدر السابق، و المنتظم ۵/ ۱۶۴، و نشوار المحاضره ۴/ ۱۳۳.

۲- المنتظم ۵/ ۱۶۱.

۳- الطبری ۱۰/ ۴۹، و المنتظم ۵/ ۱۶۴، و تاریخ بغداد و فیه انه توفی لاحدی عشره خلت من شوال.

یصدقون کما یصدق محمد بن سماعه لکانوا فیه علی نهایه(۱).

کان ابن سماعه متعبدا متقشفا، و یروی عنه انه قال: مکثت اربعین سنه لم تفتنی التکبیره الاولی فی جماعه الا یوما واحدا ماتت فیه امی(۲). و هو من اصحاب القاضی ابی یوسف و اخذ عنه و عن محمد بن الحسن، و روی عن ابن الحسن کتبه(۳). و قد ولاه المأمون قضاء مدینه المنصور بعد وفاه القاضی یوسف بن ابی یوسف، رغم انه کان یطعن بتقشفه، فقد روی عنه انه قال: عشره من اعمال البر لا یصعد الی للّه، و اللّه، منها شی ء، و لما سئل عنها عددها و کان من ضمنها تقشف ابن سماعه(۴).

استمر ابن سماعه علی قضاء مدینه المنصور فی عهد المعتصم باللّه، رغم انه کان علی مذهب ابی حنیفه و یعتبر من ذوی الرأی فیه، و امتنع عن القول بخلق القرآن. و یظهر ان سبب بقائه فی القضاء انه کان عالما ثقه محمود السیره(۵). الا انه لما ضعف بصره عزله المعتصم باللّه، و یقال انه استعفی من العمل(۶).

و لمحمد بن سماعه عدد من المصنفات فی اصول الفقه. ذکر ابن الندیم منها کتاب ادب القاضی و کتاب المحاضر و السجلات(۷). و ذکر له المسعودی کتاب نوادر المسائل و قد

۱- تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۲.

۲- نفس المصدر، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۱.

۳- الفهرست/ ۳۰۳، و العبر ۱/ ۴۱۴.

۴- تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۱- ۳۴۲.

۵- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۱.

۶- تاریخ بغداد ۵/ ۳۴۲، و النجوم الزاهره ۲/ ۷۲۱.

۷- الفهرست/ ۳۰۳.

وضعه عن استاذه محمد بن الحسن، و هو من الوف الاوراق(۱).

لقد عمر محمد بن سماعه طويلا، فقد توفی سنه (۲۳۳ ه) بعد ان بلغ مائه سنه من عمره، و هو صحيح الجسم و العقل(۲).

شعيب بن سهل:

ابو صالح شعيب بن سهل بن كثير الرازی المولد، من رجال المعتزله المتطرفين، ولاه الخليفه المعتصم باللّه فی اول خلافته قضاء الجانب الشرقی من بغداد عند ما توفی قاضيها جعفر بن عيسی الحسنی. و يظهر ان احمد بن ابی دواد رشحه لهذا المنصب لأنه من اهل الاعتزال. و قد جعل الخليفه اليه، اضافه الی القضاء، الصلاه بالناس فی مسجد الرصافه فی ايام الجمع و الأعياد(۳).

ای انه انابه عن نفسه فی اداء هذا الواجب الدينی، و فی ذلک تقدير كبير له، علما انه لم يكن يعين للامامه الا من بنی هاشم، او ممن يوثق به من افاضل المسلمين(۴).

كان شعيب من القائلين بخلق القرآن و نفی الصفات و الرؤيه عن الباری عز و جل فی الآخره. و كان ينتقص اهل السنه و يتحامل عليهم، و قد كتب علی جدار مسجده «القرآن مخلوق» و حاول عوام الجند و الغوغاء فی ربيع سنه (۲۲۷ ه) اثر مبايعه الواثق باللّه ان يمحوا هذه الكتابه، فمنعهم خادم المسجد، فذهبوا الی بيت القاضی نفسه و احرقوا بابه و انتهبوا داره، و ارادوا نفسه فهرب

۱- مروج الذهب ۴/ ۹۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۹۵، و تاريخ بغداد ۵/ ۳۴۳، و الكامل ۷/ ۴۰.

۳- تاريخ بغداد ۹/ ۲۴۳، و اخبار القضاه ۳/ ۲۷۷.

۴- الخراج و صناعه الكتابه/ ۴۳- ۴۴.

منهم. فانفذ صاحب الشرطه اسحاق بن ابراهيم حرسا استطاعوا انقاذ شعيب و صاروا به الی دار اسحاق(۱).

بقی شعیب علی قضاء الرصافه، و لما تولی الواثق بالله الخلافه عزله من منصبه(۲). و قد توفی سنه (۲۴۶ ه) فی ایام المتوکل علی اللّه(۳).

عبد الرحمن بن اسحاق:

عبد الرحمن بن اسحاق بن سلمه الضبی، کان جده من رجال الدوله(۴). و کان هو احد فقهاء المذهب الحنفی و من اصحاب الرأی فیه، و کان مترفا جماعا للمال(۵). و یروی ابن طیفور کیفیه تولیه القضاء، و ذلک انه کان یختلف الی ولد ابن سماعه القاضی، فاتاهم یوما فتغدی عندهم، و اخذوا قلنسوته و تراموا بها و خرقوها، فاغضبه ذلک. فصار الی ابیهم لیشکوهم فوجد عنده جماعه فاحتشم ان یشکوهم بحضره تلک الجماعه فجلس ینتظر خروجهم. فاتی ابن سماعه کتاب طاهر بن الحسین کبیر قواد المأمون یذکر حاجته الی قاض یکون فی عسکره لینظر فی امورهم. فقال لعبد الرحمن: هل لک ان تمضی الیهم؟ قال:

نعم. فبعث به الی طاهر فجعله قاضیا فی عسکره، و استمر به الأمر، و دخل فی عداد القضاه(۶).

۱- تاریخ بغداد ۹/ ۲۴۳، و اخبار القضاه ۳/ ۲۷۷، و تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۹.

۲- اخبار القضاه ۳/ ۲۷۷.

۳- الاعلام ۳/ ۲۴۴.

۴- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۶۰.

۵- نفس المصدر/ ۲۶۰- ۲۶۱، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۲.

۶- بغداد لابن طیفور/ ۱۴۱.

و نقل عبد الرحمن الضبی بعد حین الی قضاء الرقه و بقی علی قضائها مده، و قیل انه لما تولی قضاء الرقه لم یکن له علم بشی ء من الفقه، الا انه عنی بعد ذلک بحفظ الحدیث و حفظ منه شیئا صالحا(۱). ثم عینه المأمون علی قضاء مدینه المنصور بدلا من اسماعیل بن حماد، ثم ضم الیه قضاء الشرقیه(۲)، لما عزل قاضیها بشر بن الولید، فصار قاضیا علی الجانب الغربی باسره.

و ظل فی منصبه هذا طیله ایام المعتصم بالله(۳). و عند ما خرج المعتصم باللّه الی حرب الروم سنه (۲۲۳ ه) احضر القضاه و رجالا من ذوی العداله فاشهدهم علی ما اوقف من الضیاع، کان عبد الرحمن بن اسحاق احد القضاه الذین شهدوا علی ذلک(۴).

و لما استخلف الواثق باللّه عزل عبد الرحمن بن اسحاق فی سنه (۲۲۸ ه) و ولی مکانه الفقیه الحسن بن علی بن الجعد علی قضاء مدینه المنصور، و عبد اللّه بن محمد الخلنجی علی قضاء الشرقیه(۵). و حضر عبد الرحمن بن اسحاق بصفته من کبار الفقهاء مجلس محاکمه احمد بن النصر الخزامی فأید کفره، و قال هو حلال الدم(۶).

۱- اخبار القضاه ۳/ ۲۸۲.

۲- الشرقیه محله کبیره بالجانب الغربی من بغداد، سمت بالشرقیه لانها، شرقی مدینه المنصور.

۳- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۶۱.

۴- الطبری ۹/ ۵۶.

۵- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۷۱.

۶- الطبری ۹/ ۱۳۸.

توفی عبد الرحمن الضبی فی ذی القعده سنه (۲۳۲ ه) بفید و هو بطریقه الی مکه لاداء فریضه الحج، و دفن بها(۱).

اسماعیل بن اسحاق:

ابو اسحاق اسماعیل بن اسحاق بن اسماعیل بن حماد الأزدی.

نشأ بالبصره و درس اللغه و الحدیث و الفقه علی مذهب الامام مالک بن انس، حتی صار علما فیه، و قد عمل علی شرحه و نشره، و صنف الکتب فی الاحتجاج له، کما اتقن علوم القرآن و الحدیث و صنف عددا من الکتب فیها(۲). و یقول ابن الندیم ان اسماعیل بن اسحاق هو الذی بسط فقه مالک و دعا الناس الیه و رغبهم فیه، و صنف فیه الکتب(۳). و کان ابوه اسحاق علی المظالم فی مصر فی عهد المأمون(۴).

استوطن اسماعیل مدینه السلام و ولی القضاء فیها، و لم یزل یتولاه حتی وفاته. و قد تولی القضاء لأول مره فی سنه (۲۴۶ ه) لما مات القاضی سوار بن عبد اللّه العنبری، فأمر الخلیفه المتوکل علی اللّه قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد الهاشمی ان یولی اسماعیل بن اسحاق قضاء الجانب الشرقی من بغداد فولاه(۵).

و ظل فی منصبه حتی ایام المهتدی علی اللّه الذی نقم علی حماد بن

۱- تاریخ بغداد ۱۰/ ۲۶۱.

۲- تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۴- ۲۸۵، و وفیات الاعیان ۲/ ۲۵۷، و المنتظم

۳- الفهرست ۲۹۶. ۵/ ۱۵۱- ۱۵۲.

۴- کتاب الولاه و کتاب القضاه/ ۱۸۹ و ۵۰۲.

۵- تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۷.

اسحاق اخی اسماعیل لما بلغه عن مکاتبته الموفق ایام کان بمکه و صرف اسماعیل عن القضاء(۱).

و لما بویع للمعتمد علی اللّه بالخلافه اعاد اسماعیل بن اسحاق الی عمله فی القضاء. و کان الموفق شدید الاعجاب باسماعیل و بعلمه، فسأله اسماعیل ان ینقله الی الجانب الغربی من مدینه السلام، و کان علی قضاء الشرقیه القاضی البرتی و علی قضاء مدینه المنصور احمد بن یحیی، فکره ذلک قاضی القضاه الحسن بن ابی الشوارب و اجتهد فی رده، الا انه لم یستطع ذلک لتمکن اسماعیل من الموفق. فاجابه الی طلبه، و نقل البرتی الی الجانب الشرقی من المدینه، و اسماعیل الی الجانب الغربی باسره، و ذلک فی سنه (۲۵۸ ه)، ثم جمع قضاء بغداد بجانبیها لاسماعیل بن اسحاق فی سنه (۲۶۲ ه) و قلد معها قضاء المدائن و النهروانات و قسم من اعمال السواد، و صار المقدم علی سائر القضاه(۲).

کان اسماعیل بن اسحاق مقربا الی الخلیفه المعتمد علی اللّه و الی اخیه الموفق، فکانا ینتد بانه لبعض المهام. فقد اوفده الخلیفه ضمن الوفد الذی بعث به الی یعقوب بن اللیث لما استحوذ علی اقلیم فارس فی سنه (۲۵۷ ه)(۳). و عند ما تغلب ابن واصل علی فارس فی سنه (۲۶۱ ه) و اسر احد قواد موسی بن بغا، وجه الخلیفه اسماعیل بن اسحاق الی ابن واصل یسأله اطلاق القائد

۱- الطبری ۹/ ۵۲۶، و تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۷- ۲۸۸، و اخبار القضاه/ ۳/ ۲۸۱.

۲- الطبری ۹/ ۵۲۶، و تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۷- ۲۸۸، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۱، و المنتظم ۵/ ۱۵۲.

۳- الطبری ۹/ ۴۷۶ ۹/ ۴۷۶.

الأسیر(۱). و وجهه الخلیفه کـذلک الی یعقوب بن اللیث عنـد مـا وافی رامهرمز و عـاد برسـاله من یعقوب، فی رجب سـنه (۲۶۲ ه)(۲).

توفی اسـماعیل بن اسحاق فی ذی الحجه من سنه (۲۸۲ ه) فجاءه و هو قاض علی جانبی مدینه السـلام(۳). و یقول ابن الجوزی انه لبس سواده لیخرج الی الجامع و لبس احـد خفیه و جاء لیلبس الآخر فمات(۴). و اهم ما صنفه اسماعیل من الکتب کتاب فی احکـام القرآن، و کتاب فی القراءات، و کتـاب فی معانی القرآن، و المسـند(۵). و یضـیف ابن النـدیم علی هذه الکتب: کتاب اهوال القیامه، و کتاب المبسوط، و کتاب شواهد الموطأ، و کتاب المغازی(۶).

الحسن بن الجعد:

هو الحسن بن علی بن الجعـد بن عبیـد الجوهری و کان ابوه مولی ام سـلمه المخزومیه امرأه ابی العباس السـفاح(۷). و قد درس الفقه و الحدیث علی علیه اصحاب الحدیث و رواته. و قد اخذ عنه البخاری(۸). و توفی بعد تولی ابنه القضاء

۱- نفس المصدر/ ۵۱۳.

۲- نفس المصدر/ ۵۱۶.

۳- الفهرست/ ۲۹۶، و تاریخ بغداد ۶/ ۲۹۰، و أخبار القضاه ۳/ ۲۸۱.

۴- المنتظم ۶/ ۳۸۴.

۵- تاریخ بغداد ۶/ ۲۸۴ و ۲۸۶، و وفیات الاعیان ۲/ ۲۵۷- ۲۵۸.

۶- الفهرست/ ۲۹۶.

۷- المعارف/ ۲۲۵.

۸- مروج الذهب ۴/ ۷۶، و الکامل ۷/ ۱۸.

بسنتين(۱). درس الحسن الفقه و الحديث على ابيه، و تابع الدرس و التحصيل حتى غدا من مشاهير العلماء بمذهب اهل العراق(۲). و مال اول امره الى مذهب المعتزله ثم رجع عنه.

فقد سئل الامام احمد بن حنبل عنه، فقال: كان معروفا عند الناس بانه جهمى مشهور، ثم بلغنى انه قد رجع عن ذلك(۳).

عرف الحسن بن الجعد بنبله و مروءته و سمو اخلاقه. و قد اختاره الواثق باللّه لقضاء مدينه المنصور فى سنه (۲۲۸ ه) و لم يزل قاضيا عليها الى ان مات فى رجب سنه (۲۴۲ ه) فى عهد الخليفه المتوكل على اللّه(۴).

عبد الله الخلنجى:

عبد اللّه بن محمد بن يزيد الخلنجى، من اصحاب الرأى، كان واسع العلم حاذقا فى الفقه الحنفى و من القائلين بخلق القرآن.

تقلد المظالم فى اقليم الجبل، و القضاء فى همذان نحوا من عشرين سنه، فكان مستقلا بالقضاء و وجوهه(۵). كتب اليه الخليفه المعتصم باللّه بأن يمتحن الناس، فكان معتدلا يضبط نفسه و لم يتطرف فى الاعتزال. فقد تقدمت اليه امرأه فقالت:

ان زوجى لا يقول بقول امير المؤمنين، ففرق بينى و بينه، فصاح بها(۶).

۱- تاريخ بغداد ۷/ ۳۶۴.

۲- نفس المصدر، و اخبار القضاه ۳/ ۲۸۳.

۳- تاريخ بغداد ۷/ ۳۶۴.

۴- نفس المصدر، و الطبرى ۹/ ۲۰۸.

۵- تاريخ بغداد ۱۰/ ۷۳.

۶- نفس المصدر، و اخبار القضاه ۳/ ۲۹۰ و جاء فيه ففرق بينه و بينها.

و تولی الخلنجی القضاء علی الشرقیه بالجانب الغربی من بغداد فی ایام الواثق باللّه(۱)، و بقی فی منصبه حتی ایام المتوکل علی اللّه، فعزله فی سنه (۲۳۷ ه) و امر ان یکشف للناس لیفضحه، لأنه کان من اصحاب احمد بن ابی دواد. فاقیم للناس فی جمادی الأخیره من السنه المذکوره(۲). فلم یتقدم احد بالشکوی علیه او اتهامه بأخذ حبه من احد، حتی لقد قال بعض الشهود الذین حضروا الکشف: ما علمت ان القرآن مخلوق الا الیوم. فلما سئل کیف علم ذلک، قال: سمعت القاضی یقول ذلک(۳). و هو دلیل علی ما کان یتمتع به الخلنجی من ثقه عالیه فی نفوس الناس.

کان الخلنجی عفیفا و فیه تیه و کبر شدید، و یظهر انه کان اسود اللون ذا شکل مهیب، فقد قال فیه احد الشعراء(۴).

نسبته فی سواد لبسته اشبه شی ء بلون خلقته

کأنی بالجبال قد نصبوافیه الخلنجی فوق بغلته

اکرم به من فتی مناسبهبین اجاوینه و قصعته

۱- تاریخ بغداد ۱۰/ ۷۳ و اخبار القضاه ۳/ ۲۹۰.

۲- الطبری ۹/ ۱۸۹.

۳- تاریخ بغداد ۱۰/ ۷۴.

۴- اخبار القضاه ۳/ ۲۹۰.

ما عذب اللّه امه سلفت فيما سمعنا بمثل صورته

يصطلح النـاس حين يقعـد للحكم فرارا من هول طلعته و عنـد مـا اشـتد الخلاـف بين المسـتعين بـاللّه و القواد الأتراک و اضـطر الخليفه على الانحدار مع مؤيديه الى بغداد كان عبد اللّه الخلنجى من جمله حاشيته. و لما طلب امير بغداد محمد بن عبد اللّه الى المستعين باللّه ان يتنازل عن الخلافه لانهاء الحرب مع المعتز باللّه، بحضور عدد من القواد و الفقهاء، قال الخلنجى للخليفه محتجا على طلب محمـد: يا أمير المؤمنين انه يسألك ان تخلع قميصا قمصک به اللّه(۱). و لما اسـقط بيد المستعين باللّه و لم ير بدا من الموافقه على التنازل عن الخلافه. اشترط شروطا معينه لتنازله، فبعث محمد بن عبد اللّه وفدا الى قائد جيش المعتز باللّه ابى احمد الموفق، يحمل كتابا بشـروط الخليفه المسـتعين باللّه، كان الخلنجى احـد اعضائه، ففاوض الوفـد و عاد بجواب ما سأل المسـتعين باللّه من الشروط(۲).

و كان المعتز باللّه بعـد ان اسـتقر له الأمر فى سامرا، طلب الى مؤدبه عمران الضبى ان يسـمى له عددا من الفقهاء ليوليهم القضاء، فـاقترح له ثمـانيه رجال فيهم عبـد اللّه الخلنجى، الا انهم اتهموا بالاعتزال، فأمر المعتز باللّه باخراجهم الى بغـداد(۳). و قد سبقت الاشاره الى ذلک.

۱- الطبرى ۹/ ۳۴۳.

۲- نفس المصدر/ ۳۴۴.

۳- نفس المصدر/ ۳۷۱.

ص: ۴۶۱

الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراک ۱- الأتراک فی عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه.

۲- الصراع بین المتوکل علی اللّه و الاتراک.

۳- ایام الفتنه.

الباب الرابع خلفاء سامرا و الأتراک

الفصل الأول الاتراک فی عهد المعتصم باللّه و ابنه الواثق باللّه

۱- مقدمه:

کان الجیش عماد الدوله العربیه فی عهد العباسیین. و قد توسع کثیرا و ازداد عدده، و تنوعت صنوفه، و لم یعد یقتصر علی العرب وحدهم، کما کان الأمر فی عهد الأمویین. اذ سمح لابناء البلاد المفتوحه ممن اعتنقوا الدین الاسلامی ان ینخرطوا فی صفوفه. و قد توسع العرب فی فتوحاتهم الی بلاد ما وراء النهر و استولوا علی امهات المدن فیها مثل بخاری و کاشغر و فرغانه و سمرقند. و کان سکان هذه المناطق من القبائل الترکیه البدویه، اعتنق اکثرها الدین الاسلامی. و یتمیز ابناء هذه القبائل بقوه اجسامهم و شجاعتهم فی القتال. و کان قسم من غلمانهم من الاسری و السبایا یجلبون الی مرکز الخلافه و یباعون رقیقا. و قد

استخدم بعضهم فی الجیش لشجاعتهم و لیاقتهم البدنیه. و یعتبر ابو جعفر المنصور اول خلیفه استعمل موالیه و غلمانه و قدمهم علی العرب، فامتثلت ذلک الخلفاء بعده(۱). الا ان عددهم کان قلیلا، و لم یکن استخدامهم بموجب سیاسه مرسومه. فبقیت اکثریه الجیش علی عهده من العرب و الخراسانیین.

و کان العباسیون فی اول عهدهم اکثروا من استخدام الخراسانیین فی الجیش لأنهم کانوا عونا لهم فی التغلب علی الامویین، مما جعلهم العنصر المسیطر فیه. و اتخذ الخلفاء الأوائل حرسهم الخاص منهم. غیر ان انتصار المأمون علی اخیه محمد الأمین اتاح لأنصاره من الفرس الذین اولاهم ثقته ان یهیمنوا علی الجیش العربی هیمنه تامه. مما دفعه الی ان یستخدم ابناء ما وراء النهر، بعد ان اخضع کاتبه احمد بن ابی خالد الأحول فی بلاد اشروسنه. و کان یأمر عماله فی خراسان ان یشجعوا اهل تلک البلاد علی اعتناق الاسلام، فکان یستمیلهم بالترغیب و یقرض لهم فی الدیوان، و یجزل صلاتهم(۲). و لا ریب فی ان انعطاف المأمون نحو الأتراک کان رد فعل لما لمسه من مطامع الفرس و محاولتهم الاستئثار بالسلطه. و کان الأفشین حیدر بن کاوس من امراء اشروسنه، و قد اصطنعه المأمون و اعتمد علیه، هو الذی زین له ان یتوسع شرقا فأستولت الدوله العربیه علی مناطق و اقالیم جدیده فی آسیا الوسطی.

ان المعتصم باللّه الذی شاهد جرأه الفرس و تطاولهم علی قتل اخیه الخلیفه محمد الأمین، اخذ یرتاب فی ولائهم منذ ان کان

۱- مشاکله الناس لزمانهم/ ۲۳ لمن، و تاریخ الخلفاء/ ۲۴.

۲- فتوح البلدان/ ۴۱۹- ۴۲۰.

أميرا. كما ان نكبه الفضل بن سهل، و ترک المأمون مدينه مرو الى بغداد، مما اساء الى العلاقه بين العباسيين و الخراسانيين.

فكان ذلک من جمله ما حدا بالمعتصم باللّه الى الاعتماد على الاتراک.

لأنه رأى فى ذلک خير وسيله لاضعاف النفوذ الفارسى فى الجيش العربى. و يقول احد رجال المعتصم باللّه، و هو جعفر الخشكى انه كان يوجه به فى ايام المأمون الى نوح بن اسد فى سمرقند لشراء الأتراک و انه كان يعود عليه فى كل سنه بجماعه منهم، بحيث اجتمع لديه منهم حينذاک زهاء ثلاثه الاف(۱). و جعل حرسه الخاص منهم. و يقول ابن قتيبه ان المأمون امر المعتصم باللّه باتخاذ الاتراک و جلبهم(۲). و يقول اليعقوبى انه لما افضت اليه الخلافه اشترى من كان منهم من الرقيق فى بغداد. و كان ممن اشتراهم اشناس مملوک نعيم بن خازم، و ايتاخ مملوک سلام الابرش، و وصيف مملوک آل النعمان، و سيما الدمشقى مملوک الفضل بن سهل(۳). و اراه قد نوه بهذه الاسماء لما بلغه اصحابها من مراكز قياديه فى الجيش و الدوله، و لما كان لهم من تأثير كبير فى سير الاحداث.

و قد كلف المعتصم باللّه عند ما كان اميرا بمهمتين عسكريتين اعتمد فيها على غلمانه من الاتراک. فعند ما ندبه الخليفه المأمون الى قمع الثوره التى قامت فى مصر فى سنه ۲۱۴ ه توجه اليها ابو اسحاق فى اربعه الاف من اتراكه(۴). و لما خرج مهدى بن علوان (۳) نفس المصدر/ ۴۱۹.

۱- كتاب البلدان/ ۲۵۵- ۲۵۶.

۲- المعارف/ ۳۹۱.

۳- كتاب البلدان/ ۲۵۶.

۴- كتاب الولاه و كتاب القضاه/ ۱۸۸.

الحروری علی ابراهیم بن المهدی فی سنه ۲۰۳ ه وجه الیه ابراهیم ابا اسحاق فی جماعه من القواد، و مع ابی اسحاق غلمان له اتراک(۱).

و هکذا صار اکثر جند المعتصم باللّه عند ما تولی الخلافه من اهل ما وراء النهر من الصغد و الفراغنه و الاشروسنیه و اهل الشاش و کلهم من الأتراک(۲) بحیث صار له منهم جیش کبیر، و یقول فی تقدیر عددهم الشاعر علی بن الجهم(۳).

امام من له سبعون الفامن الاتراک مشرعه السهام

و یقول یاقوت الحموی مؤیدا هذا العدد من جند المعتصم باللّه الأتراک: ان جیوش المعتصم کثروا حتی بلغ عدد ممالیکه من الأتراک سبعین الفا(۴).

۲- المعتصم باللّه و استخدامه الاتراک فی الجیش:

لقد کانت هناک بالاضافه الی ما ذکرناه من عزم المعتصم باللّه علی القضاء علی سیطره العنصر الفارسی علی الجیش العربی، عوامل اخری دفعته الی تتریک جیشه جندا و قوادا. و من هذه العوامل هو ما له علاقه بشخصیه المعتصم باللّه نفسه. و انه کان قوی الجسم بدرجه تلفت النظر، و یغلب علیه حب الفروسیه و الولع بالحرب و شؤونها، و لذا اعجب بشجاعه الغلمان الأتراک

۱- الطبری ۷/ ۵۵۸.

۲- فتوح البلدان/ ۴۲۰.

۳- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۲، و الاغانی ۱۰/ ۲۰۵.

۴- معجم البلدان ۳/ ۱۷۴.

و جرأتهم. و كان يتخير عند شرائهم من يتوسم فيه الشجاعه و قوه الجسم، و اعتمد عليهم فى امر سلامته الشخصيه. و ميزهم على بقيه جنده فالبسهم حلل الديباج و المناطق المذهبه(۱). و آثرهم على المتقدمين من اوليائه و نصحاء آبائه(۲).

و لما كان حظ المعتصم باللّه من العلم و الثقافه ضئيلا، فقد كان يشعر بتقارب ذهنى مع هؤلاء الغلمان الذين كانوا اميين و قد جاءوا من مناطق متخلفه من الناحيه الحضاريه عن بقيه بلدان الدوله العربيه، و لا سيما مركزها مدينه السلام. و الواقع انهم كانوا لا يزالون فى دور البداوه فلا يخضعون الا لأمراء قبائلهم او رؤسائهم.

و كما يقول الطبرى انهم كانوا عجما جفاه(۳). و لذلك فان الجيش الذى تكون منهم كان يختلف كثيرا عن بقيه الجيش العربى.

و لهذا افرد المعتصم باللّه قلطائعهم عن قطائع الناس جميعا عند ما بنى مدينه سامرا، و اشترى لهم الجوارى التركيات فازوجهم منهن، و جعلهم منعزلين عن غيرهم، و منعهم ان يتزوجوا او يصاهروا الى احد المولدين، و اجرى لجواريهم ارزاقا و اثبت اسماءهن فى الديوان، فلم يقدر احد منهم ان يطلق امرأته او ان يفارقها(۴). و قد اكد المعتصم باللّه حرصه على عدم اختلاط الجند الاتراك بغيرهم عند ما اقطع اشناس ارضا فانه امره ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم(۵)، بحيث جعل

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

۲- التنبيه و الاشراف/ ۳۰۷.

۳- الطبرى ۹/ ۱۸.

۴- كتاب البلدان/ ۲۵۸- ۲۵۹.

۵- نفس المصدر/ ۲۵۹.

للاتراک قطائع متحیزه(۱). و قد کان اعتزازه بهم من اهم اسباب تشیید عاصمته سامرا.

یضاف الی ذلک موقف بعض القواد العرب منه عند ما بویع بالخلافه و میلهم الی مبایعه العباس بن المأمون، مما جعله لا یطمئن الی ولائهم. کما ان انصراف العرب عن الحیاه العسکریه الی النواحی الحضاریه الاخری، لا سیما النواحی العلمیه و الاقتصادیه نتیجه ارتفاع مستواهم الحضاری، ساعده علی اضعاف شأنهم فی الجیش، مما اتاح له ان یخرج کثیرا منهم و یسقط اسماؤهم من الدیوان دون ان یلقی مقاومه تذکر. اما من بقی من قبائل الیمن و قیس و مضر فی الجیش فقد اصطنعهم(۲) و ابقی علیهم.

ان هذه العوامل مجتمعه جعلت الخلیفه المعتصم باللّه لا یأمن الجیش الذی وجده عند تولیه الخلافه، سواء لتغلب العنصر الفارسی فیه، او لعدم ولاء بعض قواده من العرب، مما دفعه الی الاعتماد علی عنصر جدید یرکن الیه تتوفر فیه الکفایه و الولاء.

و لذا فقد اعتبر غلمانه الأتراک اساس جیشه الجدید و اناط قیاداته بمن توسم فیهم الجرأه و الشجاعه من جهه و الولاء من جهه اخری، من بین هؤلاء الغلمان. و بذا اصبح معظم القواد الکبار علی عهده من الاتراک.

۳- کبار القواد الاتراک:

اشاره

اعتاد المعتصم باللّه تکریم قواده الأتراک عند عودتهم من الحروب منتصرین، اعترافا بما قاموا به من خدمه الدوله و حمایه

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۵۳.

الـدين، و تقـديرا لجهودهم فی ذلک، و تشـجیعا لهم. و من اهم مظاهر هـذا التکریم تقلیـد القائد الطوق و الأسوره، و السـیف و المنطقه، بحیث صار ذلک رسـما لامراء الـدوله(۱). او الاغـداق علیهم بالاموال و الهـدایا الثمینه. فقـد کرم الأفشـین عنـد ما قدم ببابـک اسـیرا الی سـر من رأی، بـأن البسه و شاحین بالجوهر، و توّجه، و وصـله بعشـرین الف الف درهم(۲). کمـا اجلس القائد اشناس علی کرسی و توجه و وشحه(۳).

و کان تشـجیع المعتصم باللّه و تقدیره قواده عاملا مهما فی بروزهم علی مسـرح السـیاسه بعد وفاته، بحیث غدا لهم نفوذ سیاسی الی جانب سـلطاتهم العسکریه. و بذا یکون المعتصم باللّه قد خلق طبقه جدیده من القواد الحکام. الذین لم تقتصر هیمنتهم علی شؤون الـدوله العسـکریه فقـط، بـل شـملت النواحی الاـداریه و السیاسـیه کـذلک. فقـد عینوا للحجـابه، و الولاـیه، مع احتفـاظهم بمناصـبهم القیادیه فی الجیش، فاصـبح لهم السـلطان الحقیقی علی شؤون الـدوله. و قـد اتیـح لهذه الطبقه من القاده الأتراک ان تلعب دورا خطیرا فی حیاه الدوله العربیه بعد عهد المعتصم باللّه.

و اظهرت الحوادث بعـد مده قصـیره ان اسـتخدام الاتراک فی الجیش کان خطأ کبیرا من المعتصم باللّه، لأن قادتهم و رؤساءهم اساءوا استعمال نفوذهم و سلطانهم فی فرض ارادتهم علی الخلفاء، و اخذوا یتصرفون کغرباء متغلبین.

۱- رسوم دار الخلافه/ ۹۴.

۲- الطبری ۹/ ۵۵.

۳- نفس المصدر/ ۱۰۳.

و قد برز فی عهد المعتصم باللّه عدد من کبار القواد الأتراک.

و لعل ابرز هؤلاء حیدر بن کاوس، و قد اشرنا الی ما فیه الکفایه عنه عند الکلام عن حروبه و مطامحه و غضب الخلیفه علیه و محاکمته. و من القواد الاتراک الذین اعتمد علیهم المعتصم باللّه، و اتیح لهم ان یلعبوا ادوارا مهمه بعده: ایتاخ الخزری، و بغا الکبیر، و اشناس، و وصیف. و فیما یلی لمحه موجزه عن سیره کل منهم. و لسوف نتعرف علی کثیر عنهم فی الفصول القادمه.

ایتاخ الخزری:

اصل ایتاخ من الخزر، و کان طباخا مملوکا لسلام الأبرش خادم المأمون و الرشید من قبله، فاشتراه منه المعتصم باللّه. و کان له من البأس و الشجاعه ما ساعده علی ان یصل الی مرکز مرموق فی الدوله. اذ قربه المعتصم بالله و رفع من شأنه، فولاه معونه سامرا بالاشتراک مع اسحاق ابراهیم المصعبی، اضافه الی البرید، و قیاده قسم من الجیش. و فی حمله المعتصم باللّه علی بلاد الروم ولی ایتاخ قیاده میمنه جیشه(۱). و کان یعتمد علیه فی مهام الامور و بخاصه فی التخلص من اعدائه، فمن اراد حبسه او قتله فعند ایتاخ یحبس و بیده یقتل(۲). و هو الذی تولی قتل العباس بن المأمون و عجیف بن عنبسه عند ما تآمرا علی الوثوب بالخلیفه، و هو ببلاد الروم(۳). و قد احتفظ ایتاخ بمرکزه طیله ایام المعتصم باللّه. و زاد نفوذه و توسع سلطانه فی عهد الواثق

۱- الطبری ۹/ ۵۷، و الکامل ۶/ ۴۵۱.

۲- الطبری ۹/ ۱۶۶- ۱۶۷، و النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۶.

۳- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۶.

باللّه الذی ولاه السند و خراسان، و عند ما مات اشناس صیر الواثق ولایه مصر الی ایتاخ.

و لما استخلف المتوکل علی اللّه بقی ایتاخ فی مرتبته، فکانت الیه قیاده الاتراک و المغاربه و الموالی، ثم البرید اضافه الی الحجابه بدار الخلافه. و لکن ما لبث المتوکل علی اللّه ان تغیر علیه اثر مشاجره قامت بینهما، همّ فیها ایتاخ بقتله(۱). فانتهز المتوکل علی اللّه فرصه خروج ایتاخ الی اداء فریضه الحج، فاتفق مع امیر بغداد اسحاق بن ابراهیم علی استدارجه عند عودته الی بغداد و القبض علیه هناک. و نجح اسحاق فی ذلک فقید ایتاخ و سجنه. و ما لبث ان مات فی السجن و یقال انه قتل عطشا فی سجنه(۲). و سنأتی علی تفصیل ذلک فی موضوع الصراع بین المتوکل علی اللّه و الأتراک.

أشناس:

من الغلمان الأتراک الذین اشتراهم المعتصم باللّه ببغداد، و کان مملوکا لنعیم بن خازم. و قد اعجب المأمون بشجاعته فقربه و اعتمد علیه. و عند ما تکررت الثورات بمصر ضد الولاه قدم الیها المأمون فی سنه ۲۱۵ و معه اشناس، الذی عاونه فی اعاده النظام الی البلاد. و لما وجه ابراهیم بن المهدی، فی اثناء تولیه الخلافه، ابا اسحاق لحرب ابن علوان الحروری طعنه احد الحروریه فحامی عنه اشناس فحاز ثقته، بحیث لما آلت الیه الخلافه جعله من کبار قواده، و انعم علیه بولایه مصر و دعی له

۱- الطبری ۹/ ۱۶۷، و الکامل ۷/ ۴۳.

۲- النجوم الزاهره ۲/ ۲۷۶.

على منابرها. كما انه استخلفه على العاصمه سامرا عند ما خرج الى السن فى سنه ۲۲۵ ه(۱). و عند تأسيس سامرا اقطعه الخليفه المعتصم باللّه و اصحابه الموضع المعروف بالكرخ و ضم اليه عده من قواد الاتراك و الجند، و امره ان يبنى المساجد و الاسواق و ان لا يطلق لغريب من تاجر و لا غيره مجاورتهم(۲). و كان قد جعله على مقدمه جيشه فى حملته على بلاد الروم، فكان اشناس اول من ورد عموريه عند ما افتتحها المعتصم باللّه(۳).

كما كان لاشناس دور كبير فى كشف مؤامره العباس على المعتصم باللّه، و فى القضاء على رؤوسها مما زاد فى اعتماد الخليفه عليه، و صار اثيرا لديه. و قد كرمه بأن اشرف على حفل زواج ابنته اترنجه من الحسن بن الافشين، و أمر بأن يكون العرس فى قصره، و احضر عرسها عامه اهل سامرا، و كان يتفقد بنفسه من حضره(۴). و اجلسه على كرسى و وشحه بنفسه فى سنه ۲۲۵ ه(۵).

و قد ازداد نفوذ اشناس فى عهد الخليفه الواثق باللّه، اذ استخلفه فى سنه ۲۲۸ ه على السلطنه و البسه تاجا مجوهرا و وشاحين مجوهرين(۶). مما زاد فى سلطاته التى تعدت المهام العسكريه. و يلاحظ انه أول قائد يقلد السلطنه فى ظل الخلافه العباسيه. و قد توفى اشناس فى سنه ۲۳۰ ه فى ايام الخليفه الواثق باللّه.

۱- الطبرى ۹/ ۱۰۳.

۲- كتاب البلدان/ ۲۵۸- ۲۵۹.

۳- الطبرى ۹/ ۶۳، و الكامل ۶/ ۱۱۱

۴- الطبرى ۹/ ۱۰۱.

۵- الطبرى ۹/ ۱۰۱.

۶- نفس المصدر/ ۱۲۴.

وصیف:

من ممالیک المعتصم باللّه الذین اشتراهم ببغداد، و کان زرادا ملموکا لآل النعمان. و لم یلبث ان اصبح من کبار القواد الأتراک، لما کان یتمتع به من جرأه و بساله. و اتخذه المعتصم باللّه، عند ما تولی الخلافه حاجبا له. و عند تأسیس سامرا أقطعه و اصحابه مما یلی الحیر لیقیموا مساکنهم هناک(۱).

و قد تولی وصیف فی عهد الواثق بالله قیاده الحمله التی جردت لاخماد تمرد الاکراد فی الجبال و فارس، فنجح فیما ندب الیه و قدم سامرا و معه مئات من الاسری فجازاه الخلیفه بخمسه و سبعین الف دینار، و قلده سیفا(۲). و عند ما توفی الواثق باللّه من غیر ان یعهد بالخلافه، اشترک وصیف فی اختیار من یخلفه و لما اختیر المتوکل علی اللّه تولی وصیف حجابته، و لکنه بعد حین تزعم مؤامره اغتیاله. و کان سبب نقمه وصیف علی المتوکل علی اللّه ان الخلیفه امر بقبض ضیاعه باصبهان و الجبل و اقطاعها الفتح ابن خاقان(۳). و ذلک فی جمله اجراءاته لاضعاف شأن القواد الاتراک. فبلغ ذلک وصیفا فغضب و انضم الی جانب محمد المنتصر ابن المتوکل علی اللّه فی النقمه علی ابیه و العمل علی التخلص منه.

و حاول المنتصر باللّه لما استخلف ابعاد وصیف فی شؤون الدوله. فعهد الیه فی سنه ۲۴۸ ه قیاده حمله لغزو بلاد الروم

۱- کتاب البلدان/ ۲۵۸.

۲- الطبری ۹/ ۱۴۰- ۱۴۱.

۳- نفس المصدر/ ۲۲۲.

و حمایه الثغور العربیه. و امره ان یقیم هناک حتی یأتیه امره(۱). و لما غزا وصیف و کان بالثغور الشامیه، ورد علیه خبر موت الخلیفه المنتصر باللّه، فعاد الی سامرا. و لعب دورا مهما مع القائد بغا فی تحریض الجند علی القائد اوتامش الذی کان قد استولی علی امور الخلافه فی اوائل عهد المستعین باللّه. و لما قتل اوتامش سیطر هذان القائدان علی شؤون الدوله فی عهد الخلیفه المذکور.

و عند ما ترک المستعین باللّه عاصمته سامرا الی مدینه السلام للتخلص من نفوذ الأتراک و ضغطهم علیه، کان القائد وصیف احد القواد الأتراک الذین صحبوه، و ظل الی جانبه الی ان خلع من الخلافه. و قد استطاع وصیف ان یسترضی المعتز باللّه الذی آلت الیه الخلافه، فرضی عنه، و عاد الی سامرا، و اعیدت الیه اعماله و رتبه السابقه. الا انه لقی مصرعه بعد مده علی ید الجند الأتراک الذین شغبوا مطالبین بارزاقهم فی سنه ۲۵۳ ه. و سنطلع علی تفصیل ذلک فی الفصل الخاص بالنزاع بین المعتز بالله و القواد الأتراک.

بغا الکبیر:

من ممالیک المعتصم باللّه الذین تقدموا علی عهده، فاصبح من کبار قواده. و قد شارک فی حروب عدیده. فقد وجهه المعتصم باللّه علی رأس جیش کبیر مددا للقائد الأفشین فی حربه مع بابک.

کما بعثه الی حرب منکجور عند ما اعلن عصیانه. فجاء به اسیرا الی

۱- الطبری ۹/ ۲۴۴، و الکامل ۷/ ۱۱۲.

سامرا. و هو الذی تولی اعتقال الأفشین عند ما نقم علیه المعتصم باللّه. کما قاد عده حملات فی عهد الخلیفه الواثق باللّه لتأدیب بعض القبائل العربیه. فقد وجهه لاخضاع الاعراب من بنی سلیم الذین اغاروا علی اطراف المدینه المنوره فتغلب علیهم و قضی علی تمردهم. کما انتدبه لتأدیب بنی نمیر الذین هاجموا الحجاز و الیمامه فالتقی بهم و هزمهم، و عاد الی سامرا بعدد کبیر من اسراهم.

و صار بغا من قواد المتوکل علی الله البارزین. و عند ما قتل القائد یوسف الثغری فی ارمینیه عین الخلیفه بغا والیا علیها و طلب الیه ان یثأر لدم یوسف. فاحرق تفلیس و خرب عددا من الحصون. و حمل عددا من البطارقه اسری الی سامرا.

و اعاد فی خلال ولایته علی ارمینیه و اذربیجان بناء مدینه و شمکور القدیمه التی خربت و هجرها اهلها، فحصنها و اسکنها قوما خرجوا الیه من الخزر مستأمنین لرغبتهم فی الاسلام. و نقل الیها التجار من برذعه و سماها المتوکلیه، لتکون من الثغور العربیه(۱). و بذل جهودا کبیره فی اصلاح و تعمیر الحصون فی الثغور، بشکل لم یکن علی مثله(۲).

و عند ما قتل المتوکل علی اللّه کان بغا الکبیر فی سمیساط یرد الروم الذین اغاروا علیها و علی الثغور القریبه منها. و لما مات المنتصر باللّه اوکل القواد الاتراک باقتراح من احمد بن الخصیب، الی بغا الکبیر و اوتامش و بغا الصغیر، و هم ابرز القواد الاتراک

۱- فتوح البلدان/ ۲۰۶.

۲- نفس المصدر/ ۲۱۳.

الحاضـرین حینـذاک، اختیار من یرون للخلافه(۱). فتشـاوروا فیمـا بینهم، و قـد کرهوا ان یولوا احـد ابنـاء المتوکل علی اللّه لئلا ینتقـم منهم، و اجمعـوا علی اختیـار احمـد بن محمـد بن المعتصم بـالله، محتجین بحرصـهم علی ابقـاء الخلافـه فی ولـد مولاـهم المعتصم باللّه، و لقب بالمستعین باللّه.

مات بغا الکبیر فی سنه ۲۴۸ ه و قد تجاوز عمره التسعین سنه، و کان قد خاض من الحروب ما لم یخضه غیره، فما اصابته جراحه قط(۲). و کـان متـدینا من بین القواد الاـتراک. و لما مرض عاده الخلیفه المسـتعین باللّه، و عنـد ما توفی عقـد لأبنه موسـی علی الأعمال التی کانت لأبیه اضافه الی ولایه البرید(۳).

۴- الأتراک فی عهد الواثق باللّه:

اتبع الواثق باللّه سیاسه ابیه المعتصم بالله فی الاعتماد علی الجنـد الاتراک فزاد عـددهم فی عهـده و اتسع نفوذهم و بخاصه کبار قوادهم اشـناس و ایتاخ و وصـیف و بغا. و سـبق ان اشـرنا الی ما و صـلوا الیه من مراکز رفیعه فی الدوله العربیه فی عهد المعتصم باللّه. و قد اسـتمروا فی ایام الواثق علی ما کانوا علیه فی عهد ابیه، بل أن سیاسته تجاههم ساعدت علی ازدیاد نفوذهم و تدخلهم فی شؤون الـدوله. فانه لم یقم طیله حیاته بایه فعلیه عسـکریه یشـغلهم بها و انما اسـتخدم بعضـهم فی مناصب اداریه وسـعت لهم مجال التدخل فاتسع بذلک سلطانهم. و لسوف نری فی فصول

۱- الطبری ۹/ ۲۵۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۶۰.

۳- الطبری ۹/ ۲۵۸.

قادمه ما ترتب علی ازدیاد نفوذ الاتراک و تدخلهم من عواقب خطیره أثرت فی مسیره الدوله العربیه فی عهد العباسیین.

لقـد ولی الواثق باللّه، غـداه مبایعته بالخلافه، القائـد اشـناس من بابه الی آخر عمل المغرب(۱). و یشـمل ذلک اعمال الجزیره و بلاد الشام و ارمینیه و مصـر و شـمالی افریقیه. و ولی ایتاخ خراسان و السند و کور دجله(۲). کما ولاه اکثر اعمال اشناس عند ما توفی فی سنه ۲۳۰ ه(۳)، و اتخذ القائد وصیفا حاجبا له(۴). و خلع اشناس لقب السلطان و استخلفه علی السلطنه فی سنه ۲۲۸ ه و البسه تاجا مجوهرا و وشاحین مجوهرین(۵). فکان اول خلیفه استخلف سلطانا(۶).

و کـان الواثق بـاللّه مثـل ابیه لاـ یـألوا جهـدا فی مکافـأه قواد الأتراک و اعلاء شأنهم کلما انجزوا مهمه تناط بهم. فعنـد ما تمکن القائد وصیف من اخضاع الأکراد الذین کانوا قد تمردوا فی نواحی اصبهان و الجبال فی اواخر ایام المعتصم باللّه، و قدم الی الی سامرا و معه خمسمائه من الأسری، منحه خمسه و سبعین الف دینار و قلده سیفا(۷).

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۹.

۲- نفس المصدر.

۳- نفس المصدر/ ۴۸۱.

۴- خلاصه الذهب المسبوک/ ۲۲۵.

۵- الطبری ۹/ ۱۲۴، و المختصر فی اخبار البشر ۲/ ۳۵، و الکامل ۷/ ۹.

۶- تاریخ الخلفاء/ ۳۴۰.

۷- الطبری ۹/ ۱۴۰- ۱۴۱، و الکامل ۷/ ۲۳- ۲۴.

الا ان قوه الوزیر محمد بن عبد الملک الزیات و سیاسه الحکمه من جهه، و قوه شخصیه الواثق باللّه من جهه اخری حددت من نفوذ القواد الأتراک و سلطاتهم. بحیث استطاع الخلیفه ان یامن جانبهم و یضمن ولاءهم و ان یستفید من خدماتهم فی المیادین العسکریه الداخلیه. فقد اعتمد علیهم فی اخضاع حرکات التمرد المتتالیه التی قامت فی الجزیره العربیه.

الفصل الثانی الصراع بین المتوکل علی اللّه و الأتراک

اشاره

سبق ان اوضحنا تأثیر کبار القواد الاتراک فی اختیار المتوکل علی اللّه للخلافه، و توخیهم ان یکون طوع ارادتهم لیؤمنوا مصالحهم و یحافظوا علی مراکزهم. لما لهم علیه من منه فی رفعه الی مرکز الخلافه بعد ان کان مضطهدا مغضوبا علیه فی ایام اخیه الواثق باللّه. الا ان الاحداث اظهرت انهم کانوا و اهمین فی ذلک. اذ انه عند ما تسلم مقالید الخلافه و لمس تعاظم نفوذهم، اخذ یفکر فی العمل علی اضعاف شأنهم و الحد من سلطانهم. و الواقع انه جفاهم و اطرحهم، و حط من مراتبهم، و عمل علی الاستظهار علیهم و استئصالهم(۱). الا انه لم یکن یستطیع ذلک علانیه بالنظر لقوه مراکزهم و انقیاد الجند لهم، فاخذ یتحین الفرص المواتیه لتنفیذ سیاسته نحوهم.

و قد لمس القواد الاتراک موقف الخلیفه منهم و ما یرمی الیه من اخضاعهم، فأخذوا بدورهم یعملون جهد امکانهم علی مقاومته و عدم السماح له بالمساس بمصالحهم. فنشأ عن ذلک صراع خفی بین الطرفین، یتحین کل جانب الفرصه للایقاع بالجانب الآخر.

حتی انتهی الأمر بفشل محاولات المتوکل علی اللّه، و نجاحهم فی

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳.

التخلص منه. و من الجدير بالذكر ان نشير الى ان قتل المتوكل على اللّه وزيره محمد بن عبد الملك الزيات، كان غلطه كبيره منه، اذ ان ذلک افقده شخصيه سياسيه قويه متمرسه كانت تقف الى جانبه بوجه الطغيان التركى، و تساعد على الحد من نفوذهم. كما ان غضبه على قاضى القضاه احمد بن ابى دواد افقده ايضا شخصيه عربيه مخلصه كان يمكن ان يستفيد من خبرته و آرائه و نفوذه. و سنحاول فيما يأتى ان نتلمس نواحى الصراع المذكور و ما ادى اليه من النتائج.

۱- التخلص من القائد ايتاخ:

سبق ان اشرنا الى ان ايتاخ كان قد اشتراه المعتصم باللّه فرأى فيه شجاعه و لمس منه ولاء، فضمه الى الجيش و رفع منزلته حتى غدا من كبار قواده و قواد ابنه الواثق باللّه. فلما تولى المتوكل على اللّه الخلافه كان ايتاخ يتولى الحبس و قياده قسم كبير من الجيش يشمل المغاربه و الأتراک، و يتولى كذلک البريد و الحجابه و شؤون دار الخلافه(۱). مما جعله اقوى القاده الاتراک سلطه و اوسعهم نفوذا. بحيث ان القضاء عليه يؤثر فى تقليص نفوذ القواد الآخرين. و قد سبقت الاشاره الى موقف ايتاخ فى اختيار خلف للواثق باللّه و انه كان من مؤيدى اختيار ابن الواثق باللّه على صغر سنه، مما جعل المتوكل على اللّه يضمر له شرا. و شرب المتوكل ذات ليله و عربد على ايتاخ فهم هذا بقتله. فلما اصبح المتوكل على اللّه و قيل له بما حصل بالأمس اعتذر اليه(۲).

۱- تجارب الامم ۶/ ۵۴۲، و الطبرى ۹/ ۱۶۶۷ و فيه: كان يتولى الجيش، الا انه سبق ان اشار فى ص: ۱۶۶ الى انه بيده الحبس.

۲- الطبرى ۹/ ۱۶۷.

و يظهر من روايه الطبرى ان المتوكل على اللّه لم يعد يأمن جانب ايتاخ فاراد التخلص منه «فدس اليه من يشير عليه بالاستئذان للحج ففعل»(۱). و يؤيد ابن الاثير هذا بقوله «ثم وضع عليه من يحسن له الحج فأستأذن من المتوكل فاذن له»(۲).

الا ـ ان اليعقوبى يقول «و اتصل بالمتوكل انه كان على ايقاع الحيله به، فلما لم يمكنه ذلک طلب الحج»(۳). و مهما كان السبب فى خروجه الى الحج فان المتوكل على اللّه قد تظاهر باكرامه، فخلع عليه و صيره امير كل بلد يمر به فى طريقه، و ذلک كسبا لثقته. و لما انصرف ايتاخ عائدا من الحج اراد العوده الى سامرا عن طريق الانبار. الا ان المتوكل على اللّه كتب الى اسحاق بن ابراهيم عامله على الشرطه ببغداد يأمره بحبسه(۴). فكتب اسحاق الى ايتاخ ان امير المؤمنين قد أمره بأن يتلقاه بنو هاشم و وجوه الناس ببغداد زياده فى اكرامه. و عند ما وصل بغداد احتال عليه اسحاق فحبسه و قيده. فاقام عده ايام فى الحبس ثم مات. و يقال انه أطعم فاستسقى فمنع عنه الماء حتى مات عطشا(۵).

و قد اتقن المتوكل على اللّه تدبير القضاء على ايتاخ باختياره بغداد لاعتقاله فيها، لأن اهل بغداد كانوا يعادون الاتراک و هم الذين ارغموا المعتصم باللّه على الانتقال الى سامرا. و يقول الطبرى «لو لم يؤخذ ببغداد ما قدروا على اخذه، و لو دخل الى سامرا فاراد باصحابه قتل جميع من خالفه امكنه ذلک»(۶).

۱- نفس المصدر.

۲- الكامل ۷/ ۴۳.

۳- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۸۵.

۴- الكامل ۷/ ۴۶.

۵- الطبرى ۹/ ۱۷۰.

۶- الطبرى ۹/ ۱۶۹.

۲- انشاء جیش من العرب:

من الدلائل الواضحه علی عزم المتوکل علی اللّه علی مقاومه نفوذ الأتراک و الاستظهار علیهم محاولته تأسیس جیش یخلو من الاتراک قوادا و افرادا، و یعتمد بالدرجه الاولی علی العرب. یقول المسعودی «انه ضم الی وزیره عبید اللّه بن یحیی نحوا من اثنی عشر الف رجل من العرب و الصعالیک و غیرهم برسم المعتز و کان فی حجره»(۱). و رغم ان عبید اللّه بن یحیی بن خاقان کان ترکیا الا انه کان موالیا للخلیفه، و هو ابن اخی الفتح بن خاقان القائد الترکی المقرب جدا من المتوکل علی اللّه. لقد ادرک الاتراک خطر تألیف هذا الجیش و توسیعه، و ان نموه سیکون علی حسابهم، لا سیما و قد شعروا بضیق المال علیهم لأن قسما منه ینفق علی هذا الجیش. فاخذوا یقاومون توسعه بمختلف الوسائل، فلم یزد عدده کثیرا. اذ عند ما قتل المتوکل علی الله دخل قاده هذا الجیش علی عبید الله بن یحیی و طلبوا الیه ان یسمح لهم بمقاومه قتله الخلیفه من الاتراک و غیرهم، اختلف فی عدد افراد هذا الجیش فقال البعض انهم کانوا عشره الاف، و زاد آخرون او نقصوا(۲). یبدو ان المتوکل علی اللّه لم ینجح فی محاولته هذه بشکل یؤثر علی قوه الاتراک و نفوذهم. و یمکن القول بأن قیام المتوکل علی اللّه بتأسیس هذه الفرقه من الجیش دلیل علی نیته فی اعاده النفوذ

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۳.

۲- الطبری ۹/ ۲۲۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۷، و الکامل ۷/ ۹۹.

العربی الی الجیش، و ان هذه الفرقه ستکون نواه جیش کبیر یستطیع بواسطته ان یضع حدا لتسلط القواد الاتراک. و لکن یبدو انه کان یحذر جانب اولئک القواد و یخشی اثارتهم فلم یعهد بقیاده الفرقه المذکوره الی احد کبار القواد العرب، و انما عهد بها الی وزیره. الا ان القواد المذکورین احسوا بالخطر الذی یکمن وراء تشکیل هذه الفرقه فعملوا جهدهم علی عدم توسعها من جهه، و علی الایقاع بالمتوکل علی اللّه من جهه اخری. و قد استطاعوا ان یستمیلوا ولی العهد محمد المنتصر الی جانبهم ضد ابیه، مما سهل القضاء علیه. و بهذا تکون جریمه المنتصر مزدوجه اذ ساهم فی اغتیال ابیه، و ساعد القواد الاتراک فی تقویه مراکزهم و نفوذهم باضعاف الفرقه المذکوره و حلها. فأبقی الأتراک وحدهم اصحاب الصوله فی المیدان السیاسی و العسکری.

۳- نقل العاصمه الی دمشق:

اراد المتوکل علی اللّه الانتقال من سامرا لیبتعد عن تسلط الاتراک و تدخلهم فی شؤون الدوله. و یظهر انه اختار دمشق لتکون عاصمه له لنزعتها العربیه و خلوها من نفوذ الاتراک. کما ان کره اهل الشام لبعض العلویین مما یتفق مع میوله. و قد احتج فی انتقاله الی دمشق بسبب صحی. فقد وصف له برد هوائها و کان محرورا(۱). فأمر باصلاح الطریق و اقامه المنازل علیه للاستراحه، و اعداد القصور فی المدینه لسکناه و سکنی

۱- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۹۱.

حاشیته. فدخلها فی صفر سنه ۲۴۴ ه و عزم علی المقام بها و نقل دواوین الدوله الیها، و امر بالبناء فیها(۱).

الا ان القواد الاتراک سرعان ما ادرکوا غرضه من الانتقال الی دمشق فحرضوا جنودهم علی الشغب، فاحتجوا یطلبون باعطیاتهم و ارزاقهم، ثم جردوا اسلحتهم و رموا قصر الخلیفه بالنشاب بحیث ارتفعت السهام الی الرواق الذی یجلس فیه المتوکل علی اللّه.

فاستدعی احد القواد ممن یعتمد علیه، و هو رجاء الحضاری لیستطلع رأیه فیما حدث، فنصحه هذا بأن یأمر بدفع ارزاقهم حالا، و ان یعود الی سامرا. فأمر بدفع ارزاق الجند و ضرب الطبول للرحیل الی العراق. و یظهر ان الجند الاتراک فرحوا بذلک حیث سارعوا بالحرکه للرحیل.

و یظهر مما یرویه المسعودی ان الاتراک حاولوا ان یقتلوا المتوکل علی الله بدمشق الا انهم لم یتمکنوا من ذلک بسبب وجود القائد بغا الکبیر الی جانبه. و قد عملوا علی ابعاده عنه و خططوا للوقیعه بینهما لیعزلوا عن الخلیفه احد کبار مؤیدیه. فکتبوا الرقاع الی المتوکل علی اللّه یحذرونه من ان بغا یزمع علی الفتک به، و عینوا لذلک وقتا. ثم کتبوا الی القائد بغا بان جماعه من الاتراک عزموا علی الفتک بالخلیفه و یحثونه علی تشدید حراسته و حمایته له. و لما ذهب بغا مستعدا بحرسه للحیلوله دون الایقاع بالخلیفه، تأکد لدی المتوکل علی اللّه تصمیم بغا علی الفتک به، فاخذ یتوجس منه. و لهذا لما عاد الی سامرا ابقی بغا فی دمشق(۲). و ما ذکره الیعقوبی یؤید ما ذهب الیه المسعودی فی

۱- الطبری ۹/ ۲۰۹.

۲- تفصیل ذلک فی مروج الذهب ۴/ ۱۱۵- ۱۱۷.

سبب عوده المتوكل على اللّه الى سامرا بقوله «و بلغه عن بعض الموالى امر كرهه فشخص عن دمشق الى العراق»(۱).

و برر المتوكل على الله عودته الى سامرا بأنه «استوبأ البلد و ذلك ان الهواء بها بارد ندى، و الماء ثقيل، و الرياح تهب فيها مع العصر فلا تزال تشتد حتى يمضى عامه الليل، و هى كثيره البراغيث، و غلت فيها الأسعار، و حال التلج بين السابله و الميره»(۲). ان القسم الأول مما ذكر عن مدينه دمشق قد يكون صحيحا، و كذلك غلاء الاسعار فيها بسبب انتقال هذا العدد الكبير من الجند و بعض موظفى الدوله و حاشيه الخليفه. الا ان حيلوله الثلج بين السابله و وصول الميره الى المدينه لا يتفق و الواقع. لان المتوكل على الله دخل دمشق فى صفر سنه ۲۴۴ ه و اقام بها شهرين و اياما ثم خرج عائدا الى سامرا فوصلها فى اواخر جمادى الآخره من نفس السنه. و لا بد انه ترك دمشق فى ربيع الثانى.

و هذه الأشهر من السنه المذكوره تقابل الأشهر مايس و حزيران و تموز من السنه ۸۵۸ الميلاديه(۳). و هى من اشهر الصيف فى دمشق و لم يكن الثلج قد سقط فيها. و قد يكون الطبرى اراد ان يشير الى ان الثلج يحول بين السابله و وصول الميره فى فصل الشتاء مما لا يشجع على البقاء فى المدينه، الا انه لم يحسن التعبير عن ذلك. و نقل نص قوله المؤرخون ممن جاءوا بعده.

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۱.

۲- ۹/ ۲۱۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۲، و الكامل ۷/ ۸۵.

۳- التوفيقات الالهاميه/ ۱۲۲.

۴- تغلب القواد الأتراک:

ذکرنا فی البحث الخاص بمقتل المتوکل علی اللّه کیف ان المنتصر، عند ما تفاقم خلافه مع ابیه، اخذ یستقطب کبار القواد الاتراک حوله. و مما ساعده علی ذلک عدم اطمئنان اولئک القاده الی سیاسه المتوکل علی اللّه و نوایاه تجاههم. و قد ذکر ان المتوکل علی اللّه عزم هو و الفتح بن خاقان ان یصیرا غداءهما عند عبد اللّه ابن عمر المازیال یوم الخمیس لخمس لیال خلون من شوال ۲۴۷ ه علی ان یفتک بالمنتصر و یقتل و صیفا و بغا و غیرهما من قواد الأتراک و وجوههم(۱). و کانت نتیجه محاوله المتوکل علی الله هذه انها دفعت بالقواد المذکورین و غیرهم ممن کانوا یناصرون المنتصر ضد ابیه، الی الاسراع فی القضاء علیه قبل ان یحکم تدبیره فی الفتک بهم.

و کان من جمله الوسائل التی اتخذها المتوکل علی اللّه فی اضعاف نفوذ القواد الاتراک، ان ینتزع منهم بعض الضیاع التی اقطعت لهم فی مناسبات مختلفه. و قد ابتدأ بالقائد و صیف، فأمر فی سنه ۲۴۷ ه بانشاء الکتب بذلک، و صارت الی دیوان الخاتم لتوقیعها علی ان تنفذ فی الخامس من شعبان. فبلغ ذلک و صیفا، فزاد فی غضبه علی المتوکل علی اللّه بحیث کانت هذه الخطوه من الخلیفه السبب المباشر الذی ادی الی اغتیاله.

یتضح مما ذکرناه ان المتوکل علی الله حاول جاهدا ان یقضی علی نفوذ الأتراک او یضعفه علی الأقل، و قد اتبع لتحقیق ذلک

۱- الطبری ۹/ ۲۲۵، و تجارب الامم ۶/ ۵۵۴.

عده وسائل، و امتد صراعه معهم طيله مده خلافته. الا انه لم يستطع التغلب عليهم لسيطرتهم على الجيش، و لا شغالهم وظائف و مراكز مهمه تتيح لهم التعرف على محاولاته ضدهم، فكانوا سرعان ما يبادرون الى العمل على احباط تلك المحاولات. بل انهم لم يتورعوا عن اغتياله لما علموا بعزمه على الفتك بهم.

الفصل الثالث أيام الفتنه

۱- مقدمه:

اطمأن القواد الاـتراک بعـد ان اغتـالوا المتوکل علی الله الی عـدم وجود من يهـدد مصالحهم، او يقف بوجه مطاليبهم الماليه، او يقلص نفوذهم و سـطانهم بل نسـتطيع القول انهم ازدادوا نفوذا و تأثيرا علی الدوله و الخلفاء، فسيطروا علی الخلافه بعد المتوکل علی اللّه مده امتدت منذ خلافه المنتصـر باللّه حتی مقتل المهتدی باللّه، بحيث اصـبح الحکم الفعلی خلال هذه المده بايديهم. و قـد سادهـا صـراع عنيف بينهم و بين الخلفاء، و کثرت الفتن خلالها و اهمها قيام الحرب بين جيش المسـتعين بالله و جيش المعتز باللّه و مقتل اربعه خلفاء، حتی سماها ابن خلدون «ايام الفتنه»(۱).

کان مجی ء المنتصر باللّه الی عرش الخلافه بعد تواطئه مع القواد الاتراک علی اغتيال ابيه، کسبا کبيرا للقواد المذکورين.

۱- تاريخ ابن خلدون ۳/ ۲۹۳.

الا انهم ما لبثوا ان انقلبوا علیه بعد ان شعروا بنوایاه و ما یبیته ضدهم و قرروا قتله او التخلص منه بالسم، و قد اشرنا الی ذلک فی موضوع وفاته. و لما تخلصوا منه اجتمعت کلمتهم علی ان یبعدوا اولاد المتوکل علی اللّه الآخرین عن عرش الخلافه، بل انهم فی ایام المنتصر باللّه دفعوه الی ان یرغم اخویه المعتز و المؤید علی التنازل عن ولایه العهد. بحیث تسنی لهم ان یختاروا للخلافه من یتوسمون فیه الانقیاد لهم. فاختاروا احمد بن محمد بن المعتصم باللّه الذی لقب بالمستعین باللّه، مبررین اختیارهم له بانهم لا یرغبون فی خروج الخلافه من اولاد مولاهم المعتصم بالله.

الا ان القواد، لما اشتد خلافهم مع المستعین باللّه رغم ضعفه و استکانته، بایعوا للمعتز بالله بن المتوکل علی الله، لأنهم توقعوا انه سیکون طوع ارادتهم. و تجاهلوا الخلیفه القائم الذی فر الی مدینه السلام. مما نشأ وضع شاذ فی رئاسه الدوله العربیه، و ذلک بوجود خلیفتین فی وقت واحد، فقام الصراع بینهما و نشبت الحرب بین جیش المستعین بالله و جیش المعتز بالله، ثم انتهت وفق ما یرغب به کبار القواد الاتراک الذین کانوا اضطروا المستعین بالله علی الهرب الی بغداد، ثم التنازل عن الخلافه للمعتز بالله، و ما لبثوا ان اقنعوا المعتز بالله بقتله.

و لما تحقق للقواد المذکورین عجز المعتز بالله عن سد حاجتهم المستمره الی المال بادروا الی خلعه و اختیار محمد بن الواثق باللّه الذی عرف بزهده و عزوفه عن بهرجه الخلافه و مباهج الحیاه، و طمعوا ان یجدوا فیه اداه طیعه لتلبیه رغباتهم. الا انهم لما لمسوا حرصه الزائد علی اموال الأمه، و عمله فی نشر العدل، و محاسبته موظفی الدوله، ثاروا علیه و قتلوه. و اختاروا للخلافه

المعتمد علی اللّه الذی کان منهمکا فی ملذاته اکثر من اهتمامه بشؤون الدوله. و توقعوا ان سیکون لهم المجال واسعا فی عهده للاستئثار بالسلطه و جر المغانم و حیازه الاموال. الا ان ابا احمد الموفق وقف الی جانب اخیه الخلیفه و ضرب علی ایدیهم و کفهم عن العبث بشؤون الدوله. و هو و ان استأثر بالسلطه دون اخیه، استطاع ان یستعید للخلافه هیبتها و للدوله العربیه سطوتها و سلطانها، فانهی عهد الفتنه التی سیطر خلالها الاتراک علی شؤون الدوله، و اثروا تأثیرا سیئا فی مسیرتها.

و سنحاول فیمایلی من الصفحات ان نستعرض علاقه القواد الأتراک بخلفاء هذه المده لنتلمس نواحی قوتهم و ضعف هؤلاء الخلفاء. مع الاشاره الی مظاهر الصراع الذی استمر طیله المده المذکوره بین الطرفین، و الذی کان ینتهی دوما بانتصار القواد الاتراک، حتی استطاع الموفق ان یضع حدا لتسلطهم طیله وجوده فی الحکم الی جانب اخیه الخلیفه.

۲- المنتصر باللّه یتنکر للاتراک:

اتخذ المنتصر باللّه موقف الحذر من القواد الأتراک و العمل علی تفریق کلمتهم و اضعاف شأنهم بل و الانتقام منهم. و کانت سیاسته هذه قد کلفته حیاته. اذ ان نجاح مؤامرتهم فی قتل المتوکل علی الله زاد من نفوذهم و تسلطهم علی شؤون الخلافه، و اضعف النفوذ العربی فی الدوله. و کان هؤلاء القواد اول من بایع الخلیفه الجدید حلیفهم فی المؤامره، مما جعلهم یعتقدون بأن لهم الفضل فی تولیه الخلافه. و تأییدا لسلطتهم علیه انهم استطاعوا

ان يرغموه على خلع اخويه من ولايه العهد لكى يأمنوا انتقام اولاد المتوكل على الله الآخرين اذا ما تولى احدهم الخلافه.

الا ان المنتصر بالله، و قد ساهم فى مؤامره اغتيال ابيه، أخذ يشعر بتأنيب الضمير، فلا تغيب ذكراها عن ذهنه. كما لا تغيب صوره ابيه عن باله، حتى انه رآه اكثر من مره فى منامه يعاتبه و يعنفه، مما نغص عليه عيشه و اسلمه الى الكآبه و اليأس.

و اخذ يحس كأنه خسر الدنيا و الاخره. و كثيرا ما صرح بما كان يقاسيه من آلام نفسيه. و لذلك كان يشعر بكره طاغ تجاه هؤلاء القواد الذين زينوا له الاشتراك فى المؤامره، و بخاصه اولئك الذين تولوا قتل ابيه. و يود لو انه ينتقم منهم ليكفر عن خطيئته بحق ابيه. فكان اذا سكر قال عنهم هؤلاء قتله الخلفاء و اكثر من تهديدهم(۱). و يظهر انه كان عزم على الفتك بهم فقد قال للفضل بن المأمون. قتلنى اللّه ان لم اقتلهم و افرق جمعهم بقتلهم المتوكل على اللّه(۲). فأخذ يغتنم الفرص للايقاع بهم. و عند ما اقترح عليه وزيره احمد بن الخصيب اخراج القائد وصيف على رأس جيش لحرب الروم، اغتنم هذه الفرصه للتخلص من احد كبار قوادهم.

و كانت العلاقه بين الوزير ابن الخصيب و القائد وصيف قد ساءت، و لكى يأمن الوزير شر وصيف و تدخله فى اعماله، رأى ان خير وسيله لذلك ابعاده عن حاضره الخلافه. فأشار على الخليفه بافتراحه المذكور. فتظاهر المنتصر بالله بالاهتمام بموضوع احباط نيه الاعتداء و استطاع ببراعته ان يقنع وصيفا

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۲.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۴، و شذرات الذهب ۲/ ۱۱۹.

بـالخروج. اذ قال له انه بلغه ان طاغيه الروم قـد اقبل يريـد الثغور العربيه، و هو ما لا يمكن السـكوت عليه، و لا بـد من رده بحمله عسـكريه توجه اليه، و ان لا مناص من ان يخرج بنفسه على رأس حمله للجهاد فى سبيل اللّه، ان لم يخرج على رأسـها احد كبار قواده. فقال وصيف بل انا اشخص يا امير المؤمنين. فاوعز المنتصر باللّه الى وزيره ان يبادر فورا الى تجهيز الحمله، و ان يبذل كل جهوده فى تآمين جميع ما تحتاجه. و كتب بنفس الوقت الى خليفته ببغداد محمد بن عبد الله بن طاهر يعرفه توجيهه وصيفا للروم و يعلمه بخروج حملته الى ثغر ملطيه، و يـأمره بـان يبلـغ عمـاله فى نـواحى عمله بكتـاب امير المـؤمنين لقراءته على من قبلهم من المسـلمين و ترغيبهم فى الجهاد و استنفارهم اليه، و الانفاق فى سبيل اللّه. و ينوه بفضل منزله المجاهدين على القاعدين، و يدعو الى بـذل النفوس و الامـوال لا علاء كلمه اللّه. و جاء آخر الكتاب «و قـد رأى امير المؤمنين- لما يحبه من التقرب الى اللّه بجهاد عدوه .. ان ينهض وصـيفا مولى امير المؤمنين فى هذا العام الى بلاد اعداء اللّه الكفره الروم، غازيا لما عرف الله امير المؤمنين من طـاعته و مناصـحته و محمـود نقيبتـه و خلـوص نيته، فى كـل مـا قر به من اللّه و من خليفته. و قـد رأى امير المـؤمنين- و الله ولى معونته و توفيقه- ان تكون موافاه وصيف فيمن انهض امير المؤمنين معه من مواليه و جنوده و شاكريته ثغر ملطيه .. فأعلم ذلک و اكتـب الى عمالـک على نـواحى عملـک بنسـخه من كتـاب امير المـؤمنين هـذا، و مرهـم بقراءته على من قبلهم من المسـلمين و ترغيبهم فى الجهـاد، و حثهم عليه و اسـتنفارهم اليه، و تعريفهم مـا جعـل اللّه من الثواب لأـهله، ليعمـل ذووا النيـات و الحسـبه و الرغبه فى الجهاد على حسب ذلک فى

النهوض الی عدوهم، و الخفوف الی معاونه اخوانهم و الذیاده عن دینهم و الرمی من وراء حوزتهم، بموافاه عسکر وصیف مولی امیر المؤمنین ملطیه»(۱).

و کان غرض الخلیفه الرئیس من اخراج هذه الحمله الکبیره للغزو ابعاد القائد وصیف عن التدخل فی شؤون الخلافه، و اضعاف نفوذ القواد الاتراک بنفس الوقت. و مع هذا بقی المنتصر بالله یتوجس خیفه من هؤلاء القواد، و یرهب جانبهم لسیطرتهم علی الجیش و یخاف ان یتآمروا علیه کما تآمروا علی ابیه من قبل. و رغم تکتمه فی العمل علی تفریق کلمتهم و مناوراته فی ذلک فقد ظهر منه ما یدل علی انه ینوی بهم شرا، و یحاول ان یتنصل من الاشتراک فی المؤامره علی ابیه لیحملهم کامل المسؤولیه. و قد روی عنه انه قال(۲):

لو یعلم الناس الذی نالنی فلیس لی عندهم عذر

کان الی الأمر فی ظاهرو لیس لی فی باطن امر

کما یحتمل قول هذا شکواه من تسلطهم بحیث لم یبق له من الخلافه سوی مظاهرها.

ان موقف المنتصر باللّه هذا من الاتراک دفعهم الی الاسراع فی العمل علی التخلص منه قبل ان یتمکن هو منهم. لأنهم لما علموا

۱- نص الکتاب فی الطبری ۹/ ۲۴۱- ۲۴۳.

۲- فوات الوفیات ۲/ ۳۷۳.

بسوء نیته فیهم و انه یعمل علی التدبیر علیهم، بادروه بذلک(۱).

الا ان هیبه المنتصر بالله و شجاعته و یقظته و شده تحرزه حالت دون ان یتمکنوا من اغتیاله(۲). و لذلک عمدوا الی التخلص منه بالسم. و سبق ان ذکرنا ذلک فی الموضوع الخاص بوفاته. و بذلک انتصر القواد الاتراک علی المنتصر باللّه.

۳- المستعین بالله و الاتراک:

انقسم القواد الاتراک اثر مبایعه المستعین بالله الی کتلتین متناحرتین تتنازعان علی السلطه و حیازه الاموال. و کان لهذا الانقسام سببان مهمان، اولهما استیلاء القائد اوتامش، و هو ابن اخت القائد بغا الکبیر، علی السلطه و احتوائه الاموال دون بقیه القواد. فقد استوزره المستعین بالله عند ما تولی الخلافه و اطلق یده و ید شاهک الخادم فی بیوت الاموال. و فعل الخلیفه مثل ذلک مع امه فتیان فلم یمنعها من شی ء تریده. فکانت الاموال التی ترد الی بیت المال یصیر معظمها الی هؤلاء الثلاثه، و ما یفضل عن ذلک یترک لأوتامش ایضا لینفقه علی العباس بن المستعین بالله الذی کان فی حجره. فاحتوی اوتامش بذلک علی کثیر من الاموال و الضیاع. مما اثار حفیظه عدد من کبار قواد الاتراک و بخاصه وصیف و بغا الصغیر. فأخذا یعملان علی الایقاع به. و استطاعا ان یثیرا علیه قسما کبیرا من الجند فهاجموه و هو فی الجوسق مع الخلیفه، و ذلک فی منتصف ربیع الآخر سنه ۲۴۹ ه، فقبضوا علیه و قتلوه، و قتلوا معه کاتبه شجاع بن القاسم، و انتهبوا دور

۱- التنبیه و الاشراف/ ۳۱۴.

۲- تاریخ الخلفاء/ ۳۵۷.

اوتامش و اخذوا منها اموالا جمه. «و يقال ان ذلک جرى بموافقه المستعين بالله(۱)».

و فى احدى قصائد البحترى فى مدح المستعين باللّه يشير الشاعر الى قتل اوتامش و كاتبه لتماديهما فى الاستيلاء على الاموال العامه، و افسادهما الحكم، و ظلم الرعيه و اضطهادهما، كما يشير الى نقمه قسم من الأتراك عليهما، منها قوله(۲):

لقد نصر الامام على الاعادى و اضحى الملک موطود العماد

و عرفت الليالى فى (شجاع)و (تامش) كيف عاقبه الفساد

تمادى منهما غى فلجاو قد تردى اللجاجه و التمادى

و ضلا فى معانده الموالى فما اغتبطا هناک بالعناد

برار فى اقتطاع المال جم و سعى فى فساد الملک باد

بهضم للخلافه و انتقاص و ظلم للرعيه و اضطهاد

أمير المؤمنين اسلم فقد مانفيت الغى عنا بالرشاد

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۶.

۲- كامل القصيده فى ديوان البحترى ۱/ ۵۲۴- ۵۲۶.

تدارک عدلک الدنیا فقرت و عم نداک آفاق البلاد

اما السبب الثانی لانقسام الأتراک فکان مقتل باغر الترکی الـذی کان علی رأس الزمره التی اغتالت المتوکل علی اللّه، فزیـد فی ارزاقه، و اقطع عـددا من الضـیاع. و کـان ممـا اقطع بعض القری بسواد الکوفه. فوثب رجـل من اهـل تلـک النـاحیه بوکیل یاغر، فحبسه هذا و قیده. فشـکی الرجل امره الی القائد بغا الشـرابی، و کان باغر احد قواده، فانتصف له و کف ید باغر و وکیله عنه، و ذلـک بتـأثیر کـاتبه دلیـل بن یعقوب النصـرانی. فغضب بـاغر و بیت لبغا و دلیل شـرا. فجمع الیه الفئه التی کانت شارکته فی قتل المتوکل علی اللّه، و غیرهم من مؤیدیه و اصـحابه و ناظرهم و تأکد من تأییدهم له، و قال لهم «الزموا الدار حتی نقتل المسـتعین و وصـیفا و بغا، و نجی ء بعلی بن المعتصم باللّه او ابن الواثق باللّه، فنقعـده خلیفه، حتی یکون الامر لنا کما هو لهـذین اللذین قد اسـتولیا علی امر الدنیا، بقینا نحن فی غیر شی ء، فأجابوه الی ذلک»(۱). و انتهی الأمر الی المسـتعین باللّه فبعث الی وصیف و بغا و قال لهما «ما طلبت الیکما ان تجعلانی خلیفه، و انما جعلتمانی و اصـحابکما، ثم تریدان ان تقتلانی»(۲). فحلفا له انهما ما علما بذلک. و اتفق رأیهم علی اخذ باغر و رجلین من اصحابه من الأتراک و حبسهم. فاحضروا باغرا و حبسوه. فلما بلغ الخبر

۱- ۹/ ۷۷۹- ۲۸۰، و الکامل ۷/ ۱۳۸.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۰ و الکامل ۷/ ۱۳۹.

مؤیدیه و اتباعه وثبوا علی اصطبل الخلیفه فانتهبوه و رکبوا ما فیه من الخیل و الدواب، و حضروا الی الجوسق بالسلاح لانقاذه.

الا ان اتباع وصیف و بغا قتلوا باغرا. فثار اتباعه و حاصروا المستعین باللّه و وصیفا و بغا فی دار الخلافه، فخاف الخلیفه و القواد المناصرین له علی انفسهم، فرکبوا حراقه خفیفه اعدها لهم میسان ملاح الخلیفه فصاروا الی بغداد. و صحب الخلیفه اضافه الی القائدین المذکورین، بعض رجاله و افراد حاشیته، منهم شاهک الخادم، و احمد بن صالح بن شیرزاد کاتب وصیف، و احمد بن اسرائیل. فوصلوها فی یوم الأربعاء لأربعه او خمسه خلت من المحرم سنه ۲۵۱ ه(۱). فنزل الخلیفه فی دار محمد بن عبد اللّه ابن طاهر. ثم التحق به بعض القواد الأتراک، وجله الکتاب و العمال و بنی هاشم.

و قال الشاعر ابو علی الیمانی فی شخوص المستعین باللّه الی بغداد(۲):

ما زال الا لزوال ملکه و حتفه من بعده و هلکه

و کأنه تنبأ بمصیر المستعین باللّه. فقد خسر الخلافه و خسر حیاته بانتقاله من عاصمه ملکه سامرا و لجوئه الی بغداد.

اضطرب الأتراک الذین بقوا فی سامرا، فمنعوا الناس من الانحدار الی بغداد. و ذکر انهم اخذوا ملاحا اکری سفینته فضربوه مائتی سوط و صلبوه علی دقل السفینه. فامتنع اصحاب

۱- الطبری ۹/ ۲۸۳، و تاریخ بغداد ۵/ ۸۴، و الکامل ۷/ ۱۴۱.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۲.

السفن من الانحدار، الا سرا(۱). ثم اتفقوا على ضروره اعاده الخليفه الى سامرا، و قرروا ان يبعثوا اليه وفدا منهم يسألونه العوده الى دار ملكه. فصار اليه عده من كبار قادتهم منهم كلباتكين و بايكباك. و يقال انهم اخذوا اليه البرد و القضيب و بعض الخزائن و مائتى الف دينار(۲). و عند ما قابلوه سألوه ان يصفح عما بدر منهم و من اتباعهم من خلاف، فأجابوهم بما يكرهون، فقال لهم «انتم اهل بغى و فساد و استغلال للنعم الم ترفعوا الى فى اولادكم فالحقتهم بكم .. و فى بناتكم فامرت بتصييرهن فى عداد المتزوجات .. و ادررت لكم الارزاق حتى كان لكم آنيه الذهب و الفضه .. كل ذلك اراده لصلاحكم و رضاكم، و انتم تزدادون بغيا و فسادا»(۳). فاعترفوا بخطأهم و سألوه العفو، فعفا عنهم.

فقال له القائد بايكباك «فان كنت رضيت عنا و صفحت فقم فاركب معنا الى سامرا، فان الاتراك ينتظرونك»(۴) فاحتج محمد بن عبد اللّه على طريقه مجادله الخليفه فاوعز لأحد اتباعه فلكن بايكباك. فضحك المستعين باللّه قائلا ان هؤلاء عجم لا معرفه لهم باصول الكلام. و امر بايكباك و جماعته ان يصيروا الى سامرا، و اكد لهم ان ارزاقهم ستستمر، و انه سينظر فى امر مقامه ببغداد او عودته الى سامرا.

عاد القواد الاتراك الى سامرا و قد يئسوا من عوده الخليفه اليها، فاجمعوا على خلعه و مبايعه المعتز باللّه بن المتوكل على اللّه. و قد سبق ان اوضحنا ذلک فی سیره المعتز بالله.

۱- الطبری ۹/ ۲۸۲، و تجارب الامم ۶/ ۵۷۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۶۲.

۳- الطبری ۹/ ۲۸۳.

۴- الطبری ۹/ ۲۸۴، و الکامل ۷/ ۱۴۲.

۴- الحرب بين جيش المستعين باللّه و جيش المعتز باللّه:

اشاره

ان مبايعه المعتز باللّه بالخلافه فى سامرا مع وجود الخليفه الأصلى فى بغداد اوجد وضعا غريبا فى الخلافه العباسيه ادى الى نشوب الحرب بين انصار الخليفتين، اى بين جيش المستعين باللّه و جيش المعتز باللّه. فعند ما بلغ امير بغداد محمد بن عبد الله ان الأتراك فى سامرا نقضوا بيعه المستعين باللّه و بايعوا المعتز باللّه، أمر بقطع الميره عن اهل سامرا، فمنع السفن او اى شى ء من الميره من ان ينحدر من الموصل اليها، او ان يصعد نحوها شى ء من ذلك من بغداد.

و امره المستعين باللّه بتحصين بغداد، فنشط لاحاطه المدينه بجانبيها بسور. و كان السور فى الجانب الشرقى يبدأ من باب الشماسيه على ضفه دجله من فوق قصر المهدى، و هو على هيئه ربع دائره تبدأ من باب بردان و تنتهى عند باب خراسان. فكان السور يحيط بمحلتى الرصافه و الشماسيه، ثم ينعطف بهيئه ربع دائره ليشمل محله المخرم حتى يصل الى دجله ثانيه عند باب سوق الثلاثاء. اما فى الجانب الغربى فكان السور يبدأ من فوق باب قطيعه زبيده مشتملا على الفرضه العليا حتى يمر بباب قطربل متبعا خندق طاهر حتى باب الأنبار، و هو بهيئه نصف دائره كبيره يشتمل على مدينه المنصور، و قسم من الكرخ حتى يصل الى دجله خلف باب البصره تحت الموضع الذى يصب فيه نهر الصراه. و رتب على كل باب من ابواب السور قائدا على رأس ثله من الجند، و حفر الخنادق حول السورين كما يدوران فى الجانبين. و اقام مظلات يأوى اليها الفرسان فى الحر و المطر. و بلغت النفقه فيما

ذکر علی السورین و حفر الخنادق و اقامه المظلات ثلاثمائه و ثلاثین الف دینار(۱).

و جعل علی باب الشماسیه من الخارج بابا سمیکا معلقا قد البس بصفائح الحدید و شد بالحبال، فاذا ما وافی احد ذلک الباب ارسل علیه الباب المعلق فیسقط علیه و یقتله. کما نصب علی جمیع ابواب السور العرادات و المجانیق، و علیها ما تحتاجه من الرجال(۲). و من هذا یظهر ان المستعین باللّه اتخذ موقف المدافع فیما اذا هاجمته جیوش سامرا.

و قبل ان تبدأ الحرب جرت بین المعتز باللّه و محمد بن عبد الله مکاتبات، دعا فیها المعتز بالله محمدا الی خلع المستعین بالله و مبایعته، و ذکره بعهد ابیه المتوکل علی اللّه له بالخلافه بعد اخیه المنتصر بالله. و دعا محمد بدوره المعتز باللّه الی الأوبه الی طاعه المستعین بالله. و احتج کل منهما علی صاحبه فیما یدعوه الیه بما یراه حجه له تسنده ضد خصمه.

کما کتب المستعین باللّه الی عمال الخراج بکل بلده ان یحملوا الأموال الیه فی بغداد و الا یحملوا شیئا منها الی سامرا. و امر بالکتابه الی القواد و الجند الاتراک بسامرا یأمرهم بنقض بیعه المعتز باللّه، و الوفاء ببیعتهم له، و ینهاهم عن معصیته و نکث بیعته»(۳).

بدایه الحرب و حصار بغداد:

عقد المعتز باللّه لأخیه ابی احمد الموفق لسبع بقین من المحرم سنه ۲۵۱ ه علی حرب المستعین باللّه، و ضم الیه جیشا بقیاده

۱- الطبری ۹/ ۲۸۷، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۰.

۲- الطبری ۹/ ۲۸۸، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۰.

۳- الطبری ۹/ ۲۸۸- ۲۸۹، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۱.

کلباتکین. فتجمع فی القاطول خمسه الاف من الأتراک و الفراغنه، و الفان من المغاربه، فسار الجیش حتی وافی عکیرا(۱).

و لما بلغ المستعین باللّه تحرک جیش المعتز بالله نحو بغداد ولی القائد الحسین بن اسماعیل مهمه الدفاع عن باب الشماسیه باعتباره الباب الرئیس للمدینه. و قبل ان تبدأ المعارک بین الجانبین امر محمد بن عبد الله بحشد جیش بغداد فی القفص(۲)، لیرهب الجیش المهاجم، و رکب معه وصیف و بغا فی الدروع، و استصحب معه الفقهاء و القضاه، و بعث الیهم یدعوهم الی الرجوع عما هم علیه من الطغیان و العصیان و انه یبذل لهم الأمان، و ان یکون المعتز باللّه ولی العهد بعد المستعین بالله فلم یجیبوا(۳).

اهم المعارک:

اشاره

جرت بین الجانبین مناوشات و معارک عدیده کانت الحرب فیها سجالا بینهما لم تسفر عن انتصار حاسم لأحدهما. فکانت حرب استنزاف للطرفین. حتی اضطر فی الأخیر جیش بغداد علی الاستسلام بسبب ما قاسته مدینه بغداد من جراء حصارها.

و سنقتصر علی ذکر اهم المعارک من حیث نتائجها و کثره الجیوش المشترکه فیها.

۱- الطبری ۹/ ۲۹۰، و تجارب الامم ۶/ ۵۸۲، و الکامل ۷/ ۱۴۵، و فیه کان جیش الاتراک و الفراغنه خمسین الفا.

۲- القفص: قریه بین بغداد و عکبرا و هی الی بغداد اقرب، و کانت من مواطن اللهو. معجم البلدان ۴/ ۳۸۲.

۳- الطبری ۹/ ۲۹۲، و الکامل ۷/ ۱۴۷.

معرکه الشماسیه:

وافی قسم من جیش المعتز بـاللّه الشماسـیه لیله الأحـد لسـبع خلون من صـفر، فرماهم حماه الباب بالسـهام و المجانیق و العرادات، فوقع کثیر من القتلی و الجرحی بین الجانبین. و لما رأی جند سامرا تکاثر جیش المستعین باللّه علیهم انسحبوا الی معسکرهم(۱).

معرکه النهروان:

اتصـل بـابن طاهر ان جمعا من جنـد المعتز بالله صاروا الی ناحیه النهروان، فوجه الیهم ما ینوف علی الف فارس و راجل و علیهم قائـدان، فهـاجمهم جیش المعتز بالله و هزمهم، و انصـرف من نجا منهم الی بغـداد. و سـیطر جیش المعتز بالله علی طریق بغـداد- خراسان، و هو الطریق الذی یربط بغداد بالولایات، الشرقیه(۲).

معرکه قطربل:

وجه المعتز بالله جیشا آخر من الاتراک و الفراغنه و المغاربه الی بغداد، و علیه القائدان الدرغمان الفرغانی و ربله المغربی.

فاجتاز الجیش قطربل(۳) قاصدا بغداد من الجانب الغربی، و عسکر عند قطیعه ام جعفر، و ذلک فی یوم الثلاثاء لاثنتی عشره لیله بقیت من صفر. فوجه ابن طاهر ثلاثه من کبار قواده هم الشاه بن میکال، و بندار، و خالد بن عمران، و معهم اصحاب من

۱- الطبری ۹/ ۲۹۱- ۲۹۲ و الکامل ۷/ ۱۴۵- ۱۴۶.

۲- الطبری ۹/ ۲۹۴، و الکامل ۷/ ۱۴۷.

۳- هی قریه شمالی بغداد، بینها و بین عکبرا- معجم البلدان ۴/ ۳۷۱.

الفرسـان و الرجاله. فاشـتبک الجانبان فی الیوم التالی بمعرکه عنیفه انتصـر فیها جیش المسـتعین بالله و قتل و غرق کثیر من جنود جیش المعتز بـالله و أسـر آخرون منهم، و عبر قسم من المنهزمین الی معسـکر ابی احمـد فی الجـانب الشـرقی. و ذکر انهم کانوا اربعه الآـف فقتل منهم الفان(۱). فـاعتبر ذلـک انتصـارا للمسـتعین باللّه، و کتب به بیان قری ء علی اهل بغـداد فی جامعها، و هو بمثابه بیان حربی مسـهب یشـیر الی خروج جماعه ضاله نکثت بیعه الخلیفه و ناصرت غیره، و ان هؤلاء الناکثین جمعوا جموعهم من الاـتراک و الفراغنه و سـاروا نحو مـدینه السـلام معلنین البغی، فهزموا عنـد باب الشماسـیه، الا انهم اسـتنهضوا جیشا آخر من سـامرا. و لم تزل الحرب بین الموالین لأـمیر المؤمنین المسـتعین باللّه و الفرقه الضاله حتی انزل الله بهم البوار و احل علیهم النقمه فولوا منهزمین مغلولین(۲).

ثم اسـتأنف جیش المعتز بالله بعد فشله فی معرکه قطربل، الهجوم علی باب الشماسیه و باب البردان، فرد علی اعقابه بعد ان خسر عـددا غیر قلیل من القتلی و الجرحی، فهاج الغوغاء فی سامرا اثر هـذه الهزائم، و اعتبروها ضـعفا فی امر المعتز بالله، فانتهبوا سوق اصـحاب الحلی و السـیوف و الصـیارفه و اخذوا جمیع ما وجدوا فیها من متاع و اموال. و یظهر ان اهل سامرا ملوا الحرب فاخذوا یعلنون احتجاجهم علی استمرارها، و لا سیما عند وصول الاسری و رؤوس القتلی من بغداد. مما اضطر المعتز باللّه

۱- الطبری ۹/ ۲۹۵.

۲- کامل البیان فی الطبری ۹/ ۲۹۶- ۳۰۳.

ان یأمر بتغطیه وجوه الاسری، و ان یمنح کلا منهم دینارین، و ان تدفن الرؤوس(۱).

و لما طالت الحرب دون نتیجه و اظهر اهل سامرا تذمرهم من استمرارها کتب المعتز بالله الی اخیه الموفق یلومه علی تقصیره فی قتال اهل بغداد. فکتب الیه الموفق ما سبق ان قاله الشاعر علی بن امیه فی حرب الأمین و المأمون(۲):

لأمر المنایا علینا طریق و للدهر فیه اتساع و ضیق

فایامنا عبر للانام فمنها البکور و منها الطروق

الی ان یقول:

فبالله نبلغ ما نرتجیه و باللّه ندفع ما لا نطیق

معرکه الأنبار:

وقعت بالقرب من الانبار معرکتان مهمتان کان النصر فیهما لجیش المعتز باللّه. فقد وجه محمد بن عبد الله بن طاهر الی الانبار جیشا علیه القائد نجوبه بن قیس(۳)، لیحول دون وصول جیش سامرا من جهتها. فبثق الماء من الفرات الی خندق المدینه و قطع القناطر التی توصل الیها. و سبق لأبن طاهر ان امر بکسر القناطر و بثق المیاه بطسوج الأنبار و ما قرب منه من طسوج:

۱- الطبری ۹/ ۳۱۳، و الکامل ۷/ ۱۵۱.

۲- تتمه الابیات فی الطبری ۹/ ۳۱۶، و الکامل ۷/ ۱۵۲- ۱۵۳.

۳- فی الاصل بحونه، الا انه جاء فی الصحیفتین ۲۸۷ و ۲۸۹ من نفس الکتاب، و فی الکامل ۱۴۳ و ۱۵۳، نجوبه.

بادوریا لیقطع الطریق علی جیش سامرا اذا ما ورد الأنبار[1].

ثم استمد القائد نجوبه قوه اخری لیعزز جیشه، فندب الیه ابن طاهر قوه اخری علیها القائد رشید بن کاوس، اخو الأفشین قائد جیش المعتصم باللّه.

و کان المعتز باللّه قد ارسل من سامرا جیشا علی رأسه ابو نصر محمد بن بغا الکبیر للاستیلاء علی الأنبار، فباغت ابو نصر جیش ابن کاوس فهاجمه و هزمه. فلما بلغ نجوبه ما لقیه الجیش الذی ارسل مددا له، عبر النهر بقسم من جیشه و قطع جسر الأنبار، فوصل بغداد و اعلم ابن طاهر بمصیر جیش ابن کاوس.

فوجه ابن طاهر القائد الحسین بن اسماعیل مع عدد من القواد الآخرین الی الانبار لایقاف زحف جیش سامرا.

و عند ما هزم جیش ابن کاوس و تنحی نجوبه عن الانبار، و رأی اهلها تقدم جیش المعتز بالله نحو المدینه، طلبوا الأمان و سمحوا للجیش المذکور بدخولها. و کانت قد وصلت الی الانبار فی هذه المده عدد من السفن من الرقه علیها دقیق و زیت و ابل و دواب اخری، فاستولی جند المعتز باللّه علیها، و وجهوا ما بها و بالاسری الی سامرا. و یظهر ان الحسین بن اسماعیل الذی ارسل لانقاذ مدینه الأنبار کانت تنقصه الکفایه العسکریه، فلم یحسن اختیار الموقع الذی نزله بجیشه. بحیث انه عند ما اشتبک بجیش سامرا هزم و جیشه هزیمه شنیعه، و احتوی جند سامرا جمیع ما فی عسکره من المضارب و السلاح و الأثاث و صنادیق الأموال. و عاد الحسین مع من هزم معه من القاده و الجنود الی الجانب الغربی من

۱- الطبری ۹/ ۲۸۹.

بغداد. و لما اتصل خبر هذه الهزيمه بابن طاهر منع المنهزمين من العبور الى الجانب الشرقى من المدينه، و نودى فيمن دخلها من جند الحسين ان يلتحقوا بمعسكره. و قد وبخ ابن طاهر الحسين و امره بجمع فلول جيشه و العوده الى الأنبار ليحارب عنها ثانيه.

عاد الحسين بن اسماعيل الى الأنبار فنزل باصحابه موقعا يسمى «دمما» و هو قريه كبيره على نهر الفرات عند الفلوجه شرقى الفرات(۱). ثم عبر جدولا صغيرا رغم مقاومه جيش المعتز باللّه. على ان هذا الجيش قام بهجوم عبر فيه نهر الفرات، و كان الحسين قد تهاون بامر عبوره لعدم تقديره قوته، فتكاثر عليه و هزمه للمره الثانيه، بعد ان قتل و اسر من جيشه اعداد كثيره، مما اضطره على العوده الى بغداد بفلول جيشه المهزوم(۲).

الوضع الداخلى فى بغداد:

كان الأمراء من بنى هاشم الموجودون ببغداد قد تذمروا من معامله محمد بن عبد اللّه لهم، و اهماله شؤونهم و تأخيره ارزاقهم، مما دفع بعضهم الى ان يلتحق بالمعتز بالله مع من كان قد التحق به من الكتاب و القواد، منهم على و محمد ابنا الواثق بالله، و محمد ابن هارون بن عيسى بن جعفر و محمد بن سليمان من ولد عبد الصمد بن على(۳). اما الذين بقوا ببغداد فقد صاحوا بالمستعين باللّه، و تناولوا ابن طاهر بالشتم القبيح و قالوا «قد منعنا

۱- معجم البلدان ۲/ ۴۷۱.

۲- راجع عن تفصيلات معركتى الانبار: الطبرى ۹/ ۳۲۱- ۳۲۶.

۳- الطبرى ۹/ ۳۲۶.

ارزاقنا .. فان دفعت الينا ارزاقنا و الا قصـدنا الابواب ففتحناها و ادخلنا الاتراک فليس يخالفنا احـد من اهل بغداد»(۱). و قد عجز ابن طاهر عن ترضيتهم، مما زاد فی حنقهم عليه و علی المستعين باللّه.

كما ان حصار المـدينه اشـتد علی سـكانها فاخذوا يتذمرون و يشـكون القحط و غلاء الأسـعار «و صاحوا فی اول ذی القعده يوم الجمعه: الجوع و مضوا الی الجزيره التی هی تلقـاء دار ابن طاهر ليسـمعوه صـراخهم و احتجاجهم»(۲). و اجتمع فی اواخر الشـهر المـذكور «قوم من رجاله الجنـد و كثير من العامه، فطلب الجنـد ارزاقهم، و شـكت العامه سوء الحال التی هم عليها من الضـيق و غلاء السعر و شده الحصار»(۳).

و حاول ابو احمـد قائـد جيوش المعتز بالله ان يقتحم سور بغداد. فبعث فی يوم الخميس لاثنتی عشـره ليله خلت من شـعبان حمله لمهاجمته من ابواب الشماسـيه و بغواريا و الأنبار. و قـد اسـتطاع قسم من رجال الحمله الذين هاجموا باب بغواريا ان ينقبوا السور فی موضـعين تـدفق منهما الجند الی داخل المدينه. كما ضـرب قسم آخر من رجال الحمله باب الأنبار بالنار فاحرقوه و احرقوا ما كان عليه من المجانيق و العرادات، و دخلو المدينه ايضا. اما باب الشماسيه فقد استعصی علی الجند الذين وجهوا اليه. و شعر ابن طاهر بخطر هذا الهجوم فركب علی رأس قواده.

و استثار الجند و الناس. و وجه القائدين وصيفا و بغا الی باب

۱- نفس المصدر/ ۳۲۷.

۲- الطبری ۹/ ۳۲۵.

۳- نفس المصدر/ ۳۲۶.

بغواريـا، و القائـدين الشـاه بن ميكـال و الحسـين بن اسـماعيل الى بـاب الأنبـار فالتقوا بمن دخل المـدينه من جيش المعتز بالله و تكاثروا عليهم فطردوهم و ردوهم على اعقابهم بعد ان قتلوا و جرحوا و اسروا اعدادا منهم(۱).

و يظهر ان محمـد بن عبد اللّه اخذ يشـعر بضـعف مقاومه جيش المسـتعين بالله و فتور حماسه للقتال. فحاول ان يثير عزائم قواده، فجمـع المكلفيـن منهم بـابواب بغـداد و غيرهم و شـاورهم فى امر اسـتمرار الحرب بعـد مـا اصـابهم من و هن و ضـعف، فأبـدوا اسـتعدادهم لبذل النفس و الدم و المال. فادخلهم على المستعين بالله، و علمه بما ناظرهم به و ما ردوا عليه من الجواب. فقال لهم «و الله يا معشـر القواد لئن قاتلت عن نفسـى و سلطانى ما اقاتل الا عن دولتكم و عامتكم، و أن يرد الله اليكم اموركم قبل مجى ء الاـتراك و اشـباههم، فقـد يجب عليكم المناصـحه و الجهـد فى قتـال هؤلاـء الفسـقه. فردوا احسن مرد، و جزاهم الخير و امرهم بالانصراف»(۲).

الاستعانه بالعيارين:

كـان محمـد بن عبـد الله أمر بـأن يسـتعان بالعيـارين فى الحرب، و ان يجعـل عليهم عريـف، و ان تعمـل لهم تروس من البـوارى المقيره، و مخال تملأ بالحجاره. فكان الواحد منهم يقف خلف الباريه فلا يرى منها. و قد نصب عليهم عريف يقال له ينتويه(۳).

۱- راجع عن معركتى ابواب بغداد: الطبرى ۹/ ۳۳۰- ۳۳۱.

۲- الطبرى ۹/ ۳۳۴.

۳- الطبرى ۹/ ۲۸۸.

و یظهر ان الحاجه اشتدت الیهم فامر محمد بن عبد الله بتسلیحهم و اثبت اسماءهم. ففرق ینتویه اتباعه علی ابواب بغداد لیکونوا عونا للجیش المدافع عنها(۱). و یقول الطبری انهم کانوا أثبت من العامه فی الحرب(۲). و خرج ینتویه و اصحابه من العیارین فی احد الایام من باب قطربل و اشتبکوا بالمهاجمین من جیش المعتز باللّه و استطاعوا ان یردوهم الی معسکرهم مثخنین بالجراح. فأمر له محمد بن عبد الله بخمسمائه درهم، الا انه امره الا یخرج بجماعته الی الحرب الا فی یوم قتال(۳).

محاوله فک الحصار عن بغداد:

رغم فشل جیش المعتز باللّه فی اقتحام اسوار مدینه بغداد الا ان حصاره لها کان محکما بحیث اضطر محمد بن عبد الله ان یقوم بهجوم کبیر علی محاصریه لیجلیهم و یفک حصار المدینه. فأمر فی اوائل ذی القعده بفتح الابواب کلها فی الجانبین الشرقی و الغربی، و نصب المجانیق و العرادات علیها و علی السفن فی نهر دجله، و خرج علی رأس الجند و معه کبار القواد. فتزاحف الفریقان و اشتبکا فی معرکه عنیفه هزم فیها جیش المعتز بالله و هرب من ساحه القتال حتی صار الی معسکره. فتعقبه جند المستعین باللّه و انتهبوا قسما من المعسکر، و ضربوا زورقا لهم یقال له (الحدیدی) کان شدیدا علی اهل بغداد برمی النار. الا ان ابا احمد الموفق استطاع ان یرد جنده الی استئناف القتال و القیام

۱- نفس المصدر/ ۳۰۹.

۲- نفس المصدر/ ۲۹۳.

۳- نفس المصدر/ ۳۱۰.

بهجوم معاكس. اذ قال لهم انهم ان لم يكروا لم تبق لهم بقيه(۱).

فعـادوا و صـمدوا فى اماكنهم. و صادف ان جمعا من جيش المسـتعين بالله رجعوا عن الاتراك المنهزمين مما اوهم جماعتهم ان جنود المعتز بالله قد رجعوا عليهم، فانهزموا نحو بغداد متزاحمين.

و هكذا انصرف الفريقان عن بعضهما.

و قـد سـر ابن طاهر مما حققه جنـده من الانتصار فى المعركه الأخيره على بعض ابواب بغداد، و جعل يطوق كل من جاءه برأس قتيل، حتى بدت الكراهيه فى وجوه اتباع بغا و وصيف من الأتراك لمقتل اصحابهم جنود المعتز بالله.

المستعين باللّه يخلع نفسه و يبايع المعتز باللّه:

يمكن اعتبار معركه فك الحصار عن بغداد و فشـلها نهايه للحرب بين جيش المعتز بالله و جيش المسـتعين بالله. و قد ذكر ان ابن طاهر كان قد كاتب المعتز باللّه قبل ذلك فى الصـلح(۲). اذ كان جادا فى نصـره المسـتعين باللّه حتى استطاع عبيد اللّه بن يحيى ابن خاقان و احمد بن اسرائيل و الحسن بن مخلد ان يصدقوه عما كان عليه. اذ اقنعوه بان المستعين باللّه يعمل للتخلص منه(۳).

و كـان استياء اهل بغـداد من اسـتمرار الحرب، و ما قاسوه من تأثير الحصار المفروض عليهم، مما شـجعه على ان يبعث وفـدا الى عسكر ابى احمد لمناظرته فى امر الصلح. كما انه خرج بنفسه لمقابلته.

و كان قد ضـرب لابن طاهر بباب الشماسـيه مضـرب كبير، و جاء ابو احمد فى زلال و دخل المضرب. فتناظرا طويلا ثم خرجا. و انصرف

۱- نفس المصدر/ ۳۳۴.

۲- الطبرى ۹/ ۳۳۵.

۳- نفس المصدر/ ۳۴۲.

ابن طاهر الی المستعین بالله و اخبره بما دار بینه و بین ابی احمد «فذکر انه فارقه علی ان یعطی خمسین الف دینار، و یقطع غله ثلاثین الف دینار فی السنه. و ان یکون مقامه بغداد حتی یجتمع له مال یعطون الجند، و علی ان یولی بغا مکه و المدینه و الحجاز، و وصیف الجبل و ما والاه، و یکون ثلث ما یجبی من الخراج لمحمد ابن عبد الله و جند بغداد، و الثلثان للموالی و الأتراک»(۱).

کانت هذه شروط المستعین باللّه، و قد امتنع اول الأمر من ان یخلع نفسه من الخلافه، «الا انه عند ما ناظره ابن طاهر و وصیف و بغا و اغلظ لهم کاشفوه بنوایاهم. فقال له وصیف:

انت امرتنا بقتل باغر فصرنا الی ما نحن فیه، و انت حرضتنا لقتل اوتامش، و قلت ان محمدا لیس بناصح، و ما زالوا یفزعونه و یحتالون له. فقال له محمد بن عبد الله: و قد قلت لی ان امرنا لا یصلح الا باستراحتنا من هذین الاثنین. فلما اجتمعت کلمتهم اذعن لهم بالخلع و کتب بما اشترط لنفسه»(۲). و قد کشفت هذه المناظره عن سوء تدبیر المستعین بالله و فساد نیته تجاه رجاله، مما ازال الثقه بینه و بینهم و جعلهم یحجمون عن الاستمرار بالحرب الی جانبه.

و یظهر ان مفاوضات الصلح قد اثمرت، اذ وجه الموفق خمس سفائن من دقیق و حنطه و شعیر وتین الی ابن طاهر. فوجه هذا قواده الیه فبایعوا للمعتز باللّه. کما ان رشید بن کاوس احد کبار قواد المستعین بالله کان قد قابل الموفق ثم عاد الی بغداد یقول

۱- نفس المصدر/ ۳۴۳.

۲- نفس المصدر ۳۴۴- ۳۴۵.

للناس «ان امير المؤمنين المعتز و ابا احمد يقرآن عليكم السلام و يقولان من اطاعنا وصلناه و من أبى فهو أعلم»(۱).

و لما علم اهل بغداد بهذه الاتصالات ظنوا ان مفاوضات الصلح تجرى باذن الخليفه المستعين بالله على ان يستمر هو فى الخلافه و يكون المعتز بالله ولى عهده. الا انهم اتضح لهم ان ذلک تم دون موافقه المستعين بالله فهاجوا على ابن طاهر و قصدوا داره و شتموه، الا ان جنده ردوهم عن داره.

ان المستعين باللّه بعد ان رأى ما صارت اليه الأمور، و ان اتباعه تخلوا عن نصرته اذعن لما ستسفر عنه نتيجه المفاوضات.

فلما كان يوم السبت لعشر بقين من ذى الحجه ادخل محمد بن عبد الله جميع القضاه و الفقهاء على المستعين بالله و اشهدهم عليه بأنه صير امره اليه(۲). و استمر محمد فى مفاوضاته التى انتهت بالموافقه على ان يتنازل المستعين باللّه عن الخلافه و يبايع للمعتز بالله بشرط ان يقطع المستعين بالله بعض الاراضى و ينزل المدينه المنوره و يسمح له بالتنقل بينها و بين مكه. فوافق ابو احمد الموفق على ذلک، الا ان المستعين بالله طلب ان يکتب المعتز بالله موافقته عليها بخطه. فاخرج ابن طاهر جماعه من قواده الى المعتز بالله فى الشروط المذكوره، فوقع ذلک بخطه و شهدوا على اقراره. و خلع المعتز بالله على الرسل و قلدهم السيوف، و وجه معهم جماعه من رجاله لأخذ البيعه له من المستعين باللّه(۳).

۱- الکامل ۷/ ۱۵۸.

۲- الطبرى ۹/ ۳۴۵.

۳- نفس المصدر، ۳۴۴- ۳۴۵، و الکامل ۷/ ۱۶۲.

و يقال ان المستعين بالله طلب ان ينزل بواسط الى وقت مسيره الى مكه و ان المعتز كتب له على نفسه شروطا متى نقض شيئا منها فـاللّه و رسوله منه براء، و النـاس فى حـل من بيعته(۱). فخلع المسـتعين بـالله نفسه من الخلافـه فى يوم الخميس لثلاث خلون من المحرم سنه ۲۵۲ ه(۲). و بذلك انتهت الحرب التى قامت بين المستعين بالله و المعتز بالله، و غدا على رأس الدوله العربيه رئيس واحـد فى سامرا. و تسـلم محمـد بن عبـد الله منه البرده و القضـيب و الخاتم، و هى شارات الخليفه، و وجه بها الى المعتز بالله مع اخيه عبيد اللّه بن عبد الله، و كتب معه كتابا، قال فيه «اما بعد، فالحمد للّه متمم النعم برحمته و الهادى الى شـكره بفضله، و صلى اللّه على محمد عبده و رسوله .. كتابى الى امير المؤمنين و قد تمم اللّه له امره، و تسـلمت تراث رسول اللّه صـلى الله عليه و سـلم ممن كان عنده، و انفذته الى امير المؤمنين ..»(۳).

و قال بعض الشعراء فى خلع المستعين بالله(۴):

خلع الخلافه احمد بن محمدو سيقتل التالى او يخلع

و يزول ملك بنى ابيه و لا يرى أحد تملك منهم يستمتع

ايها بنى العباس ان سبيلكم فى قتل أعبدكم طريق مهيع

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۶۳.

۲- الطبرى ۹/ ۳۴۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۶۳.

۳- الطبرى ۹/ ۳۴۸- ۳۴۹.

۴- الطبرى ۹/ ۳۵۰، و الكامل ۷/ ۱۶۸.

رقعتم دنیاکم فتمزقت بکم الحیاه تمزقا لا یرقع

و تمثل هـذه الابیات علی قصرها شعور الناس حینـذاک، و رأیهم فی تصرفات الخلفاء من بنی العباس و مصیرهم علی ایـدی موالیهم الأتراک المتسلطین علیهم، الذی ینتهی بالخلع و القتل.

۵- المعتز باللّه و الأتراک:

اشاره

کـان الاـتراک قـد اسـتحوذوا منـذ مقتـل المتوکـل علی اللّه علی شؤون الخلافه و استضـعفوا الخلفاء. فکان الخلیفه کالأسـیر فی ایـدیهم یبقوه اذا شـاءوا، و یخلعوه اذا مـا اختلفوا معه. و یورد ابن الطقطقی قصه للـدلاله علی تسـلط القواد الأـتراک علی مقادیر الخلفاء، فیقول «لما جلس المعتز علی سـریر الخلافه قعـد خواصه و احضـروا المنجمین، و قالوا لهم: انظروا کم یعیش و کم یبقی فی الخلافه. و کـان بـالمجلس بعض الظرفـاء فقـال: أنـا اعرف من هؤلاـء بمقـدار عمره و خلافته. فقالوا: فکم تقول انه یعیش و یملک؟ قال: مهما اراد الأتراک»(۱).

و ممـا یـدل علی ان المعتز بـالله کـان یرهب جـانب الأـتراک، مـا یقال ان امه لم تزل تحرضه علی الفتک بقتله ابیه من الأتراک، فکان یعـدها و یمنیها، و هو یعلم انه لا یقوی علیهم لشـده شوکتهم و غلبتهم علی الامور. فأخرجت الیه یوما قمیص ابیه المتوکل علی

۱- الفخری/ ۲۲۰.

اللّه و هو مخضب بدمائه، و جعلت تبکی و تستثیره، فقال لها: یا امی ارفعی القمیص و الا صار قمیصین(۱).

و یظهر ان عامه الناس و قسما من الجند لم یکونوا راضین عن تسلط الأتراک لاستغلالهم مراکزهم و اضطهادهم الناس. فقد وثب بعض الجند الاتراک بالوزیر عیسی بن فرخان فی اول رجب سنه ۲۵۲ ه، فثار له المغاربه من الجند و غلبوا الاتراک علی الجوسق و اخرجوهم منه، و قالوا لهم: کل یوم تقتلون خلیفه و تخلعون آخر و تقتلون وزیرا(۲). فصار الجوسق و بیت المال بید المغاربه.

فتجمع الأتراک ثانیه و اشتبکوا مع المغاربه. و قد اعان الناس المغاربه کرها بالاتراک حتی قاربوا ان یتغلبوا علیهم. الا ان قاضی القضاه جعفر بن عبد الواحد اصلح بین الطرفین.

القائدان وصیف و بغا و مقتلهما:

بقی القائدان وصیف و بغا الی جانب المستعین بالله الی ان خلع نفسه من الخلافه و بایع المعتز باللّه. فأمر المعتز بالله محمد بن عبد الله ان یسقط اسمیهما مع اتباعهما من الدیوان ببغداد. الا ان وصیفا وجه اخته سعاد الی ابراهیم المؤید، و کان نشأ فی حجرها، فکلم اخاه المعتز فی الرضا عنه. و یقول الطبری ان سعادا اخرجت من قصر وصیف الف الف دینار کانت مدفونه فیه، فدفعتها الی المؤید، فکلم هذا اخاه الخلیفه. فرضی عن وصیف،

۱- الدیارات/ ۱۶۹، و ثمار القلوب/ ۸۶.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۹، و الکامل ۷/ ۱۷۳، و فیه: و تعملون وزیرا.

و کتب الیه بالرضا عنه(۱). و کلم الموفق اخاه المعتز بالله بشأن بغا الصـغیر، فرضـی الخلیفه عنه کذلک(۲). فعادا الی خدمته فی سامرا، رغم انه کان یرغب ببقائهما ببغداد بعیدین عنه. اذ اوعز الی ابن طاهر ان یحول دون خروجهما الی سامرا.

الا انهما استطاعا الشخوص الیها، و عادا الی مراتبهما(۳).

و کان الاتراک و الفراغنه و الاشروسنیه من الجند قد شغبوا فی اوائل شوال سنه ۲۵۳ ه و طالبوا بارزاقهم المتأخره لأربعه اشهر.

فخرج الیهم من القواد وصیف و بغا الصغیر و سیما الشرابی لیناظروهم فی طلباتهم. فاغلظ وصیف فی کلامه مع الجند فوثبوا به و قتلوه، و نصبوا رأسه علی محراک تنور(۴). فتخلص بذلک المعتز بالله من احد کبار القواد المتغلبین.

لقد صفا الجو بعد مقتل وصیف للقائد بغا الصغیر، فأخذ المعتز یظهر اکرامه فجعل الیه ما کان الی وصیف من المهام و القیادات، ثم خلع علیه و البسه التـاج و الوشاحین(۵). و من الجدیر بالذکر ان نشـیر الی ان اکرام القواد الاتراک فی المناسـبات المختلفه لا سیما عنـد انتصارهم فی الحروب، فی عهد المعتصم بالله و ابنه الواثق بالله، لم یکن لقوه نفوذهم و سـلطانهم، و انما کان تشـجیعا لهم و تقـدیرا لجهودهم و دفعهم الی مزیـد من الولاـء للخلیفه و خـدمه الـدوله العربیه. اما فی عهـد بقیه خلفاء سامرا فان الباعث علی تکریمهم کان محاوله کسب رضاهم و دفعا لنقمتهم و غضبهم، بعد ان قوی نفاذهم و اشتد ازرهم کطبقه عسکریه حاکمه.

۱- الطبری ۹/ ۳۵۵.

۲- نفس المصدر

۳- الطبری ۹/ ۳۵۶، و الکامل ۷/ ۱۶۹.

۴- الطبری ۹/ ۳۷۴، و الکامل ۷/ ۱۷۹.

۵- نفس المصدرین.

و حاول بغا ان یقنع المعتز بالله بالمسیر الی بغداد لکی ینفرد بالهیمنه علی شؤون الخلافه، الا ان المعتز باللّه کان یأبی ذلک.

و لما زوج بغا بنته من صالح بن وصیف، و قد اصبح هذا من کبار قاده الاتراک، ازداد بغا قوه و نفوذا، فطغی و تفرد بالأمور(۱).

فاخذ المعتز بالله یرهب جانبه بحیث «کان لا ینام فی غیبه بغا الا فی ثیابه و علیه السلاح»(۲) و قال «لا ازال علی هذه الحاله حتی اعلم لبغا رأسی او رأسه لی»(۳).

و یبدو ان الخلاف اشتد بین الخلیفه و بغا، لا سیما و ان المعتز باللّه قد استطاع ان یکسب ولاء بعض القواد الاتراک. و لما بلغه ان بغا عزم علی الوثوب به دبر علی قتله، فلما بلغ ذلک بغا هرب(۴). و حاول ان یتظاهر بالخروج من سامرا لکی یباغت المعتز بالله و اعوانه. فخرج فی غلمانه و قواده الی السن ثم عاد بمفرده لیلا متخفیا لیجتمع الی صالح بن وصیف لیدبرا الوثوب بالخلیفه. الا انه وقع بید الحراس، و لما اعلموا المعتز بالله بالقبض علیه، أمر بقتله. فقتل و حمل رأسه الیه، فنصب بسامرا و بغداد(۵). و یقول الطبری ان المعتز بالله وهب قاتله عشره الاف دینار و خلع علیه خلعه(۶). مما یدل علی اغتباطه بالتخلص منه.

۱- کتاب دول الاسلام ۲/ ۱۱۱.

۲- الکامل ۷/ ۱۸۷.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۷۷.

۴- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۵۰۳.

۵- الطبری ۹/ ۳۸۰، و الکامل ۷/ ۱۸۷، و المروج ۴/ ۱۷۷.

۶- الطبری ۹/ ۳۸۱.

سیطره صالح بن وصیف:

انتهت زعامه الجند الأتراک بعد مقتل وصیف و بغا الی القائد صالح بن وصیف. فصار الشخص الاول بعد الخلیفه، تخرج الکتب باسمه، و یتولی تعیین الوزراء و الولاه و الکتاب. و عند ما ساء الوضع المالی و لم یعد فی بیت المال ما یکفی لدفع ارزاق الجند التی اخذت تتأخر کثیرا عن مواعیدها، عمد صالح بن وصیف الی مصادره الکتاب للحصول علی الأموال. فأخذ احمد بن اسرائیل کاتب الخلیفه و وزیره، و الحسن بن مخلد کاتب ام الخلیفه، و ابا نوح عیسی بن ابراهیم، فقیدهم و طالبهم باخراج ما یملکونه من الاموال. و قال للخلیفه مبررا فعلته هذه «لیس للاتراک عطاء، و لا فی بیت المال مال، و قد ذهب ابن اسرائیل و اصحابه باموال الدنیا»(۱). و ضرب ابن اسرائیل حتی کسرت اسنانه، و ضرب ابن مخلد مائه سوط، و کان عیسی بن ابراهیم محتجما فلم یزل یصفع حتی سالت الدماء من محاجمه، و لم یترکوا حتی اخذت رقاعهم بمال جلیل قسط علیهم(۲).

لقد حاول المعتز بالله ان یعتمد علی قوه تساعده فی مناهضه صالح و مؤیدیه من الاتراک، فاصطنع المغاربه و الفراغنه من الجیش. الا ان نتیجه سیاسته هذه ان الاتراک وحدوا صفوفهم، و قد رأوا الخلیفه یعمل علی اضعاف شأنهم. فعمد قوادهم و علی رأسهم صالح بن وصیف الی تحریض الجند و دفعهم الی مطالبه الخلیفه بارزاقهم التی کان عاجزا عن دفعها لفراغ بیت المال نتیجه سوء الاداره و اهمال الشؤون الزراعیه و تکالیف الحرب

۱- الطبری ۹/ ۳۸۷.

۲- نفس المصدر.

الأهليه التى قامت بين سامرا و بغـداد(۱). و يقول الطبرى ان حـاجه الجنـد الأـتراك دفعتهم الى ان يطلبوا الى الخليفه ان يعطيهم خمسـين الف دينار على ان يقتلوا صالحا. فارسل المعتز بالله الى امه يعلمها باضطراب الاتراك، و شغبهم عليه، و خوفه على نفسه منهم، و يطلب مساعدتها من المال. فارسلت اليه ان ليس عندها مال و لينتظروا حتى تقبض و تعطيهم. علما انها كانت معها اموال لا تحصـى، و قد قوموا جواهرها بالفى الف دينار(۲). فقـد كـانت بخيله و قـد جمعت اموالا طائله و كانت تخفيها عن ابنها. و قد وقع صالـح على خزائن لهـا فيهـا اموال كثيره من اللؤلؤ و اليـاقوت و غير ذلك بحيث ظلت تلك الخزائن تباع فى سامرا و بغـداد عده شهور حتى نفذت(۳). و يقول السـيوطى انها كانت اختفت اثر مقتل ابنها، و لما ظهرت اعطت صالـح بن وصـيف قاتل ابنها مالا عظيما، من ذلك الف الف دينار، و سفط زمرد و آخر لؤلؤ. فلما رأى صالح تلك الأموال قال: قبحها اللّه عرضت ابنها للقتل لأجل خمسين الف دينار و عندها هذا(۴).

خلع المعتز باللّه من الخلافه:

عند ما رأى القواد الاتراك انهم لم يحصل لهم شـى ء من المال من المعتز باللّه اتفقت كلمتهم على خلعه و التخلص منه. فساروا اليه، و دخلوا عليه و طلبوا اليه ان يخرج اليهم، فاحتج بالمرض.

۱- الطبرى ۹/ ۳۹۴- ۳۹۵.

۲- كتاب دول الاسلام ۲/ ۱۱۲.

۳- الطبرى ۹/ ۳۹۴- ۳۹۵.

۴- تاريخ الخلفاء/ ۳۶۰.

الا ـ ان بعضهم اقتحموا عليه الغرفه و جروا برجله و ضربوه بالدبابيس، و خرقوا قميصه. و اقاموه فى الشمس فكان يرفع رجلا و يضع اخرى من شده الحر، و كان بعضهم يلطمه(۱). ثم امروه ان يخلع نفسه من الخلافه طالما عجز عن تدبير المال لهم.

و احضروا القاضى ابن ابى الشوارب، و كتبوا كتاب خلعه، فأقر المعتز باللّه مكرها بما جاء فى كتاب الخلع(۲). و شهد عليه الحاضرون، كما شهدوا على صالح بن وصيف بان للمعتز باللّه و امه و ولده و اخته الأمان(۳). و كان ذلک فى يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنه ۲۵۵ ه(۴). و كان نص كتاب الخلع كما يأتى(۵):

بسم اللّه الرحمن الرحيم: هذا ما اشهد عليه الشهود المسمون فى هذا الكتاب، شهدوا ان ابا عبد الله بن امير المؤمنين المتوكل على اللّه أقر عندهم، و اشهدهم على نفسه فى صحه من عقله، و جواز من امره، طائعا غير مكره، انه نظر فيما كان تقلده من امر الخلافه و القيام بامور المسلمين، فرأى انه لا يصلح لذلک، و لا يكمل له، و انه عاجز عن القيام بما يجب عليه منها، ضعيف عن ذلک، فاخرج نفسه، و تبرأ منها، و خلعها من رقبته، و خلع نفسه منها، و برأ كل من كانت له فى عنقه بيعه من جميع اوليائه و سائر الناس ممن كان له فى رقابهم من البيعه و العهود و المواثيق و الايمان بالطلاق و العتاق و الصدقه و الحج و سائر الأيمان، و حللهم

۱- الطبرى ۹/ ۳۸۹، و الكامل ۷/ ۱۹۱، و الفخرى/ ۲۲۱.

۲- العبر ۲/ ۹.

۳- الطبرى ۹/ ۳۹۰.

۴- الطبرى ۹/ ۳۸۹.

۵- نفس المصدر/ ۳۹۱- ۳۹۲.

من جميع ذلک، و جعلهم فی سعه منه فی الدنيا و الآخره، بعد ان تبين له ان الصلاح له و للمسلمين فی خروجه عن الخلافه و التبرؤ منها، و اشهد على نفسه بجميع ما سمی و وصف فی هذا الكتاب جميع الشهود المسمين فيه و جميع من حضر، بعد ان قرى ء عليه حرفا حرفا، فأقر بفهمه و معرفته جميع ما فيه طائعا عن مكره، و ذلک يوم الاثنين لثلاث بقين من رجب سنه ۲۵۵ ه».

و وقع المعتز فی ذلک: أقر ابو عبد اللّه بجميع ما فی هذا الكتاب و كتب بخطه. و كتب الشهود شهاداتهم.

ثم حبس المعتز باللّه، و كان القواد الاتراک قد اوعزوا بقتله و قد ذكرنا تفصيل ذلک فی سيرته.

۶- المهتدی باللّه و محاوله اضعاف سلطه الاتراک:

اشاره

الخلاف بين المهتدی باللّه و موسى بن بغا:

كان موسى بن بغا الكبير على رأس جيش فی محاربه الحسن بن زيد العلوی فی بلاد الری. فاستنجدت به ام المعتز باللّه لما ضايق القواد الاتراک ابنها، فلم يتمكن آنذاک من الشخوص الى سامرا.

و لكن بعد ان بلغه نبأ مقتل الخليفه صعب عليه ذلک فقرر العوده بجيشه الى سامرا للانتقام من قاتله صالح بن وصيف و اصحابه.

و كان الجند الذين مع موسى بلغهم ما اخذه صالح و جنده من اموال الكتاب و اسلاب المعتز بالله و اموال امه، فحسدوا المقيمين بسامرا من الجند و دعوا موسى الى الشخوص بهم الى سامرا.

و لما بلغ المهتدی بالله خبر توجه موسى نحو سامرا انكر ذلک عليه و كتب اليه بالمقام فی موضعه للحاجه الماسه اليه فی القضاء

على الخارجين على الدوله فى تلك النواحى. و كان صالح بن وصيف بدافع خوفه من انتقام موسى منه و محاسبته على الاموال التى حازها، يعظم على الخليفه قدومه و ينسبه الى المعصيه و الخلاف. الا ان موسى ابى الاذعان لأمر الخليفه و سار بجيشه قدما حتى وصل سامرا. و رأى صالح بن وصيف، و هو المسيطر على شؤون الخلافه، فى عوده موسى و جيشه خطرا عليه، و عجب من قدومه رغم ممانعه الخليفه، مما جعله يعتقد ان الخليفه هو الذى طلب اليه سرا ان يقدم الى سامرا لكى يباغت اتباعه، فانفض عن المهتدى باللّه.

و عند ما جاء موسى الى دار الخلافه كان المهتدى باللّه قد جلس للمظالم فلم يأذن له و لمن معه الا بعد ان فرغ من المجلس، فدخلوا عليه. و كانوا رأوا فى تأخير الخليفه الأذن لهم بالدخول مطاوله منه حتى يكبسهم صالح بن وصيف و اتباعه. فخافوا من ذلك، فأخذوا المهتدى باللّه من مجلسه و حملوه معهم الى دار ياجور احد كبار قواد الاتراک. و بعد مناظره الخليفه اخذ موسى و جماعته عليه «العهود و المواثيق ان لا يمايل صالحا عليهم، و لا يضمر لهم آلا مثل ما يظهر، ففعل ذلک، فجددوا له البيعه»(۱) وردوه الى الجوسق.

علم صالح بما تم بين الخليفه و موسى و اتباعه، و انهم ينقمون عليه قتله المعتز بالله و الكتاب و اخذه اموالهم، فاختفى خوفا على حياته. فخاف موسى ان يعمل صالح عند اختفائه على الوثوب به، فبث العيون و الارصاد فى طلبه. فوصل الى الخليفه كتاب من صالح، فدعا بسليمان بن وهب ليقرأه بحضور جماعه من قواد

۱- الطبرى ۹/ ۴۳۹.

الاتراک فیهم موسی بن بغا و مفلح و بایکباک و یاجور. و ذکر صالح فی کتابه انه مستخف بسامرا و قد استتر متخیرا للسلامه و ابقاء علی الموالی، و خوفا من ایصال الفتن بحرب ان حدثت بینهم، و بین ما صار الیه من اموال الکتاب و من وصل الیه ذلک المال و تولی تفریقه، ثم ذکر اشیاء یعتذر ببعضها و یحتج بالبعض الآخر(۱).

و تکلم المهتدی بالله یحض الحاضرین علی المهادنه و الصلح و الألفه، و یکره الیهم الفرقه و التباغض. مما جعل موسی و اتباعه یتهمونه بالمیل الی صالح و انه یقدمه علیهم، و انه یعلم بمکان اختفائه فخرجوا منه و صاروا مع موسی الی داره فی داخل الجوسق و تناظروا فیما بینهم، و ذکر بعض من کان حاضرا ان القوم اجمعوا علی خلع المهتدی باللّه(۲).

و لما اتصل الخبر بالمهتدی بالله خرج الی مجلسه متقلدا سیفا ثم امر بادخالهم الیه، فقال لهم «انه قد بلغنی ما انتم علیه من امری، و لست کمن تقدمنی مثل احمد بن محمد المستعین و لا مثل ابن قبیحه ... و هذا سیفی، و اللّه لاضربن به ما استمسک قائمه بیدی .. أما دین، أما حیاء، أما رعه؟ کم یکون هذا الخلاف علی الخلفاء، و الاقدام و الجرأه علی اللّه ... هل تعلمون انه وصل الی من دنیاکم هذه شی ء؟ اما انک یا بایکباک ان بعض المتصلین بک ایسر من جماعه اخوتی و ولدی .. ثم تقولون انی أعلم علم صالح، و هل صالح الا رجل من الموالی و کواحد منکم فکیف الاقامه معه اذا ساء رأیکم فیه؟ فان آثرتم الصلح کان ذلک ما

۱- نفس المصدر/ ۴۴۱.

۲- نفس المصدر/ ۴۴۲، و الکامل ۷/ ۲۱۹.

اهوى لجمعكم، و ان ابيتم الا الاقامه على ما انتم عليه فشأنكم، فاطلبوا صالحا ثم ابلغوا شقاء انفسكم، و اما انا فما اعلم علمه»(۱).

ان خطاب المهتدى باللّه خطاب رجل ضعيف يتوسل، و ليس خطاب رئيس دوله حازم يرهب من يحيد عن طريق الصواب، و يهدد بمحاسبه من يسى ء الى الخلافه. و هو يترك المشاكل القائمه، و بخاصه امر صالح بن وصيف، اليهم ليتخذوا ما يرونه بشأنه. بينما كان من الضرورى ان يشعرهم بانه سيتولى ذلك بنفسه و يحاسب كل مقصر او مسى ء. و لا شك فى انه بخطابه هذا اطمعهم بنفسه و جرأهم عليه، لما لمسوا من ضعفه و فقدانه الحزم.

و ذكر ان المهتدى بالله قال لبايكباك و لابى نصر محمد بن بغا: قد حضرتما ما عمله صالح فى اموال الكتاب و ام المعتز فان اخذ من ذلك شيئا فقد اخذتما مثله، فاحفظهما ذلك(۲).

و قد قيل ان القوم من لدن قدوم موسى بن بغا الى سامرا للثأر لمقتل المعتز باللّه، كانوا يضمرون خلع المهتدى بالله، و انما كان يمنعهم من ذلك قله الأموال لديهم لدفع ارزاق الجند و كسب رضاهم. فلما استحوذوا على المال الوارد من الأهواز فى المحرم سنه ۲۵۶ ه و مقداره سبعه عشر الف الف و خمسمائه الف درهم، تحركوا للعمل على تحقيق نواياهم(۳).

۱- الطبرى ۹/ ۴۴۲- ۴۴۳.

۲- نفس المصدر/ ۴۴۳ و الكامل ۷/ ۲۲۱.

۳- نفس المصدرين، و جاء فى الكامل ان مبلغ المال عشره الاف الف و خمسمائه الف درهم.

و مما زاد فی قوه مرکز موسی بن بغا انه تخلص من صالح بن وصیف. اذ عثر علیه غلام صدفه فی احد الدور فی اوائل صفر، فاستعان بعیار یعرفه، فجمع هذا آخرین معه و هجموا علی الدار و اخرجوا صالحا و ذهبوا به الی دار موسی. فاخذه بعض القواد الی الجوسق، الا انهم قتلوه فی الطریق و احتزوا رأسه و صاروا به الی المهتدی بالله، فأمرهم ان یواروه. الا انهم حملوه علی قناه و طافوا به ینادون علیه: هذا جزاء من قتل مولاه، ثم نصبوه بباب العامه(۱). و هناک من یقول انه رأی انه حمی له حمام و ادخل الیه فمات فیه(۲).

تنکر المهتدی باللّه للقواد الاتراک:

ضاق المهتدی بالله ذرعا بتسلط القواد الاتراک و بخاصه استحواذهم علی الأموال التی ترد من الولایات الی بیت المال متجاهلین جهود الخلیفه فی تقویم الوضع المالی. فحاول ان یستفید من نقمه الجند علی قوادهم، و ان یعمل علی ایقاع الخلاف بین القواد انفسهم. و کان قد وجه فی مستهل جمادی الاولی موسی بن بغا و بایکباک الی حرب مساور الشاری، فکتب بعد ان حبس ابا نصر محمد بن بغا الی موسی یأمره بتسلیم قیاده جیشه الی بایکباک و القدوم الی سامرا. و کتب بنفس الوقت الی بایکباک یستمیله بتسلم قیاده الجیش و القیام بقتال الشاری، و ان یقتل موسی و مفلحا او یحملهما الیه مقیدین. الا ان بایکباک اطلع موسی علی کتاب الخلیفه، و قال له: هذا تدبیر علینا جمیعا، فاذا فعل بک

۱- الطبری ۹/ ۴۵۳- ۴۵۵، و الکامل ۷/ ۲۲۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۸۵.

الیوم شی ء فعل بی غدا مثله. و اتفقا علی ان یتظاهر بایکباک بمولاه الخلیفه، و من ثم یدبران امر قتله(۱).

و قد اخبر بعض الاتراک المهتدی بالله بان بایکباک قد اتفق مع موسی علی الفتک به فی الجوسق. فلما دخل بایکباک مع بعض قواده علی المهتدی بالله امر بحبسه و صرف الباقین، ثم امر بضرب عنقه. و لما احتج اتباعه علی حبس قائدهم و تجمعوا لمهاجمه الدار و اطلاق سراحه، رمی الخلیفه برأسه الیهم، مما اثار غضبهم و زاد فی ثورتهم علیه(۲). و قد حاول المهتدی بالله بعمله هذا ان یتخذ موقف ابی جعفر المنصور من ابی مسلم الخراسانی، متصورا ان ذلک سیفل قوه الاتراک و یضعف سلطانهم. الا انه لم تکن له منعه المنصور و قوته. و لذا فقد اعتبر قواد الاتراک هذا غدرا بهم، و انهم لذلک اصبحوا فی حل من بیعته. و الواقع ان محاوله المهتدی بالله الایقاع بین موسی و بایکباک لم تکن محکمه لأنه کاشف کلا منهما بنیته تجاه زمیله دون ان یتوثق من ولائه و اخلاصه، مما انعکس علیه بنتیجه سیئه. اذ صارت محاولته دافعا لجمع کلمتهم و توحید قواهم لمقاومته. کما کان قبضه علی ابی نصر محمد بن بغا بعد ان کتب الیه بالأمان علی نفسه و من معه و من ثم امره بقتله(۳)، قد اثار مزیدا من سخط الاتراک و غضبهم علیه.

محاولته الاعتماد علی الجند و العامه:

لما انتشر الخبر بین العامه ان القواد الاتراک علی و شک ان یخلعوا المهتدی بالله و یفتکوا به، کتبوا الرقاع انتصارا له

۱- الطبری ۹/ ۴۵۶-۴۵۷.

۲- نفس المصدر/ ۴۵۹.

۳- نفس المصدر/ ۴۶۰.

و القوها فی المساجد و الطرقات. و ذکر انها کانت کالآتی «بسم الله الرحمن الرحیم: یا معشر المسلمین، ادعوا اللّه لخلیفتکم العدل الرضی المضاهی لعمر بن الخطاب ان ینصره علی عدوه و یکفیه مؤونه ظالمه، و یتم النعمه علیه و علی هذه الأمه ببقائه، فان الموالی قد اخذوه بان یخلع نفسه و هو یعذب منذ ایام، و المدبر لذلک احمد بن محمد بن ثوابه و الحسن بن مخلد. رحم اللّه من اخلص النیه و دعا و صلی علی محمد صلی الله علیه و سلم».

و کان المهتدی بالله من جانبه یؤلب الجند و العامه ضد القواد الاتراک. فقد جاء بالفراغنه و الاشروسنیه و الطیریه و الدیالمه و غیرهم، فسألهم النصره علی موسی و مفلح، و قال: «قد اخذوا الاموال و استأثروا بالفی ء، و انا اخاف ان یقتلونی. و ان نصرتمونی اعطیتکم جمیع ما فاتکم و زدتکم ارزاقکم. فاجابوه الی نصره و الخلاف علی موسی و اصحابه. کما اخذ المهتدی بالله یرکب فی بنی هاشم و یدور فی الاسواق، و یسأل الناس النصره علی الفساق قتله الخلفاء(۱).

لقد اخافت دعوه العامه برقاعهم لنصره الخلیفه قسما من الجند فارسلوا الی الخلیفه انهم مستعدون للموت دونه اذا ما استمع الی شکاواهم و ازال اسبابها. و تقدموا الیه بمطالیب معینه یتعلق قسم منها بالامور العامه، و یخص القسم الآخر شؤونهم المسلکیه و تنظیم امورهم. و اهم هذه الطلبات(۲):

۱- ان ترد الامور الی امیر المؤمنین فی الخاص و العام و لا یعترض علیه معترض.

(۹۳) نفس المصدر/ ۴۴۴.

(۹۴) الطبری ۹/ ۴۶۸.

۱- نفس المصدر ۴۶۹.

۲- نفس المصدر/ ۴۴۶- ۴۴۷.

۲- ان ترد رسومهم الى ما كانت عليه ايام المستعين بالله، و هو ان يكون على كل تسعه منهم عريف، و على كل خمسين خليفه، و على كل مائه قائد.

۳- ان يدفع لهم العطاء فى كل شهرين.

۴- ان تبطل الاقطاعات.

۵- ان يصير امير المؤمنين الجيش الى احد اخوته او غيرهم ممن يرى، على ان لا يكون من الموالى.

۶- ان يأمر الخليفه بمحاسبه صالح بن وصيف و موسى بن بغا على ما عندهما من الأموال.

و قالوا انهم لا يرضيهم دون ما سألوا، مع تعجيل ارزاقهم المتأخره. فأجابهم الخليفه بسروره من طاعتهم له و تأييدهم اياه، و انه موافق على جميع ما سألوه و سيعمل على تنفيذه، و يزيل ما يشتكون منه.

الاـ ان عدم توفر المال اللازم فى بيت المال حال دون تلبيه تعجيل عطائهم، و هو أهم طلباتهم و لا شك. كما انه لم يتخذ أى اجراء لأبطال الاقطاعات الممنوحه للقواد، و لم يبادر الى اعاده رسوم الجيش و تنظيمه بالشكل الذى كان عليه ايام المستعين بالله.

كما انه لم يقرر محاسبه القائدين الكبيرين اللذين طلبوا محاسبتهما. فكان ذلك مما افقدهم الثقه بالخليفه، لا سيما و انه كان يتظاهر بالتودد للقواد الاتراك و يحاول ترضيتهم.

و كان القواد بنفس الوقت يعملون على ترضيه الجند. فاعلنوا موافقتهم على طلباتهم التى تقدموا بها الى الخليفه، و تأييد

اخلاصـهم له، و انهم لا يريدون به سوء، كما سارعوا الى دفع ارزاقهم المتأخره. و بذا اصبحت الظروف مهيئه لان يفرض الخليفه سلطته على الاـتراک و قـوادهم، الاـ ان مـوقفه المتسم بـالحيره و الـتردد. و تظـاهر بـالتودد للقواد مع انه يبطن الشـر لهم، و عـدم مبادرته الى اى عطف او استجابه لطلبات الجند، افقده ثقه الطرفين.

نهايه المهتدى باللّه:

عنـد ما استشـعر المهتـدى بالله شـرا من جموع الاتراک، خرج فعسـكر بجسـر سامرا فى جمع من الجند الموالين له من الفراغنه و المغـاربه و بعض الأـتراک فأصـطدم الطرفـان و وقع بينهما كثير من القتلى. و انضم الجنود الاتراک الـذين اعلنوا ولاءهم للخليفه الى جماعتهم، و انهزم بقيه جنده و مؤيدوه، و تركوا الخليفه يواجه مصيره مع عدد قليل من اتباعه. فجرح و اضطر الى الهرب.

فخرج الى باب العامه و هو يسـتغيث طالبا النجـده، فلم يجبه احد من عامه الناس. فصار الى باب السـجن فاطلق من فيه و هو يظن انهم يعينـونه، فلم يكن منهم الاـ الهرب، فصـار الى دار صـاحب الشـرطه. الاـ ان الاـتراک دخلـوا خلفه و اخرجوه الى الجوسق و حبسوه عند القائد احمد بن خاقان.

ثم اجتمع القواد الأتراک و قرروا خلعه من الخلافه، و مالبثوا ان قتلوه بحجه عـدم موافقته على التنازل عن الخلافه. و قد اوضـحنا ذلک مفصلا عند الكلام عن خلعه و مقتله.

۷- انحسار نفوذ القواد الاتراک:

بعـد ان تم للقواد الاتراک بزعامه القائـد موسـی بن بغا، التغلب علی الخلیفه المهتـدی بالله و قتله، انتخبوا للخلافه احمد بن جعفر المتوکل علی اللّه، و لقب بالمعتمـد علی اللّه، و قد ورث الخلیفه الجدید ترکه ثقیله من المشاکل. فقد کان الوضع المالی للدوله سیئا جدا بحیث کان الخلیفه عاجزا عن دفع ارزاق الجند. و ذلک لاسـتغلال امراء الولایات و عمالها ضـعف الخلافه و استئثارهم باموال الخراج و لم یوجهوا شـیئا منها الی بیت المال. کما کانت ثوره الزنج قد استفحلت و اصبحت تهدد الخلافه و کیان الدوله العربیه و وجودها. یضاف الی ذلک اطماع امراء الولایات المستقله و محاولاتهم فی توسیع اماراتهم علی حساب الدوله. هذا الی جانب المشـکله المزمنه و هی سـطوه القواد الاتراک و عبثهم بشؤون الخلافه و الـدوله. و کانت هـذه المشاکل مما ینوء المعتمد بالله بحملها و بعجزه عن التغلب علیها، لو لا ان قدر بان یکون اخوه الموفق طلحه الی جانبه. و قد سـبق ان اشرنا الی ما کان یتمتع به الموفق من صـفات قیـادیه و اهمهـا الحزم و الشـجاعه، مما اهله للسـیطره علی شؤون الخلافه بحیث لم یترک لأخیه منها سوی الاسم.

و کان المعتمـد علی اللّه عنـد تولیه الخلافه اناط بأخیه الموفق رئاسه الجیش. و یبـدو ان ذلک کان تنفیذا لطلب الجند من سـلفه المهتدی بالله أبن یصیر رئاسه الجند الی احد اخوته، او غیرهم ممن یراه من القواد علی ان لا یکون من الاتراک. و بذلک اطمأن الخلیفه الی ولاء الجیش، و أمن شر الاحتکاک بقواده الاتراک.

و قد استطاع الموفق ان یستفید من الظروف المحیطه بالخلافه فی ان

یوقف تـدخل هؤلاء القواد بشؤون الـدوله و فرض رغباتهم على الخليفه. و اهم ما ساعده فى ذلك اضافه الى كفايته السياسـيه و قوه شخصـيته عاملان، اولهما النزاع الذى كان قد قام بين القواد انفسهم منذ عهد المستعين بالله حتى تولى المعتمد على اللّه، مما اضعف من قوتهم و قلل من شأنهم. و ثانيهما الحروب القائمه التى استطاع الموفق ان يوجههم اليها و يشغلهم بها. و بذلك تسنى للموفق ان يعيد للخلافه هيبتها، و للدوله سلطانها و نفوذها.

و كا من الاخطار المهمه التى هددت الخلافه فى سامرا، اضافه الى اسـتفحال ثوره الزنج، ان يعقوب بن الليث الصفار قدم بجيشه يطرق ابواب عاصـمه الخلافـه، لانـه رغم ما كان يتظاهر به من ولاء و طاعه للخليفه، لم يكن قانعا بما وليه من الاقليم و الولايات، لأن ذلك لا يزال دون هدفه فى ازاله دوله العرب.

فعزم على محـاربه الخليفه ليتم له الاستيلاء على الـدوله العربيه كلها مـدعيا «بانه لم يجى ء الا لخـدمه الخليفه و التشـرف بالمثول بين يـديه و النظر اليه و ان يموت فى ركابه»(۱). الا ـ ان الخليفه و اخاه الموفق ادركا ما كان يخفيه من النوايا الخبيثه تجاه الـدوله العربيه، خلف هذا القناع من المسكنه و التذلل. فخرج اليه الخليفه بنفسه بجيش اشترك فيه اغلب القواد و على رأسهم الموفق. و سرعان ما دارت الدائره على الصفار و جيشه فهزم شر هزيمه، و عاد خائبا و قد تحطمت احلامه. و اعادت الدوله سيطرتها على ما سبق ان استولى عليه من الاقاليم عنوه.

كمـا ان الامير احمـد بن طولون الـذى كـان نـازع الخلافـه و ارسل جيوشه لمحاربتها ردحا من الزمن، قـد انتهى نزاعه بالخضوع لسياده الخلافه فى سامرا. و هكذا كانت الحروب التى

۱- وفيات الاعيان ۵/ ۴۵۹.

دامت اكثر ايام المعتمـد على اللّه اهم عامل فى تـدعيم سـلطه الموفق، بحيث انه انتزع من القواد الاتراک ما كانوا يتمتعون به من نفوذ و سـلطان على الخلافه، و جعلهم ينصـرفون الى داء واجباتهم العسكريه حسب. و بذلک مهد للخليفه القادم و هو ابنه احمد الملقب بالمعتضد بالله، ان يتفرغ لاعاده بناء الدوله العربيه و تقويه شأن الخلافه، بحيث سمى المنصور الثانى.

الباب الخامس العلویون و خلفاء سامرا ۱- خلفاء سامرا و العلویون ۲- خروج العلویین فی عهد سامرا

الباب الخامس العلويون و خلفاء سامرا

الفصل الأول خلفاء سامرا و العلويون

اشاره

كانت علاقه العلويين تتسم بالخلاف و التوتر مع خلفاء بنى العباس، و لم يدخروا وسعا فى الخروج كلما سنحت لهم الفرصه.

الاـ ان الخليفه المـأمون حـاول ان يتقرب اليهم و يحسن معـاملتهم ليكسب ولاـءهم. و قـد زوج بنته من الامـام الرضا و عهـد اليه بالخلافه من بعده، كما زوج بنته الثانيه من الامام محمد الجواد.

و عند ما اوصى لأخيه ابى اسحاق اكد عليه بأن يرعى العلويين و يحسن معاملتهم. و لما تولى المعتصم باللّه الخلافه انتهج سياسه اخيه المـأمون فى التسامـح مع العلويين التزامـا بوصـيته اليه، و قـد جاء فيها «و هؤلاء بنوعمك من ولـد امير المؤمنين على بن ابى طالب رضـى اللّه عنه، فأحسن صـحبتهم، و تجاوز عن مسـيئهم، و اقبل من محسـنهم، و لا تغفل صلاتهم فى كل سنه عند محلها، فان حقوقهم تجب من وجوه شتى»(۱). و لكى يدلل المعتصم

۱- الطبرى ۸/ ۶۵۰، و الكامل ۶/ ۴۳۱.

باللّه على رعايته العلويين و اهتمامه بشؤونهم استدعى الامام محمد الجواد فى سنه ۲۲۰ ه من المدينه المنوره ليقيم الى جانبه فى سامرا. فجاء و معه امرأته ام الفضل بنت المأمون. و لا يخفى ان استدعاءه كان حذرا من ان يلتف الناس حوله. و ليكون تحت انظار الخليفه. الا انه ما لبث ان توفى فى اواخر السنه المذكوره. و هناك من يقول انه مات مسموما(۱). فأمر المعتصم باللّه بأن تحمل زوجه الامام الى قصره لتعيش مع حرمه(۲). و لما خرج محمد بن القاسم فى عهده، اكتفى المعتصم باللّه بسجنه.

و سار الواثق باللّه على نهج ابيه و عمه فى اتباع سياسه التسامح و اللين مع العلويين. فاشتمل عليهم، و بالغ فى اكرامهم و الاحسان اليهم، و التعهد لهم بالاموال، بحيث انه لما توفى كان بعض نساء اهل المدينه يخرجن كل ليله الى البقيع فيبكين عليه و يندبنه حزنا عليه، لما كان يكثر من الاحسان اليهم(۳). يقول ابو الفرج «و كان آل ابى طالب مجتمعين بسر من رأى فى ايامه تدور الارزاق عليهم»(۴) و يقول ابن الطقطقى «و لما ولى الخلافه احسن الى بنى عمه الطالبيين و برهم»(۵). و يقول القاضى يحيى بن اكثم «ما احسن احد الى آل ابى طالب ما احسن اليهم الواثق، ما مات و فيهم فقير»(۶). و قد اثمرت سياسه الواثق بالله القائمه على

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۲، و الكامل ۶/ ۴۵۵.

۲- تاريخ بغداد ۳/ ۵۴، و وفيات الاعيان ۳/ ۳۵.

۳- الكامل ۷/ ۳۱.

۴- مقاتل الطالبيين/ ۵۹۳.

۵- الفخرى/ ۲۵۱.

۶- تاريخ بغداد ۱۴/ ۱۹.

التسامح و اللین تجاه العلویین و تعهده ایاهم، اذ لم یخرج علیه احد منهم طیله خلافته.

اما المتوکل علی اللّه فقد کان شدیدا فی معامله العلویین، مما جعل عهده ثقیل الوطأه علیهم، علی ان اسباب بغض المتوکل علی اللّه للعلویین غیر واضحه، الا انها یمکن ان تعزی الی ما کان یغیظه ما یراه من ولاء اتباع العلویین لأئمتهم و اخلاصهم لهم و تقدیسهم ایاهم. فقد امر بهدم قبر الامام الحسین بن علی بن ابی طالب، و هدم ما حوله من المنازل، و ان یحرث موضع القبر و یبذر، و ان یمنع الناس من اتیانه. فامتنع الناس من المصیر الیه(۱).

و کان اکثر منادمی المتوکل علی اللّه ممن اشتهروا ببغض العلویین، منهم علی بن الجهم الشاعر الشامی، و ابو السمط من ولد مروان ابی حفصه من موالی بنی امیه، و عمر بن فرج الرخجی. و کانوا یخوفونه منهم و یشیرون علیه بالاعراض عنهم و الأساءه الیهم(۲). و احسبهم انهم کانوا یتملقونه بذلک و یستدرون عطایاه. و یقول ابو الفرج «ان عبید الله بن یحیی بن خاقان وزیره کان یسی ء الرأی فیهم، فحسن له القبیح فی معاملتهم»(۳).

و بلغ مسامع المتوکل علی اللّه ان احد زعماء العلویین، و هو یحیی بن عمر بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی (۸) مقاتل الطالبیین/ ۵۹۷.

(۹) الکامل ۷/ ۵۶.

۱- الطبری ۹/ ۱۸۵، و مروج الذهب ۴/ ۱۳۵، و الکامل ۷/ ۵۵.

۲- الکامل ۷/ ۵۶.

۳- مقاتل الطالبین/ ۵۹۷.

طالب، قد جمع جمعا ببعض النواحی، فأمر بالقبض علیه، فاخذ و ضرب و حبس فی سجن المطبق ببغداد(۱).

کان امام العلویین فی عهد المتوکل علی اللّه علی بن محمد الجواد الملقب بالنقی و بالهادی، یقیم فی المدینه المنوره، و قد عرف بالزهد و التقوی و الانصراف الی العلم، الا ان و شایات عنه وصلت الی المتوکل علی اللّه فأمر باشخاصه الی سامرا لیکون تحت رقابته المباشره. فبعث به والی مکه ابو العباس عبد الله بن محمد ابن داود مع یحیی بن هرثمه حتی صار الی بغداد. و لما وصلا قریبا منها رکب اسحاق بن ابراهیم المصعبی لتلقیه، و لما رأی تشوق الناس الیه و اجتماعهم لرؤیته، انتظر حلول اللیل فدخل به بغداد، ثم وجه به فی الیوم التالی الی سامرا(۲). و مما ذکره یحیی بن هرثمه عن الامام انه قال: و فی احد ایام السفر، و السماء صاحیه رکب و علیه ممطره و قد عقد ذنب دابته، فعجبت من فعله، فلم یکن بعد ذلک الا هنیهه حتی جاءت سحابه و نالنا من المطر امر عظیم. فالتفت الی و قال: انا اعلم انک انکرت ما ما رأیت و توهمت انی اعلم من الأمر ما لا تعلمه، لیس ذلک کما ظننت و لکن نشأت بالبادیه فانا اعرف الریاح التی یکون عقبها المطر، فلما اصبحت هبت ریح شممت منها رائحه المطر فتأهبت لذلک(۳).

و یظهر ان المتوکل علی اللّه ابقاه فی سامرا، الا انه کان یتمتع بحریه کبیره فیلقی اصحابه، و یحضر مجالس الخلیفه. و لکن ما

۱- الطبری ۹/ ۱۸۲، و الکامل ۷/ ۵۳، و جاء سمه فیه یحیی بن عمر بن یحیی.

۲- تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۸۴.

۳- عقیده الشیعه/ ۲۱۷ عن الکافی للکلینی/ ۲۰۶.

لبث ان وشـی به بعضـهم الی المتوکل علی اللّه بان فی بیته سلاحا و کتبا من شیعته، و انه یطلب الأمر لنفسه. فوجه الیه من الجند الاتراک من داهم منزله لیلا علی غفله من اهله، فوجـده وحیدا جالسا علی الأرض فی غرفه مغلقه، و علیه مدرعه من شـعر و علی رأسه ملحفه من صوف، و هو مسـتقبل القبله یرتل آیت من القرآن الکریم. فحمل الی الخلیفه فی جوف اللیل، فمثل بین یـدیه و هو فی مجلس شـراب. و قـال من اتی به انه لم یجـد فی منزله شـیئا مما قیل عنه. فأعظمه المتوکل علی اللّه و اجلسه الی جانبه، و ناوله الکأس التی کانت فی یـده، فاعتذر بأنه لم یذقه. فطلب الیه ان ینشده مما یحفظ من الشـعر، فأعتذر بأنه قلیل الروایه للشـعر. فالح علیه المتوکل علی اللّه فأنشده(۱):

باتوا علی قلل الأجیال تحرسهم غلب الرجال فما اغنتهم القلل

و استنزلوا بعد عز من معاقلهم فاودعوا حفرا، یا بئس ما نزلوا

ناداهم صارخ من بعد ما قبروأأین الأسره و التیجان و الحلل

أین الوجوه التی کانت منعمهمن دونها تضرب الأستار و الکلل

فأفصح القبر حین ساء لهم تلک الوجوه علیها الدود یقتتل

۱- مروج الذهب ۴/ ۹۳- ۹۴، و وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۴- ۴۳۵.

قد طالما اكلوا دهرا و ما شربوافأصبحوا بعد طول الأكل قد أكلوا

و طالما عمروا دورا لتحصنهم ففارقوا الدور و الأهلين و انتقلوا

و طالما كثروا الاموال و ادخروافخلفوها على الأعداء و ارتحلوا

أضحت منازلهم قفرا معطلهو ساكنوها الى الأجداث قد رحلوا

فتأثر الخليفه و بكى حتى بلت دموعه لحيته، و بكى الحاضرون، فأمر برفع الشراب. ثم قال له: يا ابا الحسن أعليك دين؟ قال: نعم، اربعه الاف دينار. فأمر بدفعها اليه ورده الى منزله مكرما.

لبث الامام على الهادى فى سامرا طيله حكم المتوكل على اللّه، و ابنه المنتصر باللّه، و المستعين باللّه بعده، حتى توفى فى ايام المعتز باللّه لأربع بقين من جمادى الآخره سنه ۲۵۴ ه ۱۷، و دفن بداره بسامرا.

الملحق: الامام علی الهادی:

و الأمام علی الهادی هو ابن الامام محمد الجواد و یعرف بابی الحسن العسکری و انما قیل له العسکری لأنه لما کثرت السعایه به عند المتوکل علی الله احضره من المدینه المنوره و أقره بسر من رأی و کانت تدعی العسکر ایضا فاقام بها عشرین سنه فنسب الیها(۱).

و هو عاشر الأئمه الأثنی عشر. ولد بالمدینه المنوره و بها کانت نشأته. و هناک خلاف بسیط فی تاریخ مولده، اذ یقول الخطیب البغدادی انه ولد فی رجب سنه ۲۱۴ ه، بینما یقول ابن الأثیر انه ولد فی سنه ۲۱۲ ه، و یتردد ابن خلکان فی ان ولادته کانت فی سنه ۲۱۳ ه او فی سنه ۲۱۴ ه(۲).

کان الامام الهادی من الاتقیاء الصالحین، فقیها متعبدا منصرفا الی العلم. و لما ارتاب المتوکل علی الله به لکثره الوافدین علیه من مختلف الاقطار، استقدمه الی سامرا لیکون تحت رقابه الخلافه مباشره. فبقی الامام فی سامرا لا یبرحها، الا انه کان یستقبل اصحابه و زائریه و یحضر مجالس الخلفاء و مجالس کبار

۱- وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۵، و شذرات الذهب ۲/ ۱۲۹.

۲- تاریخ بغداد ۱۲- ۵۷، و الکامل ۷/ ۱۷۹، و وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۵.

رجال الدوله. و يروى الخطيب البغدادى خبرا يدل على سمو منزلته لدى الخليفه و اطمئنانه اليه. فقد اعتل المتوكل على اللّه فقال لئن برئت لاـ تصـدقن بـدنانير كثيره. فلمـا برى ء جمع الفقهـاء فسـألهم عن ذلـك فـاختلفوا فى الاجابه، فبعث الى الامام على بن محمـد يسأله، فقال: يتصـدق بثلاثه و ثمانين دينارا. فعجب بعض الفقهاء من ذلك و تعصب قسم منهم عليه، و قالوا تسأله يا امير المؤمنين من اين له هـذا. فرد الرسول اليه و قـال: قـل لأـمير المؤمنين فى هـذا الوفـاء بالنـذر لأن اللّه تعالى قال «لقـد نصـركم فى مواطن كثيره» فروى اهلنـا جميعـا ان المواطن فى الوقـائع و السـرايا و الغزوات كـانت ثلاثه و ثمانين موطنا. و ان يوم حنين كانت الرابع و الثمانين، و كلما زاد امير المؤمنين فى فعل الخير كان انفع له و آجر عليه فى الدنيا و الآخره(۱).

بقى الامام على الهادى طيله عهد المتوكل على الله و عهد المنتصر بالله و خلفه المستعين باللّه مقيما فى سامرا مكرما، لأن ما كان يمتاز به من هدوء الطبع و كرم النفس و قوه الصبر و الاحتمال، قد ساعده على الاحتفاظ بمنزلته رغم حذر الخلفاء منه و فرضـهم الرقابه عليه. و قد انتقل الى جوار ربه فى سنه ۲۵۴ ه فى يوم الخميس لليال بقين من جمادى الآخره و هو ابن اربعين سنه، فى ايام المعتز باللّه. فبعث الخليفه باخيه ابى احمـد ابن جعفر المتوكل على اللّه فصـلى عليه فى الشارع المعروف بشارع ابى احمـد. و لما كثر الناس و اشتد بكاؤهم و علا ضجيجهم، رد النعش الى دار الامام فدفن فيها(۲). و يقول الخطيب البغدادى ان

۱- تاريخ بغداد ۱۲/ ۵۶- ۵۷.

۲- الطبرى ۹/ ۳۸۱، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۵۰۳، و تاريخ بغداد ۱۲/ ۵۷.

هذه الدار كان الامام قد اشتراها من دليل بن يعقوب النصرانی(۱).

الامام الحسن العسكری:

و كـان خلف الامام علی الهادی ابنه الامام الحسن العسـكری و هو الامام الحادی عشـر، ابو محمـد، و غلب عليه لقب العسـكری لسـكناه فی سـامرا، و قـد اقـام بهـا طيله حياه ابيه و بعـده حتی توفی بها. و هناك بعض الاختلاف فی مكان ولادته و تاريخها، و يسـتنتج من تاريخ وفاته و مقدار عمره انه ولد فی سـنه ۲۳۱ ه و قيل ۲۳۲ ه او ۲۳۳ ه. و يقول ابو المحـاسن ان ولادته كانت فی سنه ۲۳۱ ه(۲). اما محل ولادته فليس هناك اشاره واضـحه الی ذلك فی المصادر الأوليه عـدا ما قاله ابو المحاسن بانه ولد بسـر من رأی و امه ام ولد(۳). الا انه يظهر من تاريـخ ولادته ما يرجـح بانه ولـد بالمدينه المنوره لأن اباه كان حينذاك لا يزال فيها و لما يشخص بعد الی سامرا.

انتقل الامام الحسن العسكری مع ابيه علی الهادی الی سامرا فنشأ بها نشأه دينيه علی سنن سلفه الصالح، فكان ناسكا متعبدا.

و يظهر انه عنی بتعلم عدد من اللغات لاختلاف جنسيات الوافدين الی زيارته و زياره ابيه من قبل. فكان يتكلم بالهنديه مع الزوار الهنود، و بالتركيه مع الاتراك و بالفارسيه مع العجم(۴). و عند ما

۱- تاريخ بغداد ۱۲- ۵۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۹۹، و وفيات الاعيان ۱/ ۳۷۲، و النجوم الزاهره ۳/ ۳۲

۳- النجوم الزاهره ۳/ ۳۲.

۴- عقيده الشيعه/ ۲۲۳ اعتمادا علی خلاصه الاخبار للسيد محمد مهدی.

توفی ابوه سجن الامام الحسن فی بغداد، الا انه ما لبث ان اطلق من السجن و سمح له بالعوده الی سامرا، فاقام بها حتی نهایه حیاته.

توفی الامام الحسن العسکری فی سنه ۲۶۰ ه و یقول ابن خلکان انه توفی بسر من رأی و دفن بجنب قبر ابیه(۱). و لما ذاع خبر وفاته ارتجت سر من رأی، و عطلت الأسواق، و رکب بنو هاشم و القواد و الکتاب و القضاه و سائر الناس لتشییع جنازته(۲).

و لما تولی المنتصر باللّه الخلافه بعد مقتل ابیه المتوکل علی اللّه، اتسمت سیاسته تجاه العلویین بالتسامح معهم و العمل علی استرضائهم، فأمر بعدم التعرض لهم، و الا یمنع احد من زیاره قبر الحسین و قبر غیره من أئمه آل البیت. فلم یجر علی احد منهم قتل او حبس او مکروه(۳). و کان اول عمل قام به لتنیفذ سیاسته هذه انه أقال و الی ابیه علی المدینه المنوره صالح بن علی الذی کان آل ابی طالب هناک ینقمون علیه لسوء معاملته لهم.

و استعمل علیها علی بن الحسن بن اسماعیل بن العباس بن محمد.

و ذکر عن علی هذا انه قال «دخلت علی المنتصر اودعه، فقال لی:

یا علی انی اوجهک الی لحمی و دمی و مد جلد ساعده: و قال لی:

الی هذا وجهتک، فانظر کیف تکون للقوم و کیف تعاملهم، یعنی آل ابی طالب. فقلت: ارجو ان امتثل رأی امیر المؤمنین ایده اللّه فیهم ان شاء اللّه. فقال: اذا تسعد بذلک عندی»(۴).

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۹۹، و الکامل ۷/ ۲۷۴، و وفیات الاعیان ۱/ ۳۷۳.

۲- الاعلام ۲/ ۲۱۵.

۳- الطبری ۹/ ۳۸۱، و وفیات الاعیان ۲/ ۴۳۵.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۶۲۶.

كما اطلق المنتصر باللّه ما كان محبوسا عليهم من الأوقاف، ورد «فدك» الى اولاد الحسن و الحسين(۱). و كان الرسول صلى الله عليه و سلم صالح اهل فدك على نصف الارض بتربتها، و كان ذلك النصف خالصا له لأنه لم يوجت عليه المسلون بخيل و لا ركاب، و كان يصرف ما يأتيه منها فى ابناء السبيل. و لما قبض عليه الصلاه و السلام قالت فاطمه الزهراء لأبى بكر الصديق: ان رسول اللّه صلى اللّه عليه و سلم جعل لى فدكا فاعطنى اياها، و شهد لها على بن ابى طالب. فسألها ابو بكر شاهدا آخر. فشهدت لها ام أيمن مولاه الرسول صلى اللّه عليه و سلم، فقال لها: قد علمت يا بنت رسول اللّه انه لا تجوز الا شهاده رجل و امرأتين، فانصرفت. و لما تولى المأمون الخلافه امر بدفعها الى ولد فاطمه.

فردت الى ورثتها و سلمت الى محمد بن يحيى بن زيد بن على بن الحسين و محمد بن عبد الله بن الحسن. الا ان المتوكل على اللّه كان قد ردها الى ما كانت عليه قبل المأمون(۲).

لقد لقيت مبادره المنتصر باللّه برده فدك الى آل البيت رضى من العلويين و شيعتهم. و قال الشاعر يزيد المهلبى فى ذلك(۳):

و لقد بررت الطالبيه بعد ماذموا زمانا بعدها و زمانا

ورددت الفه هاشم فرأيتهم بعد العداوه بينهم اخوانا

۱- الطبرى ۹/ ۲۵۴.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۳۵، و الكامل ۷/ ۱۱۶.

۳- عن موضوع فدك راجع: فتوح البلدان/ ۴۲- ۴۳، و تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۶۹، و الخراج و صناعه الكتابه/ ۲۵۹- ۲۶۰.

آنست لیلهم و صبرت علیهم حتی نسوا الأحقاد و الاضغانا

لو یعلم الاسلاف کیف بررتهم لرأوک أثقل من بها میزانا

و لشده بر المنتصر باللّه بالعلویین قال عنه صاحب الذهب المسبوک انه کان شیعیا(۱). کما مدحه البحتری بقصیده اشاد فیها بسیاسته تجاه العلویین. و لعلها القصیده الوحیده التی قالها فی مدحه، لأنه کان قد اتهمه بالمشارکه فی اغتیال ابیه، قال فیها یخاطب المنتصر باللّه(۲):

رددت المظالم و استرجعت یداک الحقوق لمن قد قهر

و آل ابی طالب بعد مأأذیع بسربهم فابذعر

و نالت ادانیهم جفوهتکاد السماء، لها تنفطر

وصلت شوابک ارحامهم و قد أوشک الحبل ان ینبتر

فقربت من حظهم ما نأی وصفیت من شربهم ما کدر

۱- مروج الذهب ۴/ ۱۳۵- ۱۳۶.

۲- الذهب المسبوک/ ۲۲۷.

قرابتكم، اشقاؤكم و اخوتكم دون هذا البشر

و من هم و انتم يدا نصرهو حدا حسام قديم الأثر

بقيت امام الهدى، للهدى تجدد من نهجه ما دثر

و كان من نتيجه محاسنه المنتصر بالله العلويين، انهم اخلدوا الى مسالمه الخلافه العباسيه على عهده.

و عند ما ضعفت الخلافه فى ايام الفتنه كثرت و ثبات العلويين.

و لكن رغم ضعف الخلفاء كان الجيش الذى يعتمد عليه القواد الحكام من الاتراك قويا و هو تحت قيادتهم، و لذلك كانوا يبادرون الى توجيهه لاخضاع تلك الوثبات و البطش بالقائمين بها. و يمكن القول ان جميع و ثبات العلويين على خلفاء سامرا قد قضى عليها سوى فتنه الحسن بن زيد العلوى التى اندلعت فى ايام المستعين باللّه. فقد استمرت الى ما بعد عوده العاصمه الى مدينه السلام ثانيه حتى تم القضاء عليها فى سنه ۲۸۷ ه على أيدى السامانيين، كما سنرى فى الفصل القادم، بعد ان استمرت سبعا و ثلاثين سنه، بحيث ان ابن خلدون سماها الدوله العلويه.

و بلغ الخليفه المعتز باللّه فى سنه ۲۵۲ ه ان بعض العلويين المقيمين فى بغداد لهم اتصالات بالحسن بن زيد العلوى صاحب طبرستان، و ان احدهم شخص الى ناحيه الكوفه مع عدد من اتباعه.

فأوجس خيفه من انهم يعتزمون الخروج عليه، فكتب الى نائبه فى بغداد محمد بن عبد الله ان يحمل هؤلاء الطالبيين الى سامرا،

فحملوا جمیعا، و کان فیهم ابو هاشم داود بن القاسم الجعفری و هو من احفاد جعفر بن ابی طالب، و علی بن عبید الله بن عبد الله من احفاد الحسن بن علی بن ابی طالب، و ابو احمد محمد بن جعفر من احفاد الحسن کذلک و هم من رؤوساء العلویین. و کان ابو احمد المذکور سبق ان ولاه المعتز باللّه ولایه الکوفه بعد ما قضی مزاحم بن خاقان علی ثوره الحسین بن محمد العلوی، فاساء ابو احمد فی ادارته و اعتدی علی اموال الناس و ضیاعهم. فارسل محمد بن عبد الله نائبا عنه الی الکوفه، فاستطاع ان یخدع ابا احمد و یقبض علیه و یحمله مقیدا الی بغداد، فحبسه محمد ثم ما لبث ان اطلقه بکفاله بعض العلویین، و کان مع العلویین الذی حملوا الی سامرا من بغداد عدد من اتباعهم(۱).

و یظهر ان المعتز باللّه رأی ان یضع بقیه العلویین تحت رقابته فی حاضره الخلافه سامرا، فأمر بحمل العلویین الموجودین فی مصر الی سامرا کذلک. فقدم عیسی الشیبانی من مصر و معه سته و سبعون من سائر ولد ابی طالب من اولاد علی و جعفر و عقیل.

و کان هؤلاء قد خرجوا الی مصر خوفا من الفتنه و بسبب الجهد النازل بالحجاز. فلما وصلوا سامرا احسن المعتز بالله معاملتهم و امر بتکفیلهم و اطلاقهم(۲).

و یتضح مما یذکره ابو الفرج فی کتابه مقاتل الطالبین ان ایام المعتمد علی اللّه کانت شدیده علی العلویین، و قد مات عدد منهم فی سجن سامرا فی ایامه. فقد توفی محمد بن الحسین بن محمد ابن الحسن بن علی بن ابی طالب و هو محبوس بسجن سامرا.

۱- القصیده فی دیوان البحتری ۲/ ۸۴۸- ۸۵۱.

۲- الطبری ۹/ ۳۶۹- ۳۷۱، و الکامل ۷/ ۱۷۵- ۱۷۶.

و توفی موسی بن موسی بن محمد بن الحسن بن علی بن ابی طالب، و کان ممن حمل من مصر فی ایام المعتز بالله و سجن. کما توفی محمد بن احمد بن عیسی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، و کان قد حمله سعید الحاجب مع ابنیه احمد و علی، فتوفی محمد و ابنه احمد فی الحبس ایضا(۱)(۲).

۱- مروج الذهب ۴/ ۷۷۷.

۲- مقاتل الطالبین/ ۶۸۸- ۶۸۹.

الفصل الثانی خروج العلویین فی عهد خلفاء سامرا

۱- خروج محمد بن القاسم العلوی:

کان محمد بن القاسم بن علی بن عمر بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب(۱)، و یکنی بابی جعفر، یسکن المدینه المنوره ملازما المسجد النبوی الشریف(۲). و قد عرف بحسن السیره و الزهد، و لقب بالصوفی لأنه ادمن لبس الثیاب من الصوف الأبیض(۳). فاتصل به احد الخراسانیین المجاورین واقنعه بحقه فی الامامه و بایعه علیها، و صار یأتیه ببعض حجاج خراسان یبایعونه(۴). و لما رأی محمد بن القاسم کثره من بایعه من الخراسانیین سافر الی الطالقان من کور خراسان و اظهر دعوته فیها

۱- هکذا ورد اسمه فی تاریخ الیعقوبی ۲/ ۴۷۱، و مروج الذهب ۴/ ۵۲، مقاتل الطالبین/ ۵۸۷ و ورد فی الطبری ۹/ ۷: محمد بن القاسم ابن عمر بن علی ... و نقله عنه ابن الاثیر- الکامل ۶/ ۴۴۲.

۲- الکامل ۶/ ۴۴۲.

۳- مقاتل الطالبیین/ ۵۷۸.

۴- الکامل ۶/ ۴۴۲.

فی سنه ۲۱۹ ه، فصار الیه کثیر من الاتباع و الأنصار فی تلک المناطق.

و یقول المسعودی انه کان بالکوفه و قد عرف بالزهد و التقوی، و لما خاف علی نفسه هرب الی خراسان و تنقل بین کورها، و اظهر دعوته هناک(۱).

و ذکر ابو الفرج ان ابراهیم بن عبد الله العطار، و هو احد دعاه محمد بن القاسم، قال انه نزل بمرو و معه عدد من الکوفیین من اتباعه، فلما اجتمع امره عین یوما لخروجه علی الخلافه، فاجتمع الیه اتباعه فی یوم محدد لیتلقوا امره بالخروج. و یروی ابراهیم المذکور خبرا عن احد الانتهازیین ممن بایعوا محمد بن القاسم لمجرد الانتفاع و الکسب. قال ما خلاصته: بینما نحن عنده نعد للخروج سمعنا صوت استغاثه رجل، فقال لی محمد انظر ما هذا الصراخ، فأتیت الموضع فرأیت رجلا حائکا قد اخذ رجل ممن بایعنا لبدا و الحائک متعلق به یستغیث. فاستفسرت عن الأمر، فقال الحائک: اخذ صاحبکم هذا لبدی. فقلت للرجل اردد علیه لبده، فقد سمع ابو جعفر صراخه. فقال لی: انما خرجنا معکم لنکتسب و ننتفع و نأخذ ما نحتاج الیه. فلم ازل ارفق به حتی اخذت منه اللبد و رددته الی صاحبه. و رجعت الی محمد بن القاسم و اخبرته الخبر، فقال: یا ابراهیم أبمثل هذا ینصر الدین؟ ثم قال لنا: فرقوا الناس حتی اری رأی(۲).

۱- مروج الذهب ۴/ ۵۲.

۲- مقاتل الطالبین/ ۵۷۹- ۵۸۰.

و عند ما شعر امیر خراسان عبد الله بن طاهر بخطر دعوه محمد بن القاسم قرر ان یقبض علیه. فجرت بین قواته و اتباع محمد عده وقائع بنواحی الطالقان و جبالها، کان نتیجتها فشل محمـد، فانهزم و بعض اتباعه الی احـدی القری فقبض علیه عبد الله بن طاهر و سیره الی سامرا. و لم یجسـر ابن طاهر علی اشخاصه علنا لکثره اتباعه و مؤیدیه، فکان یخرج بغالاً علیها قباب لیوهم الناس انه قد اخرجه، ثم یردها، و قـد فعل ذلک عده مرات حتی اسـتطاع ان یبعث به فی احدی اللیالی و معه جیش لحمایته، حتی اوصـله الی الخلیفه ببغداد(۱). فأمر المعتصم باللّه بحبسه ریثما ینظر فی امره(۲).

و کان المعتصم باللّه امر ببناء حبس فی بستان موسی و کان القیم به مسرور مولی الرشید، و هو نموذج للحبوس فی ذلک العهد، و قـد وصف بـانه کـالبئر العمیقه حفرت الی المـاء، ثم بنی فیهـا بنـاء علی هیئه المناره مجوف من باطنه و مـدرج. و قـد حفر فی مواضع من التدریـج مستراحـات، و بنی فی کـل مستراح مـا یشـبه الغرفه، یجلس فیهـا رجـل واحـد کأنهـا علی مقـداره بحیث لا یسـتطیع ان یمد رجلیه. فلما قبض علی محمد بن القاسم حبس فی اسـفل ذلک الحبس. فاصابه من الجهد لضیقه، و من البرد امر عظیم. فکاد ان یتلف من ساعته، فقال: ان کان امیر المؤمنین یرید قتلی فالساعه اموت، و الا فقد اصبحت علی وشک منه.

۱- مقاتل الطالبیین/ ۵۸۴.

۲- الطبری ۹/ ۸.

فلما بلغ المعتصم باللّه قوله، قال: ما ارید قتله، و امر باخراجه و حبسه فی بیت کان قد بنی فی البستان(۱).

و قد استطاع محمد بن القاسم ان یهرب من سجنه بمساعده بعض اتباعه. و هناک عده روایات عن کیفیه هروبه.

یقول الطبری: و لما کانت لیله الفطر و اشتغل الناس بالعید و التهنئه، احتال للخروج من الحبس باللیل. و انه دلی الیه حبل من کوه کانت فی اعلی البیت الذی حبس فیه یدخل منها الضوء. فلما اصبحوا اتوه بالطعام فافتقدوه، و جعلوا لمن دل علیه مائه الف درهم، الا انه لم یعرف له خبر(۲). و جاء فی مقاتل الطالبیین انه هو الذی صنع الحبل من لبد کان تحته فی السجن و ربطه فی الکوه و تدلی الی الخارج و هرب(۳). اما المسعودی فیقول ان جماعه من شیعته من الطالقان أتو ذلک البستان، فتأتوا للخدمه فیه من غرس و زراعه و اتخذوا سلالم من الحبال و اللبود و نقبوا الازج و اخرجوه، فذهبوا به، و لم یعرف له خبر(۴).

و وردت عن نهایه محمد بن القاسم روایات متعدده ایضا.

فان المسعودی یقول ان هناک من یقول انه قتل بالسم، و ان کثیرا من اتباعه یزعمون انه مهدی هذه الأمه. و هو یری أن قولهم هذا

۱- التفصیلات فی الفرج بعد الشده ۲/ ۱۷۵- ۱۷۹ و یبین کیفیه هروبه. و فی مروج الذهب ان المعتصم بالله حبسه فی ازج اتخذ فی بستان- ۴/ ۵۲.

۲- الطبری ۹/ ۷- ۸.

۳- مروج الذهب ۴/ ۵۵.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۵۸۶.

فی محمـد بن القاسم یشـبه قول الکیسانیه فی محمـد بن الحنفیه(۱). و جـاء فی مقاتـل الطـالبیین انه رجع الی الطالقان، و قیل انه انحدر الی واسط و اختفی طیله ایام المعتصم باللّه و الواثق بالله، ثم اخذ فی ایام المتوکل علی الله فحبس و مات فی حبسه(۲).

و من المرجـح ان نهایه محمـد بن القاسم کانت القتل، لأن خروجه علی الخلیفه العباسـی بدعوه الامامه العلویه مما یهدد خلافته. اما الادعاء باختفائه فانه یلائم السـلطه لتتخلص من تهمه قتله، کما انه یلائم اتباعه الـذین یرون فیه المهدی المنتظر الذی سـیتمثل بمن سیخرج علی الدوله من العلویین.

۲- خروج محمد بن صالح:

رغم سـیاسه الشـده التی اتبعها المتوکل علی اللّه مع العلویین فقـد حاول بعضـهم الخروج علیه. فقد خرج فی الحجاز فی ایامه ابو عبد الله محمد بن صالح بن عبد الله من احفاد الحسن بن علی ابن ابی طالب. و کان خروجه فی موسم الحج فی سنه ۲۴۲ ه.

و کان القائـد ابو الساج قد عینه المتوکل علی اللّه فی سـنه ۲۴۲ ه و الیا علی طریق مکه و احداث الموسـم(۳). فخاف موسی بن عبـد الله، و هو عم محمـد بن صالـح، علی نفسه و اولاـده و اهله فضـمن لأبی الساج تسـلیمه. و اسـتطاع موسـی ان یقنع ابن اخیه بالتسلیم، فخرج محمد الی ابی الساج فقیده و حمله الی سامرا مع جماعه من اهله. فأمر المتوکل علی اللّه بسجنه فیها. الا ان الفتح

۱- نفس المصدر/ ۵۲- ۵۳.

۲- مقاتل الطالبیین/ ۵۸۷.

۳- الطبری ۹/ ۲۱۰.

ابن خاقان تکفل بأمره فوافق المتوکل علی اللّه اطلاقه علی ان یجعله الفتح تحت رقابته. و ان یکون مقامه بسامرا و لا یخرج الی الحجاز. فلم یزل بسامرا حتی مات بالجدری فی ایام المنتصر باللّه. و کان یجهد فی ان یؤذن له بالرجوع الی الحجاز، فلا یجاب الی ذلک.

و یعتبر محمد بن صالح من شعراء آل ابی طالب المتقدمین.

و قد عده ابو الفرج الاصبهانی من شعراء الحجاز الظرفاء، و افرد له فصلا فی کتابه باعتبار ان له شعرا یغنی به(۱). و قد قال محمد بن صالح فی عبید اللّه بن یحیی بن خاقان. وزیر المتوکل علی الله، هجاء کثیرا، لأنه کان لشده انحرافه عن الطالبین یغری المتوکل علی اللّه به و یحذره من اطلاقه. و قد هجاه فی قصیده مدح بها صدیقه ابراهیم بن المدبر، جاء فیها(۲):

و ما فی آل خاقان اعتصام اذا ما عمم الخطب الکبیر

لئام الناس اثراء و فقراو اعجزهم اذا حمی القتیر

و قوم لا یزد حبهم کریم و لا تسنی لنسوتهم مهور

و کان محمد بن صالح حلو اللسان، ظریفا، ادیبا، و کان فی سامرا یخالط سراه الناس و وجوه البلد، و لم یکن یفارق

۱- الاغانی ۱۶/ ۳۶۰- ۳۷۲.

۲- کامل القصیده فی الاغانی ۱۶/ ۳۶۷- ۳۶۸، و عن خروجه راجع مقاتل الطالبیین/ ۶۰۰ ج ۶۱۳.

سعید بن حمید، و هو من کبار کتاب الدوله. بحیث لما توفی محمد رثاه سعید بقصیده منها(۱):

لعمری لقد غال التجلد أننافقدناک فقد الغیث و العام جادب

فما اعرف الایام الا ذمیمهو لا الدهر الا و هو بالثأر طالب

فقدت فتی قد کان للارض زینهکما زینت وجه السماء الکواکب

سقی جدثا امسی الکریم ابن صالح یحل به، و ان من المزن ساکب

اذا بشر الرواد بالغیث برقه مرته الصبا و استحلبته الحجائب

فغادر باقی الدهر تأثیر صوبه ربیعا زهت منه الربا و المذائب

۳- خروج یحیی بن عمر:

خرج فی سنه ۲۵۰ ه علی عهد المستعین باللّه احد الطالبیین هو یحیی بن عمر بن الحسین بن زید بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب المکنی بابی الحسین، بالکوفه و بها کان مقتله. و قد سبق ان شرنا الی محاولته الوثوب فی عهد المتوکل علی اللّه و فشله فی

۱- الاغانی ۱۶/ ۳۶۹.

ذلـك. فقـد سـافر بعـد اطلاـقه من السـجن الى خراسـان، الاـ ان اميرها عبـد الله بن طاهر رده الى سامرا خوفا من ان يتجمع حوله اولياؤه و مؤيـدوه. فنالته ضائقه ماليه شديده و تراكمت عليه ديون ضاق بها ذرعا. فلقى عمر بن فرج الرخجى، و كان يتولى امور الطالبيين، و كلمه فى صـلته، فاغلظ له عمر القول فقذفه يحيى فى مجلسه. و لما شـكاه الرخجى الى المتوكل على اللّه امره بضربه و حبسه، و لم يزل محبوسا حتى كفله بعض اهله فاطلق سراحه.

فشـخص الى بغداد فاقام بها بحال سيئه، فعاد الى سامرا و كلم وصيف القائد ان يخصص له رزق يجرى له، فجابهه وصيف و قال «لأى شى ء يجرى على مثلك»(۱) متجاهلا مكانته، فانصرف حانقا غاضبا.

كان يحيى بن عمر دينا عفيفا كثير العطف و المعروف على عوام الناس، بارا بحوائجهم لم تظهر له زله(۲). و فارسا شجاعا شديد البدن مجتمع القلب(۳). و يظهر ان ما قاساه من ضيق مالى، و ما لقيه من معامله سيئه من رجال الخليفه، دفعه الى شق عصا الطاعه و الخروج. يقول المسعودى «و كان ظهوره لذل نزل به، و جفوه لحقته، و محنه نالته، من المتوكل و غيره من الأتراك»(۴).

فتوجه الى الكوفه و اظهر امره، فاجتمعت اليه الزيديه و كثير من اهل الكوفه و الاعراب النازلين حولها، فبايعوه، فقوى امره بهم.

فطرد عامل الكوفه، و صار الى بيت مالها فاخذ ما فيه و مقداره

۱- الطبرى ۹/ ۲۶۶.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۴۹.

۳- مقاتل الطالبيين/ ۶۳۹.

۴- مروج الذهب ۴/ ۱۴۸.

الفا دينار و زياده شی ء، و من الورق سبعون الف درهم(۱). و وجه الی قوم من الصيارفه عندهم مال للسلطان فاخذه منهم(۲). و فتح السجون و اخرج جميع من كان فيها.

و لما بلغ خبره محمد بن عبد الله أمير بغداد أمر عبد الله بن محمود السرخسی عامله علی معاون السواد بمحاربه يحيی. فلما لقيه جرح السرخسی و انهزم مع اصحابه. و استولی يحيی علی ما كان معه من المال و الدواب. فوجه محمد بن عبد الله لمحاربته القائد الحسين بن اسماعيل و معه عدد من القواد. فقدم الحسين الی شاهی، و هو موضع غير بعيد من الكوفه، و اقام ينتظر تحرك يحيی و اتباعه.

و اخذ يحيی بن عمر يستعد للحرب فجمع ما تيسر له من السيوف لتسليح بعض اتباعه. و نظرا لقله خبرته بشؤون الحرب استجاب الی جماعه من اتباعه الزيديه ممن لا ـ معرفه لهم باصول الحرب،، بمعاجله الحسين. كما الح عليه عوام اتباعه بالخروج اليه. فزحف الی الجيش باتباعه و اكثرهم عزل من السلاح، و التقی الطرفان عند شاهی و اقتتلا قتالا شديدا، فانهزم اصحاب يحيی لما رأوا كثافه الجيش و شده الحرب. اما يحيی فقد صرع فی احدی حملاته علی عسكر الحسين، فحز رأسه و ارسل الی بغداد.

فلما رآه اهلها استنكروا ذلك و ضجوا لما كان فی نفوسهم من المحبه له(۳). و جعلوا يصيحون ان يحيی لم يقتل، ميلا منهم اليه، حتی

۱- الطبری ۹/ ۲۶۷.

۲- مقاتل الطالبيين/ ۶۴۰.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۴۸.

حتی ان الغوغاء کانوا یصرخون فی الطرقات: ما قتل و ما فر و لکنه دخل البر(۱).

أمر محمد بن عبد اللّه بحمل رأس یحیی الی المستعین باللّه و کتب الیه بالنصر علیه. و نصب الرأس بباب العامه بسامرا، الا ان الناس اجتمعوا متذمرین، فأمر الخلیفه برده الی بغداد و ان ینصب بها بباب الجسر. الا ان محمدا لم یقدر علی ذلک لکثره من اجتمع من الناس و تذمرهم، فخاف ان یأخذوه، فجعله فی صندوق فی بیت السلاح فی داره(۲). و جلس محمد بن عبد الله یتقبل التهانی بمقتل یحیی. و کان ممن دخل علیه ابو هاشم داود بن القاسم، و کان ذا علم و ورع و زهد فقال لأبن طاهر: ایها الأمیر انک لتهنا بقتل رجل لو کان رسول اللّه صلی اللّه علیه و سلم حیا لعزی به. فما رد محمد علیه بشی ء، فخرج ابو هاشم و هو یقول(۳):

یا بنی طاهر کلوه و بیاان لحم النبی غیر مری

ان وترا یکون طالبه اللّه لوتر نجاحه بالحری

و قد اکثر الشعراء فی رثاء یحیی لما کان علیه من حسن السیره و ما اتصف به من خصال حمیده، و عداله و نزاهه. یقول ابو الفرج: «و ما بلغنی ان احدا ممن قتل فی الدوله العباسیه من آل ابی طالب رثی باکثر مما رثی به یحیی، و لا قیل فیه من الشعر باکثر مما قیل فیه»(۴).

۱- مقاتل الطالبیین ۶۴۴.

۲- الطبری ۹/ ۲۷۰، و الکامل ۷/ ۱۲۸.

۳- الطبری ۹/ ۲۷۰، و مروج الذهب ۴/ ۱۴۸ مع اختلاف یسیر.

۴- مقاتل الطالبیین/ ۶۴۶.

و کان الشاعر ابن الرومی علی بن العباس اشهر من رثاه فقد قال فی رثائه قصیده اربت علی مائه بیت، منها(۱):

ألا أیهذا الناس طال ضریرکم(۲)

بآل الرسول فاخشوا او ارتجوا

أکل أوان للنبی محمدقتیل زکی بالدماء مضرج

تبیعون فیه الدین شر أئمهفلله دین اللّه قد کاد یمرج(۳)

أیحیی العلا لهفی لذکراک لهفهیباشر مکواها الفؤاد فینضج

أحین تراءتک العیون جلاءهاو اقذاءها اضحت مراثیک تنسج(۴)

أردیتم یحیی و لو یطو أیطل طرادا و لم یدبر من الخیل منسج(۵)

تأتت لکم فیه منی السوء هینهو ذاک لکم بالغی اغری و ألهج

تمدون فی طغیانکم و ضلالکم و یستدرج المغرور منکم فیدرج

۱- القصیده فی مقاتل الطالبین/ ۶۴۶- ۶۶۲.

۲- ضریرکم: ضررکم.

۳- یمرج: یفسد و یضطرب.

۴- تراءتک: نظرتک فکنت جلاء لعیون احبابک و قذی لاعدائک.

۵- الایطل: الخاصره، و الطراد: حمل الفرسان بعضهم علی بعض، و المنسیح ما بین العرف و موضع اللبد.

أجنوا بنی العباس من شنآنکم و شدوا علی ما فی العیاب و اشرجوا(۱)

و لم تقنعوا حتی استثارت قبورهم کلابکم منها بهیم و دیزج

و رثاه علی بن محمد بن جعفر العلوی الحمانی الشاعر بعدد من القصائد ذکر المسعودی بعضا منها(۲). و کان علی هذا نقیب الهاشمیین فی الکوفه، و قد تخلف عن زیاره الحسین بن اسماعیل قائد الجیش الذی حارب یحیی بن عمر، فتفقده الحسین بن اسماعیل قائد الجیش الذی حارب یحی بن عمر، فتفقده الحسین و بعث بجماعه فاحضروه. فأنکر الحسین علیه تخلفه عن سلامه، فاجابه علی بقوله(۳):

قتلت أعز من رکب المطایاو جئتک استلینک فی الکلام

و عز علیّ ان القاک الاو فیما بیننا حد الحسام

و لکن الجناح اذا أهیضت قوادمه یرف علی الأکام

کما رثاه احمد بن طاهر الشاعر بقصیده طویله ذکر المسعودی عددا من ابیاتها منها(۴):

۱- أجنوا: استروا، الشنآن: البغض، العیاب: جمع عیبه و هی ما یجعل فیها المتاع، و الاشراج شد الخریطه.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۴۸- ۱۵۱.

۳- نفس المصدر/ ۱۵۱.

۴- نفس المصدر/ ۱۴۸- ۱۴۹.

سلام علی الاسلام فهو مودع اذا ما مضی آل النبی فودعوا

فقدنا العلی و المجد عند افتقادهم واضحت عروش المکرمات تضعضع

بنو طاهر و اللؤم منکم سجیهو للغدر منکم حاسر و مقنع

قواطعکم فی الترک غیر قواطع و لکنها فی آل احمد تقطع

لکم مرتع فی دار آل محمدو دارکم للترک و الجیش مرتع

أخلتم بأن اللّه یرعی حقوقکم و حق رسول اللّه فیکم مضیع

۴- خروج الحسن بن زید الطالبی:

لعل اخطر الوثبات العلویه و ابعدها اثرا من حیث طول مدتها وسعه رقعتها هی التی قام بها الحسن بن زید بن اسماعیل بن الحسن بن زید بن الحسن بن علی بن ابی طالب المعروف بالحسن العلوی او الطالبی، فی رمضان سنه ۲۵۰ ه علی عهد الخلیفه المستعین باللّه(۱). و کان سبب خروجه ان الخلیفه کافأ امیر بغداد

۱- النسب، و انه من نسل الحسین بن ابی طالب لا الحسن کما فی الطبری ۹/ ۲۷۱، و الکامل ۷/ ۱۳۰ و فیه بعض الخلاف فی سلسله الطبری.

محمد بن عبد الله لما قضى على حركه يحيى بن عمر، فاقطعه بعض القطائع من اراضى الدوله بطبرستان و منها قطيعه على حدود الديلم. فوجه محمد بن عبد الله جابر بن هارون و هو اخو كاتبه بشر بن هارون النصرانى، لحيازه ما اقطع هناك من الأراضى.

و كان عامل طبرستان حينذاك سليمان بن عبد الله خليفه اخيه محمد بن عبد الله، و الغالب على سليمان محمد بن اوس البلخى الذى فرق اولاده حكاما على مدن طبرستان. و هم احداث سفهاء تأذى الناس بهم و استنكروا منهم و من ابيهم سيرتهم و سوء تصرفاتهم. و قد اثار محمد بن اوس الديلم باجتياحه ما قرب من بلادهم من حدود طبرستان فقتل و سبى منهم عددا كبيرا، و هم اهل سلم و موادعه لأهل طبرستان، مما جعل الطبريه ينقمون عليه و على اولاده و يتحينون الفرصه للوثوب بهم. فلما وصل رسول محمد ابن عبد الله الى طبرستان عمد الى ما اقطع محمد من الاراضى فحازه و حاز معه ما اتصل به من موات الارض التى كان اهل تلك الناحيه يرتفقون بها، فترعى فيها مواشيهم و منها يحتطبون، فأثار بعمله هذا حفيظتهم. و كان فى تلك المنطقه اخوان معروفان بالشجاعه و البأس يقال لاحدهما محمد و للآخر جعفر، فانكرا ما فعل جابر بن هارون من حيازه الارض الموات. و كان الاخوان مطاعين فاستنهضا اتباعهما لمنع جابر من ذلك. فنهضوا معهما، فهرب جابر خوفا على نفسه، و لحق بسليمان بن عبد الله. فأيقن الأخوان و اتباعهما بالشر لأن سليمان عامل طبرستان هو اخو محمد بن عبد اللّه و عم محمد بن طاهر بن عبد اللّه عامل الخليفه على خراسان و جميع اقاليم المشرق. فاتصلوا بجيرانهم من الديلم و تعاقدوا على معاونه بعضهم بعضا فى مجابهه سليمان اذا قصدهم بحرب.

و لكى يعزز هؤلاء مركزهم ارسلوا الى رجل من الطالبيين المقيمين بطبرستان يقال له محمد بن ابراهيم يدعونه الى البيعه له ليتولى رئاستهم و قيادتهم فأبى ذلك و امتنع عليهم. الا انه دلهم على طالبى آخر و قال لهم انه يصلح للرئاسه. و كان ذلك الطالبى هو الحسن بن زيد. فوجهوا الى الرى من يدعوه الى الشخوص الى طبرستان فوافاهم الحسن بن زيد، و اجمعوا على مبايعته و قتال سليمان بن عبد الله، و بايعه معهم رؤساء الديلم.

و كان اول اعمال الحسن بن زيد انه طرد عمال ابن اوس و اولاده من تلك المناطق. فانضم اليه كثيرون من اهل جبال طبرستان و سفوحها، فزحف باتباعه نحو مدينه آمل، و هى حاضره طبرستان، فاقبل ابن اوس يريد دفعه عنها الا انه هزم و دخل الحسن و اتباعه المدينه. و باحراز الحسن هذا النصر كثف جيشه و غلظ امره. و انضم اليه كل طالب نهب و مريد فتنه من الصعاليك و الحوزيه و غيرهم(۱). و جبى الحسن الخراج من اهل المدينه، و نظم اتباعه، و سار نحو مدينه ساريه لمحاربه سليمان بن عبد الله و اخراجه منها. فنشب القتال بين الطرفين، و استطاع الحسن ان يهزم جيش سليمان و يدخل المدينه. فهرب سليمان الى جرجان تاركا اهله و عياله و امواله بمدينه صاريه. فاستولى الحسن و اتباعه على الاموال، اما الحرم و الاولاد فقد سيرهم الحسن الى سليمان بجرجان. و يقول ابن الأثير «يقال ان سليمان انهزم اختيارا لأن الطاهريين كلهم كانوا يتشيعون لآل ابى طالب، فتأثم سليمان من قتال الحسن بن زيد»(۲). فأجتمع للحسن بن زيد بهزيمه سليمان امره طبرستان كلها. و قد شجعه ذلك على ان يوجه

۱- الطبرى ۹/ ۲۷۴.

۲- الكامل ۷/ ۱۳۲.

حمله الی مـدینه الری فطردت عاملها و اسـتولت علیها فأسـتخلف الحسن احـد الطالبیین علیها، یقال له محمد بن جعفر. و بذلک اجتمعت للحسن بن زید مع طبرستان الری الی حد همذان.

و لما بلغ خبر اسـتفحال امر الحسن بن زید الخلیفه المسـتعین باللّه ارسل القائد اسماعیل بن فراشه علی رأس جیش الی همذان و امره بالقیام بها و الـدفاع عنها، اما ما وراء ذلک فقد ترک امر الدفاع عنه لمحمد بن طاهر و عماله(۱). و کان محمد بن طاهر قد اغتنم فرصه و ثوب اهـل الری بمحمـد بن جعفر الطالبی لسوء سیرته فیهم، فوجه الیها جیشا یقوده محمـد بن میکال فأسـتطاع ان یأسـر الطالبی و یهزم اتباعه و یسترجع المدینه. و حمل محمد بن جعفر الی نیسابور فسـجنه محمد بن عبد اللّه بن طاهر فمات فی محبسه(۲). الا ـ ان الحسن بن زیـد جرد حمله اخری علی رأسـها احـد قـواده المسـمی و اجن، فهـاجم ابن میکـال الـذی قتـل فی المعرکه فصارت الری ثانیه الی الحسن بن زید.

و قد اسـتطاع سلیمان بن عبد الله ان یجمع جیشا کثیفا فی جرجان، و هاجم فی سنه ۲۵۱ ه طبرستان و اضطر الحسن بن زید علی ان یتنحی عنهـا و یلحق بالـدیلم. فـدخل سـلیمان الری و استرجع کـذلک مـدینتی ساریه و آمل. و کتب الی ابن اخیه محمـد بن طاهر بـدخوله طبرسـتان و هزیمه الحسن بن زید و استرجاع ساریه و آمل، فابلغ ابن طاهر الخلیفه المسـتعین باللّه بذلک، فقری ء کتابه ببغداد(۳). و لکن الحسن بن زید ما لبث بعد مده ان لم شمل

۱- الطبری ۹/ ۲۷۵.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۵۳.

۳- الطبری ۹/ ۳۰۷.

اتباعه و هاجم مدينه الرى مجددا و استولى عليها فى رمضان سنه ۲۵۶ ه، فوجه اليه الخليفه المعتمد على اللّه كبير قواده موسى ابن بغا، فخرج بجيشه فى شوال و شيعه الخليفه بنفسه»(۱).

الا ان الحسن بن زيد قصد فى السنه التاليه مدينه جرجان و كان محمد بن عبد الله قد جهز جيشا و بعث به لحمايتها، فظفر الحسن بهذا الجيش و غنم ما كان معه من اموال و دواب و استولى على المدينه(۲). كما استطاع بعد ذلك بسنتين اى فى سنه ۲۵۹ ه ان يتغلب على عامل مدينه قومس و يستولى عليها(۳).

على انه واجه فى السنه التاليه خطر اماره بنى الصفار التى اخذت بالتوسع فى الأقاليم الشرقيه للدوله العربيه. فقد هاجمه يعقوب بن الليث و هزمه و دخل طبرستان. و كان سبب هجومه انه كان قد استرد سجستان من عامله عبد الله السجزى الذى كان خرج عليه، فهرب و لحق بالحسن بن زيد فى طبرستان. فبعث يعقوب الى الحسن يطلب اليه ان يسلمه السجزى، الا ان الحسن ابى تسليمه فاذنه ابن الليث بالحرب. و عند ما التقى جيشاهما انهزم الحسن بن زيد و فر الى ارض الديلم و دخل ابن الليث مدينه ساريه ثم مدينه آمل. و حاول ان يتعقب الحسن، الا ان و عوره الطريق حالت دون ذلك.

و استفاد الحسن بن زيد فى السنه التاليه من غضب الخليفه المعتمد على الله على يعقوب بن الليث الصفار، و كان قد امر

۱- الطبرى ۹/ ۴۷۴، و الكامل ۷/ ۲۴۰.

۲- الكامل ۷/ ۲۴۸.

۳- الطبرى ۹/ ۵۰۶، و الكامل ۷/ ۲۶۶.

عبید الله بن عبد الله بن طاهر بأن یجمع من ببغداد من حجاج خراسان و الری و طبرستان و جرجان و یقرأ علیهم کتابا یعلمهم فیه ان الخلیفه لم یول ابن الیث ولایه خراسان، و ینکر علیه دخولها و اسره امیرها محمد بن عبد الله بن طاهر، و یأمرهم بالبراءه منه. فاغتنم الحسن الفرصه و هاجم طبرستان باتباعه من الدیلم و استعادها، و عاقب الذین ایدوا ابن اللیث علیه(۱).

و ما لبث الحسن بن زید بعد ذلک بضع سنوات حتی توفی فی طبرستان فی رجب سنه ۲۷۰ ه، بعد ان استمر خروجه قرابه عشرین عاما، و تولی مکانه اخوه محمد بن زید(۲). و کان الحسن زاهدا متواضعا، عالما بالفقه و العربیه، جوادا. مدحه احد الشعراء، فقال(۳):

لا تقل بشری و لکن بشریان عزه الداعی و یوم المهرجان

فقال له الحسن: کان الواجب الا تفتتح الأبیات بلفظ (لا) لأن الشاعر المجید یتخیر لأول قصیدته ما یعجب السامع و یتبرک به، و لو ابتدأت بالشطر الثانی لکان أحسن. فقال الشاعر: لیس فی الدنیا کلمه اجل من قوله لا اله الا اللّه، و اولها (لا)، فقال له:

اصبت، و اجازه.

و حکی عنه ان مغنیا غنی امامه قصیده الفضل بن العباس فی عتبه بن ابی لهب التی اولها:

۱- الطبری ۹/ ۵۱۲، و الکامل ۷/ ۲۸۸.

۲- الکامل ۷/ ۴۰۰، و الطبری ۹/ ۶۶۶ و فیه انه مات فی رجب او فی شعبان.

۳- الکامل ۷/ ۴۰۸.

و انا الآخضر من يعرفنى اخضر الجلده من بيت العرب

فلما وصل الى قوله:

برسول اللّه و ابنى عمه و بعباس بن عبد المطلب

غير الشطر الثانى من البيت و قال: لا بعباس بن عبد المطلب.

فغضب الحسن و قال له: يا ابن اللخناء تهجو ابن عمنا بين يدى، و تحرف ما مدح به؟ لئن فعلتها ثانيه لأجعلنها آخر غنائك(۱).

و يظهر ان محمـد بن زيـد لم يكن كأخيه الحسن درايه و كفايه، اذ هاجمه القائـد التركى اذكوتكين فى منتصف جمادى الاولى من سنه ۲۷۰ ه باربعه الاف فارس، فلاقاه بمن معه من الديلم و الطبريه و الخراسانيه، و اقتتلوا قتالا شديدا. و رغم كثافه جيش ابن زيد فقد هزم و تفرق اتباعه بعد ان قتل منهم سته الاف و اسر الفان، و غنم جيش اذكوتكين من اثقالهم و دوابهم شيئا كثيرا، و دخل بجيشه الرى(۲).

و فى سنه ۲۷۵ ه سار رافع بن هرثمه الى جرجان و ازال عنها محمد بن زيد الذى فر الى استراباذ. فتعقبه جيش رافع و حاصره فى المـدينه نحو سنتين. و قد استطاع محمد ان يفر منها ليلا مع عدد يسير من اتباعه الى مدينه ساريه، فسير اليه رافع جيشا، فأجبره على الالتجاء الى ارض الديلم(۳).

۱- الكامل ۷/ ۴۰۸.

۲- نفس المصدر/ ۴۱۸.

۳- نفس المصدر/ ۴۳۴.

و لما نشبت الحرب بين عمرو بن الليث الصفار و رافع بن هرثمه. حاول رافع ترضيه محمد بن زيد طمعا بمساعدته على ابن الليث فبعث اليه و صالحه بأن اعاد اليه طبرستان و جرجان.

الا ان محمدا لم يخف الى نجده رافع عند ما احاط به جيش الصفار و اضطره على الهرب. فعرف الصفار لمحمد بن زيد موقفه و خلى عليه طبرستان(۱).

و عند ما قامت اماره بنى سامان و دخلت فى حرب طاحنه مع بنى الصفار و بلغ محمد بن زيد ان اسماعيل بن احمد السامانى قد اسر عمرو بن الليث خرج فى جيش كثيف نحو خراسان طامعا بالاستيلاء عليها ظنا منه ان اسماعيل السامانى قد انهكته الحرب مع بنى الصفار و لا يطمع فى الوصول اليها. فلما صار الى جرجان كتب اليه اسماعيل يسأله ان يتركها و يعود الى طبرستان، فابى محمد ذلك. فوجه اسماعيل جيشا يقوده محمد بن هارون.

و لما التقى الجيشان على ابواب جرجان اقتتلا قتالا شديدا فاصيب محمد بعده طعنات، و اسر ابنه زيد، و احتوى محمد بن هارون على ما فى عسكره من اموال و متاع. و لبث محمد بعد هذه الوقعه اياما قليله و مات من اثر الطعنات التى اصابته فى الحرب، فدفن عند باب مدينه جرجان. اما ابنه زيد فقد حمل الى اسماعيل السامانى فاكرمه و وسع عليه و انزله بخارى، و كان الجيش السامانى دخل طبرستان(۲).

۱- نفس المصدر/ ۴۵۸.

۲- الطبرى ۱۰/ ۸۱، و الكامل ۷/ ۵۰۴.

و بهـذا انتهت الاماره التی اقامها الحسن بن زید الطالبی و قد سـماها ابن خلدون «الدوله العلویه»(۱). الا انه فی الواقع لم یؤسس دوله بـالمعنی المعروف، لأنـه اقرب الی الثـائر المتغلب منه الی الامیر المسـتقر. و قـد مر بنا کیف انه کان یسـتولی علی المـدن و یتنحی عنها. و قـد تکرر ذلک عـده مرات. و قضـی حیاته فی کر وفر. و من الطبیعی ان مثل هـذا الأضـطراب لا یساعـد علی قیام دوله. و قد انتهج محمد اخو الحسن نفس نهجه فی الاستیلاء علی المدن و التنحی عنها حتی قتل بعد ثمانی عشره سـنه من تولیه الأمر علی ایدی السامانیین کما ذکرنا.

۵- خروج اسماعیل بن یوسف الطالبی:

اشـرنا الی ان من اسـباب تذمر الطالبیین و وثوب بعضهم بین آن و آخر ما کانوا یلقونه من سوء المعامله من رجال السلطه. و هذا طالبی یسکن المدینه المنوره، خرج فیها فی سنه ۲۵۱ اثر خلاف بینه و بین الوالی فیها حول وقف کان له، فتحامل علیه الوالی و اغلظ له الکلام مما اثار غضبه، فاعلن العصیان. و جمع حوله لفیفا من الاعراب المتعطشـین للسـلب و النهب، و هاجم بهم ناحیه الروحـاء و اسـتولی علی اموال کـانت تحمـل الی المـدینه من بعض الجهـات. ثم انصـرف الی مکه و کان العامل علیها جعفر بن الفضل ابن عیسی بن موسی بشاشات، فقاومه و حاول منعه من دخولها.

الا ان اسماعیل استطاع باتباعه ان یهزم الوالی و حامیته. و انتهب منزله

۱- تاریخ ابن خلدون ۳/ ۶۰۴.

و منازل اصحابه(۱). و لما حاول اهل مكه مساعده الوالى و خرجوا لمقاتله اسماعيل و اتباعه، وضع هؤلاء السيوف فيهم و قتلوا جماعه منهم فتهاربوا امامهم. فدخل اسماعيل و اتباعه مكه و استولى على ما كان حمل من المال لاصلاح بئر زمزم، و اخذ كسوه الكعبه و ما وجده فى خزائنها من الذهب و الفضه، و بقى فيها خمسين يوما عاث فيها و اتباعه قتلا و نهبا و حرقا، و استولى على نحو من مائتى الف دينار.

ثم عاد اسماعيل باتباعه الى المدينه المنوره فهرب عاملها على ابن الحسين بن اسماعيل لضعف حاميته، فدخلوها، ثم رجعوا الى مكه و حاصروا اهلها الذين لقوا منهم البلاء، و مات كثير من اهلها جوعا و عطشا. و لما لم يجدوا فى مكه ما يشبع نهمهم من الاموال هاجموا جده و استولوا على ما فيها من مؤونه و اخذوا اموال التجار و ما وجدوه من متاع فى المراكب.

و لما وافى اسماعيل مكه للمره الثالثه كان موسم الحج قد حل، فصار الى عرفه. فقابله جيش كان قد وجهه الخليفه المعتز باللّه لقتاله عليه محمد بن احمد بن عيسى الملقب بكعب البقر و معه عيسى بن محمد المخزومى صاحب جيش مكه. فقاتلهم اسماعيل و قتل ما يزيد على الف من الحجاج الواقفين بعرفه، فهرب الباقون الى مكه دون ان يقفوا بعرفات ليلا و لا نهارا(۲). و قد توفى

۱- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۴۹۸.

۲- الطبرى ۹/ ۳۴۶- ۳۴۷، و الكامل ۷/ ۱۶۵- ۱۶۶ و فيهما كان خروجه بمكه اولا.

اسماعیل بن یوسف فی سنه ۲۵۲ ه(۱). فخلفه اخوه محمد بن یوسف و کان اسن منه بعشرین سنه فنال الناس بسببه جهدا شدیدا، حتی تمکن منه القائد ابو الساج الاشروسنی الذی بعث به المعتز بالله، فهرب محمد بعد ان قتل اکثر اصحابه(۲).

ان خروج اسماعیل بن یوسف و اخیه من بعده لم یکن ثوره منظمه تستهدف الحکم القائم، و انما هو مجرد عصیان و ما یتبعه من سلب و نهب اموال الدوله و الناس لمجرد الانتقام و الکسب.

و لذا فانهما لم یلقیا من الناس ای عطف او مساعده، بل انهم علی العکس قاوموهما و ساعدا السلطه ضدهما. و لا یعتبره ابو الفرج من الثوار العلویین و انما اعتبره عابثا مفسدا تبعه امثاله، فعرضوا للحجاج و قطعوا المیره عن بیت اللّه الحرام(۳).

۶- خروج الحسین بن محمد العلوی:

لم یکن یقضی علی فتنه یحیی بن عمر الطالبی الذی خرج مع من بایعه من الزیدیه فی الکوفه، حتی وثب طالبی آخر فی نفس المدینه، هو الحسین بن محمد بن حمزه بن عبد الله بن الحسین بن علی بن الحسین بن علی بن ابی طالب، و یکنی ابا احمد(۴).

و یلاحظ ان المسعودی و ابن الأثیر یحذفان من سلسله نسبه اسم

۱- الطبری ۹/ ۳۲۷، الکامل ۷/ ۱۷۷.

۲- مروج الذهب ۴/ ۱۷۶- ۱۷۷.

۳- مقاتل الطالبیین/ ۶۶۹.

۴- هکذا ورد اسمه فی الطبری ۹/ ۳۲۸، و مقاتل الطالبیین/ ۶۶۵، و الکامل ۷/ ۱۶۴، و مروج الذهب ۴/ ۱۵۴.

«الحسین بن علی» المکرر. و نمیل الی صحه ما جاء فی الطبری و مقاتل الطالبیین لأن بقیه الطالبیین الذین خرجوا فی السنتین ۲۵۰ ه و ۲۵۱ ه جاء نسبهم بثمانیه اجیال کالحسن بن زید و یحی ابن عمر. و یلقب ابو الفرج الحسین بن محمد العلوی بالحرون(۱).

خرج الحسین العلوی فی سنه ۲۵۱ ه علی عهد المستعین بالله بسواد الکوفه فی اتباعه من الزیدیه و من بنی اسد، و هم بضع مئات. و کان عامل الکوفه احمد بن نصر بن مالک الخزاعی، فقتل العلوی بعض رجاله مما اضطره علی الهرب منها فاستولی علیها اتباع العلوی. فأمر الخلیفه و کان حینذاک فی بغداد، محمد بن عبد الله ان یبادر الی اخماد الفتنه الجدیده. فوجه ابن طاهر احد کبار القواد الاتراک الذین صحبوا الخلیفه عند انتقاله الی بغداد، و هو مزاحم بن خاقان، فی جیش کبیر. فلما وصل الجیش مدینه الکوفه هرب منها الحسین لتخلی اصحابه عنه(۲).

لأنهم ادرکوا ان لا قبل لهم بمواجهه جیش کثیف. الا ان ابن خاقان دخل المدینه فقابله اهلها بالحجاره فامر بضرب المدینه بالنار، فأحرق فیما یقال الف دار و ثمانیه اسواق، و قبض علی جمیع من وجده من العلویین فی الکوفه و اودعهم السجن. و اخذ للحسین العلوی جوار و فیهن امرأه حره، فنادی علیها لبیعها بباب المسجد(۳).

۱- مقاتل الطالبیین/ ۶۶۵.

۲- الطبری ۹/ ۳۲۹، و مروج الذهب ۴/ ۱۰۴.

۳- الطبری ۹/ ۳۲۹.

و يظهر ان الحسين العلوى كان قد ظهر بناحيه نينوى و اجتمع اليه جماعه من الأعراب، فلقيه القائد هاشم بن ابى دلف و قتل جماعه من اصحابه، فهرب الى الكوفه و اعلن الخروج ثانيه(۱).

و يذكر ابو الفرج عن نهايه الحسين انه عند ما قارب جيش ابن خاقان مدينه الكوفه هرب و خالف طريق الجيش و صار الى سامرا و بايع للمعتز باللّه الذى كان قد بايعه القواد الاتراك فيها بعد التجاء الخليفه المستعين بالله الى بغداد، الا انه ما لبث بعد مده ان هم بالوثوب ثانيه فقبض عليه و سجن، و بقى سجينا حتى سنه ثمان و ستين و مائتين فاطلق المعتمد على اللّه سراحه، و لكنه خرج للمره الثالثه بسواد الكوفه فقبض عليه و امر الخليفه بحبسه فى مدينه واسط. و انه لبث فى الحبس الى ان مات فى سنه ۲۷۱ ه(۲).

۷- ظهور الكوكبى الطالبى:

يشير كل من الطبرى و ابن الأثير الى ظهور احد العلويين المعروف بالكوكبى الطالبى فى سنه ۲۵۳ ه بقزوين. و قد التقى به و باتباعه جيش القائد موسى بن بغا فهزمه بخدعه حربيه، فهرب على أثرها الكوكبى و لحق بالديلم. و كان سبب الهزيمه ان اصحاب الكوكبى لما التقوا بجيش موسى جعلوا تروسهم فى وجوههم يتقون بها السهام، و لما رأى موسى ان سهام اصحابه لا تصيب منهم مقتلا امر بما معه من النفط ان يصب فى ساحه المعركه. ثم امر اصحابه بالاستطراد لاتباع الكوكبى ففعلو ذلك.

۱- الطبرى ۹/ ۳۲۹، و الكامل ۷/ ۱۶۷.

۲- مقاتل الطالبيين/ ۶۶۵.

فظن الكوكبى ان اصحاب موسى قد انهزموا فامر اتباعه فتبعوهم فلما توسطوا النفط امر موسى بالنار فالقيت فيه، فالتهب النفط من تحت اقدام اصحاب الكوكبى و جعل يحرقهم، فانهزموا، فدخل جيش موسى قزوين(۱).

و يلاحظ ان كلاـ من الطبرى و ابن الأـثير لم يـذكر اسم الكوكبى الطالبى و نسبه حسب العاده، بل اكتفى بلقبه فقط. الا ان ابن الأثير سبق ان اشار فى حوادث سنه ۲۵۱ ه الى ظهور احد الطالبيين بناحيه قزوين و اسمه الحسين بن احمد بن اسماعيل بن محمد بن اسماعيل الأرقط بن محمد بن على بن الحسين بن على بن ابى طالب، المعروف بالكركى، و طرد عمال بن طاهر منها(۲). كما ان المسعودى يـذكر انه ظهر فى السنه المشار اليها آنفا بقزوين «الكركى» الحسين بن احمد بن اسماعيل .. و هو من ولد الأرقط، فحاربه موسى بن بغا، و صار الكركى الى الديلم(۳). و لعدم اشاره الطبرى الى ظهور من سماه المسعودى و ابن الأثير بالكركى، يمكن القول انه هو الـذى خرج فى سنه ۲۵۳ ه باسم الكوكبى العلوى، فقاتله موسى بن بغا و هزمه، كما اشرنا. و ان احد اللقبين تصحيف للآـخر، فقد يكون لقبه الصحيح الكوكبى فصحف الى الكركى، او بالعكس، و ذلك ما جعل ابن اثير يعتبرهما شخصين. و مما يؤيد ما ذهبنا اليه ان اليعقوبى يسميه الكوكبى الارقط(۴).

۱- الطبرى ۹/ ۳۷۸، و الكامل ۷/ ۱۸۴.

۲- الكامل ۷/ ۱۶۵.

۳- مروج الذهب ۴/ ۱۵۴، و اسمه فيه الحسن بن احمد.

۴- تاريخ اليعقوبى ۲/ ۵۰۱.

۸- خروج علی بن زید العلوی:

یظهر مما جاء فی الطبری و مروج الـذهب و الکامل ان علی ابن زیـد الحسـنی حاول فی اواخر خلافه المعتز بالله الخروج بمعاونه طالبی آخر هو عیسی بن جعفر العلوی فخرجا فی سنه سنه ۲۵۵ ه و قتلا عاملها عبد الله بن محمد بن داود بن عیسی فوجه الخلیفه الیهما القائد سـعید بن صالح المعروف بسعید الحاجب فی جیش کبیر، فانهزم العلویان لتفرق اصحابهما عنهما(۱). و بعد فشلهما انفرد علی بن زید بالخروج فی السـنه التالیه، فی اواخر خلافه المهتدی باللّه. فظهر فی الکوفه ایضا و استطاع ان یطرد و الیها عنها و ان یسـتولی علیها. فتوجه الیه القائد الشاه بن میکال علی رأس جیش کثیف، الا ان علی بن زید اسـتطاع ان یهزمه و یقتل کثیرا من افراده(۲). مما قوی مرکزه فی الکوفه و ما حولها.

و عنـد ما تولی المعتمـد علی اللّه الخلافه ارسل القائـد کنجور الترکی الی محاربه العلوی و امره ان یـدعوه الی الطاعه و یبذل له الأمان قبل مبادرته بالقتال. فسار الیه کنجور و نزل فی موضع یقرب من الکوفه یسـمی شاهی، و ارسل الی علی بن زیـد یبـذل له الأمـان اذا مـا استسـلم و اعلن طـاعته. فـاشترط علی شـروطا لم یقبلهـا کنجور. و لمـا رأی علی بن زیـد کثافه الجیش الـذی جاء لمحاربته، تنحی عن الکوفه الی القادسیه فعسکر فیها باصحابه و مناصریه، فدخل کنجور مدینه الکوفه.

۱- الطبری ۹/ ۳۸۸، و مروج الذهب ۴/ ۱۸۰، و الکامل ۷/ ۲۱۶.

۲- الطبری ۹/ ۴۷۴، و الکامل ۷/ ۲۳۹.

اوغـل علی بن زیـد فی البادیه و دخل اراضـی بنی اسـد و کان قـد صاهرهـم، فارسل کنجور خلفه جیشا یتعقبه، فتواری علی عن الانظـار، و بـذلک انتهت فتنته. و یقول ابو الفرج ان اتباع علی بن زیـد کانوا قلیلی العـدد، فلما هاجمه جیش کنجور، قال لأتباعه «ان القوم لاـ یریـدون غیری، فـاذهبوا انتم فی حـل من بیعتی»(۱). فرفض اتبـاعه التخلی عنـه رغـم جزعهم و خـوفهم من الجیش الکبیر المحیـط بهم، فحاول علی ان یثیر حماسـهم فانتضـی سـیفه و حمل علی الجیش، فتشـجع اتباعه و حملوا معه فهزموا جیش منکجور. و لکن رغم انتصار علی فقـد تخاذل اصـحابه من الکوفه و خـذلوه خوفا لما لحقهم من الاذی، و ما اصاب مدینتهم من الحرق و التدمیر عند ما ایدوا یحیی بن عمر، فاضطر علی علی الهرب و الاختفاء.

۹- وثوب محمد و علی ابنی الحسین بن جعفر:

دخل الأخوان محمد و علی ابنا الحسین بن جعفر بن موسی بن جعفر بن محمد بن علی بن الحسین المدینه المنوره فی سنه ۲۷۱ ه، فقتلا جماعه من اهلها، و اخذ اموال الناس. فذعر اهل المدینه طیله مقام الأخوین فیها، و لم یصـلوا فی مسجد الرسول صلی الله علیه و سلم اربع جمع، لا جمعه و لا جماعه(۲). و لا تعرف

۱- مقاتل الطالبیین/ ۶۷۵.

۲- الطبری ۱۰/ ۷، و الکامل ۷/ ۴۱۳ و فیه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوی، و فی البیت الثالث(امسی) بدلا من(اضحی) و لا ذکر للبیت الأخیر.

اسباب وثوبهما الا ان یکون ذلک عبثا و فسادا منهما، لأن احد شعراء العلویین و هو ابو العباس بن الفضل، قد تألم من اعمالهما و شتمهما بقوله(۱).

أخربت دار هجره المصطفی البر فابکی اخرابها المسلمینا

عین فابکی مقام جبریل و القبر فبکی و المنبر المیمونا

و علی المسجد الذی أسه التقوی خلاء اضحی من العابدینا

و علی طیبه التی بارک الله علیها بخاتم المرسلینا

قبح اللّه معشرا أخربوهاو اطاعوا متبرا ملعونا

۱۰- اسباب فشل خروج العلویین:

اذا مـا القینا نظره فاحصه علی ما ذکرناه من الوثبات العلویه و دققنا فی اسـباب کل منها و نتائجها، لرأیناها قـد فشـلت کلها تقریبا من تحقیق هـدف العلویین الأساسی و هو ازاحه بنی العبـاس عن الحکم و القیـام مقـامهم فیه. و هنـاک عوامل عدیـده ادت الی فشلها یمکن تلخیصها بما یأتی:

۱- الطبری ۱۰/ ۷ و الکامل ۷/ ۴۱۳ و فیه اسم الشاعر الفضل بن العباس العلوی و فی بیت الثالث(امسـی) بدلا من(اضحی) و لا ذکر للبیت الاخیر.

ا- التسرع باعلان الخروج قبل ان تستكمل اسباب نجاحه، من حيث تهيئه العدد الكافى من المؤيدين، و تجهيزهم بالسلاح الكافى، و ضمان تأييد الناس لها.

ب- لم تكن اسباب الفتن التى قامت من العمق و السعه بما يمس مصالح الناس بحيث يهبون لنصرتها و تأييدها عند قيامها.

فقد كان اكثر اتباع العلويين الخارجين اما من الأعراب المتعطشين للغزو و السلب و النهب و لا يستهدفون من تأييدهم الا ما يكسبون من الاسلاب، او من الانتهازيين الذين يتوخون مكاسب آنيه. و قد كانت اغلب الفتن التى استعرضناها قد قامت لأسباب شخصيه تتعلق بالعلوى الخارج، مما كان يجعلها اقرب الى العصيان و التمرد.

ج- عدم تنظيم الدعوه العلويه، و توحيد اجنحتها المختلفه.

فان العلويين انفسهم كانوا شيعا متعدده. مما جعل اكثر تلك الوثبات مبتسرا لم تسبقه دعوه لمبادى ء و اهداف واضحه، او ترتبط بشخص معين مهيأ لذلک بحيث تستحق التضحيه فى سبيل انجاحها.

د- ان معظم القاده العلويين الذين اعلنوا عصيانهم كانت تنقصهم الخبره العسكريه بحيث انهم لم يستطيعوا المناوره او الصمود امام الجيوش التى كانت توجه لحربهم و اخضاعهم، الا نادرا. فللحرب اساليبها و فنونها، و لا بد من معرفتها و الاحاطه بها لتحقيق النصر فى ايه معركه حربيه.

ه- قرب مواقع الفتن من حاضره الخلافه. اذ اعلن اغلبها فى مدينه الكوفه او فى اماكن قريبه من مراكز جيوش الدوله

العربیه. لان قیام الفتنه فی اماکن لا تبعد کثیرا عن حاضره الخلافه لا تتیح لها فرصه کافیه لأن تتوسع و تستفحل، لأنه سرعان ما تصل انباؤها و اخبارها الی المسؤولین، سواء من رجال البرید او من العیون المبثوثه لرقابه العلویین اینما کانوا. کما کان هذا القرب یساعد ایضا علی سرعه وصول الجیوش التی ترسل لقمع الفتن و اخضاع القائمین بها.

و قد رأینا کیف ان فتنه الحسن بن زید الطالبی اتسعت و استمرت مده طویله بسبب بعدها عن حاضره الخلافه و قیامها فی منطقه نائیه.

انتهی

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم
هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ
الزمر: ٩

المقدمة:
تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ١۴٢۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:
نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.
وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:
نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام
تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية
تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب
الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات
توسيع عام لفكرة المطالعة
تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:
مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية
إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة
الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة
العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فى نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فى مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فى الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتى بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمى لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فى البحث والدراسة وتطبيقها فى أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

٤.CHM

٥.PDF

٦.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فى الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة في تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.

عنوان المكتب المركزي
أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلي، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir
البريد الالكتروني : Info@ghbook.ir
هاتف المكتب المركزي ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥
هاتف المكتب في طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١
قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.